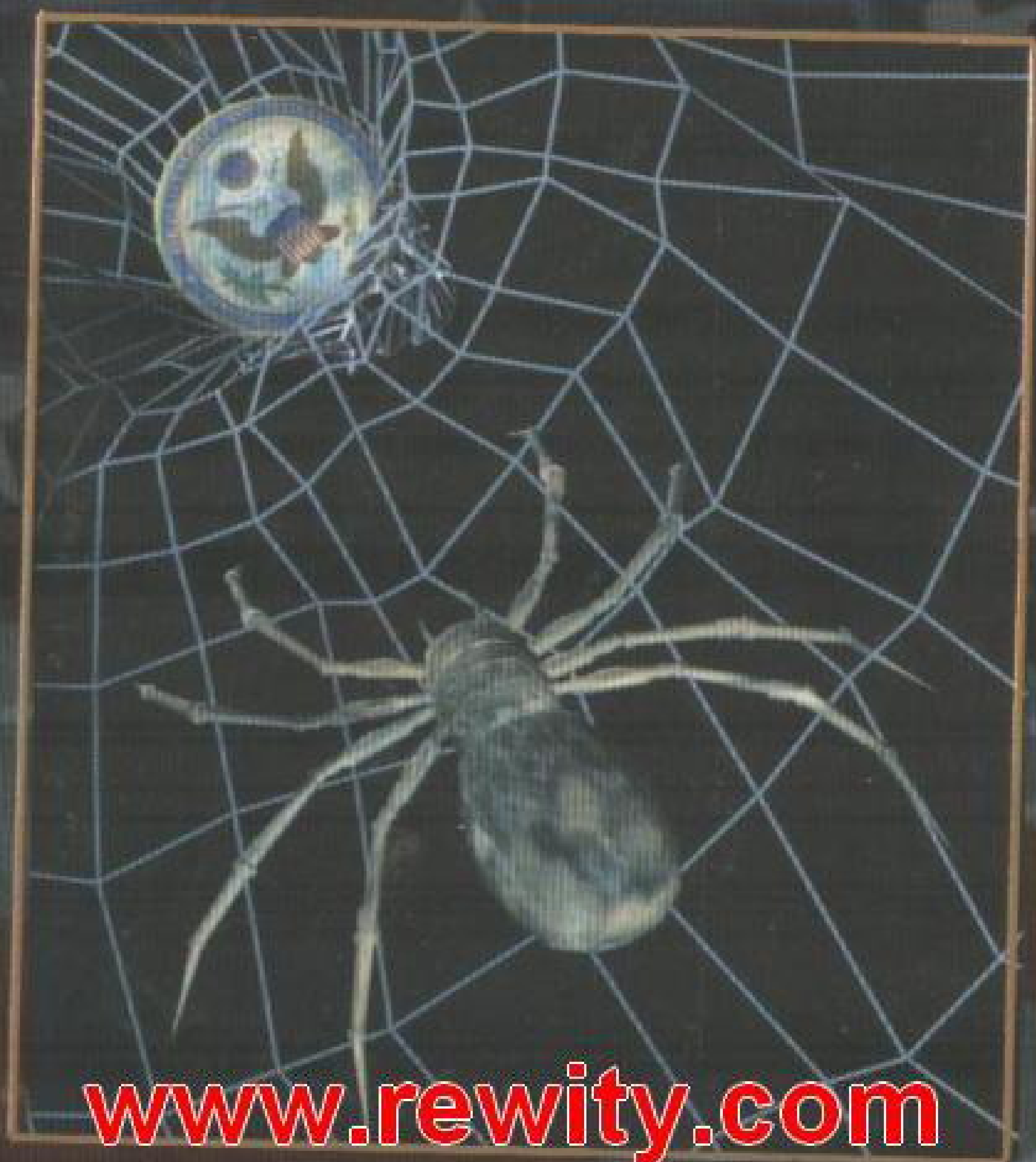
الرواية للمؤلف الأكثر مبيعاً حسب تصنيف جريدة نيويورك تايمز

ديفيد بالدتشي



العبقري البسيط

SIMPLE GENIUS

DAVID BALDACCI




WARNER BOOKS

أحداث وشخصيات هذه الرواية لا علاقة لها بالواقع. بعض المواقع والشخصيات العامة المذكورة هنا مستقاة من الواقع، ولكن كل الشخصيات الأخرى والأحداث الموصوفة فى هذه الرواية من وحى خيال المؤلف .

المرجة المخططة

مقر مونك تورينج

…لعب التنس

برج المياه

…ل حاسبات الكوانتوم

…وخ رقم ٢

مقر أليسيا تشادويك

مقر إقامة الفنيين ورجال الأمن

مخزن / مغسلة

الكوخ رقم ٣

قصر لين ريفست

ملاعب البولينج

معامل شفرة حاسبات

معمل الشفرات الحسابية الكوانتوم

إدارة التصنيع

بابيج تاون

مقر شامب بوليون

…م سباحة

مرآب

مرآب

القصر القديم

الصوبة الزجاجية

طريق إلى مرفق القوارب

الفصل

١

هناك أربع طرق معروفة من خلالها يلقى المرء خالقه: أن تموت لأسباب طبيعية كالمرض؛ أو أن تلقى مصرعك في حادث؛ أو أن يقتلك شخص آخر؛ وأخيرًا أن تقرر أنت الانتحار. أما لو كنت من سكان العاصمة واشنطن، فعندها سيكون أمامك طريقة خامسة للموت: الموت السياسي، وله العديد من المصادر: العربدة في حديقة عامة مع راقصة مثيرة ليست بطبيعة الحال زوجتك؛ أو أن تدس أكياس المال في جيب سروالك بينما هذا الذي دفعها لك لم يكن سوى عميل للمباحث الفيدرالية؛ أو أن تغطي على عملية سطو فاشلة، بينما مقر إقامتك هو البيت الأبيض.

كانت ميشيل ماكسويل تسرع الخطى فوق أحد أرصفة العاصمة، ولأنها ليست من السياسيين، فإن الخيار الخامس لم يكن متاحًا أمامها، والحقيقة أن السيدة كانت في تلك اللحظة تتمنى من كل قلبها لو أنها استيقظت في الصباح التالي لتجد أنها فقدت الذاكرة، كل الذاكرة. كان هناك الكثير مما تود لو أنها قد نسيته؛ الكثير مما يجب عليها أن تنساه.

عبرت ميشيل الشارع، ودفعت باب المقهى الممتلئ بثقوب صنعتها رصاصات، ودلفت للداخل، وقد صدم الدخان وجهها،

بعضه كان دخان السجائر، أما أغلبه فكان كفيلاً بأن يبقى وكالة مكافحة المخدرات فى عمل متواصل.

غطت موسيقى صاخبة وتكاد تفجر الأدمغة على كلَ الأصوات الأخرى بالمكان، وكأنها تُعِدُّ كل هؤلاء كمرضى لدى عدد من إخصائى السمع. وبينما تعالت أصوات تقارع الكئوس والقنينات، كانت هناك ثلاث سيدات يتمايلن على أرضية المرقص، وفى تلك الأثناء، كانت هناك مضيفتان توزعان الصوانى والسباب، متحفزتان للنيل من كل من يحاول العبث معهما.

انتبه الكل فى المقهى إلى دخول ميشيل؛ فقد كانت الوحيدة من أصحاب البشرة البيضاء فى هذه الليلة وربما أية ليلة أخرى، وقد التفتت إليهم بتحدٍّ كان كافيًا لأن يعيدهم إلى ما يشربون وما يتحدثون عنه؛ لكنّ هذا الوضع كان على وشك أن يتغير؛ فميشيل ماكسويل كانت طويلة وجذابة جدًا. أما ما لم يدركوه هو أنها قد تكون مصدر خطر لا يقل عن أى مجرم لديه فائض من الرصاصات فى مسدسه، وأنها تبحث عن سبب يبرر لها أن تفرغ طاقة غضبها فى وجه أى أحد.

توجهت ميشيل إلى طاولة عند أحد الأركان بالخلف وجلست إليها، وأخذت ترتشف أول شراب لها فى تلك الليلة، وبعد ما يفوق الساعة من تناول مشروبات مختلفة، بدأ غضب المرأة يتزايد؛ فقد بدت عيناها أشد جحوظًا وقساوة، بينما تحول بياضهما إلى اللون الأحمر، فأشارت بإصبعها نحو مضيفة عابرة فأحضرت لها شرابًا آخر أطفأت به ظمأها، والآن صار كل ما تريده ميشيل هو هدف تسدد إليه غضبها المحموم الذى يكاد جسدها يعجز عن كبته.

جرعت كأسها حتى آخر قطرة، ثم نهضت ومسحت بيدها على شعرها الفاحم تشيح به عن وجهها، ومع يدها كانت عيناها تمسحان أرجاء المكان بقعة بقعة بحثًا عن ذلك المحظوظ، وقد كان ذلك أسلوبًا زرعه فيها خبراء المخابرات السرية حتى

تحولت غريزة المراقبة إلى الطريقة الوحيدة التى تنظر بها إلى أى شىء أو أى شخص.

لم تستغرق ميشيل وقتًا طويلاً قبل أن تجد ذلك الشخص الذى جسد لها كابوسها، وكان أطول من أى شخص آخر بالمكان، أسمر الرأس، أصلعه وأملسه، بينما تدلى قرط طويل من كل أذن من أذنيه السميكتين، عريض الكتفين لدرجة مبالغ فيها، ويرتدى سروالاً مموهًا واسعًا، وحذاء عسكريًا أسود، فوقهما قميص قطنى أخضر يظهر عضلات ذراعيه المفتولتين. وقف هناك يرتشف من قدح شرابه، ويهز رأسه مع إيقاعات الموسيقى، ويدندن بكلمات الأغانى بصوت يستحيل سماعه، وهو من المؤكد الرجل الذى تبحث عنه.

نحت ميشيل جانبًا رجلاً وقف فى طريقها، ثم توجهت نحو ذلك الجبل الحى وربتت كتفه، وقد بدا الأمر كما لو أنها تلامس جلمودًا من الجرانيت؛ وكم كان الرجل قريبًا بالفعل من هذا الوصف، ولقد كان على ميشيل ماكسويل هذه الليلة أن تقتل رجلاً - هذا الرجل بالذات.

التفت إليها، وترك السيجارة تنزلق من شفتيه، ثم تناول رشفة من شرابه، ومن القدح الذى لا يكاد يُرى فى كفه الذى بدا أشبه بكف دب.

لا شك أن للحجم أهميته، هكذا ذكّرت ميشيل نفسها.

"ما الأمر يا جميلتى؟"، سألها فى خمول وهو ينفث حلقات الدخان إلى السقف ويبتعد بنظره عنها.

"*حركة خاطئة يا عزيزى*". وجهت ميشيل قدمها بغتة وفى سرعة لتسدد ركلة إلى فكه، فترنح مشدوهًا للخلف ليرتطم برجلين ضئيلى الجسد ويسقط معهما أرضًا، وشعرت ميشيل بموجة ألم ترتج من أصابع قدمها وحتى عضلات معدتها، كم كان صلدًا ذلك الفك!

سدد إليها القدح؛ إلا أنه لم يصبها، فجاوبته بركلة أمامية قوية لم تخطئ هدفها، فانثنى جسده للأمام بفعل قوة الركلة التى شعر أنها مزقت معدته، وسرعان ما أتبعتها ميشيل بركلة عنيفة إلى جمجمته حتى خيل لها أنها تسمع صوت صراخ فقرات عنقه وسط هذا الصخب المهلك للموسيقى، فسقط للوراء، ويده تضغط على رأسه الدامى، وعيناه متسعتان فى ذعر من كل هذه القوة التى يواجهها، ومن سرعة ودقة هذا الهجوم.

حدقت ميشيل فى برود إلى جانبى عنقه السميك الذى لم يتوقف عن الارتجاف. إلى أين تسدد ضربتها الآن؟ إلى وريده العنقى؟ أم إلى ذلك الشريان الذى يشبه فى سمكه قلمًا من الرصاص؟ أو ربما إلى قفصه الصدرى، فيتوقف قلبه عن النبض؟ إلا أنها وجدت أن الرجل قد فقد سيطرته على هذا العراك.

"*هيا أيها الفتى، لا تخيب ظنى، لقد جئت إلى هنا خصيصًا من أجلك*".

كان كل من بالمكان قد تراجع إلى الوراء مفسحًا الساحة، عدا امرأة هرعت إلى الساحة وهى تصرخ باسم الرجل، وقد وجهت المرأة لكمة من قبضة يدها السمينة إلى رأس ميشيل، لكن ميشيل تفادتها ببراعة، وبادرت بالقبض على ذراع مهاجمتها، ولوتها خلف ظهرها ودفعتها بقوة للأمام، فاندفعت المرأة لترتطم بإحدى الطاولات واثنين من كبار السن كانا يجلسان إليها.

عادت ميشيل لتواجه رفيقها، الذى كان متكومًا، ويتنفس فى صعوبة قابضًا على معدته، إلا أنه باغتها بهجمة سريعة. ردت هذه الهجمة بركلة حطمت وجهه، وأتبعتها بضربة من مرفقها سددتها إلى قفصه الصدرى، وأجهزت عليه بركلة جانبية مزقت غضروف ركبته اليسرى، فسقط الضخم أرضًا وهو يصرخ فى ألم. لقد تحول العراك الآن إلى مذبحة، ثم تراجع الحشد الساكت إلى الوراء فى خطوة جماعية واحدة، وهم عاجزون عن

تصديق أن هذه المرأة النحيلة قادرة على أن تفعل كل هذا بهذا العملاق الضخم.

كان النادل قد اتصل بالشرطة بالفعل؛ ففى مكان مثل هذا، لا يكون بجهاز الهاتف سوى رقمى استدعاء فورى، أحدهما لشرطة النجدة والآخر للمحامى. ومع هذا، ومما تبدو عليه الأمور، فإن وصولهم إلى هنا فى الوقت المناسب صار موضع شك.

نجح الضخم فى الوقوف منتصبًا على قدمه السليمة، والدم ينزف بشدة على وجهه، وكانت الكراهية الطاغية فى عينيه تغنى عن أى كلام يمكن أن يقال: إما أن تقتله ميشيل أو أنه سيقتلها.

رأت ميشيل نفس هذه النظرة على وجه كل وغد لقنته درسًا، وكم هى طويلة قائمة أسماء هؤلاء الأوغاد، ولم يحدث أبدًا من قبل أن كانت هى البادئة فى أى عراك؛ فقد كان أغلبه نتاج تعدّ متحذلق من قبل شخص غليظ العقل ، عجزت عيناه عن قراءة كل ما تعكسه شخصيتها من صفات شرسة، وبعدها كانت سرعان ما تنجح فى صد الاعتداء ودحر هذا المعتدى بعد أن تترك بصمة حذائها فى رأسه.

لوح الرجل بالنصل تجاه وجه ميشيل، بعد أن سحب مديته من جيب سرواله الخلفى، فأصابتها خيبة الأمل بسبب اختياره لهذا السلاح ولطريقة استعماله له، وسرعان ما أطاحت به من يده بركلة بارعة من قدمها كسرت واحدًا من أصابع يده.

تراجع الرجل للوراء حتى لامس ظهره طاولة المقهى، ولم يعد يبدو بكل هذه الضخامة الآن؛ فقد كانت فائقة السرعة، وبارعة المهارة، فتلاشى مفعول كل هذه العضلات التى تغطى جسده.

أيقنت ميشيل أن ضربة واحدة منها تكفى الآن لقتله: ضربة خاطفة على عموده الفقرى، أو لطمة توجهها إلى شريانه؛ فقد صار طيعًا بين يديها الآن، وازدادت يقينًا حينما رأت تلك النظرة

على وجهه. بلى، بوسع ميشيل أن تقتله فترتاح من كل هذه الوساوس الشيطانية التى تعتمل فى صدرها.

إلا أن شيئًا ما ارتج بغتةً داخل مخها بعنف كاد يدفعها إلى تقيؤ كل ما شربته على أرضية المكان المذعور، وربما كانت هذه أول مرة منذ سنين ترى فيها ميشيل الأشياء على حقيقتها، وكم أدهشتها سرعة اتخاذها للقرار، فما إن اتخذته، حتى كان حاسمًا لا رجعة فيه؛ فقد قررت أن تمارس ما مارسته طيلة حياتها: أن تتصرف من وحى اللحظة.

طوح الرجل نحوها بلكمة يائسة لم تجد ميشيل صعوبةً فى تفاديها، وبعدها سددت إليه ركلة أخرى، هذه المرة بين فخذيه، إلا أنه نجح فى أن يقبض بيده الضخمة على فخذها، فدب النشاط فيه عندما أدرك أنه قد وضع يده على هذه الغريمة المراوغة، فرفعها إلى أعلى ثم طوحها عبر المقصف إلى رف قنينات الشراب، وبدوره دب الحماس فى الحشد الذى ابتهج لهذا التغير فى مسار الأحداث، فأخذ يصرخ فى صوت واحد: "اقتل العاهرة! اقتل العاهرة!".

صرخ النادل غاضبًا وهو يرى مخزونه من الشراب يراق على الأرض، إلا أنه سكت حينما اقترب الضخم من المقهى ووجه له لكمةً أفقدته وعيه، وبعدها أمسك بميشيل وأوقفها على ساقيها قبل أن يضرب برأسها لمرتين متتاليتين تلك المرآة التى كانت معلقة فوق رف المشروبات المراقة، وقد تحطم الزجاج وربما تحطمت معه جمجمة ميشيل، فوجه الرجل ركلةً غاضبة بركبته إلى بطنها، ثم ألقاها نحو الواقفين على الجانب الآخر من المقصف، فارتطمت بالأرض فى عنف ليسكن جسدها حيث سقط، ووجها يدمى، بينما يرتجف جسدها بشدة فى خلجات متتالية.

قفز الحشد إلى الوراء أكثر وهم يرون الضخم يطير ليهبط عند رأس ميشيل، فجذبها من شعرها ورفع جسدها لتقف على

قدميها، إلا أن جسدها كان متهدلاً كالدمية، وأخذ ينظر إلى جسد ميشيل، وكأنما يريد تحديد هدف ضربته القادمة.

صرخت فيه رفيقته، التى كانت قد نهضت عن الأرض وهى تتلمس بقع الشراب التى امتلأ بها رداؤها: "الطمها على وجهها - على وجهها اللعين. رودنى، حطم ذلك الوجه اللعين".

أومأ رودنى برأسه وهو يطوح بقبضته للوراء تمهيدًا للكمة المنتظرة.

عادت رفيقته تصرخ: "إلى وجهها اللعين يا رودنى !".

بينما أخذ الحشد البشرى يزأر وبكل حماس: "اقتل العاهرة!"، كانوا يشعرون أن المعركة على وشك أن تنتهى فيعودوا إلى ما كانوا عليه.

عندها انسلت ذراع ميشيل فى سرعة خاطفة، حتى إن رودنى لم يدرك من الأصل أنه قد ضُرب على كليته إلا بعد أن أخبره مخه بأنه يعانى ألمًا لا يطاق، وقد ابتلعت صرخات غضبه وألمه أصوات الموسيقى التى تصدح عبر مكبرات الصوت عند المقصف، وسرعان ما أصابت لكمته رأسها، فطارت إحدى أسنانها؛ ثم عاد يلكمها؛ لينفجر ينبوع دموى من أنفها وفمها، وهمّ رودنى الضخم بالانقضاض على فريسته بالضربة القاضية حينما اقتحمت الشرطة المكان، مشهرةً أسلحتها، وكأنما تبحث عن مبرر فتطلق النار من فورها.

لم تسمع ميشيل ما أحدثه دخولهم من جلبة، وإنقاذهم لحياتها، واقتيادهم لها؛ فقد كانت تدخل فى دوامة اللاوعى بعد اللكمة الثانية، ولم تتوقع أبدًا أن تعود حية من هذه الغيبوبة.

كان آخر ما فكرت فيه ميشيل قبل أن تفقد وعيها تمامًا هو: "وداعًا، شين".

الفصل

٢

حدق شين كينج فى صفحة النهر الساكنة وسط آخر لحظات ينسحب فيها ضوء الشمس فى سرعة، وهناك مشكلة ما تواجهها ميشيل ماكسويل، ولكنه لا يدرى كيف يمكنه أن يتعامل مع الموقف؛ فصديقته تزداد اكتئابًا يومًا بعد يوم، حتى صارت تلك الكآبة متوطنة فيها.

اقترح عليها أن يعودا إلى العاصمة واشنطن هربًا من هذه الأزمة، وأن يبدأ من جديد هناك، إلا أن هذا لم يجد نفعًا، ومع تناقص المال وندرة فرص العمل وسط هذا المناخ التنافسى فى العاصمة، اضطر شين إلى قبول سلفة عرضها عليه صديق استطاع أن يحقق نجاحًا فى عالم الاستشارات الأمنية الخاصة، وبعدها نجح فى بيع شركته إلى واحدة من كبريات الشركات العالمية.

يقيم شين و ميشيل حاليًا فى استراحة الضيوف داخل تلك الضيعة التى يمتلكها أحد أصدقائه، والتى تطل على النهر جنوبى واشنطن، إلا أن شين هو من يذهب ليبيت ليلته فيها؛ فلم تدخلها ميشيل منذ عدة أيام، كما أنها لم تعد تجيب هاتفها المحمول، وفى آخر ليلة عادت فيها إلى المنزل كانت فى غير وعيها تمامًا؛ لدرجة أنه وبخها بعنف لكونها قادت سيارتها

وهى على هذه الحالة، وحينما استيقظ فى الصباح التالى، كانت قد غادرت.

مرر شين إصبعه على زورق السباق الخاص لميشيل، والذى كان مربوطًا إلى المرسى الذى كان يجلس عليه، وكانت ميشيل ماكسويل رياضية بطبعها، ونالت ميدالية أوليمبية فى التجديف، كما أنها شغوفة بالتدريبات الرياضية إلى درجة تتعدى كل منطق، ونالت عددًا من الأحزمة السوداء فى مختلف الرياضات القتالية مما مكنها من الانتصار فى العديد من النزالات مع مختلف الأوغاد؛ إلا أنها لم تمس هذا الزورق منذ أن وصلت إلى هذا المكان، ولم تمارس الركض على طريق الدراجات، كما لم تبد اهتمامًا بأى نشاط بدنى آخر؛ لكن شين نجح فى نهاية المطاف فى أن يقنعها بأن تذهب لتستشير خبيرًا نفسيًا.

عندها ردت بتجهم لم يعهده فيها من قبل: "لم يعد لدى خيار". كان يعرف أنها متهورة، وأنها تتصرف من وحى اللحظة ، وأنها أحيانًا ما تعرضك إلى خطر مميت.

ها هو الآن يراقب نهاية اليوم ويتساءل عن حالها.

وبعد ساعات، وكان لا يزال يجلس على المرسى، وصلت الصرخات إلى مسامع شين . لم تباغته؛ بل أغضبته، فنهض فى بطء وتوجه نحو العتبات الخشبية بعيدًا عن سكون النهر.

توقف عند استراحة الضيوف بالقرب من حمام السباحة الكبير ليلتقط مضرب البيسبول وبعض الكرات القطنية، والتى دسها فى أذنيه، وكان شين كينج ضخم البنية، وطوله يقارب المترين، ووزنه يزيد على مائتى رطل، إلا أنه كان فى الخامسة والأربعين من عمره، ويعانى من ركبتيه وكتفه اليمنى المصابة فى ظنه منذ أمد بعيد؛ لذا كان يحمل معه دومًا هذا المضرب اللعين، والكرات القطنية، وفى طريقه نظر عبر سور خاص فرأى تلك المرأة العجوز التى كانت تحدق فيه وسط الظلام، وقد عقدت ذراعيها وظهر العبوس على وجهها.

قال وهو يرفع المضرب الخشبى: "سأصعد يا سيدة موريسون".

قالت فى غضب: "هذه ثالث مرة هذا الشهر، وسأبلغ الشرطة على الفور فى المرة القادمة".

"لا تدعينى أعطلك عن هذا القرار؛ فأنا لا أتلقى أجرى لقاء هذا".

اقترب نحو المنزل الكبير من الجهة الخلفية، لقد تم بناء المنزل منذ عامين، وهو واحد من تلك القصور التى ظهرت مكان بيت ريفى كان أقل من هذا الحجم بمقدار الربع، ونادرًا ما يأتى الملاك إلى هنا، ويفضلون بدلاً من ذلك أن يستقلوا طائرتهم الخاصة إلى ضيعتهم فى هامبتون صيفًا، أو إلى قصرهم القابع على شاطئ المحيط فى بالم بيتش شتاءً؛ لكن هذا لا يمنع أن يأتى ابنهم الجامعى وأصدقاؤه المتحذلقون ليعيثوا فسادًا بالمكان.

مر شين إلى جوار السيارة البورش، والسيارة البيمرز الصغيرة، والثالثة المرسيدس، ثم صعد العتبات الحجرية ودلف إلى المطبخ الفسيح. وحتى مع كتم الكرات القطنية صخب الأصوات، إلا أن صوت الموسيقى كان عاليًا جدًا لدرجة أنه أحس بقلبه يختلج مع كل دفقة صاخبة من دفقاتها.

صاح بصوت أراده أعلى من صوت الموسيقى وهو يدفع جسده وسط أجساد المراهقين: "هاى ... هاى!". إلا أن أحدًا لم يعره انتباهًا، ولهذا السبب كان قد جلب معه المضرب، سار إلى المشرب القابع وسط المطبخ، وهو يرفع مضربه الخشبى إلى خلف كتفيه، وكأنما هو واحد من الضاربين وسط استاد اليانكى، وأطاح بنصف ما كان فوق المشرب بتطويحة من مضربه، ثم أزاح البقية الباقية بتطويحته الثانية.

توقفت الموسيقى وبدأ الصبية ينتبهون أخيرًا إلى وجوده بالمكان، على الرغم من أن أغلبهم بدا مغيبًا لدرجة تمنعهم من إبداء أى اهتمام، وقد بدت الضحكات تتعالى بين الفتيات بينما

حدق صبيان عاريا الصدر النظر إلى شين فى تجهم، وقد ضم كل منهما قبضتى يده.

بينما اندفع صبى آخر، وكان طويلا عريضًا ذا شعر كثيف، من الخارج إلى داخل المطبخ فى قوة.

"ما الذى يحدث هنا بحق الله؟". بوغت حينما رأى ما حل بالمقهى من خراب، فصاح: "تبًا! سوف تدفع ثمن هذا يا كينج".

"لن أفعل، ألبرت".

"اسمى بيرت!".

"حسنًا، بيرت، لتهاتف والدك إذن ولنتعرف على رأيه فى هذا الأمر".

"لا يمكنك أن تأتى إلى هنا وتفعل هذا فى كل مرة".

"أتقصد حماية منزل والديك من بعض الحمقى الأغنياء؟".

صاحت إحدى الفتيات: "أنت، إننى أرفض كلامك هذا"، كانت خصلات شعرها المدببة لأعلى تتمايل مع كلماتها، بينما ارتدت قميصًا قطنيًا ملاصقًا لجلد جسدها.

رمقها شين بنظرة ساخرة وقال: "حقا؟ وعلى أى جزء تعترضين: الأغنياء أم الحمقى؟".

التفت شين إلى ألبرت وقال: "دعنى أوضح لك حقيقة الأمر، بيرت، فقد منحنى والدك سلطة أن أخلى هذا المكان فى أى وقت أرى أن الأمور فيه قد خرجت عن نطاق السيطرة". كان يقبض على مضربه، ثم حدق النظر إلى الآخرين وهو يضيف: "وبناءً على هذا فعلت اللازم؛ لذا آمركم بأن تغربوا عن وجهى فى أسرع وقت قبل أن أستدعى الشرطة".

سخر منه بيرت قائلا: "كل ما ستفعله الشرطة هو أن تطلب منا خفض صوت الموسيقى".

"هذا إن لم أخبرهم بأن هناك الكثير من حالات تعاطى المخدرات وتعاطى الخمور". كان شين يحدق فى كل الموجودين بالمكان وهو يضيف: "ما رأيكم فى إلقاء القبض عليكم بتهمة

التعدى على ممتلكات الغير؟ هل تعتقدون أن هذا كفيل بأن يسحب كل من ماما وبابا مفاتيح السيارات منكم مع منع المصروف؟".

كانت الجملة كافية لإخلاء نصف المكان منهم، بينما اختفى النصف الآخر حينما حاول بيرت مهاجمة شين إلا أن بطنه تلقت وكزة من مقبض المضرب لقاء هذه المحاولة، ثم قبض شين على ياقة قميص الصبى رافعًا إياه عن الأرض.

تأوه بيرت وهو يصيح: "سأتقيأ...سأتقيأ!".

"خذ نفسًا عميقًا وحسب، وعليك ألا تحاول تكرار مثل هذه الفعلة".

صاح فيه بيرت بعدما هدأ جسده: "سأنال منك بعدما فعلته".

"كل ما ستفعله الآن هو أن تنظف هذا المكان وبكل دقة".

"لن أقوم بهذا!".

جذب شين ذراع الصبى ولواه خلفه قائلاً: "ستنظف هذا المكان، أو أن أقتادك إلى مركز الشرطة"، ثم أشار بمضربه نحو حافة المشرب المتهشم وهو يضيف: "سأعود بعد ساعة لأرى المكان بعد تنظيفه يا ألبرت".

إلا أن شين لم يستطع تنفيذ هذا الوعد؛ فبعدها بأربعين دقيقة تلقى مكالمة عبر هاتفه المحمول، فقد كانت ميشيل ترقد فاقدة الوعى بأحد مستشفيات العاصمة بعد إلقاء القبض عليها بتهمة التعدى على الغير، فكاد شين يهشم البوابة الأمامية وهو يهرع نحو السيارة!

الفصل

٣

حدق شين النظر إليها وهى راقدة فى الفراش، ثم التفت إلى الطبيب، الذى قال: "لا تقلق؛ فليست حالتها بالخطورة التى تبدو عليها، لقد أصيبت بارتجاج فى المخ إلا أن صور الأشعة أظهرت أن حالتها على ما يرام، ولا يوجد نزيف داخلى، وقد تحطمت إحدى أسنانها، وتعانى من كسر فى ضلعين وكدمات فى معظم جسدها، وسوف تعانى من بعض الآلام عندما تستيقظ؛ حتى مع الأدوية المسكنة".

تركز انتباه شين على شىء بدا له غير منطقى: فمعصمها الأيمن مقيد إلى قضيب الفراش بأصفاد، كما أن هناك ذلك الشرطى البدين الذى فتش شين بحثاً عن أية أسلحة، ثم أخبره بأن الزيارة لن تزيد على عشر دقائق.

سأله شين: "ما الذى حدث بحق الله؟".

"لقد دلفت صديقتك إلى أحد المقاهى وافتعلت عراكاً مع أحدهم هناك، وكان شخصاً ضخم الجثة وقويًا للغاية".

"وكيف عرفت بكل هذا؟".

"لأن ذلك الرجل ما زال بالأسفل يتم التحقيق معه".

"هل كانت هى التى بدأت المشاجرة؟".

"أعتقد أن هذا ما تدل عليه هذه الأصفاد، مع أن هذه الحقيقة لا تتفق وحجمها؛ فالرجل الآخر ضخم الجثة بالفعل، ولابد أنها ذات شخصية متهورة".

تمتم شين ساخطاً: "آه لو كنت تعرف حقيقتها!".

بعدما غادر الطبيب، اقترب شين أكثر من الفراش.

" ميشيل ؟ ميشيل ، أتسمعينني؟".

لم يجبه سوى أنين ضعيف، فتراجع خارجاً من الغرفة، وعيناه مثبتتان على الأصفاد مع كل خطوة يخطوها.

لم يستغرق شين وقتاً قبل أن يعرف كامل القصة؛ فقد كان يعرف صديقاً فى قوة شرطة العاصمة، والذى قام بالاطلاع على المحضر وأعلمه بمحتواه.

قال له المحقق عبر الهاتف: "يبدو أن الرجل هو صاحب المحضر".

"وهل هم على يقين من أن أحداً لم يستفزها؟".

"هناك نحو خمسين شاهد عيان شهدوا على أنها هى التى هاجمت الرجل؛ ولكن ما الذى كانت تفعله بحق الله فى تلك البقعة من العاصمة، شين ؟ هل كانت لديها رغبة فى الانتحار؟".

"هل كنت تودين الانتحار، يا ميشيل؟".

هرع إلى رودنى الضخم والذى كان يقف فى ممر المستشفى. كانت رفيقته معه، لا تزال تحاول إزالة البقع عن ردائها.

بادره شين قائلاً: "لقد كانت تمر بظروف صعبة مؤخراً".

فصرخت فيه المرأة: "وهل تظن أننا سنأبه لظروفها!".

بينما صاح رودنى بدوره: "إننى لن أتوانى عن مقاضاتها!".

أمنت رفيقته على كلامه فى سرعة: "بالتأكيد. تلك العاهرة! انظر إلى ما فعلته بثيابى".

نبهه شين قائلاً: "إنها لا تمتلك أية أموال، لا تمتلك سوى عربتها، وهى متهالكة بالفعل".

ردت الرفيقة: "هل سمعت من قبل عن شىء اسمه المصادرة؟ سوف نتحصل على كامل مرتبها لمدة عشرين عاماً قادمة، فلتنظر كيف ستتعامل مع هذا".

"بل تحصلون فقط على مجرد جزء من مرتبها، إلا أنها عاطلة أصلاً، والحقيقة أن المكان الوحيد الذى سيذهبون بها إليه هو المصحة".

"مصحة ؟ أية مصحة ؟"، سألته وقد توقفت عن تنظيف ثيابها.

" سانت إليزابيث . مصحة الأمراض العصبية".

صاح رودنى : "لا أصدق هذا الهراء. لقد هاجمتنى تلك العاهرة!".

بينما سألته المرأة فى قلق: "هل تقول بأنها مجنونة؟".

رد شين وهو ينظر إلى رودنى : "وهل تظنين أن أى شخص عاقل سيقدم على مهاجمته؟ خاصةً لو كان هذا الشخص امرأة؟".

قال رودنى : "تباً، ربما كان هذا الرجل على حق. أعنى أنها مجنونة بالفعل لتقدم على فعلة كهذه، أليس كذلك يا حبيبى؟".

بينما قالت المرأة، ويدها على خاصرتها وهى تحدق فى شين: "ولكن لابد من نيل بعض المال من أى أحد على الأقل، هذا أو أن تقضي "الآنسة كاراتيه" ، بعض الوقت فى السجن".

"حسنا، بوسعى أن أعطيكم بعض النقود".

باغتته المرأة قائلة: "كم؟".

حسب شين فى سرعة كمية النقود المتبقية فى حسابه وقال: "عشرة آلاف، وسوف أسدد مصروفات المستشفى وأترك ما يكفى من المال كى تنسوا كل ما حدث".

"عشرة؟ هل تظن أننى غبية؟ إننى لن أقبل أقل من خمسين ألفاً!"، هكذا زأرت المرأة وهى تضيف: "إن الطبيب يقول بأن رودنى يحتاج إلى عملية جراحية فى ركبته، كما أنها كسرت إصبعه".

"ليس لدى هذه الخمسون".

"فى هذه الحالة لن أقبل بسنت أقل من خمس وأربعين ألفاً. وإلا تفصل بيننا المحكمة، وعندها ستسجن صديقتك لسنوات يمكنها خلالها أن تشفى من نوبات غضبها".

فقال شين: "حسناً، خمسة وأربعون"، ولقد كان ذلك المبلغ آخر ما يمتلكانه من حطام الدنيا.

نبهه رودنى قائلاً: "كما أن المقهى قد تحطم تماماً، وسوف يريد صاحبها تعويضاً عن التلفيات. رد شين قائلاً: " سأدفع له ألفا وخمسمائة دولار، وهذا هو عرضى الأخير".

فى صباح اليوم التالى كانت قد تمت تسوية المسألة خارج المستشفى، وهكذا تم إسقاط الدعوى بطلب من رودنى، وبعدما حصل الرجل الضخم على الشيك، قال: " على أى حال، لابد أن أعطى هذه المرأة حقها؛ فلقد كادت تحطم عظامى، ولكن...".

بادره شين قائلاً: "ولكن ماذا؟".

هز رودنى كتفيه: "لقد نالت منى يا رجل، وأنا لا أخجل من الاعتراف بهذا، ويبدو أنها تجيد فنون الكونغ فو، وحينما كادت أن تقضى على، وجدتها تركلنى ركلة ضعيفة، وبعدها انتهى كل شىء، فلقد بدا لى أنها ترغب فى أن أضربها. لابد أنها مجنونة، كما قلت".

هرع شين عائداً إلى المستشفى؛ فلم يكن يود أن تستيقظ ميشيل والأصفاد لا تزال فى معصمها.

الفصل

٤

لحسن حظ ميشيل أن لياقتها البدنية عالية؛ فسرعان ما استعادت عافيتها وتعافت من إصاباتها...إصابات جسدها على الأقل، وذهب عنها تأثير ارتجاج المخ، وبدأت ضلوعها تلتئم، كما زرعوا لها سناً حلت محل تلك التى تهشمت، وحجز شين غرفة فى أحد الفنادق المجاورة للمستشفى حيث كان يرافقها طيلة اليوم وكل يوم، ومع كل هذا فإنهما لم يسلما من المشاكل؛ فحينما عاد شين مع ميشيل إلى المنزل وجدا أن أقفال أبواب منزل الضيوف قد تغيرت، وقام أحدهم بحزم حقائبهما وتركها عند مدخل الدار. هاتف شين صديقه صاحب المكان، إلا أن من رد على الهاتف أخبر شين أن عليه أن يحمد الله على أن المالك لم يرفع دعوى قضائية ضده بسبب تهجمه على ابنه بمضرب، ثم أضاف الرجل أن عليه ألا يحاول الاتصال بهم ثانية.

نظر شين إلى ميشيل القابعة فى مقعد السيارة. كانت نظراتها شاردة، ولم يكن السبب هو العلاج وحده.

قال شين: "أوه... ميشيل ...إنهم...أوه...لقد قرروا هدم استراحة الضيوف، وكنت أعرف هذا من قبل، إلا أننى نسيت".

اكتفت ميشيل بالتطلع عبر النافذة، ولم تنبس ببنت شفة.

قاد شين السيارة إلى الفندق حيث حجز غرفة مزدوجة؛ فقد خشي أن يترك ميشيل وحدها، وكان قد سحب أموالاً من حسابه بالبنك، وهو يخشى أن يتعرف على الفتات الذى بقى فى حسابه بعد ذلك، وطلب طعاماً صينياً على العشاء بينما لم تستطع ميشيل إلا شرب العصائر ، وهى لا تزال تعانى من فك متورم، وسنا حديثة التركيب.

جلس إلى حافة الفراش حيث رقدت متكومة وقال: "على أن أستبدل الضمادات التى على وجهك...".

كانت تعانى من جراح قطعية فى فكها وجبهتها، وكانت تجفل كلما لمسها وهو ينزع الضمادات القديمة.

"آسف".

باغتته قائلة فى حدة أدهشته: "غير الضمادات وحسب".

تطلع إلى عينيها إلا أنهما كانتا ثابتتين على لمعة عميقة.

سألها محاولاً ألا تتوقف عجلة الحوار بينهما: "كيف حال ضلوعك؟"، إلا أنها أشاحت بوجهها عنه.

قال بعد أن أنهى عمله: "هل تحتاجين إلى شىء آخر؟".

لكنها لم ترد فأضاف: "لابد أن نتحدث حول هذا الأمر، ميشيل".

لكنها ردت عليه بأن استلقت على ظهرها وتكورت فى وضع الجنين.

نهض وأخذ يخطو عبر أرجاء الغرفة، ويداه تقبضان على قنينة شراب، قال : "ما الذى دفعك بحق الله إلى مهاجمة رجل أقل ما يقال عنه إنه يصلح ليكون أحد مصارعى السومو؟".

لم يجاوبه سوى الصمت.

فتوقف فى مكانه وصاح: "اسمعينى، إن الأمور تتحسن؛ فقد وضعت يدى على بعض فرص العمل"، ثم أضاف كاذباً: "هل يساعدك هذا على الشعور بتحسن؟".

"توقف عن هذا يا شين".

"أتوقف عن ماذا؟ عن أن أحاول أن أكون متفائلاً وإيجابياً؟".

لم تجبه سوى بآهة سخط.

"اسمعينى، لو كررت هذه الفعلة ثانيةً، فسوف يقوم أحدهم بسحب مسدسه ليفرغه فى رأسك فينتهى الأمر".

"ليت هذا يحدث!".

"ما الذى حل بكِ؟".

نهضت وسارت تتعثر نحو الحمام وأغلقت الباب؛ حيث سمعها وهى تتقيأ.

" ميتشيل ، هل أنت بخير؟ هل تحتاجين إلى مساعدة؟"

أخذت تصرخ: "دعنى وحدى!".

انطلق مسرعاً إلى خارج الغرفة، حتى جلس إلى حوض سباحة تابع للفندق، فأنزل قدميه إلى الماء الدافئ وهو يستنشق عبق رذاذ الكلور بينما يجرع من زجاجة الشراب. كانت أمسية جميلة، وازدادت بهاءً بوجود فتاة فى العشرينات تسبح داخل مياه الحوض، وقامت بعدة لفات داخل الماء، وهى تضرب بذراعيها فى كفاءة وقوة، وتوقفت عند اللفة الرابعة، وأخذت تخطو فى الماء نحوه، وصدرها يرتفع فوق سطح الماء، ثم قالت : "أتسابقنى؟".

رد شين : "مما رأيته للتو من أداء، فإننى أشك فى أن أكون منافساً لك".

"عليك أن ترانى فى أثناء أدائى الحقيقى إذن؛ وليس لدى مانع فى أن أعطيك دروسًا. اسمى جينى ".

"أشكرك على هذه الدعوة، جينى ، إلا أننى لن أستطيع تلبيتها".

نهض وابتعد، إلا أنه سمع جينى وهى تقول بخيبة أمل: "يا إلهى، كلما أعجبت بشاب أكتشف أنه غير مهتم أصلاً بالنساء؟".

فتمتم شين لنفسه قائلاً: "تباً، كان يوماً حافلاً بالفعل".

كانت ميشيل نائمة حينما عاد إلى الغرفة، فاستلقى على الفراش المقابل، وأخذ يحدق فيها.

مر يومان من دون حدوث أى تحسن، فاتخذ شين قراره؛ فقد تيقن من أنه قد عجز عن مساعدتها أياً كان ما يؤلمها، ومن الواضح أن الصداقة العميقة لا يمكن أن تكون علاجاً للروح الجريحة، لكنه يعرف الشخص القادر على إخراجها من كل تلك الآلام.

الفصل

٥

فى الصباح التالى هاتف شين صديقاً قديماً - هوراشيو بارنز، الذى يعمل إخصائياً نفسياً فى ولاية فيرجينيا الشمالية. كان هوراشيو فى العقد الخامس من عمره، يعقد شعره كذيل حصان، وله ذقن رفيع أشيب الشعر، وكان يفضل ارتداء السراويل الجينز الباهتة والقمصان القطنية السوداء، لديه دراجة بخارية من طراز هارلى، وكان متخصصاً فى معاونة رجال المباحث الفيدرالية على الاستشفاء من المشاكل النفسية الناجمة عن توترات عملهم؛ وذلك حين التقاه شين للمرة الأولى.

حكى شين له كل ما حصل فى المقهى وما عرفه من رودنى عن تفاصيل الشجار، وحدد معه موعدا واصطحب ميشيل إليه، مدعيا أنه سيقوم بفحص جراحها.

كانت عيادة هوراشيو داخل أحد المخازن القديمة المهجورة، ومكتبه فسيح جيد التهوية، وبه صفان من النوافذ المتربة، وتلال من الكتب المكدسة على الأرض. كان مكتبه مصنوعًا من ألواح الخشب التى وُضع فوقها لوح كبير بدا أنه كان فى الأصل أحد الأبواب، وكانت كراجته البخارية السوداء تقبع فى أحد أركان المكان.

قال لهما بابتسامة واسعة: "لو أننى تركتها بالخارج فى حىٍ كهذا، لما بقيت بحوزتى للحظة، ألست محقاً فى هذا؟...حسناً، ما عليك يا شين إلا أن تدعنا وحدنا الآن؛ فميشيل لا تحتاج إليك وهى تحكى لى كل شىء عن حياتها". أطاعه شين على الفور مغادرا المكان، وانتظر داخل ما بدا أنها غرفة انتظار صغيرة. وبعد ساعة أتاه هوراشيو ، تاركا ميشيل بالداخل.

"إنها تعانى من بعض المشكلات الخطيرة".

سأله شين فى حذر: "وما مدى خطورتها؟".

"على درجة من الخطورة تتطلب معها أن توضع تحت الملاحظة العلاجية".

"ألستم تتخذون هذه الخطوة حينما يشكل المريض تهديداً لنفسه وللآخرين؟".

"إننى أعتقد أنها قد توجهت إلى المقهى بنية الانتحار".

جفل شين من هذه العبارة. "هل ذكرت لك ميشيل هذا؟".

"كلا، ولكن عملى أن أقرأ ما بين السطور".

"وأين ذاك المكان الذى تقترحه؟".

" ريستون، وهو مستوصف خاص. إلا أنه باهظ التكاليف، يا صديقى".

"سوف أتدبر أمر المال".

جلس هوراشيو فوق صندوق تعبئة قديم، وأشار إلى شين أن يجلس بدوره ثم قال: "صارحنى يا شين. قل لى رأيك فى هذه المشكلة".

تحدث شين إليه على مدار نصف الساعة، وهو يحكى له ما حدث لكليهما هناك فى رايتسبرج .

ثم قال هوراشيو : "أصارحك بأننى مندهش من أنكما لم تتلقيا سوياً أى علاج نفسى، هل أنت متأكد من أنك بخير؟".

"لقد تأثر كلانا بما حدث، إلا أن ميشيل كانت الأضعف".

"من الواضح أنها لم تعد تشعر بالثقة فى حكمها على الأمور، وهو أمر لا يمكن الاستهانة به مع شخصية كشخصيتها".

قال شين : "كما أن ذلك الشخص كان يعنى لها الكثير، وحينما تبينت حقيقته لها...أعتقد أن هذا أمر كفيل بإصابة أى إنسان بالجنون".

تأمله هوراشيو ملياً وهو يقول: "وما هو شعورك أنت؟".

فغر شين فاه لحظة، ثم قال: "شخص يريق دماء ثلة من البشر؟ كيف تتصور أن يكون شعورى تجاه أمر كهذا؟".

"كلا، بل قصدت شعورك تجاه علاقة ميشيل برجل آخر".

انقلبت تعبيرات وجه شين . "أوه...فى الحقيقة...إننى بدورى كنت على علاقة بأخرى فى ذلك الوقت".

"ليس هذا ما أقصده تحديدا".

نظر شين إليه فى تساؤل، إلا أن صديقه لم يشأ أن يستطرد فى نفس الموضوع.

قال شين : "هل ترى أنها ستتحسن؟".

"هذا إن أرادت هى ذلك، أما لو كانت يائسة من هذا، فليس بوسعنا سوى أن نبين لها الخطوات التى يمكن أن تخطوها نحو تحسن حالتها".

"وماذا لو أنها رفضت؟".

"عندها تختلف الأمور جذرياً". صمت هوراشيو لحظات قبل أن يقول: "أتذكر أننى قد قلت لك إنها قد توجهت إلى ذلك المقهى بنية أن تموت؟ الحقيقة أن قرار ميشيل بأن تتوجه إلى هناك وتفتعل تلك المشاجرة مع أضخم وغد وجدته بالمكان، يمثل أفضل علامة على رغبتها فى أن تتحسن".

نظر إليه شين متعجبا: "ومن أين لك هذا اليقين؟".

"كان ذلك نداء استغاثة يا شين ـ نداء غريب بالفعل، إلا أنه نداء على أى حال، والمثير للفضول هو سبب اختيارها هذا

التوقيت بالذات حتى تطلقه؛ فمن الواضح أن معاناتهـا تعـود إلى فترة طويلة مضت".

"هل هناك من تخمينات؟".

"كما قلت لك؛ فهى لم تعد تشعر بالثقة فى حدسـها ثانيـةً. ووجدت العقاب فى قبضة ذلك الوغد بالمقهى".

"عقاب؟ أى عقاب؟".

"لا علم لى".

"وماذا لو رفضت أن تمكث فى ذلك المستوصف؟".

"لن يمكننا استصدار حكم قضائى يحتم عليها تنفيذه؛ فإما أن تدخله طواعيةً، أو أن تخضع لجلساتى العلاجية".

"سأعمل على أن تدخل ذلك المستوصف بأية طريقة".

"وكيف ذلك؟".

"سأتقمص دور المحامى الذى لم ألعبه منذ سنين".

الفصل ٦

جلس شين فى ذلك المساء مع ميشيل داخل حجرتهمـا بالفندق.

بدأ هو الكلام: "اسمعينى. إن الرجل الذى تشاجرت معـه قد قرر أن يرفع ضدك دعوى قضائية، وبوسعى أن أسقط هذه الدعوى ومن دون أن تضطرى إلى الذهاب للمحكمة. لكننى أعلم أن القاضى سيحتاج منك إلى أمر".

كانت تجلس متوقعة أمامه فقالت: "مثل ماذا؟".

"ما يدل على تلقيك علاجًا نفسيًا، وهوراشيو يعـرف مكانـاً مناسبا".

حدقت إليه النظر وقالت : "أتظن أننى مجنونة؟".

"رأيى لا يهم؛ فلو أردت تلقى حكم قضائى وقضاء فـترة من الزمن؛ داخل السجن، فلا بأس عندى. أما لو قـررت طواعيـةً أن تدخلى للعلاج فى تلك المصحة. فإن الدعوى تسقط من تلقاء نفسها. إما هذا أو ذاك". كان شين يدعو ربه ألا تعلم ميشيل فـى يوم ما أن كل مـا يقولـه لا يعدو أن يكون خدعـة، وسلسلة من الأكاذيب، ومن حسن حظـه أن ميشيل قد وافقت علـى الخيـار الثانى كما وقعت على استمارة تتيح لشين الاطلاع علـى مراحـل

تطور علاجها. كل ما على هوراشيو بارنز القيام به الآن هو أن يخرج ما بجعبته من سحر عقلي.

قال له صديقه الإخصائي النفسي في اليوم التالي وأثناء جلوسهما داخل أحد المقاهي: "لا تتوقع حدوث معجزة بين ليلة وضحاها؛ فهي أمور تستغرق وقتاً، كما أن نفسيتها ضعيفة".

"لم يبد لي أبداً أنها على هذا القدر من الهشاشة".

"هي ليست كذلك في الظاهر؛ لكن هناك ديناميكية مختلفة تماماً تعتمل داخل نفسها الآن؛ فهي ذات شخصية تتوق إلى التفوق مع بعض الغرائز الاستحواذية الواضحة، ولقد أخبرتني بأنها اعتادت على التدريب البدني لساعات طويلة كل يوم. هل هذا صحيح؟".

أومأ شين برأسه موافقاً وقال: "لقد كانت عادة مزعجة، إلا أنني صرت أفتقدها الآن".

"وهل تحرص على أناقتها بصورة مبالغ فيها؟ إنها لم تخبرني عن هذا".

كاد شين يبصق القهوة التي كان قد ارتشفها في فمه للتو، وقال: "ما كان لك أن تسأل هذا السؤال لو أنك رأيت سيارتها من الداخل؛ فهي في هذا الصدد مهملة للغاية".

"وهي الأصغر بين خمسة أبناء، والبنت الوحيدة بينهم؟".

وافقه شين قائلاً: "وكان والدها رئيس الشرطة في تينيسي، كما أن إخوتها جميعهم من رجال الشرطة".

"لقد مثلت كل هذه الحقائق ضغوطاً عليها يا شين ـ ضغوطاً قوية للغاية، ولو كنت أنا من هذه العائلة لكنت قد رسبت عشرين مرة قبل أن أتخرج في الكلية".

ابتسم شين وقال: "هل كنت مثيراً للشغب إلى هذا الحد؟".

"رويدك يا رجل، لقد كان ذلك في فترة الستينيات. الكل وقتها كان مشاغباً".

"إنني لم أتصل بعائلتها بعد، إلا أنني لا أريد لهم أن يعرفوا شيئاً عما حل بها".

"وأين يقطنون؟".

"أمها وأبوها في رحلة شهر عسل جديد في هاواي، ولقد تحدثت مع أخيها الأكبر، بيل ماكسويل، وهو شرطي بولاية فلوريدا، وأخبرته ببعض مما حدث، وأراد أن يأتي، إلا أنني طلبت منه البقاء... صارحني... هل ستتحسن حالتها؟".

"أعلم ما تتمنى سماعه مني، إلا أن الأمر بيدها هي وحدها".

في وقت آخر من نفس اليوم، زارها شين في غرفتها بالمصحة، وكانت ترتدي سروالاً من الجينز، وحذاءً رياضياً، وسترة رياضية، بينما عقدت شعرها كذيل حصان.

جلس فوق مقعد مقابل لها وأمسك بيدها قائلاً: "سوف تكونين بخير حال؛ فأنت في أنسب مكان يساعدك على هذا".

ربما كان شين واهماً، إلا أنه تخيل أنها قد قبضت على يده بدورها، فبادر بزيادة قوة قبضته على يدها.

توجه شين في تلك الليلة إلى ماكينة صرف آلي، وكاد يضحك مما اكتشفه من قدر المال المتبقي في حسابه، حتى الفاتورة الابتدائية الخاصة بالمستشفى كانت باهظة، ولم يكن تأمينه الصحي يشملها، وكان قد بدأ بالفعل في سحب المال من حساب التقاعد، وقام بتسييل بوليصة تأمين قديمة، إلا أنه لم يكن قد عمل ولو ليوم واحد منذ ما حدث لميشيل، فصار الآن على شفا الهاوية.

جرب الاتصال بكل من يعرفهم، إلا أن أحداً منهم لم يكن لديه ما يسعف به الموقف؛ فكل أعمال التحري المربحة بالعاصمة تتطلب تصريح أمن عالي المستوى كالذي كان شين يمتلكه يوماً؛ والحصول على تصريح جديد أمر يتطلب الكثير من الوقت، فلم يجد سوى أن يزيد من تقشفه وأن يواصل طرق الأبواب.

إلا أنه قرر فى النهاية ـ وبعد أن استنفد كل الخيارات ـ أن يقوم بما أقسم من قبل على ألا يقوم به، اتصل شين بهاتف جوان ديلينجر، عميلة جهاز الخدمة السرية السابقة والتى صارت الآن نائب رئيس مجلس إدارة شركة تحريات خاصة كبرى، كما أنها كانت ـ ولسوء حظه ـ رفيقته السابقة.

ردت جوان على مكالمته قائلة: "بالتأكيد يا شين؛ لنتناول الغداء معًا فى الغد، وأنا متيقنة من قدرتى على أن أجد شيئًا يمكننا فعله معًا".

أغلق الخط وهو يحدق النظر عبر نافذة الفندق المتواضع، والذى سيضطر قريبا إلى تركه. تمتم قائلاً لنفسه: "كنت أخشى من هذه العبارة تحديدًا".

الفصل

٧

كان على شين أن يقر بأن تلك المرأة جذابة بالفعل، جذابة وفتاكة. وبلا خطأ فى شعرها ولا مكياجها. ترتدى ثوبًا قصيرًا وضيقًا، وحذاء بكعب عال، إلا أنه لا يرتفع بجسمها الضئيل سوى بوصات قليلة جعلتها تقترب من كتف شين. ساقاها نحيفتان، وصدرها عريض. بدت جذابة بالفعل، بل ما هو أكثر من هذا الوصف، إلا أنه لم يشعر بأى شىء تجاهها.

بدا أن جوان ديلينجر قد أحست بشعوره فسارعت وأشارت له بأن يجلس إلى الأريكة، بينما جلست هى إلى مقعد بجواره وهمت بصب القهوة.

قالت فى عذوبة: "مضى وقت طويل منذ آخر لقاء لنا. كم قاتلاً ألقيت القبض عليه؟".

قال وهو يحاول أن يبتسم بينما يقلب السكر فى قدح قهوته: "ليس هذا الأسبوع".

"كيف حال تلك الفتاة البغيضة التى تعلقت بها؟ ألم يكن اسمها ميلدريد؟".

"بل هو ميشيل، وهى بخير. شكراً على اهتمامك".

"ألا زلتما تعملان؟".

"بالفعل".

"أوه، يبدو أن أعمال التحرى والتجسس تلائم جسدها الضئيل".

بدأ الشك يتسلل إلى قلب شين؛ فهل علمت جوان بما حدث لميشيل؟ لم يكن ليندهش فى حال كان هذا صحيحاً، خاصةً مع شخصية متسلطة مثلها.

قال فى لا مبالاة: "إنها مشغولة اليوم، وكما قلت لك عبر الهاتف، فلقد عدنا للبلدة للتو، وكنت أتساءل عما إذا كان لديك من العمل ما يمكن أن توليه لنا".

أعادت جوان قدح قهوتها إلى المنضدة، ثم نهضت وبدأت تتجول عبر الغرفة، ولم يجد شين سبباً لهذا، وربما لم يكن له هدف سوى أن تبرز له جسدها ليس إلا، ومع أنها امرأة ذات شخصية مركبة فى المعتاد، إلا أنه حينما يتعلق الأمر بالعاطفة والعلاقات الخاصة، فإن جوان ديلينجر تصبح شفافة جدا، بل إنه يشك وبقوة فى أن تكون استغلت الآن تلك الشخصية الشفافة بديلا عن شخصيتها المركبة.

قالت جوان : "دعنى أستوضح الأمور إذن. أنت تريدنى أن أوكل إليكما مهام عمل على أساس التعامل الحر، هذا مع أننى أمتلك شركة تعج بالمحققين المتعاقدين معى على القيام بأية مهمة توكل إلى الشركة؟ إلى جانب أنه قد مر عام كامل منذ آخر مرة التقينا فيها؟".

"كان هذا لمصلحة كل منا".

اكتسبت ملامح وجهها قساوة وهى تقول: "كلامك هذا يزيد من صعوبة أن أساعدك يا شين".

"لماذا هذا اللقاء إذن، لو لم يكن لديك ما تساعديننى به؟".

ارتكنت إلى مكتبها ووضعت ساقاً فوق الأخرى - قائلة : "لا أدرى. ربما كنت أريد أن أراك".

نهض واقترب منها قائلاً: " جوان . إننى بحاجة ملحة إلى عمل، ولو لم يكن لديك ما تمنحيننى إياه، فلا بأس، وعندها

لن أعطلك أكثر من هذا". وضع شين قدح قهوته على المنضدة، ثم استدار لينصرف، وعندها أمسكت جوان بذراعه.

"مهلاً أيها الطفل الكبير، عليك أن تترك لى المجال حتى أتشفى قليلاً. هذا هو العدل".

جلست جوان خلف مكتبها، وقد صارت جادة الآن وهى تقدم له اتفاقاً قانونيًا وهى تقول: "خذ وقتك فى قراءة هذا؛ فأنا أعلم أنك فى الأصل كنت محامياً".

"وما هى التعويضات؟".

أخذت تنظر إليه وهى تقول: "ما هو معتاد فى مثل هذا النوع من الأعمال، الأتعاب المعقولة بالإضافة إلى مكافأة مناسبة عند إنجازه. يبدو لى أنك قد صرت أنحف".

قال فى شرود وهو منشغل بقراءة العقد: "لقد كنت أتبع نظام حمية". وقع على العقد ثم أعاده إليها قائلاً: "هل بوسعى أن أرى الملف الآن؟".

"ما رأيك فى أن أدعوك إلى الغداء ومزيد من النقاش حوله؟ فلدى بعض الأفكار، كما أن عليك أن توقع على بعض المستندات الأخرى، وعلى شريكتك أن تفعل الشىء نفسه".

توترت أعصاب شين وهو يرد: "الحقيقة أنها لن تشاركنى هذه القضية".

سألته وهى تنقر بالقلم على سطح مكتبها: "هل هى مرتبطة بقضية أخرى، صاحبتنا ميلدريد ؟".

"بالفعل. ميشيل مشغولة".

ناقشا القضية فى أثناء تناولهما الغداء فى مطعم شواء مورتون ، مع أن شين كان مهتماً أكثر بتناول وجبته.

قالت وهى تراقب تعامله بشراهة مع الطعام: "هل ودعت نظام الحمية إذن؟".

قال فى خجل: "أعتقد أننى كنت جائعاً بصورة تفوق ما كنت أظن".

علقت فى سخرية: "هذا إن كان ذلك صحيحاً من الأصل... حسناً، إليك تفاصيل القضية، مع أنها قد تكون أعقد مما تبدو عليه. موت غامض. رجل اسمه مونك تورينج. وجدوا جثته فى بناية تملكها وكالة المخابرات المركزية (سى. أى. إيه) بالقرب من ويليامسبرج، بولاية فيرجينيا. إما أنها جريمة قتل أو حالة انتحار، وعليك أن تكتشف هذا، وسبب الجريمة - إن كانت جريمة قتل - وبالطبع من هو الجانى".

"هل كان تورينج يعمل لحساب الوكالة؟".

"كلا. هل سمعت من قبل بمكان اسمه بابيج تاون ؟".

هز رأسه نافياً: "وما هو ذلك المكان؟".

"قيل لى إنه أشبه بصومعة أبحاث ذات تطبيقات تجارية كبيرة، وكان تورينج يعمل هناك كعالم فيزيائى، ومع دخول المخابرات طرفاً فى الموضوع، وتحقيق المباحث الفيدرالية فى الواقعة لكونها حدثت فى بناية فيدرالية، فإن القضية تكتسب جانباً حساساً، ولدىّ من المحنكين هنا من يمكننى أن أرسله للتحقيق فى القضية، لكننى لست متأكدة من أن أحدهم يمكنه أن يضاهيك كفاءةً".

"أشكركِ على هذه الثقة. من هو عميلنا إذن؟".

"أصحابنا فى بابيج تاون ".

"ومن يكونون؟".

"سيكون عليك أن تبحث هذا أيضاً. هذا إن استطعت. فهل أنت موافق على قبول المهمة؟".

"هل ذكرت شيئاً عن مكافأة إضافية؟".

ابتسمت وهى تربت على يده: "نقود أم خدمات مهنية؟".

"لنبدأ بالنقود".

"نحن نتبع سياسة تقسيم المكافأة مع العملاء الميدانيين بنسبة ستين إلى أربعين فى المائة... أنت تذكر هذا بالتأكيد يا شين.

وكنت فى آخر مرة قد رفضت أن تتلقى أياً من مستحقاتك المالية، وتركت كامل المبلغ لى، مع أننى لم أفهم أبداً سبب تصرفك ذاك".

"لنقل إننى قد وجدت فى هذا حمايةً لكلينا، وقد ظننت أنكِ ستستغلين المبلغ فى التقاعد".

"هيهات؛ فلقد زادت نفقاتى عن الحد، وهأنذا مازلت بين شقى الرحى".

"ولو نجحنا فى حل هذه القضية، فما هو المبلغ الذى سأناله؟".

"هذا أمر معقد؛ لكونه على حسابات معينة، ويكفى أن أقول لك إنه سيكون مبلغاً ضخماً". كانت تحدق فيه وهى تضيف: "أتخيل أنك لم تكن أبداً على هذه النحافة من قبل".

عاد شين بظهره للوراء وهو يتناول قضمة أخرى من البطاطس المهروسة.

سألته: "هل أنت مهتم بالقضية إذن؟".

التقط الملف الكبير وهو يقول: "شكراً على الغداء، وشكراً على العمل".

"سأشرف على ترتيبات ذهابك إلى هناك، لنقل خلال يومين؟".

"لا بأس. فسأحتاج إلى بعض الوقت للاستعداد بدورى".

"أتقصد توديع ميلدريد ؟".

سارعت وقبل أن يرد عليها بمناولته مظروفاً، ونظر إليها فى تساؤل. "إنه مقدم أتعاب. أرى أنك تحتاج إليه".

نظر إلى الشيك قبل أن يدسه فى جيبه قائلاً: " أنا مدين لكِ يا جوان ".

قالت لنفسها بعد أن انصرف: "كم أتمنى لو كنت تعنى هذا حقاً".

الفصل



أخذت ميشيل تحدق النظر إلى مقبض باب الغرفة التى تقيم بها، كانت تنتظر أن ينفتح، عن شخص آخر راغب فى أن يطرح عليها أسئلة، وكل يوم يمر عليها هنا أشبه بالذى سبقه. الإفطار، يليه موعد الطبيب النفسى، ثم الغداء، يليه موعد التدريب البدنى، ثم المزيد من التحليل النفسى، بعدها ساعة تنفرد فيها مع نفسها، يليها المزيد من الحوار مع الطبيب النفسى الذى يناقشها حول كيفية التحكم فى عواطفها، وترويض ما يعتمل بداخلها من عنف يهدد بتدميرها، ويتلو هذا موعد العشاء، وهو عبارة عن زوج من الأقراص لو أنها رغبت فى تناولهما، وهو الأمر الذى لا ترغبه عادة، إلى أن يحين وقت النوم؛ حيث يمكنها أن تحلم بيوم آخر من هذا الجحيم المقيم.

لما لم ينفتح الباب، نهضت ببطء عن مقعدها ونظراتها تتوزع على جدران الغرفة ذات الطلاء البراق، والخالية من أية نوافذ، وأخذت تؤرجح جسدها للأمام وللخلف واقفة على أمشاط قدميها وهى تأخذ أنفاسا عميقة، مختبرة مدى تحسن حالة ضلوعها.

لم تفكر ميشيل كثيراً فيما حدث فى تلك الليلة بالمقهى؛ فلقد ذهبت إلى هناك لتشرب وتنسى، وحينما ذهب الشراب بعقلها، عملت بكل جهدها على أن تقتل الرجل، أى رجل. إلا أن

الحقيقة هى أنها وفى أعماق نفسها كانت تتساءل ما إذا كانت تتوق إلى أن تتعرض للأذى، وأن تموت كذلك؟ ربما. كلا، لا يمكن لميشيل أن تقر بهذا؛ ولو كان هذا هو مقصدها، فمن الواضح أنها لم تنجح فى أن تقتل نفسها على الوجه المطلوب. *كيف يمكن لأى إنسان أن يصل إلى هذا المستوى من الفشل وانعدام الكفاءة؟*

دارت على عقبيها حينما انفتح الباب بغتةً ليدلف هوراشيو بارنز إلى الغرفة، مرتدياً سرواله الجينز الباهت المعتاد، وحذاء رياضيًا، وقميصًا قطنيًا أسود، ارتسمت عليه صورة جرافيك لشخصية هيندريكس - راعى البقر الذى ينفث حنقه فى السيجارة التى بين أصابعه، وكانت قد رأته عدة مرات منذ أن وصلت إلى هنا، إلا أن حواراتهما كانت حول موضوعات عامة، وقد تولدت لديها قناعة بأن الرجل ليس على هذه الدرجة من الذكاء، أو أنه غير مهتم سواءً تحسنت حالتها أم لا. *هل كانت هى نفسها مهتمة بهذا؟*

كان يمسك بجهاز تسجيل، وطلب من ميشيل أن تجلس، فجلست؛ فهى مطيعة دوماً لكل ما يأمرون به. وماذا لديها غير ذلك تفعله؟ جلس هوراشيو قبالتها وهو يمد يده بجهاز التسجيل قائلاً: "هلا تسمحين لى؟ فإنى أخشى أن يكون الخرف قد بدأ يتسلل إلى عقلى. بل إننى لمحظوظ لكونى لا زلت أذكر موضع الباب الأمامى، وإلا لما استطعت الخروج".

هزت ميشيل كتفيها فى تسليم: "سجل كما يحلو لك، فلا أهتم بهذا".

تقبل هوراشيو هذا التقريع بصدر رحب، ثم أدار الجهاز ووضعه على المنضدة المجاورة لها قائلاً: "كيف حالك اليوم؟".

"أنا فى حال رائعة. وكيف حالك أنت، دكتور بارنز ؟"، كانت نبرة الاستهزاء فى كلام ميشيل واضحة.

إلا أن الإخصائى النفسى ابتسم وهو يقول: "نادينى هوراشيو وحسب. أبى وحده هو الذى كانوا ينادونه فى العائلة باسم دكتور بارنز ".

"وأى نوع من الأطباء كان؟".

"كان رئيس قسم الأدوية بكلية طب جامعة هارفارد . الدكتور ستيفن كاولى بارنز . لهذا السبب كان يغتاظ من كونى كنت أناديه دوماً ستيفى ".

"ولماذا لم تصبح طبيباً بشرياً مثله؟".

"لقد كان والدى راغباً فى ذلك، وخطط كل حياتى لأجل هذا الهدف، فأسمانى هوراشيو على اسم أحد أقربائنا البعيدين منذ العهد الاستعمارى، ظناً منه أن هذا كفيل بأن يضفى على حياتى ثقلاً تاريخياً. هل تصدقين هذا؟ هل تتخيلين مدى ما احتملته بسبب سخافة هذا الاسم؟ ظللت طيلة الدراسة الثانوية ينادوننى اختصاراً باسم " هور " (سافل) ، وكل هذا لمجرد إشباع نزوة لدى والدى، وهكذا قررت الالتحاق بجامعة ييل لأصبح طبيباً نفسياً".

"متمرد أنت بالفعل، أليس كذلك؟".

"إما أن يكون المرء كبيرا، أو لا يكون أى شىء. أرى مما هو مكتوب أمامى أنكِ لم تنعمى بليلة هادئة".

تنبهت ميشيل لهذا التحول فى مجرى الكلام، فقالت فى سرعة: "لم أكن أشعر بالنعاس".

"ربما كانت الكوابيس هى السبب. أتظنين أن الكوابيس هى من أبقتك مستيقظة طوال الليل ؟".

"لا أتذكر شيئاً".

"لهذا أنا هنا. حتى أساعدك على التذكر".

"ولماذا يجب على أن أتذكر كابوساً؟".

"إننى أجد وعن تجربة أن أفضل إيقاظ للروح هو ذلك الذى يحدث أثناء التعرض لكابوس".

"ولو لم أكن أريد أن أعرف؟ فهل سيؤثر هذا فى شىء؟".

"بالتأكيد. هل تودين أن تعرفى ؟".

"لست تواقة لهذا".

"ها قد أوقعت بكِ، فلقد أخرجنا الكابوس من قنينته الآن. كما أننى أرى أنكِ قد سألت د. رينولدز عما إذا كانت حياته الزوجية على ما يرام. هلا أخبرتنى عن الداعى إلى مثل هذا السؤال؟".

"لأنه كان لا يكف عن النظر إلى الجزء المفتوح من ردائى كلما هممت بوضع ساقٍ على الأخرى، وربما لاحظت أننى صرت أرتدى الآن سروالاً".

" حسناً، لنتحدث الآن عن سبب ذهابك إلى هذا المقهى".

"ألم نتحدث عن هذا من قبل؟".

"اعذرينى؛ فعلى أن أقوم بما يبرر ذلك المرتب الهائل الذى أتقاضاه".

"لقد ذهبت إلى هناك حتى أتناول شراباً. لماذا تذهب أنت إلى المقاهى؟".

"لنقل إننى ورثت مقعداً فى كل مقهى موجود فى الولايات الإحدى عشرة التى عملت فيها !".

فقالت ميشيل: "حسناً. لقد ذهبت لتناول الشراب".

"ثم؟".

"ثم دخلت في عراكٍ بالمقهى حتى تلقنت درساً قاسياً. هل تجد فى هذا سرداً وافياً؟".

"وهل حدث أن ذهبت من قبل؟".

"كلا؛ فأنا أحب التغيير، كما بوسعك أن تعتبرنى جريئة نوعاً ما".

"وأنا كذلك، إلا أن انتقاء أحد المقاهى فى وسط إحدى المناطق المشهورة بمعدلات الجريمة العالية فى حى كولومبيا، وفى

الساعة الحادية عشرة والنصف ليلاً أمر لا يعد أبداً بالقرار الحكيم!".

ابتسمت وقالت فى تأدب: "هذا ما تبين للجميع، أليس كذلك؟".

"هل كنت على معرفة بذلك الجدار البشرى الذى تعاركت معه؟".

"كلا. بل إننى لا أتذكر صراحةً وعلى وجه اليقين الكيفية التى بدأ بها هذا الشجار".

"وهو الأمر الذى أريد منكِ يا ميشيل أن تبذلى جهدك لأجله، أن تقولى الصراحة، وأنا أعتقد أن هذا بمقدورك".

"وما الذى تعنيه بهذا على وجه التحديد؟".

"أجد فى محضر الشرطة أن كل شاهد عيان بالمقهى يقول إنه شاهدكِ وأنتِ تتوجهين بنفسك إلى ذلك الوغد الضخم، وتربتين على كتفه ثم تهاجمينه".

"جميعنا يعلم أن من الصعب التعويل على شهادة شهود العيان هذه الأيام".

"لقد تحدث شين مع الرجل الذى هاجمته".

كان من الواضح أن ميشيل قد بوغتت بسماع هذه المعلومة.

"حقاً، وما الذى دعاه إلى هذا؟".

لم يلتقط هوراشيو هذا الطعم، بل قال: "لقد ذكر الرجل لشين أمراً لافتاً للانتباه. أتودين معرفته؟".

"بما أنك تتحرق شوقاً لتخبرنى، فهيا أخبرنى".

"قال بأنكِ تركته يفعل بكِ ما يشاء، حتى إنه كاد يقتلك".

"لا أقول سوى أنه كان واهماً؛ فأنا من قامت بحركة خاطئة استغلها فى أن يحكم قبضته على، وهكذا انتهت القصة".

"ذكرت لى الممرضات أنكِ ظللت تصرخين أثناء نومك الليلة الماضية بعبارة: "وداعاً يا شين". هل تتذكرين أنكِ قد نطقت عبارةً كهذه؟".

هزت ميشيل رأسها نافيةً.

"هل كنتِ تفكرين فى الانفصال مهنياً عن شين؟ ولو صح هذا، ألم يكن من الأفضل أن تصارحيه بهذا؟ أم أنكِ تريديننى أن أقوم بهذه المهمة؟".

بادرته ميشيل: "كلا، فأنا..." ثم سكتت بغتة، وهى تحس بأنها تسقط فى فخ، وأخيراً أضافت: "كيف لى أن أعرف بما قصدته؛ فقد كنت نائمة؟".

"إننى محلل متمرس للأحلام، كما يمكننى تأويل الكوابيس مجاناً. هذا عرض سار طيلة هذا الأسبوع؛ فالسوق راكدة".

دارت عينا ميشيل فى محجريها تململاً.

إلا أن هوراشيو قال: "أنتِ تثقين فى شين، أليس كذلك؟".

"بقدر ما أثق فى أى شخص"، قالتها فى اقتضاب، ثم أردفت: "وهم ليسوا بالكثيرين هذه الأيام".

"هذه الأيام! فهل تغير شىء فى نظرك الآن؟".

"اسمعنى، إذا كنت ستعلق على كلمة أقولها، فإننى لن أنطق بشىء، اتفقنا؟".

"اتفقنا. وأنا متفهم لكون أبويك لا يعرفان أنك فى هذا المكان الآن. هل تريدين منا أن نتصل بهما؟".

"لا! فالمرء يتصل بأبويه فى حال تفوقه فى التعليم أو حصوله على وظيفة، وليس لأنه صار نزيلاً فى إحدى المصحات النفسية".

"وما الذى دعاكِ إلى المجىء إلى هنا إذن؟".

"لأن شين قال إن علىّ أن أفعل ذلك حتى أتفادى أن يلقى بى فى السجن".

"وهل هذا هو السبب الوحيد؟ ألم يكن هناك سبب آخر؟".

عادت ميشيل بظهرها إلى الوراء فى المقعد وضمت ساقيها الطويلتين إلى صدرها.

مرت عشرون دقيقة لم ينبس خلالها أى منهما ببنت شفة. وفى النهاية أغلق الإخصائى جهازه ونهض قائلاً: "سوف أعود

فى الغد، ويمكنك الاتصال بى هاتفياً فى أى وقت. ولو لم أجبكِ، فبوسعك افتراض أننى إما أن أكون فى المقهى أو أتعامل مع حالة كحالتك".

قالت ميشيل: "أعتقد أن هذه الجلسة كانت مخيبة للآمال. آسفة"، ثم أضافت فى سخرية: "لا أعتقد أن هذا سيؤثر بأى شكل على أتعابك التى تتقاضاها، أليس كذلك؟".

"بالتأكيد، إلا أننى أرى أن الجلسة كانت ناجحة جداً".

بدت الحيرة على وجه ميشيل وهى تقول: "وكيف تيقنت من هذا؟".

"لأنكِ جلست فى مكانك، وفكرت فى سبب رغبتك فى أن تكونى هنا، وأنا أعلم أنكِ سوف تستمرين فى التفكير فى هذا عندما أتركك وأذهب؛ لأنكِ ستعجزين عن مساعدة نفسك". هم بالمغادرة، إلا أنه التفت إليها وقال: "أوه، أردت فقط أن أنبهك إلى شىء".

قالت ميشيل وقد بدا على وجهها نظرة تحدٍّ: "وما هو؟".

"سيقدمون على العشاء هذه الليلة شريحة لحم ساليزبرى. أنصحكِ باختيار شطيرة زبدة الفول السودانى بدلاً منها، فالشريحة التى يقدمونها رديئة جداً، حتى إننى أعتقد أنها ليست لحماً من الأصل، كما أعتقد أن الروس قد ابتكروا صنعها أيام الحرب الباردة حتى يجبروا المنشقين على الإدلاء باعترافاتهم".

بعد أن غادرها هوراشيو، جلست ميشيل على أرضية الغرفة وأسندت ظهرها إلى الجدار ثم صرخت: "ما الذى أتى بى إلى هنا؟!"، وقذفت بالمقعد إلى الناحية الأخرى من الغرفة بركلة واحدة من ساقها اليمنى القوية.

وعندما هرعت الممرضة إلى الغرفة، وجدت المقعد يقبع معتدلاً فى مكانه، بينما وقفت ميشيل على قدميها وقالت بنبرة رسمية: "أعلم أن شريحة اللحم رديئة".

فقالت الممرضة: "بالفعل. فهل تريدين شطيرة زبدة الفول السودانى عوضاً عنها؟".

"كلا، بل قدمى لى شريحتين من اللحم"، قالتها وهى تخرج عبر الباب فى تؤدة.

صاحت الممرضة من خلفها: "يبدو أنكِ تستمتعين بالعقاب".

وكم تمنت ميشيل أن تجيبها قائلة: "كم أنت على حق أيتها الممرضة!".

الفصل

٩

قبعت ميشيل فى وقت متأخر من تلك الليلة فى فراش غرفتها، وهى تعانى من آلام محرقة فى معدتها بعد تناولها تلك البرقة الفاسدة التى أسموها شريحة لحم مشوى، وكانت تحركاتها فى المكان - نظراً لكونها قد دخلته طواعية - غير مقيدة، وكانت تميل إلى قضاء الوقت فى التريض بدلاً من البقاء حبيسة المرحاض.

لم يكن لدى جميع المرضى مثل هذه الحرية؛ فقد كان هناك عنبر منفصل، مغلق وعليه حرس، يتم بداخله احتجاز المرضى الذين تم اقتيادهم إلى هنا لما عرف عنهم من عنف، وقد سمعت ميشيل بعض الحرس ينعتون العنبر بـ "عش المجانين".

انفتح الباب، لتدلف شيريل رفيقتها فى الغرفة؛ ليس من المعتاد هنا سوى استخدام الأسماء الأولى، وكانت شيريل نحيفة بدرجة ملحوظة، وهى فى الخامسة والأربعين من عمرها، بجدائل شعر رمادية التصقت بوجهها النحيف، وكان بيدها ماصة شراب لا تتوقف عن مصها بين أسنانها. لم تكن ميشيل تدرى سبب وجود شيريل فى هذا المكان، لكنها افترضت أنها تعانى من داء فقدان الشهية.

تهاوت شيريل على فراشها ولم تنقطع عن مص تلك الماصة.

"لا عجب إذن فى أن الكوابيس لا تفارق أحلامى"؛ هكذا فكرت ميشيل. "كوابيس على صورة وحوش ضخمة مصاصة للدماء تطاردنى فى الفراش".

"كيف الحال، شيريل؟".

توقف صوت الامتصاص للحظة قبل أن يعود من جديد.

بدأت ميشيل تجول عبر الغرفة، وكانت تريد أن تهاتف شين، ولكن ما الذى ستقوله له؟ أنا آسفة على كل ما فعلته داخل المقهى، فتعال وخذنى من هنا؛ فأنا بخير الآن.

التفتت إلى شيريل فى يأس وقالت: "هل أعجبتك شريحة اللحم تلك؟ أشعر وكأنى ابتلعت إطار سيارة داخل معدتى".

إلا أن شيريل أشاحت بوجهها عنها وهى لم تتوقف عن التلاعب بالماصة، وبصوت أعلى هذه المرة.

استسلمت ميشيل للأمر الواقع وهى تتوجه صوب مساحة التدريب الصغيرة؛ حيث يتم حفظ جميع أدوات التدريب داخل خزانة مغلقة لأسباب تتعلق بالأمان، على أنهم قد تركوا كرة مطاطية كبيرة فى مكانها، فاستعانت بها ميشيل لتدريب عضلات بطنها وساقيها. قضت ثلاثين دقيقة فى التدريب وهى تشعر بالرضا لتمرينها عضلاتها من جديد، إلا أن الليل لا يزال طويلاً، والنوم لم يداعب أجفانها بعد.

عادت عبر المدخل، ومرت على مريضين آخرين يرتديان زى النزلاء وخفين أزرقين، تصحبهما ممرضة. مرق من جانبها فى ممر آخر واحد من المناوبين، إلا أنه توقف يسألها: "أتريدين أية مساعدة يا ميشيل؟".

كان طويل القامة، قوى البنية، يقترب من العقد الخامس من عمره، ذا شعر أشقر قصير، يرتدى ثلاث سلاسل ذهبية ظاهرة من أسفل قميصه القطنى الأخضر. اسمه (بارى)...كما هو محفور على البطاقة المعدنية فوق ردائه.

لم تعجبها اللهجة التى نطق بها سؤاله، ولكنها أرجعت ذلك إلى مزاجها السيئ والذى صور لها هذا، إلا أنه لامس مرفقها، فصارت نواياه أوضح من مجرد ملمس أصابعه على جلدها. قال بارى: "ربما كنتِ بحاجة إلى من يساعدك على العودة لغرفتك".

لكنها جذبت ذراعها بعيداً عنه، وهى تقول: "لسنا فى مكان كبير إلى هذا الحد. بوسعى أن أصل لغرفتى وحدى". سارعت الخطى، وهى تشعر بنظراته تكاد تخترقها، فالتفتت برأسها فى سرعة، فوجدته يبتسم لها، فزادت من سرعة خطواتها نحو غرفتها. كانت شيريل لا تزال تمص ماصتها، فجلست ميشيل إلى الفراش، وهى تحدق فى الباب. لم تكن هناك مزاليج للأبواب من الداخل، حتى لا يتسنى للمرضى أن يغلقوا على أنفسهم. إلا أنها وجدت أن ذلك يتيح للغير أيضا أن يدخل إلى الغرفة أناس من عينة بارى.

تم إطفاء الأنوار بعد ساعة، إلا أن ميشيل لم تجد للنوم سبيلا، وكانت تترقب اقتراب خطوات، متلصصة شبحية، يحركها الشر. حتى قالت لنفسها فى آخر الأمر: "لقد لامس ذراعك ليس إلا، مع مجرد تلميح". هل صار جنون الاضطهاد إضافة إلى قائمة مشاكلها؟ إلا أنها ذكرت نفسها: كلا، ليس لدى أية مشاكل.

استيقظت فى الثانية فجرا على وقع خطوات تمر عبر المدخل، فنهضت فى فراشها ببطء وهى تنظر نحو فراش شيريل، والتى كانت مستغرقة فى النوم، فخرجت من فراشها وارتدت حذاءها الخفيف، وما هى إلا لحظات حتى كانت فى الممر بالخارج. يتم أثناء الليل تقليل عدد المناوبين، ومعه يقل الدافع لدى الحراس لأداء واجبهم على أتم وجه.

تتبعت صوت الخطوات الآتية من ممر آخر، وسمعت صوت باب ينفتح ثم ينغلق. اقتربت فى خفة، وهى تنصت السمع

بإرهاف، ثم تسمرت فى مكانها؛ فقد سمعت صوتاً آخر، إلا أنه كان يأتى هذه المرة من خلف ميشيل. تراجعت بضع خطوات للوراء، ثم انسلت داخل ممر آخر.

شاهدت بارى ذا السلسلة الذهبية يقترب عند ركن الممر. مرق فى سرعة إلى جوار المكان الذى دست فيه ميشيل جسدها وسط الظلام، وما إن شعرت بأنها فى مأمن حتى ركضت عائدة إلى غرفتها.

الفصل

١٠

عادت ميشيل فى الصباح التالى إلى ذلك الجزء من المبنى؛ حيث لاحظت عيناها شيئين: تلك السيدة الودودة، أنيقة الملبس، والتى كانت إحدى الممرضات تقودها خارج غرفتها وهى على الكرسى المتحرك؛ بالإضافة إلى صيدلية كانت عند نهاية البهو.

وفى الظهيرة كان هناك موعد وجلسة جديدة مع هوراشيو.

"هل راودتك أية كوابيس ليلة أمس؟".

"كلا، بل كانت ليلة هادئة، أهناك سيدة قعيدة على كرسى متحرك فى غرفة عند نهاية ممر المرضى بالجناح الغربى؟".

رفع هوراشيو عينيه عن دفتر ملاحظاته فى تساؤل: "بلى، ماذا عنها؟".

"من هى؟".

"ليست من بين مرضاى، وحتى لو كانت كذلك، فليس بوسعى أن أخبرك بأى شىء عنها؛ فهذا يندرج تحت باب السرية كما لابد وأنك تعلمين، ولهذا السبب لا أتحدث مع أى شخص عن حالتك"، ثم أضاف ممازحاً: "هذا ما لم يدفعوا لى مبلغاً محترماً من المال طبعاً. لدى أخلاقياتى، ولكننى لست غبياً".

"ولكنك تتحدث مع شين. أقصد أنك تتحدث عن حالتى".

"هذا لأنك قد وقعت على إخلاء طرف".

"أيمكنك على الأقل أن تخبرنى عن سبب كونها قعيدة الكرسى؟ إنها لا تعانى من اضطراب عقلى، أليس كذلك؟".

"ربما كان هذا صحيحاً، ولكنها ليست من بين مرضاى، كما ذكرت لك. ما سبب سؤالك عنها؟".

"مجرد فضول؛ فليس هناك الكثير مما يمكن أن يلفت انتباه المرء هنا".

"وأنا سأمنحك هذا الشىء الذى تنشغلين به. ما رأيك لو ركزنا على أن نحسن من حالتك؟".

"لا بأس، ما الذى لديك اليوم؟".

"ليست شريحة ساليزبرى بالتأكيد، كما أن المكرونة الإسباجيتى ليست أفضل حالاً. لقد انتهينا بالأمس من تفكيرك فى سبب وجودك هنا، فما هى الاستنتاجات التى خلصت إليها؟".

"لم أخلص إلى الشىء الكثير؛ فقد كنت مشغولة".

"مشغولة؟ حقا؟ ظننت أنكِ قد قلت لى تواً إنك تعانين من الملل؟".

"حسناً، أنا هنا لأننى أريد لحالتى أن تتحسن".

"هل تقولين هذا فقط، أم أنكِ عازمة على ذلك؟".

"لا أدرى، أية إجابة تريد؟".

"يمكننى التلاعب بأى منهما يا ميشيل، إلا أن فى هذا مضيعة للوقت".

"أهذا ما كنت تخبر شين به، أننى أضيع وقته، وماله كذلك؟ أنا أعلم بأنه هو من يدفع تكاليف العلاج".

"أيهمك هذا؟".

"أعلم أنه يحاول مساعدتى، وهو صديق مخلص. الأمر أن...".

"ماذا؟".

"أعتقد أن عليه أن يضيع وقته وماله فى موضع أفضل، هذا كل شيء".

"أتقصدين أنكِ تريدينه أن يتركك لمصيرك؟ لماذا تمارسين هذا الدور المأساوى معى؟ هل على أن أضيف هذا إلى قائمة المشاكل التى صار على أن أعالجك منها؟"، كانت ابتسامته قادرة على إبطال مغزى هذا التساؤل الأخير.

بقيت ميشيل تحدق فى أرضية الغرفة لبضع دقائق حتى سألها هوراشيو: "هل ترين أنكِ على دراية حقيقية بشخصية شين؟".

"بالطبع؛ فكم من مغامرة خطيرة خضناها".

"أخبرنى بأنكِ قد أنقذت حياته أكثر من مرة فى الواقع".

بادرته فى سرعة: "ولقد فعل الشيء نفسه معى".

"لو كنتِ تعرفين شين حقاً، لأدركتِ أنه لن يتخلى عنكِ".

"لقد صرت عقبة فى طريقه الآن".

"أوه، وهل قال لكِ هو ذلك؟".

"بالطبع لا. ما كان ليقول هذا، لكننى لست مغفلة".

"هل تربطكما علاقة حميمية؟".

كان سؤال هوراشيو مباغتاً لها، حتى إنها لم تجد ما تقوله.

"إنه مجرد سؤال عادى يا ميشيل؛ فأنا بحاجة إلى أن أعرف الأدوار المختلفة التى يلعبها المقربون لكِ فى حياتك. والعلاقات العاطفية ذات تأثير إيجابى وسلبى بالغ".

فقالت بنبرة آلية: "لم تصل علاقتنا إلى هذا الحد".

"حسناً، وهل تودين ممارسة الحب معه؟".

فصاحت فيه: "من سمح لك بأن تسألنى عن هذا الهراء؟".

"بل بوسعى أن أسألك عن أى شيء، وبوسعكِ أن تجيبينى أو ترفضى".

"أنا لا أفهم هذا السؤال".

"ليس بالسؤال الصعب، أليس كذلك؟ شين كينج طويل ووسيم، ذكى وشجاع، صادق ومخلص". ثم ابتسم هوراشيو، وهو يضيف: "إننى أعتقد وبصراحة أن تلك الخصال نادرة فى هذه الحياة، ولكن من أنا لأقول ذلك؟ كما أنه صديق وفى أيضاً - حسب وصفك له، وأنتِ امرأة شابة وجذابة. أى أنكما تليقان ببعضكما البعض".

"إن عمل المرء مع شخص ما لا يعنى أن عليه أن يقيم معه علاقة حميمة".

"أنتِ محقة تماماً؛ فلو قلت إذن بأنكِ لم تفكرى فى إقامة علاقة حميمية مع شين، فهل سأكون محقاً؟"، ثم ابتسم مضيفاً: "إننى بحاجة إلى اختيار الموضوعات المناسبة من بين الخيارات المتاحة أمامى".

"يا إلهى، أشعر وكأنى شاهدة يستجوبها محامٍ وسط جلسة محاكمة".

"قد يكون فحص الذات أصعب من التعرض للإحراج داخل قاعة محاكمة؛ فلا علاقة حميمية إذن بينك وبين صاحبنا؟".

"هات ما لديك غير هذا يا دكتور؛ فهذا كل ما يسعنى إخبارك به".

"فيما قلته الكفاية. أشكرك".

"الآن وقد فرغنا من شين، أفترض أنك تريد أن تعرف عما إذا كنت أحلم بعلاقة حميمية مع أبى أيضاً ؟!".

"دعينا نتحدث عن هذا".

"هون عليك؛ فأنا كنت أمزح بهذا الافتراض".

"لقد أدركت هذا؛ ولكن كيف هى علاقتك مع والدكِ؟ جيدة؟".

"لا بأس بها! كان رئيس شرطة، وهو الآن متقاعد، وهو ووالدتى يقضيان فى هاواى شهر عسل جديداً، وهذا هو سبب

حرصى على ألا يعرفا بما جرى لى، وإلا لهرعا إلى هنا من فورهما".

لم يفصح لها هوراشيو بأنه قد عرف جزءاً من هذا من خلال شين، وقال: "هذا تصرف جميل منكِ. وهل تعتقدين أنهما كانا سيندهشان لوجودك هنا؟".

"بل أتوقع أن يصدما!".

"أفهم أن إخوتك رجال شرطة أيضاً، فهل فكرتِ من قبل فى القيام بوظيفة مغايرة؟".

هزت ميشيل كتفيها وقالت: "ليس بجدية؛ فلقد كان يراودنى طموح كبير أن أكون رياضية محترفة، إلا أن هذا لن يحدث".

"لا تقللى من قدرك، فأنت أول رياضية أوليمبية أتعامل معها. ذكر لى شين بأنك صاحبة ميدالية فضية فى التجديف".

فقالت والابتسامة على شفتيها: "أجل. كان هذا عظيماً. ذروة نجاحات حياتى، أو هكذا تصورت وقتها، وربما كان هذا صحيحاً فى نهاية المطاف".

"من بعدها صرت شرطية لفترة من الوقت، وبعدها التحقت بالعمل بجهاز الخدمة السرية. هل من سبب خاص لهذه النقلة؟".

"جميع إخوتى رجال شرطة؛ فرأيت أن التحاقى بالعمل الفيدرالى نوع من التغيير".

"ألم يعارض والدك هذا؟".

"ليس بدرجة كبيرة، وهو لم يكن متحمساً من الأصل لأن أكون شرطية".

"وما هو شعورك تجاه ذلك؟".

تفهمت شعوره؛ فلقد كنت طفلته المدللة، ولم تكن والدتى متحمسة بدورها لأن يكون أى منا فى سلك الشرطة، إلا أن هذا ما حدث، وأنا ذات شخصية مستقلة".

فقال هوراشيو: "ستصدمين لو عرفت أننى قد توصلت إلى هذا الاستنتاج الأخير".

ثم أضاف: "أفهم من كل هذا أنكِ تحبين أبويكِ كثيراً؟".

"ومستعدة للقيام بأى شىء لأجلهما".

بدا هوراشيو مهتماً بهذه العبارة الأخيرة وقال: "هل تسمحين لى بأن أتحدث معهما بشأنكِ؟".

"كلا، ليس والداى، كلا!".

"وماذا عن أحد إخوتك؟".

"بوسعك التحدث مع بيل، وهو الأكبر سناً، شرطى بولاية فلوريدا".

"كما ترغبين يا سيدتى".

تمتمت ميشيل: "كم رغبت فى ألا أكون هنا".

"بوسعك أن تغادرى المكان فى أى وقت تشائين. تدركين هذا، أليس كذلك؟".

"بلى، بالتأكيد".

"بوسعك المغادرة الآن، انهضى وارحلى. إن كان هذا ما تريدينه. عودى إلى حياتك المستقلة، ولن يمنعك أحد. ها هو الباب".

خيم الصمت لدقيقة، قبل أن تقول ميشيل: "بل سأبقى - فى الوقت الحالى".

"أرى أن هذا قرار ممتاز، يا ميشيل".

انتهت الجلسة، فتبعت ميشيل هوراشيو إلى الخارج، مر بهما بارى بينما كانا يقفان عند مدخل الغرفة، إلا أنه لم ينظر ناحيتهما.

فقالت ميشيل: "ما الذى تعرفه عن هذا الرجل؟".

"ليس الكثير. لماذا تسألين؟".

"مجرد فضول".

"لا أدرى لماذا لا أصدقك؟".

"هل تشك فى كلامى يا هوراشيو؟".

"بل كنت أفكر فى عبارة تجسد ما أريد قوله... الكذاب، الكذاب... الكذاب مصيره النار".

الفصل

١١

شبه جزيرة بايل عبارة عن لسان من الأرض يمتد داخل نهر يورك على ضفة مقاطعة جلوشيستر، وهو وسط بين ضفة كلاى وويكوميكو فى منطقة تايد ووتر البهيجة بولاية فيرجينيا، وكما هو حال الكثير من مناطق فيرجينيا، فإن بايل كانت مستوطنة منذ وقت مبكر، وكانت فى ذاك الوقت تعكس مجد بلاد قدر لها أن تكون بعد قرنٍ من الزمان الولايات المتحدة، فعلى بعد أقل من عشرة أميال جنوباً ـ عند يورك تاون عام ١٧٨١ ـ كان الجنرال البريطانى كورنواليس قد سلم سيفه وآلافاً من الجنود ذوى المعاطف الحمراء فى مذلة لجيش جورج واشنطن المهلهل، وهو الأمر الذى كان إيذاناً بانتهاء حرب الاستقلال لصالح الأمريكيين الظافرين، والذين نادراً ما كسبوا معركة، حتى تلك اللحظة.

ومن هذه الميادين التى أخليت ظهرت هكتارات من الأراضى التى اعتمدت على جحافل العبيد لزراعتها بالصورة المثلى، وبعد قرابة مائة عام، أنهت التربة التى تم تجريفها والحرب الأهلية أيام رخاء أرستقراطية الجنوب إلى الأبد، وبعدها سادت موجة ازدهار ثانية حينما وصلت موجة العصر الصناعى إلى يورك؛ تلك البقعة الهادئة، وقد أغرتها المياه النقية، ووفرة الأسماك، والمناخ

المعتدل، وأراضى الرعى وقدر لها أيضاً أن تكون أرض استشفاء لمن يعانون من داء السل، بسبب انخفاض الأرض، وانسياب الماء، ووفرة ورق الصنوبر الطويل المصفر، الذى كان يُعتقد بأنه جيد للرئات المصابة بالدرن، وبمجرد أن استقرت عائلة أو عائلتان من العائلات الغنية فى المكان، وبنت فيها القصور، حتى تبعهم آخرون.

لهذا السبب، امتدت ستة خطوط سكك حديدية ـ وقت ذروة ازدهار المنطقة ـ آتيةً من الشمال، وثلاثة أخرى من الغرب، مخترقةً طمى فيرجينيا الأحمر وأنسام نهرها الساكن.

والآن، وبعد سنوات، تحولت بضعة قصور فى ذلك المكان إلى فنادق صغيرة أو متوسطة، غير أن غالبية الأراضى الزراعية بالجنوب تحولت إلى خراب، وكان الأطفال يجدون فيها مساحة تشبع حبهم للمغامرة خلال ساعات النهار الطويلة وسط صيف تايد ووتر الرطب.

طبعت حكومة الولايات المتحدة المكان بطابعها القوى فى المنطقة الموالية للنهر مباشرةً عند مقاطعة يورك؛ حيث أقامت معسكر بيرى، إلى جوار مركز توريد تابع للبحرية ومخزن للأسلحة، فكانت تلك المنطقة العسكرية تشغل كامل الساحل الممتد من يورك تاون وحتى لايت فوت، فيرجينيا. يقال إن العاملين فى كامب بيرى ـ وهو مركز تدريب فائق السرية لعملاء السى آى إيه، ويسمونه "المزرعة" ـ يمتلكون من التقنية ما يمكنهم من التعرف على لون عينى شخص بعينه حتى ولو كان يقف على الجهة الأخرى من هذا النهر العريض، وسط عتمة الليل، كما يؤمن المحليون هناك بأن كل من اقترب إلى داخل مساحة قطرها أربعة أميال من هذا المكان يعرض نفسه لمن يتجسس عليه من الفضاء الخارجى. ومع أن أحداً لم يتسن له إثبات هذا الكلام، إلا أنه قد اكتسب مقام الحقيقة المؤكدة؛ حتى

إن أحداً من زوار المنطقة لا يغادرها دون أن يكون قد سمع هذه الرواية لثلاث مرات على الأقل.

لقد تحملت بايل التقلبات الاقتصادية التى عصفت بها، ومن بعدها نوبات الرخاء ونزوات الأثرياء، بينما لا يختلف مستوى معيشة المواطن العادى بها كثيراً عما هو الحال فى مختلف أرجاء البلاد، وينطبق هذا الكلام على المنطقة بأسرها، عدا تطور حدث مؤخراً بها.

وتمثل هذا التطور فى مكان يسمى بلدة بابيج تاون.

حطت طائرة شين كينج الصغيرة بسلاسة فوق أسفلت المهبط الوحيد، إلى أن توقفت، ومحركاها يطلقان زفراتهما الأخيرة. اقتربت سيارة هامر زرقاء من الطائرة، وترجل منها شاب أسود يرتدى زى الأمن الخاص، وتناول من شين حقائبه.

استرخى شين فى مقعده بالسيارة الهامر التى عاودت انطلاقها من جديد، وهو يفكر فى زيارته لميشيل، والتى كانت قد سبقت توجهه إلى هذه البلدة. كان قد هاتف هوراشيو ليتأكد من عدم وجود ما يمنعه من أن يراها قبل رحلته، وبالمقابل طلب منه الإخصائى النفسى أن يطلع على متعلقات ميشيل الشخصية والموجودة بالشقة التى استأجرها شين لهما. كما رغب هوراشيو كذلك فى أن يرى عربة ميشيل، فحذره شين مازحاً: "وعليك أن ترتدى قناعاً وقفازين، وأن تتأكد من تلقيك حقنة تيتانوس من مصل حديث".

حينما التقاها شين فى غرفة الزيارات، ارتفعت روحه المعنوية عندما شاهدها وقد بدت الصحة عليها، بل إنها تعمدت أن تنصت إلى ما يقول، وتجيب عن أسئلته دون مراوغة.

"إلى متى ستبقى فى تلك البَلْدة؟"، سألته بعدما أخبرها عن مهمته الجديدة.

"لا أعرف تحديداً. سأستقل طائرة خاصة جهزتها لى جوان".

"وكيف حال صديقتك السابقة جوان؟...ألم تشف تلك الساقطة من جنون الاضطهاد والعظمة بعد؟".

وجد فى تعليقها هذا علامةً على بدء استعادتها لروحها التى يعرفها، فقال: "هى لن ترافقنى على أية حال؛ فهناك شخص يدعى لين ريفيست، وهو رئيس الإدارة الأمنية ببلدة بابيج تاون، وكان يعمل قبلها مع المباحث الفيدرالية، ويعرف جوان، وهو من أوصى بالتعامل مع شركتها، وهو من سيتعاون معى هناك".

"ذكرت أن للأمرِ علاقة بجريمة قتل؟".

"لا أعلم يقيناً إن كان الرجل قد قتل أم لا. اسمه مونك تورينج، وكان يعمل ببلدة بابيج تاون".

"ما المقصود ببلدة بابيج تاون هذه تحديداً؟".

"لم أعرف عنها سوى أنها مركز أبحاث يعمل أفراده على إنجاز مشروع مهم".

"من هو مدير المكان؟".

"يقول الملف الذى بحوزتى إن اسمه شامب بوليون".

" مونك ؟ و شامب ؟".

"أعرف أن القضية غريبة الأطوار منذ البداية؛ لكننى سأنال مكافأة محترمة لو نجحت فى التعرف على ما حدث لذلك الرجل".

"أهكذا تمكنت من أن ترتب لى الإقامة هنا؟ كنت أعلم أن تأمينى الصحى لا يشمل مثل هذه الرعاية".

"عليكِ بالتركيز على أن تتحسن حالتك، ودعى لى بقية الأمور".

جاوبته بصوت عميق خفيض: "إننى أتحسن. أشعر بأنى على ما يرام، إلا أن شيئاً غريباً يجرى هنا".

"غريباً؟ ما الذى تعنينه؟".

"هناك أصوات فى الليل، وأناس يتجولون داخل أماكن من غير المفترض أن يكونوا بها".

أخذ شين نفساً عميقاً، قبل أن يقول بنبرة بها بعض التوبيخ: "أتعديننى ألا تقحمى نفسكِ فى أمر كهذا، أياً كانت حقيقته؟ فأنا لن أكون إلى جوارك كى أنقذك".

"أنت ترحل إلى مكان تجهله للتحقيق فى جريمة قتل من دون أن أكون أنا إلى جوارك؛ فأنا من يجب عليه أن يوبخك".

"أعدكِ بأنى سأتحسس خطواتى بحذر".

"ما إن أخرج من هنا، حتى ألحق بك لأساعدك".

"علمت أنك وهوراشيو لا تتوقفان عن الجدال".

"إننى لا أطيق ذلك الوغد".

"هذا جميل، ها قد بدأتما تعتادان بعضكما البعض".

همّ بالرحيل بعد بضع دقائق، حينها تشبثت بذراعه: "لو تحولت الأمور هناك للأسوأ، فلا تتردد عن الاتصال بى. بوسعى أن أكون إلى جوارك فى غمضة عين".

"سأنتبه لنفسى جيداً".

"لا أتخيل أن هذا سيكون بالأمر الهين".

أشار لها بإصبعه وهو ينبهها: "الأهم هو أن تستعيدى عافيتك، وعندها فقط يمكننا أن نستعيد فريق التحريات الأشهر".

"كم أتمنى هذا".

"وأنا أيضاً".

وها هو الآن يتجه إلى بابيج تاون ، وحده، نادماً على أن ميشيل ليست إلى جواره، فلا يزال الطريق طويلاً أمام رفيقته حتى تستعيد عافيتها البدنية والذهنية؛ حتى إن القلق يساوره فى أن تنجح من الأصل فى قطع هذا الطريق.

فزع سرب من الطيور نحو السماء، من أمام الهامر التى كانت تقطع طريقها محاذية نهر يورك، وفى ذات الوقت الذى قررت

فيه بضعة أيائل عبور الطريق، وبصعوبة تمكن السائق من الضغط على مكابح السيارة، التى توقفت على بعد بوصات من الاصطدام بآخر أفراد هذا القطيع الذى مرق من أمام السيارة. كل ما كان لشين أن يتصوّره فى تلك اللحظة هى قرون ذاك الحيوان وهى تخترق الزجاج الأمامى وتخترق جسده وتنفذ منه إلى جلد الهامر الأنيق الوثير.

"أمر معتاد خلال هذا الوقت من العام"، قالها السائق بنبرة ملل.

فعلق شين ساخراً: "أهذا هو ما يسمونه الموت المفاجئ؟".

تطلع شين ناحية اليمين حيث رأى النهر من بين الحقول. ومن خلفه رأى بصعوبة ذلك السور المصنوع من السلاسل المعدنية اللامعة تحت أشعة الشمس، تعلوه الأسلاك الشائكة؛ ليحيط بكامل الأرض الواقعة عبر نهر يورك.

ثم سأل شين السائق وهو يشير تجاهها: "أهذه كامب بيرى؟".

"تلك هى أرض السى آى إيه المحظورة. يسمونها المزرعة".

"لقد نسيت أنها تقع هنا". كان شين يعلم تمام المعرفة أنها هنا، إلا أنه تظاهر بالجهل أملاً فى الحصول على بعض المعلومات منه.

"لكن أهالى هذه المنطقة لا يمكنهم نسيان هذا".

فسأله شين متبسماً: "هل تختفى حيواناتهم الصغيرة وأطفالهم فى أثناء الليل؟".

"كلا...هل تذكر تلك الطائرة التى أتيت على متنها؟ أنا على يقين من أنهم كانوا يصوبون ناحيتها، ومن داخل المزرعة، صاروخ أرض جو، وحتى اللحظة التى هبطت فيها الطائرة. فلو كانت قد اخترقت مجالهم الجوى المحظور، لكانت الطائرة قد صارت حطاماً من قبل حتى أن تعرف السبب".

"هذا مؤكد، ولكننى أعتقد أنهم كانوا سبباً فى توفير الكثير من الوظائف لأهالى المنطقة".

"بلى، إلا أنهم أضروا كثيراً من الناس أيضاً".

"ما الذى تقصده؟".

"كانت البحرية أول من أدار هذه المنطقة، ولما أتوا هم قاموا بطرد جميع السكان".

بدت الحيرة على محيا شين وهو يسأله: "طردوا جميع السكان؟".

"بلى، كانت هناك بلدتان فى تلك المنطقة: مارجودير ومطحنة بيجلر، وقد عاش جدى وجدتى فى مارجودير، ونزحا فى أثناء الحرب إلى مقاطعة جيمس سيتى، ثم قامت البحرية بإخلاء المكان بعد الحرب، إلا أنها سرعان ما عادت فى الخمسينيات، ومن وقتها وهى محظورة على المدنيين".

"أمر مثير للانتباه".

"إلا أنه لم يكن كذلك بالنسبة لجدى وجدتى؛ لكن العسكريين لا يلقون بالاً لمثل هذه الأمور".

"يمكنك أن تجد سلوى فى أن هؤلاء هم جيرانك. فها هى السى آى إيه قابعة هناك، ولا تنفك عن مراقبتك لحظة بلحظة".

ثم سأله شين ساخراً وقد قرر أن يغير الموضوع: "هل تعرف مونك تورينج ؟".

أومأ الرجل برأسه: "نعم".

"وماذا تعرف عنه؟".

"كان مثله مثل الجميع فى بابيج تاون. ذكاء فائق عن الحد المسموح به. كنا مختلفين فى أشياء كثيرة".

"منذ متى وأنت تعمل هناك؟".

"عامان".

"وما حاجة مكان مثل هذا إلى الأمن؟".

"بسبب تلك المشروعات المهمة التى يعملون عليها".

"مثل ماذا؟".

"لست أنا الشخص المناسب للإجابة عن هذا السؤال. الأمر له علاقة بالأرقام وأجهزة الكمبيوتر؛ فهم من يمكنهم أن يجيبوك، هذا إن سألتهم"، ثم ابتسم وهو يردف: "أوه...بالفعل...سيردون عليك بكلام لن يمكنك أن تفهمه، وها قد وصلنا"، كان يشير إلى المنطقة أمامه، "مرحباً بك فى بابيج تاون ...نتمنى أن تطيب لك إقامتك معنا".

الفصل

١٢

انهمك شين فى تحقيقاته، وهو لا يعلم أن ميشيل كانت بدورها مصممة على أن تبدأ هى بدورها تحقيقاتها الخاصة؛ فقد حملت صينية الطعام داخل الكافتيريا، واتجهت صوب المنضدة التى كانت السيدة ذات الكرسى المتحرك تتناول غداءها عليها. جلست ميشيل إلى جوارها وفتحت قنينة الماء، وهى ترمق السيدة بنظرة خاطفة.

"اسمى ميشيل".

"وأنا ساندى. ما الذى أتى بكِ إلى هنا؟".

ردت ميشيل فى برود: "من الواضح أننى أعانى من رغبة فى الانتحار".

فتهلل وجه السيدة وهى تقول: "وهكذا كان حالى أنا ولسنوات طويلة، إلا أننى أرى أنكِ قد تعافيت من هذا الهاجس. أقصد أن هذا ما اعتقده ـ ما لم تقتلى نفسكِ فى نهاية المطاف".

نظرت إليها ميشيل ملياً، وكانت فى أواخر الأربعينات من عمرها، ذات شعر طويل أشقر، ومصفف بدقة شديدة، تميز وجهها عظمتا الوجنتين، ولها عينان حيويتان لوزيتا اللون. كان ماكياجها وأظافرها فى غاية الذوق، ومع بساطة ما ترتديه من ملابس؛ سروال كاكى اللون، وحذاء رياضى، وسترة خفيفة

واسعة الرقبة ذات لون بنفسجي، إلا أنها كانت تنم عن ذوق وثقة سيدة اعتادت على التعامل مع كل ما هو غال من متاع الحياة. وكان لصوتها لكنة جنوبية عميقة.

سألتها ميشيل: "وما الذى أتى بكِ أنتِ إلى هنا؟".

"الاكتئاب، وما عساه يكون؟ يقول طبيبى إن الجميع مصابون به، لكننى لا أصدقه. فلو كان الكل يشعر بما شعرت به... حسناً، ليس بوسعى أن أصدقه أبداً على أى حال".

"تبدين لى فى حالة لا بأس بها".

"أعتقد أنى أعانى من بعض الاختلال فى كيمياء جسدى. أعنى أن هذا هو السبب الذى يتعلل به الكل هذه الأيام. لكننى استنزفت كامل طاقتى بغتة، وأعتقد أنكِ أيضاً على ما يرام. كما لا أعتقد أنكِ هنا كنوع من إثبات الحق فى الحصول على تعويض من جهة عملك".

"ما أعرفه هو أن هذا يحدث عندما يصاب المرء إصابة جسدية".

"يمكن لأى محام أن يثبت أنه لا فارق بين العجز الجسدى والإصابة النفسية أو العقلية، خاصة لو أثبت دخول موكله إلى مكان مثل هذا، والمرء هنا يحصل على مأوى، وثلاث وجبات مشبعات يومياً، بالإضافة إلى ما يحتاج إليه من علاج. بعضهم يرى فى هذا الراحة الكاملة، إلى أن يأتى الطبيب النفسى ليشهد بأنكِ قد أصبت بعطب نفسى مستديم، وبالتالى تحصلين على مبلغ هائل من المال كتعويض عما لحق بكِ".

"يا له من احتيال".

تابعت ساندى كلامها: "أنا لا أقصد من هذا أنه ليس هناك من تضعه الظروف فى وضع يخول له وعن حق الحصول على مثل هذا التعويض، أنا نفسى كنت واحدة من هؤلاء".

فسألتها ميشيل وهى تنظر إلى ساقيها: "حادث؟".

"أصابت عمودى الفقرى رصاصة عيار ٩ مللم، أطلقت من مسدس آلى طراز جلوك"، ثم أضافت بلهجة تسليم: "تسببت فى شلل فورى، وهكذا تحولت ساندى الرياضية المنطلقة وفى غضون لحظة إلى معوقة تستحق الرثاء".

فصاحت ميشيل فى دهشة: "يا إلهى، وكيف حدث هذا؟".

"كنت فى المكان الخطأ، وفى اللحظة الخطأ".

"ألهذا انتابتك الرغبة فى الانتحار؟ لكونك قد صرت مشلولة؟".

قالت ساندى بشكل غامض: "بوسعى التعامل مع الشلل، إلا أن الهراء الآخر هو ما كان يصعب تحمله".

فسألتها ميشيل: "ما هو ذاك الهراء الآخر؟".

"لن أستفيض فى هذا الموضوع. تعتقدين بأنَك فى تحسن؟".

ردت ميشيل مستهجنة: "أعتقد من المبكر جداً قول هذا، لكنى أشعر بالارتياح من الناحية الجسدية".

"حسنًا، أنتِ شابة وجميلة، لذا فما إن تُشْفَ الكدمات حتى يكون من السهل عليكِ استعادة السيطرة على حياتك".

"وكيف لى أن أسيطر عليها؟".

"تزوجى، ودعى زوجك يعتن بك، واستغلى جمالك يا عزيزتى، وفقط تذكرى نصيحتى هذه: ليكن كل شىء يمتلكه هو ملكية مشتركة بينكما، ولا تنخدعى بعبارات الاستغلال المادى وكل هذا اللغو الفارغ".

"يبدو لى أنكِ تتكلمين عن تجربة".

اقشعر بدن ساندى وردت: "أتمنى لو سمحوا لنا بالتدخين هنا، لكنهم يقولون بأن النيكوتين مادة مسببة للإدمان، وعندها أقول لهم أعطونى سجائرى ولغربوا عن وجهى الملعون".

سألتها ميشيل: "لكنكِ تريدين أن تكونى هنا، أليس كذلك؟".

"أوه، كلنا نريد أن نكون هنا يا حلوتى". ابتسمت ساندى وهى تدس فى فمها قطعتى هليون بحرص.

مر عليها بارى، وهو يساعد شابا.

أومأت ميشيل إليه وقالت: "أتعرفين هذا المرافق، بارى؟".

تأملته ساندى للحظة ثم قالت: "لا أعرفه، ولكن من السهل قراءة الكتاب من عنوانه".

"أين موطنك؟".

"بالتأكيد ليس حيث يوجد الأحباب يا صغيرتى. على أن أذهب الآن، أشعر ببوادر نوبة صداع وأنا لا أحبَّ أن يرانى الناس هكذا، وقد تغيرين نظرتك تجاه ساندى العجوز".

حركت كرسيها بسرعة مبتعدة، تاركةً ميشيل تحدق فى غدائها.

وبعد الغداء، تمشت ميشيل حتى وصلت إلى غرفة ساندى. وحينما مرّت عليها ببطء، نظرت من خلال القطع المربّع المصنوع من الزجاج البلاستيكى فى منتصف باب الغرفة، وكانت ساندى ترقد نائمة داخل غرفتها. واصلت ميشيل سيرها عبر القاعة حتى توقفت عند الباب المغلق والمفضى إلى الصيدلية. تطلعت عبر النافذة ذات القضبان فرأت رجلاً أصلع قصيراً يرتدى معطفاً أبيض وهو يصرف إحدى الروشتات، وحينما نظر لأعلى ورآها ابتسمت، فأدار لها ظهره وواصل عمله.

"حسناً، سوف أشطب اسمك من قائمة من أرسل لهم بطاقات الكريسماس"، هكذا قالت ميشيل لنفسها.

عندها حدثها صوت قائلا: "أمازلت تتجولين؟".

التفتت ميشيل بسرعة لتجد بارى وهو يحدق فيها.

"ما الذى على أن أفعل غير ذلك؟".

"بوسعى أن أفكر فى بضعة أشياء. وجهك يبدو فى حالة حسنة الآن، وقد استعدت نضارة وجنتيك".

"شكراً"، قالت باقتضاب.

علق قائلاً: "رأيتك تتكلّمين مع ساندى أثناء الغداء اليوم".

"سيدة لطيفة".

"إنها تحت إشرافى".

"أوه، تعرفها جيدًا؟".

"دعينا نقل بأنّنى أعرف أناسًا مثلها، أناسًا قد يمثلون مشكلة، وأنتِ لا تودين الوقوع فى مشكلات، أليس كذلك؟".

ردت كاذبة: "أنا لا أبحث أبداً عن المشكلات".

"أحسنت القول. اسمعينى، إذا احتجت إلى أى شىء، فلا تترددى فى سؤالى".

"شىء مثل ماذا؟".

بدا مندهشاً من سؤالها ومعجباً به فى آن واحد.

"أعنى أى شىء ... أى شىء على الإطلاق"، نظر بارى حوله، ثم اقترب منها: "أعنى أن فتاة جميلة مثيرة مثلك قد تشعر بوحدة شديدة فى مكان ممل كهذا".

فقالت وهى تبتعد عنه: "لا يشعر المرء بالوحدة إلى هذه الدرجة". لقد كانت ساندى محقة فعلاً بشأن عنوان الكتاب.

لاحقاً فى ظهيرة ذلك اليوم، كان هوراشيو بارنز جالساً قبالة ميشيل.

سألته: "ألن تكون هناك تسجيلات اليوم؟".

نقر على رأسه وقال: "لقد تناولت فيتاميناتى اليوم، لذا سأدون كل شىء هنا. وبالمناسبة، فقد تحدثت مع أخيك".

عندها مالت ميشيل برأسها للأمام، وفى نظراتها لهفة مفاجأة ثم قالت: "وما الذى أخبرته به؟".

"ما فيه الكفاية لإثارة انتباهه".

"وهل أخبرته بأمر المقهى؟".

"ولماذا أخبره بأنكِ قد ذهبت إلى مقهى للحصول على شراب، فدخلت عرضاً فى معركة مع ذلك الضخم العجيب؟".

"توقف عن استفزازى. هل أخبرته؟".

"كنت فى الحقيقة أشد اهتماماً بما قاله هو عنكِ". أخذ يقلّب فى دفتر ملاحظاته ثم أضاف: "قال بأنّك كنت أشبه بمولّد طاقة، يشع طاقة بلا حدود، وطموحًا يجعل من حولك يشعر بالخجل من عدم قدرته علي مجاراتك. أنتِ وحسب وصفه إعصار ناطق متنقل"، وأنا متأكد من أنه يصفك بهذا عن مودة عظيمة".

"بيل معروف بحبه للمبالغة".

"أعتقد أنه كان دقيقاً تماماً فى وصفه، لكنّه قال أيضًا شيئاً آخر أثار اهتمامى".

"وما هو؟".

"إحزرى؟".

"اسمع، من الذى يمارس هذه الألاعيب اللعينة الآن.أخبرنى فحسب!".

"قال بأنكِ عندما كنت صغيرة كنت أنيقة ومنظمة، كلّ شىء فى مكانه، وأنهم قد اعتادوا على السخرية بك لكن تغييرا مباغتا حل بشخصيتك".

"وما هى أهمية هذه الملاحظة؟ فقد نضجت، وأصبحت الآن مهملة وغير مرتبة".

"أنتِ على صواب؛ فهذا يحدث، لكن ليس بين ليلة وضحاها وفى سن السادسة"؛ فلو حدث هذا وأنتِ فى سن المراهقة لما كنت قد توقفت عنده. فهناك كروموسوم يختل عندما يبلغ المرء سن الثالثة عشرة يأمرك بالعيش فى الفوضى مع مقاومة كل التهديدات من قبل الآباء لأجل تحسين سلوكك. أنا فقط أشكّ فى السبب بالنسبة لحالتك؛ لأنه قد حدث قبل فترة طويلة من نشاط هذا الكروموسوم".

"كان هذا منذ زمن طويل، ومن يهتم بأمر كهذا؟".

"بالنسبة لنا، فإن انقضاء الزمن لا يهم حقاً. الذى يهم هو ما كان يدور فى رأسك فى ذلك الوقت".

"أتدرى، نحن لم نتحدث أبداً عن علاقتى برجل قتل حفنة من البشر. أنا لست طبيبة نفسية، ولكن، ألا تعتقد بأن للأمر علاقة بما أنا عليه الآن؟".

"موافق، دعينا نتحدّث عنه إذن".

ألقت ميشيل بظهرها للوراء، وضغطت بقبضتيها على فخذيها قائلة: "ليس هناك الكثير مما أخبرك به حقاً، لقد كان وسيماً ولطيفاً، فناناً بارعًا ورياضيًا مدهشًا ذا عقلية جيدة. جعلنى أشعر بالرضا عن ذاتى. كان يعانى من زواج سيئ، وكان يحاول أن ينقذه"، ثم أضافت بسخرية: "فى الحقيقة فإن صفته السيئة الوحيدة هى أنه قاتل محترف".

"وأنتِ لا تصدقين بأنّكِ قد خدعت بسهولة فى مثل هذا الرجل؟".

"وهل سبق أن حدث لى ذلك من قبل؟".

"ولكن عليكِ أيضًا أن تفكرى فى أن القتلة المحترفين مشهورون بأنهم مخادعون كبار؛ ذلك جزء من التركيبة النفسية التى جعلتهم على ما هم عليه، وتسمح لهم بافتراس ضحاياهم بمثل هذا النجاح، ولدينا شخص مثل تيد بندى كتجسيد لتلك النظرية".

"أوه...أشكرك؛ فهذا يجعلنى أشعر بتحسن كبير".

"وبسبب تلك الحادثة الوحيدة تتخلين عن كل ما تتصفين به من نجاح مهنى وغريزة احترافية؟ هل تعتقدين أن هذا معقول؟".

"لا يهمنى إذا ما كان هذا معقولاً أم لا، بل ما أشعر به".

"هل تعتقدين بأنّك تحبّينه؟".

تأمّلت سؤاله للحظة ثم أجابت: "ربّما يكون هذا هو ما حدث، مع مرور الوقت، وكلّ مرّة أقول لنفسى بأن هذا الوغد حاول قتلى، وكان لينجح فى هذا، لولا أن شين كان هناك".

"شين المنقذ. لا شكّ أنكِ كنت ممتنة له جداً".

"بالطبع كنت كذلك".

"لقد علمت أنه أثناء ارتباطك بهذا الرجل، كان شين مرتبطاً بامرأة أخرى؟".

فقالت ميشيل فى خفوت: "هو شخص بالغ؛ وبوسعه أن يفعل ما يشاء".

"لكن مما قاله شين لى أنه قد ارتكب خطأً كبيراً".

"هذا صحيح".

"أتعتقدين أن شين رجل ذكى؟".

"من بين أذكى من التقيت".

"ومع ذلك فقد سقط ضحية للخداع أيضاً".

"لكنه قد اكتشف خداع تلك المرأة، أما أنا فكنت أعيش فى وهم كبير".

"ما كان شعورك بالنسبة لشين وهذه المرأة؟".

"مثلما قلت لك، هو شخص ناضج".

"ليس ذلك هو ما سألته".

فصاحت فى وجهه: "حسناً، شعرت بالضيق، هل أنت راض الآن؟".

"أتشعرين بالحزن لأنه فضلها عليكِ؟".

فضاقت عيناها وقالت: "ليس عندك الكثير من الكياسة، أليس كذلك؟".

"سنفترض بأنَنى لا أتصف بالكياسة؛ لكن هل كان هذا هو شعورك؟".

"أعتقد بأنى شعرت بأنَه قد جعل من نفسه أحمق".

"لماذا؟".

"لقد كانت كالأفعى. تستميت لكى تنشب أنيابها فيه، وهى قاتلة بدورها، مع أننا لن نتمكن من أن نثبت هذا".

"لذلك كنت تشكين فى كونها قاتلة بينما كان شين يلتقيها؟".

قالت ميشيل مترددة: "كلا، لم أشك فى هذا. كان هناك شىء بشأنها لم أرتح له".

"لذا فقد ثبتت صحة غريزتك بشأنها".

عادت ميشيل بظهرها للوراء: "أعتقد هذا؛ لكننى لم أفكر بشأن هذا حقاً".

"حسناً، ولهذا أنا هنا، لمساعدتك فى أن تفكّرى فى هذه الأشياء، والمرضى كثيراً ما يسهمون فى عملية الشفاء، ربما حتى من دون أن يشعروا بهذا".

"وكيف ذلك؟".

"مثلما كنت فى هذا المقهى، فجزء منك كان يبحث عن شخص ما ليؤذيه، بل وربما ليقتله، ومع هذا فجزء آخر منك كان يبحث عن شخص يمكنه أن يعاقبك ـ أو يقتلك، وكانت النتيجة أنك قد تعرضت لضرب مبرح، لكنَكِ لم تموتى، وأنا أعتقد بأنَكِ لم تكونى تريدين الانتحار حقاً".

"من أين لك بهذا اليقين؟"، قالتها بشكل هازئ.

"لأن من يريدون الانتحار حقاً يستعملون أساليب أبسط". وأخذ يعد على أصابعه: "كعيار نارى فى الرأس، أو شنقاً، أو أن يتسمم بالغاز أو باجتراع السم. مثل هؤلاء لا يريدون مساعدة؛ بل يريدون الموت وهو ما ينجحون فى الوصول إليه على الدوام؛ فأنتِ لم تموتى لأنكِ لم تريدى هذا حقاً".

"لنفترض أن هذا صحيح، فما هى الخطوة التالية؟".

"أريد الآن التحدّث عن ميشيل ماكسويل وهى فى السادسة من عمرها".

"اذهب إلى الجحيم!"، قالتها ميشيل وهى تندفع إلى خارج الغرفة، وأغلقت الباب وراءها فى عنف، فأعاد هوراشيو غطاء القلم إلى مكانه وهو يبتسم ويقول فى رضا: "ها قد استطعنا أخيراً أن نحقق تقدماً".

الفصل

١٣

بدا لعينى شين أن ذلك القصر الحجرى هائل الحجم يمتد لما لا يقل عن مائتى قدم طولاً وثلاثة طوابق علواً نحو السماء الغائمة. كان يجمع بين عدد من الطرز المعمارية وثمانى مداخن أمكن لشين أن يراها؛ كانت هناك قاعة زجاجية بريطانية الطراز، ونوافذ جملونية، وشرفة من طراز تسكانيا، ونوافذ مقسمة، وبرج ذو طابع آسيوى، وجناح تعلوه قبة مطلية بالنحاس. ذكرت له جوان أنه كان قد بنى تحت إشراف إيزاك رانس بيترمان، الذى جمع ثروة طائلة من صناعة تعبئة اللحوم، وقد سمى المكان باسم ابنته، جويندولن، واسمها ما زال منقوشاً على أعمدة المدخل. رأى شين أن هذه الكنية لا تتلاءم إطلاقاً مع الاسم؛ فالمكان الذى أمامه أقرب إلى حصن عسكرى مهيب؛ لكنه يعانى من أزمة هوية.

كان هناك موقف سيارات غطت أرضه الحصباء؛ حيث مرقت السيارة الهامر عبر البوابة، التى وقف بجوارها حارس نظامى فى انتباه، ودلفت إلى حيز فارغ بجانب مرسيدس سوداء أنيقة، ذات سقف متحرك.

بعد دقائق قليلة، كانت حقائب شين فى غرفته، بينما كان هو يجلس وحده داخل مكتب شامب بوليون، رئيس بلدة بابيج

تاون، كانت غرفة المكتب تعج بالكتب، والكمبيوترات النقالة، والمخطوطات، والأدوات والمطبوعات الإلكترونية التى تحتوى من الرموز والصيغ ما تيقن شين - حتى من دون النظر - من أن مثله لا يمكنه أن يحلم بفك شفرتها، وخلف الباب علقت سترة رياضية بيضاء لأحد ألعاب القتال، وملابس داخلية مع حزام أسود. قال شين بتأمل: "إذن فهو عبقرى كذلك فى فنون القتال اليدوى، رائع".

وبعد لحظة انفتح الباب ليدلف شامب بوليون. فى أواخر الثلاثينات من عمره، وكان طويلاً مثل شين، لكنه أنحف. وشعره أسمر مع رقعة صغيرة من الشيب أعلى رأسه، وكان يصففه بعناية على الجانبين، يلبس سروالاً كاكى اللون، وسترة صدفية بها رقعتا مرفق من الجلد الناعم، وقميصًا أبيض ذا أزرار، وكنزة صوفية رقبتها على شكل رقم سبعة، ورباط عنق. كاد شين أن يخمن أن يرى غليونا يتأرجح فى يده، حتى تكتمل صورة مفكر عصر الأربعينيات هذه.

جلس الرجل فى كرسى مكتبه، ومال بظهره للوراء، واضعاً قدميه بالحذاء فوق سطح المكتب الذى تتناثر عليه الكتب، ورمق شين بقلق: "أنا شامب بوليون. وأنت شين كينج". فأومأ شين برأسه موافقاً، فأضاف الرجل: "هل تود تناول بعض القهوة؟".

"شكراً".

طلب شامب القهوة، ثم استراح فى كرسيه.

سأله شين: "إذن فمكتب التحقيقات الفيدرالى مشارك فى هذه القضية؟".

أمن شامب على كلامه قائلاً: "لا أحد يحب أن يكون فى مكان يجول فيه رجال الإف بى آى والشرطة كما يحلو لهم".

"وعثروا على جثة تورينج فى أرض تابعة لوكالة المخابرات المركزية؟".

"وما الذى دعا مونك إلى أن يذهب إلى هناك بحق الله؟ فأولئك الرجال لديهم حراس مسلحون".

نبهه شين قائلاً: "لا تنس أن لدى رجالك أسلحة أيضاً".

"لو كان الأمر بيدى لما سمحت بهذا؛ لكنى مدير بلدة بابيج تاون ليس إلا؛ لذا فالأمر ليس أمرى".

"وما حاجتكم إلى حراس هنا؟".

"إن لعملنا هنا تطبيقات تجارية هائلة، ونحن فى سباق مع الزمن، والآخرون فى العالم يحبون أن يتفوقوا علينا. لذلك عندنا حراس فى كل مكان".

ثم لوّح بيده فى حيرة قائلاً: "فى كل مكان".

"وهل سبق أن كانت السى آى إيه هنا من قبل؟".

"تعلم أن الجواسيس نادراً ما يتقدمون ليقولوا لك: " مرحبًا، نحن وكالة المخابرات المركزية، أخبرنا بكل ما تعرف أو نقتلك"، ثم سحب شامب من جيب سترته ما بدا وكأنه أنبوب زجاجي رفيع.

فسأله شين: "هل أتيت للتو من مختبرك؟".

بدت الريبة على شامب وهو يقول: "لماذا؟".

"ذلك الشيء الصغير الذى تحمله. يبدو لى أشبه بقطرة عين كبيرة، بالرغم من أننى متأكد من أن لديك اسمًا تقنيًا له".

"هذا (الشيء الصغير) يمكن أن يكون الاختراع الأعظم، بل أعظم من هاتف بيل أو مصباح أديسون بكثير".

بدا شين مذهولا: "ما هو بحق الله؟".

"ربما يكون أسرع كمبيوتر غير كلاسيكى فى تاريخ الكون إذا تمكنا من أن نصل بهذا الشيء الملعون إلى العمل بكامل إمكانياته الهائلة. هذا ليس نموذجًا أوليًا بالطبع، فهو مجرد نموذج تصورى. لنعد الآن إلى هذا الذى يحدث هنا، فقد دخل الكثير من الأشخاص بابيج تاون فى الآونة الأخيرة، بما فى ذلك الشرطة المحلية متمثلة فى شخص هذا الغبى كبير السن ضعيف الشخصية الذى يدعى ميركل هايز، والذى لا يتوقف عن قول: " يا إلهى" فى كل لحظة، وكذلك عدد من عملاء الإف بى آى

المخلصين". وضع الأنبوب جانباً ونظر إلى شين قائلاً: "أتريد رأيي؟".

"ماذا؟".

"أعتقد أن هناك مؤامرة هائلة تجرى هنا. إلا أن وكالة المخابرات المركزية ليست متورطة فيها، فمن السهل اتهامهم، أليس كذلك؟ كلا، بل أعتقد أن للأمر علاقة بالمجمع الصناعى العسكرى الذى حذر الرئيس آيزنهاور البلاد منه قبل أن يترك السلطة".

حاول شين إخفاء شكوكه وهو يقول: "وما علاقة ذلك بالعثور على جثة مونك تورينج فى كامب بيرى؟".

"لأن مستودع أسلحة القوات البحرية يقع مباشرة إلى جانب كامب بيرى، وقد كان كامب بيرى فى السابق تابعاً للقوات البحرية".

"وهل هذا الذى تعملون عليه ذو تطبيقات عسكرية؟".

"أخشى أننى غير قادر على التحدث عن هذا".

"ولكنك تعمل لحساب الحكومة؟".

فقال الرجل بحدة: "هل يبدو لك هذا المكان حكومياً؟".

"ربما". نظر شين إلى زى ألعاب الدفاع عن النفس. "كاراتيه أم كونغ فو؟".

"بل تايكوندو دفعنى أبى إلى تلقى دروسه عندما التحقت بالمدرسة الثانوية".

"كان يحب فنون الدفاع عن النفس؟".

"كلا، جعلنى أتلقى تلك الدروس حتى يمكننى أن أدافع عن نفسى فى المدرسة؛ فقد يصدمك أن تعلم بأننى كنت واحدا من هؤلاء الطلبة الجبناء يا سيد كنج. وهذا أشد ما يكرهه المراهق، خاصة لو كان مراهقاً تفوق بدانته معدل ذكائه". ألقى شامب نظرة خاطفة على ساعته ثم التقط بعض الأوراق من فوق سطح المكتب.

فقال شين بسرعة وقد لاحظ ذلك: "سأحتاج إلى استعراض تفاصيل القضية، وإذا لم تكن ترغب فى ذلك، فيكفينى التحدث مع لين ريفيست".

فى تلك اللحظة جاءت امرأة شيباء الشعر، سمينة، قصيرة، وهى تحمل صينية قهوة، ثم قامت بتوزيعها عليهما.

فقال شامب: "دوريس، هلا طلبت من لين ريفيست الانضمام إلينا؟".

وبعد أن غادرت بادره شين قائلاً: "بينما نحن ننتظر، ومن دون الكشف عن أى شىء سرى، أود أن أعرف...ما هى بالضبط بابيج تاون؟ لقد عجز السائق عن شرح هذا لى".

لم يكن شامب ميالاً إلى الإجابة.

فكرر شين طلبه : "أريد معرفة الخلفية العامة فقط يا شامب، هذا كل شىء".

"هل سبق أن سمعت عن تشارلز بابيج؟".

"كلا".

"كان له دور فعال فى تطوير مخطط الكمبيوتر الشخصى؛ وهذا ليس بالشىء الهين...خاصة حينما تعلم أن الرجل قد ولد فى ١٧٩١، كما أنه اخترع عداد السرعة أيضاً...السبيدوميتر. وكمحب للإحصائيات رسم مجموعة من جداول الوفيات، وهى الآن أداة قياسية فى صناعة التأمين فى أيامنا هذه، وأنت عندما ترسل رسالة فإنك تستعمل النسبة البريدية الوحيدة التى تصورها بابيج؛ ولكن فى رأيى فإن الشىء الأكثر إبهاراً هو قيام تشارلز بابيج بفك شفرة الأبجدية المتعددة، والتى استعصت على الحل قرابة ثلاثة قرون".

"شفرة الأبجدية المتعددة؟".

"كان بليز دى فيجينير... وهو دبلوماسى فرنسى...هو من صمم تلك الشفرة فى القرن السادس عشر، وقد عرفت باسم (الأبجدية المتعددة) لأنها استعملت أبجديات متعددة بدلاً من

واحدة بسيطة، وعلى أية حال، فقد بقيت من دون استعمال لقرابة مائتى سنة لأن الناس رأوا أنها كانت بالغة التعقيد، كما أنها استعصت على التحليل المتكرر. هل تعرف ما يعنيه مصطلح التحليل المتكرر؟".

فقال شين ببطء: "يبدو مألوفاً لى".

"إنه بمثابة الكنز المفقود لدى رواد فك الشفرة، وقد ابتكره المسلمون فى القرن التاسع، وهذا المصطلح يعنى ما يدل عليه اسمه؛ فأنت تحلل مدى ومرات تكرار أحرف بعينها فى أى نص. وتجد فى الإنجليزية أن الحرف e هو الأكثر شيوعاً إلى حد بعيد، يليه الحرف t وبعد ذلك a ، وكان هذا يساعد إلى حد بعيد على فك الشفرات، أو هذا ما كان عليه الحال على الأقل؛ فاليوم صار فك الشفرة يستند إلى طول مفاتيح الرقم السرى وعلى قوة وسرعة الحاسبات فى تحليل تلك المفاتيح، بل إن أسس اللغويات تعتمد على هذا المفهوم.

"ومنذ ألف سنة ظهرت شفرة بديلة كان الظن أنها مستحيلة الفك، ورغم ذلك فقد استطاع المسلمون التغلب عليها، ليعطوا محللى الشفرات اليد العليا على واضعى الشفرات ولقرون طويلة. ولهذا فقد كانت شفرة فيجينير أشبه بثورة، وصار التحليل المتكرر عديم الفائدة أمامها".

تململ شين قليلاً فى مقعده تجاه هذا الدرس التاريخى المطول.

قال شامب : "سامحنى يا سيد كينج، لكننى أعدك بأنك ستدرك مقصدى فى النهاية".

فقال شين، وهو يحاول ألا يتثاءب: "كلا، بل هى حكاية مثيرة جداً".

"كما قلت لك فإن التحليل المتكرر كان عديم الفائدة أمام وحش فيجينير هذا، والذى صممه بكل احتيال وتفرد، ومع هذا فقد استطاع العجوز تشارلى بابيج أن يبطل سحره".

فسأله شين: "كيف؟".

"لقد هاجمه من جانب لم يفكر فيه أحد من قبل حتى وضع معياراً سار عليه جميع محللى الشفرات لأجيال، ورغم ذلك فإنه لم يلق التقدير الكافى على إنجازه لأنه لم يهتم بنشر بحثه".

"فكيف ذاع صيت اكتشاف بابيج إذن؟".

"عندما استعرض المفكرون ملاحظاته خلال القرن العشرين، وبعد فترة طويلة من وفاة الرجل، قرروا أنه كان أول من قام بذلك وأخيراً نصل إلى مقصدى، فقد عمدت إلى تسمية هذا المكان بابيج تاون كنوع من الولاء لرجل ذى عقلية عظيمة ولكنه كان محدود القدرة على الترويج لنفسه، وعلى أية حال، وإذا حققنا أهدافنا هنا، فليس من شك فى أن شهرته ستصل إلى عنان السماء". ابتسم شامب وهو يردف: "وبعد أن نضمن كل براءات الاختراع الضرورية والتى تضمن لنا أن نكون بالغى الثراء مع الاستغلال التجارى لمختلف اختراعاتنا".

"وهكذا تنال نصيبك من الكعكة؟".

"وإلا لما كنت هنا. وحتى لو لم نجن أية ثروة فإن العمل مبهج فى حد ذاته".

"فمن يمتلك بابيج تاون إذن؟".

عندها انفتح الباب ليظهر من خلاله رجل قصير، مكتنز الجسد، فى أوائل الخمسينيات من عمره، ثم دلف إلى المكان مرتدياً بزة من قطعتين ورباط عنق وكان شعره الأشيب مصففاً فى عناية، وأسفله عينان زرقاوان متأهبتان.

ترددت نظراته بين شين وشامب.

فبادر شامب بالتعريف قائلاً: "أنا شين كينج يا سيد لين".

ثم التقط شامب نموذج أنبوب الكمبيوتر الزجاجى، وانصرف خارجاً، وعندها فقط أدرك شين تماماً أن الرجل تحدث كثيراً...إلا أنه لم يبح له بأى شىء.

الفصل

١٤

أوقف هوراشيو بارنز دراجته البخارية خارج مجمع الشقق بالقرب من متجر فيرفاكس كورنر، وتناول مفاتيح شقة شين وميشيل من جيبه وبعدها تردد.

فهل يفحص العربة أولاً أم الشقة؟ ولكنه قرر أن يفتش السيارة التويوتا لاند كروزر، والتى كانت متوقفة قرب مدخل العمارة السكنية.

فتح هوراشيو باب السائق بالعربة بالمفتاح.

"تبا!"، كان هذا ردّ فعله الأول، فلم يكن شين يمزح حينما طلب منه أن يتعاطى مصل التيتانوس ويرتدى قناعاً واقياً؛ فقد كانت مساحة الحقائب الوسطى والخلفية مليئة بالأغراض، لدرجة أن هوراشيو قد عجز عن رؤية الأرضية، فهناك معدات رياضية، وقطع الشيكولاتة الذائبة، وقنينات شراب، ونفايات، وطعام متعفن، وصندوق به قذائف بندقية عيار ١٢ ملم، وملابس مهلهلة، وزوج من الأثقال البلاستيكية، كل هذا داخل السيارة، فالتقط هوراشيو أحد الأثقال ببعض الجهد، ثمَ ألقى نظرة على إحدى مجلات فنون الدفاع عن النفس التى كانت ملقاة بالخلف.

ثم قال لنفسه: "حسنا، ملاحظة لعالم نفسانى له قدره ولكنه جبان. إياك أن تستثير غضب السيدة وإلا لن تفلت من عقابها".

جلس فى المقعد الأوسط وقد فتح جميع النوافذ، وأخذ يفكر فى الأمر. أهذه الفوضى هى ما كان يبحث عنه؟ هذه النفايات وما حولها من فوضى؟

صعد إلى الشقة الواقعة فى الطابق الثانى ودلف إلى داخلها. تبين وبسهولة مدى حضور شين الطاغى جدا هنا، وكذلك حدس أى غرفة نوم هى الخاصة به؛ فغرفة النوم الثانية كانت تحوى أغراض ميشيل والتى كدستها فى عناية، وملابسها المعلّقة فى الخزانة، كما لم تكن هناك نفايات على الأرضية، وهذا فقط لأن المرأة لم يسبق لها أن كانت هنا، وكانت هناك خزانة أسلحة موصدة فى أعلى خزانة الملابس؛ حيث افترض أن ميشيل تحتفظ بمسدسها.

فى الشرفة الصغيرة قبع زورق السباق الخاص بميشيل، وكان مصقولاً بعناية شديدة مع زوج من المجاديف النظيفة جداً بجانبه. عاد هوراشيو للداخل؛ حيث وجد على المنضدة، وداخل الاستراحة الصغيرة رزمة من مراسلات البريد، والتى أخذ يلقى نظرة عليها أغلبها كان مرسلاً إلى شين، ومحولة إلى هنا من عنوانه السابق. أما البقية فكانت فواتير عادية وخطابات دعاية من النوع الذى يتلقاه جميع البشر، ورغم ذلك فقد لفتت انتباهه رسالة بعينها؛ كانت رسالة معنونة إلى ميشيل ماكسويل، من أبويها فى هاواى. ربما كانت مجرد رسالة قصيرة يعرفان بها ميشيل كم المرح الذى يعيشان فيه.

وبينما كان يتجوّل بالمكان، خطرت فكرة لهوراشيو، واتصل ببيل ماكسويل فى فلوريدا، والذى رد على الهاتف بعد الجرس الثانى.

سأله هوراشيو: " هل اتصلت فى وقت غير مناسب؟ لو كنت بصدد مطاردة سريعة أخبرنى، وسأغلق الخط حتى أسمع صوت إلقاء القبض على أولئك الأشرار أو أسمع صوت تحطّم السيارة".

فقال بيل ضاحكاً: "إننى فى يوم راحة، وكنت فى الحقيقة أتأهب للخروج لصيد السمك. ما الذى حدث؟ كيف حال ميك؟".

فهم هوراشيو بسرعة من بيل ماكسويل أنهم جميعاً يدعون أختهم بميك وهو أمر اعتادوه كإخوة.

"تتحسّن باستمرار. اسمعنى، هل ما زال أبواك يعيشان فى تينيسى؟".

"ذلك صحيح. فى منزل جديد أنشآه بعد أن تقاعد بوب. وقد مد جميع الأولاد يد المساعدة. إن رؤساء الشرطة يجمعون مبالغ محترمة من المال، لكن عددنا كان كبيراً، ولم تكن هناك الكثير من المدّخرات، فكانت فرصة لنبدى لهما الامتنان".

"أمر جميل يا بيل. هل ترى أبويك كثيراً؟".

"ربما أربع أو خمس مرات كل عام؛ فأنا بعيد بعض الشىء هنا فى تامبا، وتذاكر السفر باهظة الثمن والمسافة بالسيارة طويلة حتى تينيسى، وعندى ثلاثة أطفال".

"وهل يراهما إخوتك الآخرون كثيراً؟".

"من المحتمل أنهم يرونهما أكثر منى؛ فهم أقرب. لماذا تريد معرفة ذلك؟".

"أريد فقط أن أربط بعض الأمور ببعضها. وماذا عن ميشيل؟ أفترض أنّها ترى أبويها كثيراً؛ فهى تعيش على مقربة منهما فى فرجينيا".

"لا أعتقد أن هذا صحيح؛ فلم تكن ميك عند أمى وأبى عندما كنت هناك، وأنا أهاتف إخوتى بانتظام، وهم بدورهم لم يذكروا لى رؤيتها هناك".

"ربما ذهبا لرؤيتها" .

"لم يكن لديها أبداً أى مكان للزوّار حيث كانت تعيش"، ثم أضاف بيل: "لقد حاولتُ زيارتها مرتين، فأولادى يحبونها حباً جماً، ويعتقدون أن زيارتها أمر مشوق، خاصةً وأن عمتهم بطلة أوليمبية، وكانت واحدة من حرس الرئيس. لكننى فوجئت

بمشاعرها الغريبة وعدم ترحيبها بمثل هذه الزيارات، وعلى ذلك لم أعد أذهب وأولادى إليها".

"أى نوع من المشاعر الغريبة تقصد؟".

"كانت مشغولة جدا على الدوام. كنت أتفهم ذلك حينما كانت بجهاز الأمن السرى، وظننت عندما انخرطت فى القطاع الخاص أنها ستجد الوقت الكافى، لكن هذا لم يحدث".

"متى كانت آخر مرّة رأيت فيها أختك؟".

"قبل بضع سنوات، وحدث هذا فقط لأننى كنت فى واشنطن لحضور اجتماع لرجال الشرطة. تناولنا العشاء معًا، وكانت هى لا تزال بالخدمة السرية".

"هل تشعر بأن عائلتك تجافيها؟".

"لم أشعر بهذا، إلى أن بدأت أنت بطرح كل هذه الأسئلة".

"أنا آسف لظهورى بمظهر المتطفل، يا بيل، لكنى أبذل ما فى وسعى حتى تشفى".

"أعلم هذا. وكل ما أعنيه هو أنها متقلبة الطباع، وغير منظمة".

"بالفعل؛ فقد ألقيت للتو نظرة على سيارتها".

ضحك بيل لدى سماعه هذا قائلاً: "ألم تتصل برجال مكافحة الأوبئة إلى الآن؟".

"أعتقد أنك قد رأيتها بدورك إذن".

"لقد أقلتنى فى طريقنا لتناول العشاء، حينما كنت فى البلدة فى ذلك الوقت. حبست أنفاسى طوال الطريق، واستحممت جيداً عندما عدت إلى الفندق".

"هل رأيت من قبل شخصاً يفرط فى غسل يديه، أو يدقّق فى الأبواب قبل الخروج منها، أو فى الكراسى قبل الجلوس عليها؟ أى شىء من ذلك؟".

"أتقصد المصابين بالوسواس القهرى؟ لا، لا شىء أتذكره مثل هذا".

"قلت لى من قبل إن هناك أشياء تغيرت فى ميشيل عندما كانت فى السادسة من عمرها؟ هل أنت متأكد؟".

"كنت قد تخرجت فى الكلية، ولم أعد أتردد كثيراً على المنزل، ولكنى أتذكر أنى عندما رجعت إلى البيت لشهرين وجدتها وقد اختلفت شخصيتها؛ حيث كانوا يعيشون فى بلدة صغيرة تبعد حوالى الساعة جنوب ناشفيل".

"ألم يكن من المنطقى إرجاع الأمر إلى تغير فى شخصية طفلة وهى تنمو؟ هذا يحدث كما تعلم".

"الأمر كان أكبر من ذلك يا هوراشيو؛ فلقد تغير أطفالى أيضاً، لكن هذا لم يحدث بغتة".

"قلت إنها تحولت من إنسانة منطلقة إلى أخرى انطوائية، ومن اجتماعية إلى خجولة، ومن واثقة إلى مرتابة. هل كانت تبكى؟".

"فى أثناء الليل فقط".

"وهل أصبحت مهملة فى عاداتها الشخصية؟".

"أتذكر بأنها صارت تهمل تنظيف أرضية غرفتها، فقبل ذلك كانت غرفتها أنيقة جداً، وفجأة صرت تجد النفايات فى كل مكان - حتى لم تعد تستطيع أن ترى السجادة ذاتها، وكنت أرجع ذلك دائمًا إلى ما صارت تتحلى به من شخصية مستقلة".

"هذا يوضح بعض الأشياء يا بيل، لكن ليس كلّ الأشياء التى أراقبها، ومجالى يقتضى أنه متى كانت الأمور غير واضحة، فيجب على أن أكتشف السبب؛ لأن التفسير يكمن فى مكان ما، وقد يكون مدفوناً فى أعماق النفس، لكن هناك تفسيرًا"، صمت هوراشيو لحظة، قبل أن يردف: "حسناً، أنا مسرور لكونك الآن على بعد ألف ميل عنى، بسبب السؤال الذى سأطرحه عليك الآن".

"لم تتعرض ميك أبداً لأى إيذاء بدنى أو نفسى؟!".

"أرى أنك قد فكرت فى الأمر بالفعل".

"أنا شرطى. ورأيت أطفالاً قد تعرضوا لمختلف أنواع الإيذاء، وبعض الحالات مرعبة حقاً، إلا أن ميشيل لم تكن هكذا مطلقاً. ولم تفصح عن أى مما ينم عن حدوث أمر كهذا، كما أن بوب لم يكن أبدا لـ ... ، أعنى أنه ليس من هذا النوع من الآباء، كما أن عمله كشرطى لم يتح له فرصة المكوث بالمنزل لفترات طويلة على أية حال. أؤكد لك هذا؛ فأنا أحب والدى، ولكنى لو ظننت ولو للحظة أن أياً من هذا يحدث لما كنت قد تسترت عليه، ولكنت قد فعلت شيئاً حياله، فلم أصبح شرطياً لحبى أن أغض الطرف عن مثل هذه الأمور".

"أنا متأكد من هذا يا بيل؛ ولكن هل كان لدى أبويك تفسير لهذا التغيير؟ هل حدث أن طلبا استشارة خبير؟".

"ليس حسب علمى. أعنى بأنها لم تكن تعانى من نوبات غضب عارمة أو تمارس العنف ضد الحيوانات الصغيرة، ووقتها لم يكن من المعتاد الذهاب إلى الطبيب النفسى وإجبار الطفل على تناول الريتالين مع كل عرض يظهر، أو لمجرد أنه لا يستطيع الجلوس بهدوء لعشر دقائق؛ ولا أقصد من هذا أية إساءة لكم، دكتور".

"لا عليك؛ فأنا أعرف الكثير من الأطباء النفسانيين الذين لا يختلفون عن كونهم مجرد صيادلة. ألا تتكلم مع أبويك أبداً حول ميشيل؟".

"أعتقد أننا كنا قد قررنا تركها تشق طريقها الذى اختارته. وإن حدث وقررت أن تعود للعائلة، فنحن هنا من أجلها".

"ألم تخبرهما عن حالتها الحالية؟".

"كلا بالطبع؛ فإذا لم ترغب ميك فى أن يعرفا، فليس على إخبارهما. بالإضافة إلى أنك تظن أننى أرغب فى مواجهة غضب صاحبة حزام أسود أوليمبى، سواء كانت أختى أم لا؟".

"إنها تخيفنى أنا أيضًا. فهل لديك أى شىء آخر تعتقد أنه يمكن أن يعيننى على مهمتى؟".

"أريدك فقط أن تعيد لى أختى الصغيرة على خير ما يرام يا هوراشيو. افعل ذلك، وعندها تكون قد كسبت صديقاً فى تامبا...مدى الحياة".

الفصل

١٥

قاد لين ريفيست شين فى جولة بأرجاء بابيج تاون، وكانت وراء القصر شبكة من البنايات ذات الأحجام المختلفة. لاحظ شين وجود لوحة تحكم إلكترونية بجوار كل بوابة، بينما أحيطت واحدة من أكبر البنايات تغطى حوالى ربع هكتار، بسياج ارتفاعه سبع أقدام. وكان هناك مبنى صغير أشبه بمستودع حبوب ملاصق لهذا السياج. فأشار شين إلى المستودع قائلاً: "ما الذى يحويه ذلك الشىء؟".

"ماء. يحتاجون إليه لتبريد بعض الأجهزة".

"وفى البنايات الأخرى؟".

"أشياء أخرى".

"وفى أى منها كان مونك تورينج يعمل؟ وماذا كان عمله فى الأصل؟".

"كنت أتمنّى لو أمكننى تجنب الرد".

"لين، كنت أتصور أنك استأجرتنا للمساعدة على اكتشاف الكيفية التى لقى بها مونك مصرعه، فإذا كنت لا تريدنا أن ننجح فى ذلك، فقط أخبرنى بذلك وعندها سأعود من حيث أتيت، حتى لا نهدر وقت الجميع؛ فلقد قضيت نصف الساعة

الماضية دون أن أعرف أية معلومة من شامب جاى، ولا أنوى تكرار العملية معك".

وضع ريفيست يديه فى جيبه وقال: "أنا آسف، شين. أعرف بأنك كنت تعمل فى الخدمة السرية مع جوان، وأنا لا أحبّ ممارسة لعبة القط والفأر مع زميل، كما أننى أظن أن السلطات هنا غير مقتنعة بوجود أى من أفراد التحرى الخاص".

"ومن هى تلك السلطات؟".

"لو كنت أعرف هذا لكنت قد أخبرتك".

فقال شين فى دهشة: "أتقول لى بأنك لا تعرف الجهة التى تعمل معها؟".

"أى شخص يمتلك القدر الكافى من المال قادر على أن يضفى السرية على كل ما يقوم به. وشيك راتبى يقول بأنى أعمل لدى بابيج تاون، ذات المسئولية المحدودة، وقد دفعنى فضولى ذات مرّة لأن أجرب تعقب هوية الشركة؛ ولكنى ما إن خطوت فى ذلك الطريق حتى وجدت من يهددنى بأن أية محاولة أخرى ستعنى طردى من هنا، وهذا العمل يدفع أفضل بكثير من أى عمل قمت به من قبل. لدىّ ولدان فى الجامعة، ولا أريد أن أفسد عليهما حياتهما".

"فمن أين عرفت إذن أنهم غير مرتاحين لوجودى؟".

"تصلنى الاتصالات الخاصّة على حاسوبى كل يوم، وقد أخبرتهم بأنك كنت على متن الطائرة، ويجب أن تتاح لك على الأقل فرصة الاطلاع على بعض الأشياء؛ حتى لا تثار الشبهات".

"بسبب تدخل مكتب التحقيقات الفيدرالية ووكالة المخابرات المركزية؟".

تجهم وجه ريفيست وقال: "إن كامب بيرى من الأماكن الحساسة للغاية؛ ولكن إذا تمكنت من أن تحل لغز الجريمة بسرعة وبينت لهم أن ليس لها علاقة ببابيج تاون، لربّما انتهت مشاكلنا".

"وماذا لو كان لها علاقة ببابيج تاون؟".

" من المحتمل إذن أن أضطر للبحث عن عمل آخر".

"يعتقد شامب بوليون بأن للجريمة علاقة بمؤامرة كبيرة تحاك على يد المنشأة الصناعية العسكرية".

تأوه ريفيست معترضاً: "رجاءً، عندى ما فيه الكفاية من المشاكل التى تغنينى عن إهدار الوقت فى مناقشة هذا الكلام الفارغ الذى يتلفظ به ذلك المهووس".

"حسناً، دعنا نركِّز إذن على الأساسيات. كيف لقى مونك تورينج مصرعه؟".

"طلق نارى فى الرأس. كان المسدس بجانب الجثة".

"وأين وجدتم الجثة بالضبط فى كامب بيرى؟".

"عند نهاية الطرف الشرقى من المجمع المقابل لنهر يورك. لابد أنك قد مررت به على الجانب الآخر من المياه فى طريقك إلى هنا".

"المنطقة المسيَّجة؟".

"بلى، كانت جثته ملقاة داخله؛ تشير العلامات الموجودة على الجثَّة بأنه قد تسلل للداخل، وأنا متأكِّد من أن المنطقة جيدة الحراسة، ولكن على ما يبدو أنها ليست كذلك على الدوام، فهناك آلاف الهكتارات داخل كامب بيرى، ومعظمها مهجور. حتى وكالة المخابرات المركزية لا تمتلك المال الكافى لضمان تأمين كل بوصة مربَّعة منها؛ فقد دخل مونك إلى هناك بطريقة ما".

"وأين ترقد جثته الآن؟".

"لقد تم إعداد مشرحة مؤقَّتة فى وايت فيذر، وهى بلدة صغيرة قريبة من هنا، ويعمل على الجثة طبيب شرعى من ويليامسبرج. ليس هناك شكٌ حول سبب الموت، وقد رأيت الجثة والتقرير، ولك الحرية فى أن تلقى نظرة عليها".

"حسنا. هل كان تورينج متزوجا؟".

"مطلقاً. ونحن ما زلنا نحاول تحديد مكان طليقته، ولم يحالفنا الحظ حتى الآن".

"لديه أطفال؟".

"واحدة. فيجى تورينج، عمرها أحد عشر عاماً".

"وأين هى الآن؟".

"هنا. عاشت مع أبيها فى بابيج تاون" ثم مال ريفيست برأسه وهو يشير تجاه بعض الأكواخ: "تلك البنايات التى على الحافة يسكن بها العاملون هنا، والبعض منهم يعيش داخل القصر أيضاً".

"وهل فيجى هذه كنية أم اسم؟".

"هو تصغير فيجينير أو هكذا سمعت".

فقال شين: "سميت على اسم بليز دى فيجينير؟".

"من؟".

"لا يهم. هل كان لتورينج أى أعداء معروفين؟".

"حسنا، كان لديه على الأقل عدو واحد ـ عدو *مجهول*".

"لكن ماذا عن نظرية الانتحار؟ فالإصابة من مكان قريب، كما أن المسدس كان على مقربة من الجثة؟".

أقر ريفيست ببطء، "ربما كان هذا ما حدث...لكن حدسى يخبرنى بغير ذلك".

"كثيرًا ما يخطئ الحدس".

"لقد ساعدنى طيلة عملى بمكتب التحقيقات الفيدرالية ولخمس وعشرين سنة، وهو الآن يدلنى على وجود شىء غير منطقى هنا".

"أريد التحدث مع فيجى".

"ستواجه صعوبة فى استخلاص أية معلومة من تلك الطفلة".

"ولماذا ذلك؟".

"لو أنها لا تعانى بالفعل من مرض التوحد، فإنها أقرب لهذا. كان بوسع مونك التعامل معها، لكن لا أحد عداه يمكن أن ينجح فى ذلك".

"هل تعلم بأن أباها قد مات؟".

"دعنا نقل بأن الجميع عاجز عن أن يعرفها بهذا. لكنها ليست بالمهمة الهينة على أى حال".

"لماذا؟ هل هى طفلة عنيفة؟".

هزّ ريفيست رأسه فى نفى وقال: "بل هادئة وخجولة، وتجيد العزف على البيانو".

"إذن ما مشكلتها؟".

"إنها تعيش فى عالمها الخاص، شين؛ فقد تمكث تتحدث معها وفجأة تختفى من أمامك. إنها لا تتواصل مع البشر".

"هل تم عرضها على أحد الإخصائيين؟".

"لا أعرف".

فكّر شين فى هوراشيو بارنز، فقال: "لو تطلب الأمر ذلك، فلربّما كان لدى شخص يستطيع المساعدة، ومن الذى يعتنى بها الآن؟".

"أليسيا تشادويك والآخرون".

"ومن هى أليسيا هذه؟".

"تعمل فى أحد الأقسام هنا. قلت لك إن مونك كان الوحيد القادر على التواصل مع فيجى؛ لكن أليسيا تبدو لى قادرة على هذا أيضا، ولو على نطاق محدود".

"من الذى اكتشف جثة مونك؟".

"حارس الدورية فى كامب بيرى".

"وهل هناك أى أدلة فى مسرح الجريمة قد تعطى طرف خيط نسير فيه؟".

"لا علم لى بهذا".

"والمسدس؟".

"ملك تورينج، وهو مرخص".

"هل كانت بصماته على المسدس؟".

"يبدو أنها كانت كذلك".

"ماذا تقصد بـ *يبدو* أنها كانت كذلك؟" إمّا أنها كذلك أو أنها ليست كذلك!".

"حسناً، كانت بصماته، كما لم يكن هناك شىء يشير إلى أنه كان مقيداً وكذلك لا جروح ناتجة عن الدفاع عن النفس"، ثم أضاف ريفيست بحدة: "اسمعنى، ربما كان الفاعل واحد من حراس كامب بيرى".

"بمسدس تورينج؟".

"لقد كان مونك متسللاً إلى المكان، فأطلق عليه أحد الحراس النار، وهم الآن يحاولون التغطية على الأمر".

هزّ شين رأسه نفيًا وقال: "إذا كان متسللاً لكان لدى الحارس سبب قانونى لقتله، والتغطية على الأمر تزيد من صعوبة الموقف، وأنت لن تستعمل مسدس مونك لتقتل به مونك نفسه".

فقال ريفيست محتجا: "من بحقّ الله يعرف ما تفعله وكالة المخابرات المركزية؟".

"بل إن السبب الثانى أقوى؛ فقد لقى مونك مصرعه نتيجة إطلاق النار عليه من قرب، فإذا كان الحارس قريبًا بما فيه الكفاية ليفعلها لكان بإمكانه اعتقاله دون الحاجة إلى قتله".

"ربما دخلوا فى شجار وانطلقت الرصاصة دون قصد؟"، قالها ريفيست مقترحا.

"لكنك قلت بأنه لم يكن هناك دليل على حدوث معركة".

تنهّد ريفيست وقال: "ومن بحق الله يعرف أين تكمن الحقيقة؟".

"إذن ما هو موقف السى آى إيه؟".

"الموقف الرسمى هو أنه تسلل من فوق السياج وأطلق النار على نفسه".

"من الواضح أن هذا ليس رأيك؟".

نظر ريفيست حوله باضطراب وأجاب: "هناك الكثير من العيون حولنا هنا".

"ما الذى تعنيه بهذا؟".

"أعنى أن مكاناً مثل هذا قد يحوى جواسيس".

"جواسيس؟ لماذا تعتقد ذلك؟".

"لا برهان لدى. إنه الحدس مرة أخرى".

سأله شين: "هل ظهر شىء من تفتيش متعلقات تورينج الشخصية؟".

"لقد حرز مكتب التحقيقات الفيدرالى كل المتعلقات. حاسوبه، الصحف، جواز سفر، إلخ".

"من كان آخر شخص رآه حياً؟".

"ربما كانت ابنته".

"هل لدى المكتب من الخبراء من يستطيع المساعدة فى التحقيق معها؟".

بدا ريفيست مرحبًا لهذا التغيير فى موضوع الحوار وقال: "لقد جلبوا واحدة من هؤلاء الخبراء المدعين، وكان من الطبيعى أن تفشل تماماً مع الطفلة".

فكر شين ثانيةً فى صديقه هوراشيو بارنز صاحب الدراجة الهارلى، وقرّر أن يهاتفه لاحقاً، إلا أنه كان متردداً؛ فهو يريد لهوراشيو أن يركز على تحسين حالة ميشيل.

تابع ريفيست كلامه: "لقد شوهد أثناء العشاء فى الليلة التى سبقت اكتشافهم لجثته، وبعدها ذهب للقيام ببعض مهام المتابعة فى قسمه".

فقال له شين بحدة: "وكيف عرفت ذلك؟".

"أظهره سجل الحاسوب يغادر القسم فى الثامنة والنصف، أما معرفة تحركاته بعد ذلك فلا تعدو أن تكون تخميناً".

"وكيف وصل إلى كامب بيرى؟ هل اجتاز المسافة سباحةً أم استقل قارباً؟ أم بالسيارة؟".

"لا يمكننى تصور الطريقة التى وصل بها؛ فلا يمكنك الوصول إلى ذلك الجزء من المجمع من دون المرور بالبوابة الرئيسية، ونحن لا نستطيع أن نتحقق مما إذا كان قد اجتاز المسافة سباحة أم لا. بسبب أن المطر كان يبلل جثته وملابسه بالكامل؛ لكن المسافة عبر النهر كبيرة، وفى قطعها مشقة كبيرة".

"من خلال عملية تمحيص واستبعاد بسيطة أقول بأن من الممكن أن يكون قد استخدم قاربا. هل يوجد قارب على القرب من هنا؟".

"لا".

"وهل هناك قوارب هنا؟".

"أوه، بالتأكيد. هناك بعض زوارق التجديف وزوارق الكياك؛ وهناك قارب كبير وبضعة قوارب خاصة بسباقات التجديف، وهناك زورقان بخاريان تمتلكهما بابيج تاون".

"إذن فهناك الكثير من وسائل النقل النهرى؛ ألم يفقد منها شىء؟".

"ولا واحدة، ولكن إذا كان هناك شخص ما قد نقله، فمن السهل أن يعيد المركب إلى مكانه ولن يعرف أحد بهذا".

سأله شين: "وأين يتم الاحتفاظ بتلك القوارب؟".

"فى أحد المرافئ أسفل النهر".

"وهل سمع أى شخص صوت محرك قارب فى الليلة التى قتل فيها مونك؟".

هزّ ريفيست رأسه نفياً وقال: "لكن المرفأ على مسافة بعيدة تتخللها الغابة فى الوسط؛ فمن المعقول ألا يسمع أحد صوته".

"يبدو لى أننا نصل إلى طريق مسدود مع كل فرضية".

سأله ريفيست: "ما رأيك فى تناول بعض الشراب؟".

"هل تعتقد بأننى أحتاج إليه؟".

"كلا، أما أنا فبحاجة إليه. تعال، سنتناول بعض العشاء، وبضعة مشروبات، وفى الغد سأخبرك بالكثير عن بابيج تاون، وبما يفوق ما تريد أنت أن تعرفه".

"أخبرنى عن أمر واحد: هل هناك ما يستحق أن يلقى المرء مصرعه لأجله هنا؟".

حدق ريفيست، وسط نور الشمس الباهت، فى القصر القابع وراء شين، وقال: "بالتأكيد يا شين - بل إن الأمر يستحق أن تندلع من أجله حروب بين الدول".

الفصل

١٦

كانت الساعة تشير إلى الواحدة صباحاً عندما سمعت ميشيل - وسط أصوات غطيط شيريل - وقع خطوات فى المدخل للمرة الثانية، وكانت ترتدى ملابسها ، فخرجت فى المدخل حافية القدمين إلا من جوربها وتبعت ذلك الشخص. كانت متيقنة من أنها خطوات بارى.

توقفت فور توقف الخطوات بالأمام، ثم تلفتت حولها عند الممر المفضى إلى غرفة ساندى. كانت على صواب فى عدم تصديقها بارى حينما قال بأنه لا يعرف تلك المرأة؛ فتفسيره كان أخرق جدا. تنبهت أذناها حينما عاود الشخص سيره ثانية.

انسلت للأمام، ونظراتها تمسح الأضواء الخافتة فى المدخل أمامها. سمعت صوت باب ينفتح ثم ينغلق. تقدمت ميشيل وألقت نظرة عن قرب. كان هناك نور فى نهاية المدخل، ثم انطفأ. توارت وراء الحائط عندما انفتح باب آخر ثم انغلق، وبعد انتظار دام حوالى خمس دقائق، سمعت ميشيل صوت باب ينفتح ثم ينغلق ثانية. بدأت الخطوات بالرجوع مقتربة نحوها، فنظرت حولها بحثاً عن مكان يصلح للاختباء.

توارت داخل غرفة فارغة وجثمت بجانب الباب، وعندما تجاوزها الشخص ألقت نظرة عبر نافذة الباب العلوية. لم يكن

بارى؛ فذلك الشخص صغير جداً. لم تتمكن من إلقاء نظرة فاحصة عليه، لكونه يرتدى قبعة ويرفع ياقة معطفه، وعندما توارى عن بصرها بارحت الغرفة وفكرت إما أن تتبعه أو تذهب إلى حيث كان؛ فاختارت هذه الأخيرة، وتسللت عبر القاعة، وانعطفت عند ركنها متابعة طريقها.

فى نهاية القاعة كان هناك باب يفضى إلى الصيدلية؛ فهل كان هذا الباب هو نفسه الذى سمعته ينفتح ثم ينغلق؟ نظرت إلى يسارها. غرفة ساندى كانت هنا أيضاً، فنظرت خلال زجاج نافذة باب. كانت ساندى نائمة فى سريرها، أو على الأقل بدت لها كذلك.

حينما نظرت ميشيل أسفلها نحو الأرضية، لمحت نظراتها شيئاً ما، فانحنت والتقطته. كانت قطعة بلاستيكية منتفخة بيضاء من تلك القطع التى يستخدمها العمال عند شحن الصناديق. وضعتها فى جيبها، وألقت نظرة أخيرة على ساندى النائمة، ثم شقت طريقها عائدة فى هدوء إلى غرفتها.

فى الصباح التالى، استيقظت ميشيل مبكرا وقررت أن تتجول بالممرات. مرت على غرفة ساندى فوجدت المرأة تتحرك وحدها خارجة إلى القاعة. كانت ساندى ترتدى قبّعة فريق الريد سوكس، وابتسامة ودودة عريضة تغطى وجهها.

"كيف حال الصداع؟"، بادرت ميشيل بسؤالها.

"لا أعانى منه الآن. يكفى أن أحصل على ليلة طويلة من النوم. شكرا لسؤالك".

"متى يحين موعد جلستك مع الطبيب؟".

"الأولى فى الحادية عشرة، ثمّ هناك جلسة جماعية بعد الغداء. بعدها يعطوننى أدويتى؛ ثمّ يجىء استشارى ليرانى. ومن ثمّ أحصل على حصتى الصغيرة الأخرى من حبوب البهجة؛ حتى يتسنى لى أن أذهب للثرثرة مع المزيد من الغرباء. أنا الآن لا ألقى بالاً لشىء، وسأخبرهم بكل ما يريدون سماعه، مثل أن أمى

أرضعتنى من صدرها حتى سن كبيرة، وأشياء من هذا القبيل. وتنطلى عليهم الحيلة؛ فيهرعون ليكتبوا المقالات عن هذه الحالة للمجلات الطبية بينما أنا أسخر منهم مر السخرية".

فقالت لها ميشيل: "لا أعتقد بأننى قد أشارك فى الجلسة الجماعية".

دارت ساندى بكرسيها فى دورة سريعة وضيقة وهى تقول: "أوه، الأمر سهل. كل ما عليك فعله هو أن تنهضى، أو كما فى حالتى، تبقين جالسة، ثم تقولين: "مرحبًا، أنا ساندى، حالتى سيئة جداً، لكنّى أريد أن أفعل شيئاً حيالها. ولهذا فأنا هنا" بعدها يصفق لكِ الجميع ويلقون إليكِ بالقبل، ويعرفونكِ بمدى شجاعتك. بعدها أحصل على حبة منومّة لأنام لعشر ساعات، ثم أستيقظ لأعاود الكرة من جديد".

"يبدو لى أنكِ نفسكِ قد مللت هذا الروتين".

"أوه، حلوتى، لقد وصلت إلى درجة صرت معها أعرف الأسئلة من قبل حتى أن يسألوها. إنها لعبة قط وفأر، لكنهم لم يفهموا حتى الآن أننى قد صرت القط وهم الفأر".

"هل حاولت من قبل أن تفكرى فى سبب حالة الاكتئاب التى تعانين منها؟".

"كلا... تباً... إن الأمر شديد التعقيد؛ حتى إن الحقيقة لن تحرّرنى الآن، بل ستعجل بانتحارى، لذا أمارس لعبتى الصغيرة هذه، إلى أن يحين الوقت ويتركونى أخرج من هنا"، صفعت عجلات كرسيها وهى تردف: "وهكذا تسايرهم ساندى، طالما بقوا يمدوننى بتلك الحبوب".

"تعانين الكثير من الألم؟".

"عندما يخبرونك بأنكِ قد صرت مشلولة من خصرك وحتى الأسفل، عندها تقولين لنفسك: "حسناً، تلك مصيبة حقيقية، ولكننى على الأقل لن أشعر بأى شىء يؤذينى بعد الآن" إلا أننى وجدت أن ذلك خطأ، مع وضع ألف خط تحت هذه الكلمة

اللعينة، فما لا يخبرونكِ به هو كم الألم الناتج عن أن يكون المرء مشلولاً، فلا تزال الرصاصة التي دمرت ساقيّ داخلي. قال الأطباء الدجالون بأنّها كانت قريبة جداً من عمودى الفقرى ولا يمكن إزالتها. لذا فهى قابعة فى محلها، تلك القاتلة الصغيرة ذات الملليمترات التسعة، بل إنها ومع مرور كل سنة تتحرّك حركة ولو بسيطة، أليس هذا بشىء لا يطاق؟ أن أعجز عن الحركة بينما تتحرك هى. أما المصيبة الحقيقية فهى أن الدجالين يقولون بأنها إن لامست نقطة بعينها من عمودى الفقرى، فعندها فقط سأموت، أو أفقد الشعور ببقية جسدى وأصبح مشلولة كليةً. فما رأيك فى هذا؟ أليست بمصيبة تفوق أية كلمات؟".

لم يسع ميشيل سوى أن تقول: "أنا آسفة جداً. مشاكلى لا تبدو على هذا القدر حتى الآن".

فلوّحت ساندى بيدها لتحاول تفادى التعليق ثم قالت: "دعينا نذهب لنتناول طعام الإفطار. البيض هنا لا يؤكل أما اللحم فمثل قطع الإطارات القديمة، ومذاقه هو الأسوأ، ولكن هناك على الأقل القهوة الساخنة، تعالى، سأسابقك" وانطلقت ساندى بينما أخذت ميتشيل تجرى خلفها وهى تبتسم، ثمّ أمسكت بمقبضى الكرسى المتحرك وانطلقتا معا عبر المدخل، وسط صياح ساندى الضاحك فى الطريق بأكمله.

بعد الفطور، التقت ميشيل بهوراشيو.

قال هوراشيو: "تكلّمت مع أخيك بيل ثانيةً".

"وكيف حاله؟".

"بخير. قال لى بأنه لم يكن يراكِ كثيراً، ومع ذلك فإننى قد علمت بأن الأمر ينطبق على بقيّة العائلة".

"كلنا مشغولون".

عندها ناولها الرسالة التى أرسلتها والدتها.

"كنت فى شقتكما، أنت وشين؛ حيث وجدتها. أعرف بأنّك لم ترى ذلك المكان من الأصل، لكنّه لطيف جدًّا، وأنا مسرور

لأننى تمكّنت من رؤيته من قبل أن تحوليه إلى صندوق قمامة، كما فعلت فى سيارتك، فنحن هنا نتحدث عن أحد المواقع الرئيسية لدفن النفايات، ألم تفكرى من قبل فى تنظيف هذه التويوتا؟ ولو من باب منع تفشى طاعون وبائى".

"قد تكون سيارتى غير منظمة إلى حدّ ما، لكنّى أعرف مكان كلّ شىء بداخلها".

"بالفعل، فبعد حوالى ساعتين من تناولى لوجبتى المكسيكية كثيرة التوابل أعرف ما الذى يكون بداخل معدتى، ولكن هذا لا يعنى بأنّنى أريد رؤيته. ألا تودين قراءة تلك الرسالة من أبويك؟ فقد تكون ذات أهمية".

"لو كانت مهمة، لكانت قد وصلتنى بطريقة أخرى".

"هل هم على اتصال بكِ؟".

لوحت ميشيل بذراعيها قائلة: "إذن فاليوم هو يوم مجلس الآباء والأطباء النفسيين؟".

رفع هوراشيو مفكرته، وقال ساخراً: "هذه المفكرة تقول بأن على أن أسأل".

"أنا بالفعل أتحدث مع أبوىّ".

"لكنك لم تقومى أبدا بزيارتهما، بالرغم من أنّهما ليسا ببعيدين".

"كثير من الأبناء لا يزورون آباءهم، ولكن هذا لا يعنى أنّهم لا يحبّونهم".

"صدقتِ. هل تشعرين بامتعاض لكونك البنت الوحيدة بالعائلة بينما إخوتك الكبار وأبوكِ رجال شرطة؟".

"بل أفضّل اعتباره حافزاً صحّياً".

"أوافقكِ، لكن هل ترتاحين لحقيقة أنّك قادرة على التغلب على أى رجل فى صراع جسدى؟".

"بل أحبّ أن أكون قادرة على حماية نفسى؛ فالعالم عنيف من حولنا".

"وكونكِ تعملين في إحدى مؤسسات تطبيق القانون، فقد صادفت الكثير والكثير من حالات الصراع هذه، والرجال هم من يرتكبون أغلبية الجرائم العنيفة، أليس هذا صحيحاً؟".

"الكثير من الرجال يميلون إلى استخدام عضلاتهم بدلاً من عقولهم".

"أمازلت راغبة في إلحاق الأذى بنفسك؟".

"أنت من أصعب الأشخاص الذين التقيتهم مراساً".

"أحبّ اعتبار مثل هذه الأسئلة محفزات لإيقاظك في حال ما إذا بدأت تنعسين".

"ما أردت إيذاء نفسي منذ البداية".

"حسناً، سأضع هذه تحت خانة " الكذب على النفس "، وبعدها ننتقل إلى نقطة أخرى. فما هي مشكلتك في رأيك؟ وكيف ترين أن بوسعي أن أساعدك؟".

أشاحت ميشيل بوجهها بعصبية.

"هذا ليس شركاً يا ميشيل. أنا أريد لحالتك أن تتحسن، وبمقدوري أن أشعر بأنكِ تريدين أن تتحسني؛ فكيف نصل إلى غايتنا؟".

"نحن نتكلم، أليس ذلك هو السبيل؟".

"هو كذلك؛ لكن وفق هذا الإيقاع الذي نسير عليه فإني سأكون قد مت ودفنت منذ مدة طويلة، بينما صرتِ أنتِ عجوزًا تتناول عشاءها من خلال ماصة قبل أن تفهمي السبب الذي حدا بكِ إلى الجنون، وليست هناك قاعدة تمنع أن نخفف من قدر مقاومتنا".

فقالت ميشيل: "لا أعرف ماذا تريد منّي يا هوراشيو".

"أقول لكِ بكل أمانة وصراحة، إننا نسمي الرغبة الحقيقية في المشاركة في هذا التدريب بالتفتيش في الروح، وأنا أعرف الأسئلة التي عليّ طرحها، لكن لا جدوى من الأسئلة إن كانت الردود لا تعني شيئا".

"وأنا أحاول أن أكون صادقة معك، فاسألني سؤالاً".

"هل تحبين إخوتك؟".

"نعم!".

"هل تحبين أبويك؟".

قالت نعم ثانية، لكن هوراشيو انتبه للنبرة التي قالتها بها.

"ألن تحدثيني عن فترة طفولتك؟".

"أهذا هو كل ما يفكر فيه كل طبيب نفسي؟ أن كل شيء أعاني منه سببه حادثة وهمية وقعت حينما كنت طفلة؟ حسنا، أنت تسلك الطريق الخاطئ".

"دليني على الاتّجاه الصحيح إذن، فكل شيء كامن في رأسكِ أنت، وتعرفين هذا، وكل ما عليكِ هو امتلاك شجاعة إخباري به".

نهضت ميشيل واقفة، وهي ترتعد من الغضب، ثم صاحت: "من أنت حتى تشكك في شجاعتي، أو قدرتي على تحمل الموقف؟ ما كنت لتصمد عشر دقائق لو أنك في موقفي".

"أنا لا أشكّ في هذا. لكن حل مشاكلك يكمن بين فصي مخك الأيسر والأيمن. مسافة لا تتعدى حوالى أربع بوصات، ومن العجيب أنها تحتوي تريليونات من الأفكار والذكريات التي تتراكم لتمثل شخصيتك أنت، ولو وصلنا إلى البقعة الصحيحة فيمكن أن نصل إلى النقطة التي ستمنعك من الدخول في معركة أخرى مع عملاق آخر، آملةً في أن يرسلك هذا التصرف إلى المشرحة مباشرةً".

"قلت لك بأن هذا لم يحدث!".

"وأنا أقول لك بأنكِ تكذبين عليّ".

فكوّرت ميشيل قبضتها وصرخت: "هل تريدني أن أؤذيك؟".

فصاح في وجهها بسرعة: "وهل تريدين إيذائي؟".

وقفت ميشيل في مكانها، وهي تحدجه بنظراتها، ثم تراخت يداها، ودارت على عقبيها وخرجت من الغرفة، وتركت

الباب هذه المرة مفتوحاً، ورأى هو فى ذلك تصرفاً رمزياً، ولو عن دون وعى.

بقى هوراشيو فى كرسيه، ونظراته على مدخل الباب، ثم قال فى هدوء: "لن أجذب الصنارة الآن يا ميشيل؛ فإننى أحس أنك على وشك التقاط الطعم".

الفصل

١٧

بعد تناول العشاء فى غرفة الطعام بالقصر، عاد شين وريفيست إلى الكوخ الذى يسكن به الأخير لتناول الشراب، وبعد تناول كئوس الشراب، استسلم ريفيست للنوم فى مقعده بغرفة معيشته بعد وعد بالاجتماع بشين فى اليوم التالى، فلم يجد شين ـ الذى بالكاد كان يرشف من كأسه ـ بداً من أن ينسل خارجا ليتمشى فى أرجاء بابيج تاون. كان ريفيست قد أعطى شين شارة أمن طبعت عليها صورته. إلا أن الشارة لا تمكنه من دخول أى من البنايات ما عدا القصر وحده، لكنها تمنع توقيفه واحتجازه على يد قوة أمن المجمع.

كان بيت ريفيست على الحافة الغربية للمجمع، وعلى نفس المشى المفروش بالحصباء توجد ثلاثة مساكن صغيرة أخرى، وقرب محل إقامة ريفيست تقع بناية أكبر بكثير مما حولها، ولما مر شين إلى جوارها لاحظ تلك العلامة فوق إحدى البوابات الأمامية. قرأ ما هو مكتوب عليها: الكوخ رقم ثلاثة. بدا أن الكوخ منقسم إلى مبنيين متساويى الحجم. راقب شين اثنين من الحراس النظاميين مسلحين بمسدسات من طراز جلوك ومدافع رشاشة، وقد خرجا من يسار البوابة الأمامية للقيام بما يفترض أنها دوريتهما. كانت هذه قوة مسلحة مبالغًا فيها؛ لكن لأى

غرض؟ عكس شين اتّجاه سيره ليمر إلى جوار الفناء الخلفى للقصر؛ حيث رأى حمام سباحة أوليمبيًا مكشوفًا، تحيط به الكراسى والمناضد والمظلات، وتوجد شواية مصنوعة من الحديد الصلب وحجارة الموقد، وهناك مجموعة من الأشخاص مجتمعين حول الموقد، بأيديهم أقداح وكئوس الشراب، ويتبادلون الحديث فى هدوء. التفت إليه شخص أو اثنان، إلا أن أحداً لم يكترث حتى لأن يلقى عليه التحية. لاحظ شين أن هناك شخصًا يجلس ليرتشف شرابه فى بطء؛ فقرر شين أن يجلس قبالته، وعرفه بنفسه.

كان رجلاً شاباً، وظل ينظر بعصبية إلى حذائه. قال له بأنه كان يعرف مونك، وقد عمل معه.

سأله شين: "فى أى مجال تعمل؟".

"الفيزياء الجزيئية، متخصص فى..."، إلا أن الشاب تردد وأخذ جرعة من قدح شرابه، ثم قال وهو يغير الموضوع: "ما الذى تعتقد أنه قد حدث لمونك؟".

"لا أعرف إلى الآن. هل حدث وتكلم معك حول أى شىء مما يمكن أن يؤدى إلى مقتله؟".

"لا سبيل لذلك؛ فهو لم يتورط فى شىء من هذا القبيل. فقد كان يعمل بجد، ويحب الجميع. ولديه ابنة، وهى تعانى من... حسناً... لديها حالة خاصّة. وهى متوقدة الذكاء، أعنى فى التعامل مع المسائل الرياضية والحسابية، حتى أنا لا أستطيع أن أقوم بما تفعله أحيانًا، لكن فيجى ذات صفات غريبة، أتعلم ما الذى تهوى جمعه؟".

"أخبرنى أنت؟".

"الأعداد".

"الأعداد؟ وكيف يمكن للمرء أن يجمع الأعداد؟".

"إنها قادرة على حفظ قوائم الأعداد الطويلة وبشكل مدهش، وتظل تفكر فى أعداد جديدة، وتميزها باستخدام الأحرف.

فتسألها عن العدد "X" أو العدد "ZZ" فتحصل على العدد الصحيح فى كل مرّة، وقد اختبرتها بنفسى. أمر مدهش. لم أر أبداً شيئاً مثل هذا".

"هل سبق وتحدث مونك معك حول كامب بيرى؟ ربما كان يود الذهاب إلى هناك لسبب ما؟".

هزّ الرجل رأسه نافياً ذلك.

"ومع هذا فقد عرفت بنواياه، أليس كذلك؟".

"لا يمكن أن يُخْفى على المرء شىء كهذا، ألا تتفق معى؟".

كان هناك بضعة أشخاص عند منطقة حمام السباحة يشيرون ناحيتهم.

فنهض الشاب بسرعة قائلاً: "معذرةً، يجب أن أذهب الآن".

واصل شين تريضه؛ فلا أحد فى هذا المكان مستعد للكلام. ورغم ذلك فلو كان مونك تورينج قد انتحر، فلابد أن يكون هناك سبب، ومع المزيد من البحث، سيظهر الحافز على السطح، وكان شين متيقنا من هذا.

توقّف قرب البناية الملحق بها خزان الماء العالى. كانت اللافتة على هذه البناية تبين أنه الكوخ رقم اثنين، وبينما اقترب من المدخل الأمامى وقف أمامه حارس مسلح وهو يرفع ذراعه له.

فأظهر شين شارته التى توضح هويته؛ فتفحصها الحارس بدقّة، ثم تأمله وهو يقول: "سمعنا بأنّهم سيرسلون شخصاً ما إلى هنا".

فسأله شين: "هل كنت تعرف مونك تورينج؟".

"كلا. أعنى بأنّنى أعرف شكله، ولكن التعارف بين الحرّاس وأصحاب الأدمغة هنا لا يلقى تشجيعا".

"وهل من سلوك غريب لاحظته عليه؟".

ضحك الحارس: "يا صاح، لا يعنينى ما يقوم به كل هؤلاء الرجال؛ فالكثير من الذكاء أمر سيئ، وأظنك تعرف ما أعنيه؟".

أشار شين تجاه البناية: "إذن ما الذى يحويه الكوخ رقم اثنين؟".

"لك الحرية فى أن تسأل، ولى الحرية فى ألا أخبرك، وأنا لا أعرف الكثير على أية حال".

حاول شين مرتين أو ثلاثًا أن يتحصل على معلومات إضافية لكن الحارس لم يبح بشىء.

فسأله فى النهاية: "ألا تعلم أين كان يعيش تورينج فى هذه الأراضى؟".

فأشار الحارس نحو نهاية الطريق المحفوف بالأشجار من الجانبين وقال: "انعطف عند أول يمين، وستجد بيته الثانى على اليمين".

"هل تعيش ابنته هناك؟".

أومأ الرجل برأسه قائلاً: "بصحبة من يقوم بخدمتها، وحارس مسلح".

"حارس مسلّح؟".

"إن أباها مقتول، ولابد من أن تتّخذ الإجراءات الوقائية".

فعلق شين: "يبدو لى أن هذا المكان يبالغ فى احتياطاته".

"هكذا هى كامب بيرى، ومع هذا فقد استطاع أحدهم قتل مونك تورينج".

فبادره شين: "تعتقد إذن بأنه قد مات مقتولاً؟ وليس انتحاراً؟".

هنا راود الحارس القلق فقال: "يا صاح، لست أنا المحقق هنا".

"هل تحدثت مع أحد من مكتب التحقيقات الفيدرالى والشرطة المحليّة؟".

"كلنا تحدثنا معهم".

"وهل توصلوا إلى أية نظرية؟".

"لا أعتقد بأنّهم كانوا يهتمون بتعريفى بها".

"هل كانت هناك مشاكل أمنية مع تورينج؟ أليس هناك من غرباء يتسكّعون بالمكان؟".

هزّ الحارس رأسه نفياً، وقال: "لا شىء من هذا القبيل".

"لقد لقى تورينج مصرعه بمسدسه الخاص. هل كنت تعرف بأنّه كان يمتلك واحداً؟".

"بقدر علمى، فإن الحرّاس وحدهم هم من يمتلكون الأسلحة هنا".

بينما كان شين يسير عبر الطريق رأى صفَّ البيوت ذات الطابق الواحد أمامه. كان أولها معتماً، أما الثانى - منزل مونك - فكان الضوء يشع من نافذته الأمامية. كل هذه المساكن مبنية من الطوب الأحمر ألفين والظاهر أن مساحة الوحدة الواحدة منها تصل إلى ألفين وخمسمائة قدم مربعة. عمل جيد حتى الآن، هكذا قال شين لنفسه. المروج الخضراء الصغيرة مصانة جيداً؛ والأسيجة الخشبية ذات الأطراف المدبّبة مدهونة بعناية. كانت أصص الأزهار الملوّنة تقبع عند العتبات المفضية إلى الباب الأمامى. كان المنظر أشبه بواحدة من تلك اللوحات الشاعرية التى تحاكى حياةً مثالية غير موجودة، ومن داخل المنزل أمكن لشين أن يسمع عزف أحدهم على البيانو. ففتح البوابة وسار عبر الرصيف نحو السقيفة الأمامية.

نظر نحو كومة من أجهزة الألعاب الرياضية فوق مقعد عريض عند السقيفة: زوج من معدات الجولف، وكرة سلة، وكرة وقفاز لاعب بيسبول، وغيرها من الأدوات هناك. التقط شين القفاز؛ تفوح منه رائحة الجلد المزيّت جيداً. لابد أن تورينج كان يهوى ممارسة الرياضة، ومن المحتمل أنه كان يلجأ إليها ليرتاح بعد كل ما يمارسه من عمل ذهنى.

ألقى شين نظرة خلال الباب السلكى. كانت هناك امرأة تميل إلى السمنة، ترتدى معطفاً وخفاً، وكانت نائمة على الأريكة. لم يكن هناك ما ينم عن وجود حارس، وفى الركن البعيد من الغرفة

جلست طفلة كبيرة الحجم، وكانت هناك فتاة تعزف على البيانو. شعرها طويل أشقر يميل إلى الأبيض، وبشرتها شاحبة، وبينما بقى شين فى مكانه، كانت تنتقل من مقطوعة كلاسيكية، عرف شين أنها لراتشمانيوف، ثم إلى مقطوعة لأليشيا كايز، من دون أن تفقد الإيقاع والنغمات.

رفعت فيجى تورينج عينيها فرأته. لم تندهش. بل ولم تتوقف عن العزف.

"ماذا تفعل هنا؟".

فاجأ الصوت شين؛ فقد كان آتياً من خلفه، فاستدار ليرى امرأة بالقرب منه.

فمد لها شارته قائلاً: "أنا شين كينج. أتولى التحقيقات بخصوص مصرع مونك تورينج".

قالت المرأة باقتضاب: "أعرف هذا؛ ولكنى عنيت ما تفعله هنا، فى هذا البيت؟ وفى هذه الساعة؟".

كانت فى منتصف الثلاثينيات من العمر، طولها حوالى المتر والسبعين، شعرها أحمر قصير، يفترق جانباً ويتموج عند رقبتها. مكنه ضوء الباب الأمامى من أن يرى أن بشرتها منمشة وعينيها ذواتا لون أخضر زاهٍ. كانت ترتدى الجينز، وحذاء أسود خفيفاً وقميصاً قطنياً مضلعاً. كانت شفتاها ممتلئتين جداً مقارنة بوجهها الرقيق، وكتفاها عريضتين نوعاً ما بالنسبة لجسدها، أما الأنف فليس متناسقاً مع العينين، والذقن حادٌ جداً بالنسبة لفكها العريض، ورغم كل ذلك اللاتناظر، فإنها كانت واحدة من أجمل النساء التى رآها شين.

"كنت أتريض فقط. وسمعت فيجى، وإنى أفترض أنها تعزف على البيانو، فتوقفت كى أنصت لعزفها". ارتأى أنه قد منحها من المعلومات ما يخول له أن يطرح أسئلته، فقال: "ومن تكونين أنت؟".

"أليسيا تشادويك".

علق شين مردفاً: "إنها عازفة بيانو مدهشة".

حدجته بعينيها الخضراوين وهى تقول: "إنها طفلة مدهشة فى مجالات عدة". وضعت يدها على كم قميصه وجذبته بعيداً عن الباب قائلة: "دعنا نتكلم، واعلم أن هناك بعض الأشياء التى تود أن تعرفها".

ابتسم قائلاً: "أنت أول شخص ألتقيه وأجده راغباً فى الكلام".

"أرجئ حكمك حتى تسمع ما سأقوله لك".

الفصل

١٨

بعد خمس دقائق كانت أليسيا تقود شين فوق عتبات حجرية لبيت أخضر كبير تغطى جدرانه الألواح الخشبية، وله سقف من خشب الأرز وشرفة أمامية واسعة. تبعها إلى الداخل حيث حجرة مكتب مريحة تغطى جدرانها الكتب. كان هناك مكتب فى منتصف الحجرة عليه شاشة كمبيوتر مسطحة. أشارت بإصبعها نحو مقعد جلدى وثير بينما جلست هى على كرسى دوار خلف المكتب.

أخذ يراقبها باهتمام، بينما وضعت ساقها اليمنى فوق المكتب والقسم السفلى من سروالها. عندها انفك هذا الجزء من ساق سروالها والذى يصل إلى منتصف ساقها، أمكن لشين أن يرى المعدن والأشرطة المصقولة والتى كانت متوارية تحت السروال. فكت أربطة الساق، وحلّت بضع عتلات، ووضعت هذه الساق البديلة ـ والتى لا يزال حذاؤها الأسود متصلا بها ـ أسفل المكتب. ثمّ أخذت أليسيا تفرك البقعة حيث يتصل جسدها بالساق الألومنيوم.

رمقته وهى تقول: "أنا متيقنة من أن إيميلى بوست وسلالتها كانوا يبغضون امرأة تكشف عن ساقها الاصطناعية أمام شخص غريب، لكنى لا أهتم بذلك، وأعتقد أن الآنسة بوست ما كانت

لتضطر إلى أن تتجوّل مرتديةً واحدة مثل هذه طوال النهار. وحتى مع كل التقدّم التقنى فإنها ما زالت تؤلم كالجحيم".

"كيف حدث هذا؟"، سألها شين بينما التقمت ثلاث حبات من الأدفيل مع قدح ماء صبته من دورق على مكتبها؛ لكنه أضاف فى سرعة: "أنا آسف. فربما لا تودين التحدّث بشأنه".

"لا أحبّ تضييع الوقت ويمكن أن أكون شديدة الصراحة. فأنا عالمة رياضيات بالدراسة والتدريب، ولكنى لغوية بالعاطفة. كان أبى يعمل بالسلك الدبلوماسى وسافرنا كثيراً إلى منطقة الشرق الأوسط حينما كنت صغيرة. ولذلك، فإنى قادرة على أن أتحدث العربية والفارسية وعددًا آخر من اللغات التى ترى الحكومة الأمريكية أنها ذات قيمة. وقبل أربع سنوات، تطوّعت كمترجمة فورية فى العراق لحساب وزارة الخارجية. كانت الأمور تسير على ما يرام على مدار عامين؛ حتى جاء يوم كنت أستقل فيه عربة من طراز همفى قرب الموصل عندما مرت فوق عبوة ناسفة. استعدت وعيى فى ألمانيا بعد أسبوع؛ لأكتشف أننى لم أفقد سبعة أيام من حياتى فقط، بل فقدت الجزء الأكبر من ساقى أيضاً. ومع هذا فأنا أعد نفسى من بين المحظوظين؛ فشخصان فقط هما من نجيا من الانفجار، أنا ورجل آخر، وهو الذى سحب جسدى إلى مكان آمن. أخبرونى بأن الشىء الوحيد الذى تبقى من السائق الذى كان يجلس بجانبى كان الجذع. من الصعب حساب مسار شظيّة فى فراغ مغلق، وعلى أية حال، فإن بلادى قد أعادت تأهيلى ومنحتنى هذه المؤونة! ". قالتها وهى تربت على ساقها الاصطناعية.

قال شين: "أنا آسف". إلا أنه كان يتعجب فى داخله من قدرتها على الكلام بهذه المشاعر المحايدة عن حادث لابد أنه كان شنيعا.

تراجعت أليسيا بظهرها للوراء وهى تتأمله عن كثب، ثم قالت: "ما زلت غير متفهمة للسبب الذى من أجله أرسلوك إلى هنا".

"هناك جريمة قتل غامضة وأنا محقق خاص".

"هذا مفهوم. إن لديهم من رجال الشرطة هنا ما يكفى عدده لبث الذعر فى جاك السفاح نفسه. لكنّهم من الحكوميين، أما أنت فمحقق خاص".

"ما الذى تعنينه بالضبط؟".

"أعنى بأنّهم لن يستطيعوا السيطرة عليك، أليس كذلك؟".

"هذا ما لا أعرفه، هل بوسعهم ذلك؟" ولما لم تجبه قال: "ذكرت لى أن لديك بعض الأشياء التى تريدين إخبارى بها؟".

"ذلك كان واحداً منها".

"حسناً، من هؤلاء الذين قصدتهم، هل هم أصحاب بابيج تاون؟ فإما أن أحداً هنا لا يبدو متلهفًا لإخبارى، أو أنهم لا يعرفون، وكلا الاحتمالين محير".

"أخشى أن ليس بوسعى مساعدتك فى هذا الصدد".

"هل حقق مكتب التحقيقات الفيدرالى معك؟".

قالت: "نعم. حقق معى شخص اسمه مايكل فينتريس، ثقيل الظل رغم كفاءته".

"من الجيد أن أعرف هذا، وما رأيك فى شامب بوليون؟... اتركينى أحزر، كان أول صفه فى الإم آى تى".

"كلا، بل كان فى الحقيقة ثانى صفه فى معهد التكنولوجيا الهندى، وهى مؤسسة يراها العاملون فى مجالنا رفيعة المستوى لدرجة كبيرة".

"يبدو لى أيضاً أنه قد صار عصبيًا جداً بسبب الذى حدث لمونك".

"إنه عالم. فما الذى يمكن أن يعرفه عن جرائم القتل العنيفة والتحقيقات؟ لقد رأيت من الدماء فى العراق ما يكفينى لألف

عام، ومع هذا فقد هزنى ما حدث لمونك؛ فأنت فى العراق تعرف من يحاول قتلك. أما هنا فلا".

"أنتِ تعتقدين إذن أن مونك قد قتل؟".

"لا أعرف. الأمر محير جداً".

"ألم يجدوا جثته داخل أراض تابعة لوكالة المخابرات المركزية؟".

"هذا صحيح. لكن إذا لم يكن للوكالة علاقة بمصرعه، فهل تعتقد بأنهم كانوا ليتركوا جثته هناك؟ أعنى أنه قد كان بمقدورهم التخلّص منها فى نهر يورك".

"إذن ما هو الدور الذى تقومين به فى بابيج تاون؟ يمكننى القول بأنكِ لستِ من ذوى الوظائف العادية".

"وكيف عرفت ذلك؟".

"منزلك أكبر من المنازل الأخرى حولك".

"إننى مديرة أحد الأقسام هنا. يعيش شامب عند الجانب المقابل للقصر، قرب الكوخ رقم واحد".

"وما الذى يفعلونه فى الكوخ رقم واحد؟".

"ذلك فى الحقيقة هو القسم الذى أديره، بينما يدير شامب الكوخ رقم اثنين؛ ذلك الذى يلتحق به خزان المياه".

"ولن تخبرينى عن طبيعة عملك؟".

فقالت أليسيا: "ليس بالعمل الممتع. نحن نحلّل الأعداد. أعدادًا كبيرة جداً، أو هذا على الأقل ما نحاول أن نفعله، وهى مهمة صعبة جداً. نحن نفتّش عن شىء يعتقد العديد من العاملين فى مجالنا أنه غير موجود. نبحث عن طريق رياضى مختصر".

بدا شين متشككاً وهو يقول: "طريق رياضى مختصر؟ أيستدعى هذا كل هؤلاء الحرّاس المسلّحين والتكاليف الباهظة؟".

"بل يستحق، إذا كان إنجاز هذا العمل كفيلاً بأن يقلب الدنيا رأساً على عقب، كما أننا لسنا وحدنا؛ فهناك آى بى إم، ومايكروسوفت، وناسا، وجامعة ستانفورد، وأكسفورد، وبلدان

مثل فرنسا، واليابان، والصين، والهند، وروسيا، إنها جميعاً مشغولة بنشاطات مماثلة، بل وربّما بعض المنظمات الإجرامية. ومن المؤكد أن لديهم حافز القيام بهذا".

"لست متأكداً من أن المرء قد يريد الدخول فى منافسة مع وكالة ناسا".

"ربّما ذلك هو السبب الحقيقى وراء حاجتنا إلى حرّاس مسلّحين ـ لحمايتنا منهم".

"وهكذا فإن كل بابيج تاون مكرّسة لهذه المهمة؟".

"أوه، كلا؛ فأنا أتحدث عن القسم الخاص بى وبمشروعنا الصغير فى الكوخ رقم واحد. وأقول لك الحق، فإني أشعر بأنى مثل بنت زوج الأم، فأنا سيئة الحظ نوعاً ما؛ فمن الواضح أن عملى هو مشروع احتياطى لن يرى النور إلا فى حال عدم نجاح أبحاث شامب؛ لكن العائد منه قد يكون هائلاً".

"إلى حد أن تنقلب الدنيا رأساً على عقب؟"، قالها شين مكرراً كلماتها، ثم أضاف: "كيف يمكن لعبارة كهذه أن تكون ذات معنى؟".

"إن بعض الاختراعات، مثل المصباح الكهربى أو المضادات الحيوية، ساعدت البشرية. بينما اختراعات أخرى، مثل الأسلحة النووية، لها القدرة على إنهاء الجنس البشرى. إلا أن البشر لا يتوقفون عن اختراعها، وهناك آخرون ما زالوا يشترونها".

"لماذا أشعر بأنى (أليس) فى بلاد العجائب؟".

"ليس من الضرورى أن تفهم عالمنا يا سيد كينج. ينبغى عليك فقط أن تكتشف ما حدث لمونك تورينج".

"نادينى شين. هل كان مونك من العاملين فى قسمك؟".

"كلا، بل كان يعمل لدى شامب؛ فقد كان مونك فيزيائياً وليس عالم رياضيات، لكنّى عرفته".

"وبعد؟".

"وقضيت وقتاً معه ومع ابنته فيج، لكنّى لا أستطيع القول بأنّنى قد عرفته جيداً. كان هادئاً، منهجياً ومنطوياً على نفسه. لم يبح بالكثير عن حياته الشخصية. عليك الآن أن تمضى قدماً وتطرح علىّ الأسئلة الواضحة. هل كان لمونك أعداء؟ أكان متورطاً فى أى شىء يمكن أن يكون قد تسبب فى مصرعه. تلك النوعية من الأسئلة؟".

فابتسم شين قائلاً: "حسناً، وبما أنكِ قد طرحت هذه الأسئلة، فسوف أنتظر منكِ الأجوبة".

"ليست لدى أية أجوبة؛ فلو كان يتعاطى المخدّرات أو السرقة أو كانت لديه ميول شاذة قادته إلى أن يلقى مصرعه، فهى أمور أجاد إخفاءها".

"وهل تعرفين بأنه قد لقى مصرعه بمسدسه الخاص وكانت بصماته هى الوحيدة عليه؟".

"فهو انتحار إذن؟".

"نحن لا نعرف كلّ الحقائق حتى الآن. قلت بأنكِ لم تعرفيه بالقدر الكافى، ولكن ألم يكن فى حالة اكتئاب نوعاً ما، هل كانت لديه ميول انتحارية؟".

"كلا، لا شىء من هذا القبيل".

"هل كان أباً جيداً لفيج؟".

رقت نبرة صوت أليسيا وهى ترد: "بل كان أباً جيداً جداً. كانا يلعبان الكرة فى الفناء الأمامى لساعات، بل إنه تعلّم العزف على الجيتار حتى يشاركها العزف وهى تعزف على البيانو".

"إذن فقد قضيت الوقت معهما؟".

"ليس مع مونك، لكنّى كنت مع فيجى؛ فقد كنت أنظر إليها على أنها الابنة التى لم أنجبها".

"ألم يمانع مونك فى وجودك؟".

"كان يعمل لساعات طويلة، ولا أدرى إن كان متحفظاً أم لا. لكن جداول مواعيدنا كانت مختلفة؛ لذا سارت الأمور بحيث كنت بصحبتها فى الأوقات التى لا يمكنه فيها هذا".

"فهمت. وماذا عن أمها؟".

هزت أليسيا رأسها وقالت: "لا فكرة لدى. فلم يسبق لى معرفتها".

فكّر شين فجأة فى سؤال ربما كان عليه أن يطرحه على ريفيست فقال: "هل قام مونك بأية أسفار مؤخراً؟".

"لا، ليس مؤخرا؛ فالمرء لا يحصل على الكثير من الإجازات هنا" ثم توقفت لحظة، قبل أن تضيف: "ولكنه كان قد غادر البلاد قبل ثمانية أو تسعة شهور تقريباً، حسبما أعتقد".

بادرها شين بقوله: "وهل تعرفين إلى أين سافر؟".

هزّت رأسها نافية وقالت: "لم يخبرنى".

"وكيف عرفتِ بأنّه كان خارج البلاد إذن؟".

"أتذكر أنه قد قال بأن عليه أن يجدد جواز سفره، وأرى أن هذا يعنى أنه أراد مغادرة البلاد؛ فالناس يحتاجون جوازات السفر لهذا الشأن".

فكر شين ثم قال لها: "وكم من الوقت بقى بالخارج؟".

"حوالى أسبوعين".

"ومن كان يرعى فيجى؟".

"كنت أرعاها، واستأجرت بابيج تاون بعض الأشخاص للاعتناء بها".

"وهل كانت فيجى مرتاحة مع مجموعة الغرباء من حولها؟".

"أحسب أن مونك قد تكلّم معها، فلو أخبرها بأن لا بأس من وجودهم، فلابد أنها صدقته؛ فالعلاقة بينهما قوية جدا".

"هل بوسعك التواصل مع فيجى؟".

"أحيانا. لماذا تسأل؟".

"لأنى قد أحتاج إلى مساعدتك عندما أتحدث معها".

"وما الذى يمكن لفيجى أن تعرفه مما قد يساعدك فى تحقيقك؟".

"قد تعرف شيئاً حول أبيها مما قد يفسر لى ما حدث".

"لو أنها ستتحدث إليك بالفعل، فسيكون ذلك بلغة لن تفهمها جيدا".

فابتسم شين وقال: "الشىء الجيد هو أننى سأكون بصحبة متخصصة لغات عالمية لتساعدنى".

فقالت فى خيبة أمل: "أنت لست مهتماً بمعرفة ما إذا كان مونك تورينج قد انتحر أو لقى مصرعه، أليس كذلك؟ فأنت ستحصل على أتعابك فى كل الحالات".

"أنتِ مخطئة؛ فأنا مهتم بإلقاء القبض على القاتل".

"لماذا؟".

"أنا من الناحية الفنية محقق خاص، ولكننى شرطى، ورجال الشرطة يفكرون بهذه الطريقة. ولهذا نقوم بعمل لا يتسنى لأغلب الناس القيام به. قلتِ لى بأن هناك ما تودين إخبارى به؟ ولم أسمع منكِ سوى أمر وحيد".

حدّقت فيه بفضول، ثم قالت: "أنا متعبة جداً، وعلىّ التوجه للنوم، وأنا متيقنة من أنك ستعرفها بنفسك بالخارج".

أعادت تركيب ساقها البديلة، ثم صعدت الدرج ببطء.

أغلق شين الباب خلفه وهو خارج. فلو كان هناك قاتل طليق بالمنطقة، فعلى المرء أن يتوخى الحذر.

وبينما كان يعود أدراجه إلى غرفته فى القصر، لم يكن بعقله سوى فكرة وحيدة تعتمل داخله: "*ما الذى أقحمنى فى هذا الأمر بحق الله؟*".

الفصل

١٩

بعد أن تركت هوراشيو وانصرفت، تغيبت ميشيل عن الغداء. وبدلاً من ذلك فضلت تأدية تمرينات شاقة فى صالة الألعاب، حتى جف منها كل عرق. كانت تشعر بتحسن، وتؤكد لنفسها هذا، ومن الواضح أن الإندروفين يقوم بما عجز عنه هوراشيو بارنز. كانت تقنع نفسها شيئاً فشيئاً بأن الذى حدث فى ذلك المقهى ليس سوى لحظة سيطر عليها فيها سوء تقدير للأمور، وقد زاد الطين بلة إفراطها ليلتها فى تناول الشراب بما هو أكثر من اللازم. وعن قريب ستكون خارج هذا المكان، وتلتحق بشين لتحل مشاكل الآخرين. بينما سيكون على هوراشيو استغلال تعاسة شخص آخر غيرها.

عادت إلى غرفتها لتغتسل، وبعدما مشطت شعرها الرطب ولفّت منشفة حول جسدها وخرجت من الحمّام جلست إلى فراشها، وبدأت ترطيب ساقيها بالمرطب. إلا أن شيئاً ما دفعها إلى أن تلتفت فى حركة سريعة.

كان بارى يقف خلف مكتب عند ركن الغرفة.

خرج من مكمنه حتى تراه، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة واسعة.

صاحت فيه: "ما الذى تفعله هنا بحق الله؟".

قال بارى فى سرعة: "لم تأتِ شيريل لجلستها، فأرسلونى لإحضارها"، كان يحدق فى جسدها، فقامت ووقفت.

ثم قالت: "إنها ليست هنا، لذا عليك أن تخرج من هنا الآن!".

قال بارى والابتسامة ما زالت تتلاعب فوق شفتيه: "آسف لكونى أزعجتك".

قالت بشراسة: "سأبلغ عنك بسبب هذا، أيها الوغد...فأنا أعرف بالضبط ما تخطط له".

"طلبوا منى المجيء إلى هنا لإحضار مريضة؛ وليس ذنبى أنك تتجولين بالمكان. ألم تقرئى قسم التعليمات الخاصة بالمرافق، والذى يقول بأن غرف النزلاء تعامل خلال ساعات النهار على أنها ملكية عامة؛ حيث يمكن للعاملين أن يجيئوا ويذهبوا فى جميع الأوقات؟ وهو أيضاً يحتم فى هذه النقطة أن على المرضى ارتداء ملابسهم كاملة، إذا رغبوا السرية".

"يبدو أنك قد ركزت على ذلك القسم بعينه. أليس كذلك أيها الحقير؟!".

أخذ طريقه نحو الباب، وهو يطيل النظر إلى سيقانها العارية، ويقول: "ولو رفعت شكوى ضدى فسيكون علىّ أن أدافع عن نفسى".

فقالت ميشيل بشراسة: "وما الذى يعنيه هذا بالضبط؟".

"يعنى هذا أن المريضات الأخريات قد انحنين لإغواء الموظفين الذكور لكى يحصلن على معاملة تفضيلية، ومزايا صغيرة، ومخدرات، وسجائر، وحلوى، وأشياء أخرى، وسوف أقول إننى كنت أقف هنا وإنك بدأت بعرض جسدك لى على أمل الحصول على معاملة مختلفة، ولكن أخلاقى كموظف جيد تمنعنى من التعامل معك بصورة مختلفة. آسف".

كانت ميشيل غاضبة جداً. "أنا لم أرك أيها الوغد! فقد كنت مختبئاً فى ذلك الركن".

"أنتِ تقولين بأننى كنت مختبئاً، وأنا أقول بأننى لم أكن كذلك. طاب يومك". حدق فيها بنظرة ثاقبة أخيرة، وبعد ذلك استدار وانصرف.

كانت ميشيل منزعجة جداً حتى إنها كانت ترتعد. فأخذت تتنفس عدة مرات فى سرعة حتى تهدئ من روعها، والتقطت ملابسها وأكملت ارتداءها فى الحمام. لم يكن للباب قفل وذلك لسبب واضح، لذا فقد وقفت وظهرها يضغط عليه تحسبا لعودة ذلك الرجل لغرض أكبر من مجرد إلقاء نظرة خاطفة على جسدها شعرت بأن خصوصيتها منتهكة بدرجة لا تصدق. وكانت تحاول أن تحسم أمرها بين أن تبلغ عن بارى أو لا، حينما دلفت موظفة أخرى بعد أن كانت ميشيل قد ارتدت ملابسها.

قالت لها المرأة: "لقد جئت لآخذك إلى الجلسة".

فسألتها ميشيل: "أية جلسة؟".

"لقد حدد هوراشيو بارنز لك جلسة جماعية بعد ظهر اليوم".

"لم يخبرنى بذلك".

"حسنا، هذا أمر قد تحدد، وأنا هنا فقط للتأكد من اصطحابك".

فترددت ميشيل، وهى تلعنه فى نفسها، ثم قالت: "كم عدد أفراد المجموعة؟".

"عشرة. وأنا متأكدة من أنك ستستفيدين بالكثير منها، وهى لمدة ثلاثين دقيقة فقط".

"لا بأس، دعينا ننته منها فحسب"، قالتها ميشيل بحدة.

فقالت لها المرأة بنبرة توبيخ: "ليس هذا بالأسلوب المستحب".

"إلا أنه الأسلوب الوحيد الذى لدى الآن".

كان هناك طبيب آخر لم تره ميشيل من قبل هو من يدير الجلسة.

كانت التسلية الوحيدة لميشيل هى أن ساندى كانت هناك. فحيتها وجلست بجانبها، وحالما فعلت ميشيل ذلك انفتح الباب ليدلف بارى، ويقف فى الخلف عند الحائط.

وفى كل مرة أحست فيها ميشيل بنظرته عليها، كانت تشعر برجفة؛ فلقد رآها ذلك الوغد دون كامل ملابسها، وكان ذلك إحساساً قاتلاً؛ فإن شين نفسه لم يسبق له أن رآها هكذا.

وبينما كان الطبيب يوزع بعض المواد، تطلعت ساندى إلى ميشيل ورأت فيها ذلك البؤس؛ فقالت: "هل أنتِ بخير؟".

همست لها: "كلا، لكننى سأخبرك لاحقا. كيف تسير هذه الجلسة؟".

"افعلى كما أفعل، وسيكون كل شىء على ما يرام. لا بأس بهذا الطبيب؛ فهو جيد، لكنه جاهل كلياً بمجريات الأمور فى العالم الحقيقى".

فقالت ميشيل: "هذا مشجع".

بعد انتهاء الجلسة، دفعت ميشيل كرسى ساندى المتحرك مارة إلى جوار بارى.

فقال بارى: "طاب يومكما أيتها السيدتان"، ثم أمسك الباب لهما وهو يبتسم ابتسامة عريضة.

فصاحت به ميشيل بصوت كانت تتعمد أن يصل إلى بقية الحاضرين: "اذهب إلى الجحيم!".

بينما تجهمت ساندى وقالت: "رويدك يا عزيزتى. إن هذا يبعث فى النفس صورة سيئة ولقد تناولت طعامى للتو".

عندها توقف بارى عن الابتسام.

وفى طريق العودة إلى غرفة ساندى أخبرتها ميشيل بما فعله بارى.

"سمعت بأنه يتنصت على أصوات الحمامات فى غرف الجميلات، وحينما يتأكد من أنهن يستحممن يدخل خلسة ليلقى نظرة خاطفة".

بدت ميشيل غاضبة: "إذا كان هذا الوغد بهذه الصفات والتى عرفها الجميع فلماذا لم يطردوه؟".

"إنهن يخشين الكلام، وعليكِ أن تواجهى الأمر الواقع، فالمرضى هنا قد جاءوا بالأصل لأنهم ضعفاء متخبطون؛ فهم ليسوا فى أفضل وضع يمكنهم من الدفاع عن أنفسهم ضد أمثال ذلك الصعلوك".

"كم أود لو اختليت بذلك الرجل لبضع دقائق؛ فعندها سأجعل وجهه أشد قبحاً مما هو عليه الآن".

"لا أظن أن هناك قبحاً أكثر من ذلك".

تحركت ميشيل بساندى إلى غرفتها ورأت باقة كبيرة من الزهور على منضدة الفراش فقالت: "ألديك معجب سرى؟".

فلامست ساندى بتلة إحدى الزهور قائلة: "ألست كغيرى من النساء؟...وبمناسبة الكلام عن المعجبين، من هو ذلك الرجل الرائع طويل القامة الذى رأيتك تتكلمين معه عندما جئت هنا أول مرة؟".

"إنه شين كينج. زميلى".

"زميلك؟ أليس زوجك؟".

"كلا، بل نحن زملاء فى وكالة تحر".

"هل أنتِ متحرية؟".

"بل عميلة سابقة في حرس الرئيس".

"ما كنت لأخمن أبداً هذا".

"لماذا؟ وهل من المفترض أن نكون على هيئة معينة؟".

"كلا. ولكنى بارعة فى التمييز بين الأخيار والأشرار".

"هل كانت لديك تجربة مع كلا الصنفين؟".

ربتت ساندى على يد ميشيل قائلة: "دعينا فقط نقل بأنه قد كان لدى الكثير من الخبرات السابقة...ماذا عنك وشين كينج؟ هل حدث بينكما أى شىء خارج إطار العمل؟".

"تبدين الآن مثل طبيبى النفسى".

"هل صفاته الداخلية على غرار مظهره؟".

"بل هى أفضل".

"فهل لى أن أسأل عما منعكما من الارتباط؟".

"نحن زملاء عمل فحسب".

"هناك الكثير من طرق كسب العيش، ولكن التجربة علمتنى أن الرجال الوسيمين الطيبين نادرو الوجود، فعليك ألا تضيعيه وإلا خطفته أخرى منكِ".

فكرت ميشيل فى شين وجوان وهما يعملان معًا من جديد بينما هى عالقة هنا تتشاجر مع هوراشيو صاحب الدراجة "الهارلى ديفيدسن"، وذلك الوغد بارى الذى يتلصص عليها، فقالت: "ليس الأمر بتلك البساطة".

"أوه، تقول النساء هذا دائماً، وذلك يعود جزئيًا إلى أن لا شىء بسيط فى نظر النساء، ولكنه بسيط فى نظر الرجال؛ وذلك لأنهم يرون أن بمقدورهم الوصول إلى كل صعب".

"إن شين مختلف".

"هذا ما يجب أن يزيدك إصراراً على الارتباط به".

"لو سلمنا جدلاً أن لدى رغبة فى ذلك، فماذا عنه هو؟".

نظرت ساندى إلى ميشيل، ثم قالت: "عندها سيكون هو الذى يحتاج إلى علاج نفسى وليس أنتِ. فقد يكون مميزاً بين الرجال، ولكنه فى النهاية رجل كغيره من الرجال".

"إن العلاقة التى تعتمد على الانجذاب العاطفى وحدها لا تدوم".

"بالطبع! ومن هنا تأتى براعة المرأة فى الاحتفاظ بعلاقتها مع الرجل".

"هل سبق لكِ الزواج؟".

"نعم. لمدة عشر دقائق".

"طلاق بهذه السرعة؟".

"كلا، ولكن أحدهم أطلق علينا الرصاص نهار الزفاف؛ فصرت أنا على هذه الحال. أما زوجي...فلقى مصرعه".

"يا إلهى، قتل؟ يوم زفافه!".

أومأت ساندى قائلة: "لقد صعقت مخططة الزفاف تماماً؛ فلقد بذلت الكثير من الجهد فى تجميل الحفل وصنع منحوتات من الثلج، لكنها لم تكن تجيد الإسعافات الأولية للأسف".

"ما الذى حدث تحديدا؟".

رفعت ساندى جسدها من كرسيها نحو الفراش. كانت ترتدى قميصاً قصير الأكمام فرأت ميشيل عضلات ذراعيها القوية، وجلست ساندى إلى الفراش وهى تقول: "ذلك الذى جرى قد حدث منذ مدة طويلة. لم أرتبط بحبيب حياتى رسميا سوى لعشر دقائق. ولكن دعينى أخبرك بأنى لم أكن لأستبدل بها حياة مع شخص غيره؛ ففكرى فى السيد كينج. فكرى بجد ومليا. واعلمى أنه لن يكون موجوداً على الدوام؛ فهناك الكثير من النساء اللاتى لن يلقين بالاً لأحد، ويسعين نحو أهدافهن بكل إصرار، وعادة ما يحصلن على مرادهن يا عزيزتى".

الفصل

٢٠

قضى شين ليلته الأولى فى بابيج تاون بين محاولة النوم والنظر عبر النافذة إلى الأراضى المظلمة، وكانت غرفته بالقصر فى الطابق الثانى، وتشرف على جانب من الأرض قريب من بيت شامب بوليون وأيضا على مرمى البصر من الكوخ رقم واحد، الذى تديره أليسيا تشادويك ـ تلك الصريحة ذات الساق الواحدة. ووجد شين أن لديكورات القصر نكهة أوربية، وكلّ غرفة للضيوف ـ كما تبين له سريعاً ـ مجهّزة بحاسوب خاص وخط اتصال سريع بالإنترنت.

فى حوالى الساعة الثانية صباحاً رأى شين بعض الحركة بالقرب من منزل شامب. خيل له أنه نفس الفيزيائى الذى رآه يصعد العتبات إلى الباب الأمامى ثم يدلف إلى الداخل، لكن ضوء القمر كان ضعيفا فلم يمكنه التيقن من ذلك. ثمّ سمع شين ضوضاء أخذته بالكامل على حين غرة؛ ففتح نافذته ليتبين ما حدث.

رأى شين طائرة تقترب، ولم تكن طائرة عادية، بل طائرة نفاثة، ذات حجم كبير بالنظر إلى صوت المحركات. ومن مستوى الضوضاء خمن أنها تتهيأ للهبوط. مال بجسده خارج النافذة ولكنه لم ير شيئا، ولا حتى ومضة أنوار على خلفية هذه السماء السوداء. أرهف السمع لفترة أطول فسمع صوت محرّكات

الطائرة وهى ترتد عكسياً حتى تتوقف الطائرة بعد أن هبطت. ولكن، أين هبطت الطائرة؟ فى كامب بيرى؟ عند مخزن تسليح القوات البحرية؟ وما هى بحق الله تلك النفاثة الضخمة التى تهدر فى السماء من دون أضواء، ثم تهبط عبر النهر وفى منتصف الليل؟

استيقظ ثانيةً بعد قرابة الساعتين، وجلس عند النافذة. رأى حارسين يقفان عند المشى المغطى بالحصى، يتحدثان ويرتشفان القهوة. أمكنه حتى من مكانه بالأعلى أن يسمع الأصوات المتبادلة والتى ينقلها الأثير عبر ما يحملانه من أجهزة اتصال محمولة.

أيقن شين عند الساعة الخامسة أن النوم لن يعاوده ثانيةً، فاغتسل، وارتدى ثيابه، ثم هبط الدرج حاملاً حقيبة صغيرة على كتفه، وعند قاعة المدخل الواسعة المقبّبة اشتم رائحة القهوة والبيض واللحم البارد، تنبعث من غرفة الطعام.

تناول فطورًا وحمل كوب القهوة البلاستيكي معه، وتوقّف عند مكتب الأمن قرب البوابة الأمامية للقصر، وأظهر للحارس المناوب شارته، فأومأ الحارس السمين برأسه ولم يعقب وهو يتناول الشارة ليمررها عبر المجس الإلكترونى أعلى شاشة حاسوبه.

قال شين فى نفسه: "إنهم على ما يبدو يريدون معرفة مكان كل شخص وفى جميع الأوقات - بما فى ذلك المحقق الذى استأجروه بأنفسهم".

ثم سأل الحارس: "هل سمعت صوت الطائرة التى وصلت فى وقت سابق؟".

لم يجبه الرجل، وأعاد لشين بطاقته ببساطة وعاد لينظر إلى شاشة حاسوبه.

فلم يسع شين سوى أن يتمتم وهو يتجه للخارج: "حتى أنت أيضاً".

لم تكن الشمس قد أشرقت بعد عندما وقف شين يفكر فى خطوته التالية. لقد كانت أليسيا مخطئة؛ فهو لا يعمل فقط من أجل المال، بل هو عاقد العزم على أن يكتشف ما حدث لمونك تورينج؛ فمن حق كل طفل أن يعرف ما حدث لأبويه، ولابد لكل قاتل أن يلقى عقابه.

لقد غادر مونك البلاد قبل ثمانية أو تسعة أشهر. فأين ذهب يا ترى؟ سيبين جواز سفره مقصده هذا إذا كان قد استعمل القنوات الطبيعية للسفر إلى خارج البلاد؛ ولكن ماذا لو أنه قد سافر تحت اسم مزيف أو عن طريق طائرة تتبع بلدًا آخر؟ وهل كان جاسوساً؟ هل سافر للخارج لتسريب أسرار بابيج تاون لبلاد أخرى راغبة فى دفع كل ما يطلبه لقاء هذه المعلومات؟

استنشق نسائم الهواء النقى، المجرد من أدخنة واشنطن السامة، وأنصت للحظات لصوت انطلاق أقدام من عند الغابة القريبة. ربما كانت السناجب والأيائل؛ فأصوات حركة البشر مختلفة جداً عن هذا. لقد تم تدريب شين من قبل على استنتاج الدافع من وراء حركات أى إنسان، والحقيقة أنه لم يكن بالتدريب الصعب؛ فأكثر الناس يعجزون عن إخفاء دوافع حركاتهم، ولو من أجل إنقاذ حياتهم، فلو كان هذا ممكناً، لكان أربعة رؤساء أمريكيون آخرون، على الأقل، قد اغتيلوا.

كان لدى شين أصدقاء فى فرقة إنقاذ الرهائن بمكتب التحقيقات الفيدرالى ممن تدربوا فى كامب بيرى مع الوحدات شبه العسكرية بوكالة المخابرات المركزية، وقد قامت هذه الوحدات بمهام فى مختلف دول العالم، ولا أحد فى وكالة المخابرات المركزية أو غيرها يمكنه أن يفصح عن طبيعة هذه المهام، ومن المؤكد أن شين لم يرد الاصطدام بهم هنا؛ لكن هل هذا هو ما حاوله تورينج؟

تابع شين السير، حتى وصل إلى منزل لين ريفيست. كان الوقت لا يزال مبكراً جداً وهو يعلم أن ريفيست قد أفرط تماماً فى

تناول الشراب ليلة أمس، فرأى أن يترك الرجل لينام مزيدًا من الوقت. ألقى بكوب قهوته فى صندوق القمامة، ومر على مكتب الأمن وبناية عريضة ذات طابق واحد بدت أشبه بالمرآب، ثم انعطف لليسار حيث وجد لافتة كتب فوقها: "المرفأ"، وكانت تشير نحو طريق مغطى بالحصى، ولما سار فيه شين سرعان ما وجد نفسه وسط أشجار الغابة.

مرت عشرون دقيقة قبل أن يتناقص عدد الأشجار من حوله، ويصل إلى حيث نهر يورك والمرفأ الخاص ببابيج، والذى يقع عند لسان ممتد داخل النهر العريض، والهادئ، والعميق. كان اللسان مسطحاً، وطويلاً، ومصنوعاً من خشب الأرز المصبوغ باللون الأصفر، به عدد من الأحواض المخصصة للقوارب، ولكل حوض باب. حاول فتح الباب المفضى إلى المرفأ إلا أنه كان مغلقاً، فنظر من خلال إحدى النوافذ فرأى عددًا من القوارب ذات أشكال مختلفة؛ فسار نحو حوض عائم ملحق بالمرفأ ولاحظ عدّة زوارق كاياك مكدّسة على حامل، بالإضافة إلى قاربين من ذوات البدالات، راسيين عند المرابط. لاحظ أن واحداً من أحواض مرسى القوارب المغطاة كان مفتوحاً، وعند رافعة كهربية وجد أن هناك ثلاث دراجات بخارية مائية من طراز (سى دو)، وجميعها مغطى؛ فلو كان مونك قد استعمل إحداها للوصول إلى كامب بيرى، فمن أعادها إلى هنا؟ فحسب علمه أن الموتى لا يجيدون الإبحار.

كانت الشمس قد بدأت تشرق الآن، لتلقى بخيوط الضوء على سطح المياه الساكن، فأخرج شين منظاره من حقيبته. كان ضوء الشمس يومض على أطراف سياج الأسلاك الشائكة عند الجانب الآخر لنهر يورك. تمشّى شين نحو حافة النهر، ووقف عند حافة الشاطئ الرملية، وأخذ يمسح بنظره الأرض على الناحية الأخرى من النهر، فلم ير أياً مما يمكن أن يسترعى الانتباه. كان هناك زوج ميت من السرطان البحرى طافياً فوق الماء، بينما

ارتفعت عوامات الإرشاد من أعماق نهر يورك، وحلق طائر مالك الحزين على ارتفاع منخفض وهو يبحث عن إفطاره فى المنطقة الضحلة من المياه.

كان شين يتساءل عن طبيعة ومكان ذلك المدرج الذى يسمح بهبوط طائرة نفاثة كبيرة، وحينما نظر يساره رآه: فهناك مساحة خالية فى صف الأشجار تكشف عن مسار عشبى عريض. *لابد أن المدرج يبدأ مباشرة بعد ذلك العشب*، هكذا قال شين لنفسه.

وعلى مسافة أبعد إلى اليسار من مكانه، كانت أذرع رافعة طويلة تمتد نحو السماء. استنتج أن رجال البحرية ينشئون ملحقاً لمعسكرهم فى شيتام آنكس. كان قد شاهد وهو فى طريقه إلى بابيج تاون مدمرة رمادية اللون بجانب أحد الأرصفة أمام محطة تسليح القوات البحرية. كانت هذه المنطقة حيوية أثناء وجود الجيش، ثم أحس شين أنه، ولسبب ما، لم يشعر بالارتياح تجاه هذه الحقيقة.

سقط فرع صغير من الشجرة ليرتطم برأسه. سقط شين على الأرض، ليس لأن ذلك الفرع آذاه، لكن لأن شيئًا آخر كاد بالفعل أن يؤذيه. لابد أن تلك الرصاصة قد خرجت من بندقية بعيدة المدى. كانت الرصاصة هى التى أصابت الغصن فسقط على رأسه، وألقى بجسده فوق عشب النهر الطويل. من هو هذا الذى أطلق عليه النار بحقّ الله؟ أمكن له وبعد دقيقة أن يلقى نظرة خاطفة، مسح بها سطح النهر. لابد أن الطلقة قد أتت من هناك. والآن صار السؤال واضحاً. هل قصد صاحب الرصاصة أن يرهبه فقط حتى يبتعد، أم أنه كان يقصد بالفعل أن يصيب رأس شين؟

وسرعان ما أتته الإجابة على صورة رصاصة ثانية مرقت تدوى فوق رأسه؛ إن ذلك الشخص يحاول بالفعل أن يقتله.

انبطح وسط الأتربة والرمال، وهو يسطح جسده على الأرض بقدر ما أمكنه، ثم انتظر لدقيقتين، وحينما لم تنطلق طلقة

أخرى نحوه بدأ يقبض على العشب القصير ويدفع جسده للخلف، وكأنه أفعى تتحرك فى سرعة ـ ولكن للوراء. وصل إلى رقعة من العشب الطويل، وبعدها إلى صف الأشجار، وما إن صار وراء شجرة بلوط سميكة، حتى وقف وبدأ يركض فى مسار متعرج بين الأشجار عائداً إلى بابيج تاون.

وما إن وصل إلى الطرق الممهدة، حتى أخذ يركض نحو منزل ريفيست. لم يجب ريفيست طرقاته على الباب، لذا قرر شين أن يفتح الباب ليدخل.

وأخذ ينادى "لين... لين! هناك من أطلق النار علىّ".

لم يكن هناك أحد بالطابق الأرضى، فركض صاعداً الدرج، قافزاً درجتين فى الخطوة الواحدة، وفتح أول باب صادفه وتوقف وهو يلهث.

فقد كان يرى أمامه جثة لين ريفيست، ترقد عارية داخل حوض الاستحمام، وعيناه تحدقان النظر فى سقف الحمام باهت الزرقة.

الفصل

٢١

كان هوراشيو بارنز جالساً إلى مكتبه ينظر إلى خريطة تبين تفاصيل تلك البلدة الصغيرة فى ولاية تينيسى؛ حيث عاشت ميشيل عندما كانت فى السادسة من عمرها.

عرف هوراشيو من بيل ماكسويل أن ميشيل كانت أصغر سناً بكثير من شقيقها الذى سبقها إلى الحياة. خطر لهوراشيو أن والديها لم يكونا يخططان لإنجاب ميشيل، وهو الأمر الذى يمكن أن يؤثر على طفولتها، وهو أمر معلوم.

لقد نجح هوراشيو فى التوصل إلى بضعة خيوط وتحصل على بعض المعلومات من ملف خدمتها فى الخدمة السرية. كان يضم كل الصفات التى أيقن من أنها تمتلكها: هوس بالسيطرة، الشدة على مرءوسيها، القسوة مع النفس، لا يمكن إغراؤها بالمال أو السلطة، عادلة ـ أى كل مميزات العميل الفيدرالى المثالى . وقد نجحت عند مرحلة معينة من حياتها المهنية فى أن تتخلص أو على الأقل أن تقلل من حجم مخاوفها، وعدم ثقتها فى الآخرين، مع أن العميلين اللذين تكلم معهما عن ميشيل أخبراه بتعليقات متطابقة إلى حد كبير، فكلاهما قال بأنه قد يأتمنها على حياته، لكنّهما لم ينجحا فى التعرف على دواخل شخصيتها بعيداً عن

العلاقة المهنية، ولقد بقى ذلك يشكل لغزاً وعلامة استفهام ضخمة بالنسبة لكليهما.

طبيعى أنه تعامل مع مرضى من مثل نوعية ميشيل من قبل، وكان صادق النية فى مساعدتهم جميعاً، لكنه يشعر مع ميشيل بوجود حافز إضافي ليعيدها كما كانت؛ ربما كان ذلك لأنها خاطرت بحياتها لأجل بلادها، أو لكونها الصديقة الأقرب لقلب شين كينج، وهو رجل من بين عدد قليل من الرجال الذين يحترمهم، أو ربما لأنه أحس فى داخلها بوجود جرح شديد العمق لدرجة أنه يتمنى لو ساعدها على أن تمحوه، إن أمكنها ذلك.

إلا أن سبباً آخر كان هناك، سببًا لم يبح به لأى من شين أو ميشيل؛ فالأشخاص يقدمون على محاولة الانتحار، ومهما كانت محاولتهم الأولى متسرعة فى بادئ الأمر، فغالباً ما يتمكنون من بلوغ مقصدهم ولو فى المحاولة الثالثة أو الرابعة أو حتى السادسة، وفى النهاية النتيجة واحدة؛ طبيب شرعى يتفحص بقاياهم فوق منضدة المشرحة، وهو لن يسمح بحدوث هذا لميشيل ماكسويل. أمامه إجازة مدتها أسبوع، وكان يخطط للطيران إلى كاليفورنيا لممارسة الغوص مع بعض أصدقائه، إلا أنه وبدلا من ذلك، دخل إلى شبكة الإنترنت واشترى تذكرة طائرة إلى ناشفيل.

الفصل
٢٢

سمعت ميشيل وقع الأقدام ثانيةً فى تمام الواحدة ليلا، فنهضت وانسلت إلى خارج الباب. صار لديها الآن الحافز لاكتشاف نوايا بارى الذى صار اختلاس النظر عادةً لديه. دعت ربها أن ينطوى الأمر على جريمة على الأقل. توجهت نحو القاعة المظلمة، وهى تقيس سرعة الخطوات التى يتردد صداها أمامها. وصلت إلى نهاية الممر، وألقت نظرة عند الركن. كان هناك ضوء عند نهاية القاعة، فتقدمت قليلا للأمام حتى تتمكن من أن ترى مصدره. كانت الصيدلية. شخص ما هناك بالداخل، وحينما اقترب الرجل من النافذة الزجاجية فى الباب، تبين لها أنه ليس بارى، بل كان الرجل ضئيل الجسد الذى رأته فى الصيدلية فى وقت سابق. قالت لنفسها: الوقت متأخر جداً على توزيع الأدوية.

بينما وقفت تراقب، ظهر شخص آخر بالقرب من باب الصيدلية. كان بارى، الذى كان ينظر حوله بحذر، ومن ثم دلف للداخل، وأغلق الباب خلفه. انسلت ميشيل للأمام بقدر ما سمحت لها جسارتها لكى تلقى نظرة أفضل، وعندها فقط ثارت تساؤلاتها: ما الذى أتى ببارى إلى هنا فى هذه الساعة؟ فقد كانت نوبته نهارية، وقد لاحظت ميشيل فى أثناء إقامتها هنا

أن الموظفين يعملون فى نوبات مدة كل منها اثنتا عشرة ساعة، ويتم التبديل عند الثامنة صباحاً ومساءً. إذن فبارى فى راحة منذ خمس ساعات. فهل هو موظف مجتهد لدرجة أن يعمل لساعات إضافية؟

سمعته ميشيل من قبل أن ترى أى شيء؛ كان صريراً طفيفاً لمطاط على مشمع الأرضية. ظنت فى البداية أنه صوت حذاء رياضى من النوعية التى ترتديها الممرضات هنا. إلا أنها رأت ذلك الكرسى المتحرك الذى تعرفه جيداً. كانت ساندى، وفى كامل ثيابها، ويداها تدفعان الكرسى فى كفاءة عبر القاعة.

ثمّ توقفت تراقب المكان، وهى تنظر نحو باب الصيدلية. تراجعت ميشيل بسرعة بينما كانت ساندى تتلفت برأسها فى المكان ونظرت إلى حيث كانت تقف ميشيل منذ لحظة. وبعد لحظات وعندما تجاسرت ميشيل على أن تعاود النظر، وجدت ساندى قد اختفت، وبعد بضع دقائق كان بارى والرجل الآخر قد فارقا الصيدلية، وقام هذا الأخير بإغلاق الباب بإحكام. ولحسن حظ ميشيل أنهما قد ابتعدا فى الاتجاه المعاكس. وحالما خفت صوت خطواتهما، تقدّمت وشقت طريقها محاذرةً نحو الصيدلية. أما ما حيرها فهو أن كلا الرجلين قد غادر الصيدلية خالى الوفاض.

ما الذى كان يحدث هنا؟

عندها حولت انتباهها نحو القاعة الأخرى، نحو غرفة ساندى. سارت فى صمت على طول الممر، تقترب بخطوات لا تكاد تسمع وهى ملتصقة بالحائط، حتى وصلت إلى غرفة ساندى. كانت الغرفة مظلمة، فنظرت عبر الزجاج وبالكاد رأت ساندى وهى راقدة فى الفراش. كان من الواضح أن المرأة تتظاهر بأنها نائمة، ولكن، ما الذى قصدته من مراقبة الصيدلية؟ هل كانت ساندى تلعب دوراً فى الخطة التى ينفذها بارى؟ لم تكن ميشيل تريد أن تصدق هذا؛ لكنها عجزت عن استبعاد هذا الاحتمال.

سارعت ميشيل بالعودة فى خفة إلى غرفتها؛ حيث لم يراودها النوم بسهولة، بل بقيت مسهدة لعدة ساعات، وعقلها يلهث ملاحقاً النظريات المحتملة والتى يمكن أن توضح ما رأته، وكان كل احتمال منها أبعد عن المنطق من سابقه.

استيقظت مبكراً، وهبطت لتناول الفطور، وبعدها حضرت جلسة جماعية أخرى كان هوراشيو قد رتبها من أجلها، ثمّ كان عليها حضور الجلسة الثنائية مع المعالج النفسى. وبعد انتهائها، توجهت من فورها لغرفة ساندى فوجدتها هناك مع أناس آخرين.

بادرت ميشيل قائلة: "ما الخطب؟". كان هناك طبيب، وممرضتان وحارس أمن، مجتمعين حول فراش ساندى؛ حيث كانت المرأة راقدة تتلوى من الألم؛ فقالت لها إحدى الممرضات: "رجاءً، عودى إلى غرفتك الآن".

بينما خطا الحارس نحوها، ماداً يديه للأمام، قائلاً: "الآن".

دارت ميشيل على عقبيها، لكنها لم تذهب بعيداً.

نالت بعد دقائق قليلة جزاء سهرها حينما غادرت هذه المجموعة غرفة ساندى مارةً إلى جوارها. كان جسد ساندى موصولاً بالمحاليل التى تنتهى أنابيبها عند ذراعها. بدت نائمة الآن. كانت حاسة ميشيل الأمنية فى أوجها، فواصلت النظر على امتداد ذراع المرأة وحتى يديها، إلا أن ما رأته أربكها؛ فقد كانت ساندى شديدة الاهتمام بمظهرها.

انتظرت ميشيل حتى ابتعدوا، وبعد ذلك اندفعت إلى غرفة ساندى وأغلقت الباب من ورائها. أحست بشيء من الذنب بسبب استغلالها مرض ساندى حتى تفتش غرفتها، لكنه كان إحساسًا عابرًا.

لم تستغرق مدةً طوّيلة لأن المرأة لم تكن قد جلبت معها سوى القليل من المتعلقات الشخصية، إلا أن الشيء الوحيد الذى لم تجده هو ما حير ميشيل؛ فليست هناك أية صور للعائلة أو

الأصدقاء؛ ولكن ميشيل تذكرت أنها هى نفسها لم تجلب أياً من هذا معها؛ ولكن الوله الذى تحدثت به ساندى عن زوجها الراحل، هو ما دفع ميشيل إلى الاعتقاد بأنها ستجد على الأقل ولو صورة واحدة للرجل، وربما لم ترغب فى وجود ما يذكرها بالطريقة الشنيعة التى انتهت بها علاقتهما.

أمعنت النظر فى أرجاء الغرفة حتى استقر نظرها على باقة ورد، تفحصت المنضدة التى كانت الباقة فوقها، وهى تتتبّع بإصبعها طبقة الغبار الرقيقة. توجهت نظراتها نحو الأرضية؛ حيث رأت بقعًا من الطين. ذلك هو الذى حيّرها فى يدى ساندى؛ فقد كان هناك بقع عليها أيضاً. كما لو أنها قد...

سارعت ميشيل بالركض عبر الغرفة وألصقت جسدها بالجدار جوار الباب. كان هناك شخص قادم، وانفتح الباب ببطء. فانحنت ميشيل بجسدها بعيدًا عن الفتحة الزجاجية بالباب حتى لا يراها من خلاله.

بينما دلف الرجل وسار نحو الفراش، انسلت ميشيل فى صمت عبر الباب وخرجت. تطلعت خلفها لترى بارى وهو يتقدّم نحو سرير ساندى؛ فهرعت عبر القاعة ومنها إلى مركز الممرضات.

صاحت فى الممرضة المناوبة: "لقد رأيت للتو شخصاً يتسلل إلى غرفة ساندى، وأنا لا أعتقد أن من المفترض أن يكون هناك؛ فساندى متعبة". فنهضت الممرضة من فورها وركضت عبر القاعة.

عادت ميشيل مسرعة إلى غرفتها وفى طريقها كادت تصطدم بشيريل، والتى كانت خارجة من الغرفة والماصة فى فمها. لم تكن ميشيل تريد أن تكون وحدها الآن، فى حال أتى بارى لينتقم منها جراء كشفها أمره. لم يمكن لميشيل أن تعتمد على الممرضة فى ألا تكشف عن هويتها وعن أنها هى من أبلغت عنه، بل ربما كانت هذه الممرضة الآن فى غاية الغضب منها لأنها دفعتها لأن

تسرع إلى غرفة ساندى لتجد بارى هناك، فكما قال لها الوغد، فهو يتجول فى كل مكان وفى أى وقت وكما يشاء.

"هاى، شيريل، ألا تودين أن نتحدث؟".

فتوقفت شيريل عن امتصاص الماصة مؤقتاً، ونظرت إلى ميشيل كما لو كانت تراها للمرة الأولى.

بدأت ميشيل الكلام بسرعة: "أعنى أنّنا شركاء بالغرفة ومع هذا فلم نتعرف جيداً على بعضنا البعض، وأعتقد أن هناك قسمًا فى دليل المرضى يقول بأن علينا أن نحاول توطيد أواصر الصداقة بيننا، كشكل من أشكال العلاج. إنه نوع من الفضفضة بين الفتيات".

كان من الواضح أن دعوة ميشيل ليست سوى كذب؛ حتى إن شيريل تجاهلتها ببساطة وهى تزيد من امتصاصها للماصة. انسلت ميشيل إلى داخل الغرفة واستندت بجسدها على الباب.

مرت عشرون دقيقة ولم يظهر بارى. لم تكن خائفة من الرجل لفوارق جسدية؛ فقد سبق وصدته بكل شراسة وردت له الصاع صاعين؛ لكنّه قادر على أن يؤذيها بطريقة أخرى، بأن يثير العديد من الادعاءات الكاذبة ضدها، أو قد يدس بعض الأدوية المسروقة فى فراشها، ولو صدقه الجميع فما الذى يحدث؟ هل ستبقى أسيرة هذا المكان ضد رغبتها؟ هل ستدخل السجن؟

سقط قلبها بين أضلاعها بينما خيمت كآبة مروعة على نفسها. شين، أرجوك أن تأتي وتنقذنى من هذا المكان. أرجوك. عندها ظهر لها ما كان واضحا؛ فهى هنا بإرادتها، وهى من دخلت بنفسها، وبوسعها أن تخرج من المكان بنفسها. بوسعها أن تخرج الآن، ويمكنها أن تذهب إلى الشقة التى هيأها شين لهما؛ لتبقى بها ليوم وبعدها تلتحق به، وربما كان هو نفسه بحاجة إلى مساعدتها الآن.

دائما ما كان يحتاج إليها شين فى قضية ما.

وهكذا اندفعت عبر الباب بسرعة؛ حتى إنها كادت تصطدم بالمرضة الواقفة بالخارج.

نظرت إليها ميشيل، ثم تراجعت للخلف خطوات، قائلة:

"ما الأمر؟".

"ميشيل، إن ساندى تريد رؤيتك".

"وهل هى بخير؟".

"حالتها استقرت، وتود التحدث معك".

"هل أصابها مكروه؟".

"أخشى أننى لن أستطيع التحدث معك عنها".

"بالطبع لا تستطيعين" ، هكذا تمتمت ميشيل متبرمة وهى تتبعها عبر المدخل، إلا أنها أسرعت الخطى بغتة؛ فقد صارت راغبة فى أن ترى ساندى - بل تتوق إلى رؤيتها فى هذه اللحظة!

الفصل

٢٣

قاد هوراشيو بارنز سيارته المستأجرة خارجاً من مطار ناشفيل، وبعد ساعة كان فى تينيس، يبحث عن تلك البلدة الصغيرة حيث عاشت ميشيل ماكسويل حينما كانت فى السادسة من عمرها، وقد عثر عليها بعد عدّة محاولات خاطئة. وصل إلى مركز البلدة الصغير المتهدم، وتوقّف عند مخزن للمعدّات ليسأل عن الطريق، ثم انطلق بسيارته خارجا من البلدة نحو الجنوب الغربى. كان يتصبب عرقا؛ فعلى ما يبدو أن قيمة إيجار السيارة لم تكن تكفى لاستئجار سيارة ذات جهاز تكييف غير صالح للاستخدام.

من الواضح أن هذه لم تكن أفضل أيام الحى الذى عاشت فيه ميشيل. كانت البيوت قديمة وخربة، وأفنيتها لا تجد من يعتنى بها. تفحص أرقام المنازل المطبوعة على صناديق البريد حتى وجده. كان منزل آل ماكسويل مطلا على الشارع، وأمامه ساحة واسعة، تميزها شجرة بلوط تحتضر، وعند أحد أطرافها تعلق حبل مهترئ فى نهايته إطار سيارة قديم. وفى الساحة الجانبية قبعت فوق الطوب الصخرى شاحنة فورد موديل الستينات، ورأى جذوع الأشجار الميتة، والتى بدت وكأنها بقايا سياج كان يحيط بالجهة الأمامية للمنزل.

كان الطلاء على الجدران متقشراً، وقد سقط زجاج نافذة الباب الأمامي فوق العتبات. لم يستطع هوراشيو أن يتبين ما إذا كان المكان مأهولاً أم لا، ومن خلال نظرته للمنزل بدا كأنه بيت ريفي قديم، ومن المفترض أن الملاك الأصليين قد باعوا الأرض لمقاول وبعدها تنامى الحى من حولها.

تساءل عن شعور فتاة تتربى فى مثل هذا المكان مع أبويها فقط، وقد دخل الأبناء المحبوبون فى طور الرجولة. تساءل هوراشيو أيضاً عما إذا كان الأبوان لم يخططا من الأصل لإنجاب ميشيل؛ فهل كان لذلك تأثير على الكيفية التى ربيا بها ابنتهما التى ولدت دون تخطيط أو رغبة منهما؟ يعرف هوراشيو وعن تجربة أن كلا الاحتمالين وارد؛ فأى احتمال كان يا ميشيل؟

أوقف سيارته عند حافة الأرض الحصباء، وترجل منها وأخذ يتطلع حوله، ماسحاً العرق عن وجهه بمنديله. على ما يبدو أن هذا المكان يخلو من أية دوريات للشرطة؛ فلا أحد يبدو مهتماً حتى بوجوده، ومن المحتمل أن هذا المكان لا يحوى شيئاً يستحق السرقة.

سار هوراشيو على الممشى المغطى بالحصى، وجزء منه يتوجس خيفةً من أن يحوى المكان كلب صيد عجوزًا يخرج متثاقلاً من عند الركن، بأسنان لا تبحث سوى عن ساق سمينة لتنقض عليها. على أنه لم يصادف حيوانًا أو إنسانًا ليحييه أو حتى ليهاجمه. وصل إلى الشرفة الأمامية، ونظر خلال نافذة الباب الأمامى المتهشم؛ فوجد المكان مهجورًا، ولو كان غير ذلك فلابد أن سكانه الحاليين يضعون معياراً جديداً للزهد.

إلا أنه سمع من يسأله فى صرامة: "هل من مساعدة؟".

التفت هوراشيو فى سرعة ليرى امرأة تقف هناك عند نهاية الممشى. كانت شابة ممتلئة وقصيرة، ترتدى ثوباً صيفياً خفيفاً ذا حمالتين رفيعتين عند الكتفين، وتحمل طفلاً رضيعاً سميناً،

تسنده إلى جانبها الأيسر. شعرها داكن اللون مجعّد، يلتصق برأسها فى ظل هذه الرطوبة وكأنه قبعة.

مشى نحوها قائلاً: "أتمنى بالفعل لو ساعدتنى؛ فأنا أحاول أن أعرف ما حل بسكان هذا البيت".

حدّقت فى ما وراءه وهى تقول: "أتقصد هؤلاء العالة أم متعاطى المخدرات أم العاهرات؟".

تتبع نظراتها وهو يقول: "أوه، هل تلك هى الكلمات المستعملة هذه الأيام؟".

"كم أدعو الله أن ينزل غضبه على المذنبين".

"أفترض إذن أن هؤلاء المذنبين لا يحضرون نهاراً، فقط فى أثناء الليل".

"حسنًا، لا يوجد قانون يقول بأن علينا أن نختبئ فى فراشنا عندما يحل الظلام، لذا فنحن عندما نرى الشر، نقول إنه الشر ولا نخاف".

"حسنًا، أنا حقاً آسف على ذلك؛ لكنّى لم أكن أتحدّث عن الـ... عن الشر، بل كنت أتحدّث عن عائلة اسمها عائلة ماكسويل؛ عاشوا هنا قبل حوالى ثلاثين سنة؟".

"نحن هنا منذ خمسة أعوام فقط؛ لذا فلا علم لى، أليس كذلك؟".

"وهل هناك من يعرف؟".

أشارت بإصبعها المكتنز إلى البيت الريفى قائلة: "لا أحد يود البقاء هنا لفترة طويلة، بسبب ذلك الشر". أصاب الفواق طفلها الرضيع وسال لعابه من فمه، فمسحته بقطعة قماش سحبتها من جيبها. ناولها هوراشيو بطاقته وهو يقول: "حسناً، إذا خطر لكِ أن تخبرينى عن شخص بوسعه مساعدتى؛ فيمكنك أن تتصلى بى على هذا الرقم".

تأملت البطاقة: "طبيب نفسى؟".

"شىء من هذا القبيل".

"من واشنطن؟"، قالت الكلمة بنبرة اشمئزاز ظاهر، ثم أضافت: "لكننا هنا فى تينيسى".

"لدى مهمة هنا".

"ولماذا تريد أن تعرف عن عائلة ماكسويل تلك؟".

"الأمر سرى، لكن بمقدورى أن أخبرك بأن الأمر يتعلق بمساعدة أحد مرضاى".

"أيهمك أمره؟".

"ظننت أنكِ لم تعرفيهم".

"أعرف شخصًا قد يعرفهم. إنها جدتى. منحتنا هذا البيت عندما دخلت دار المسنين، لقد عاشت به، ربما لأربعين سنة على الأقل. تباً، لقد دفنوا جدى فى الفناء الخلفى".

"هذا لطيف".

"العشب ينمو جيداً وأكثر بكثير فى تلك البقعة التى دفن فيها، أؤكد لك هذا".

"أنا متأكّد من هذا. إذن فجدتك فى دار للمسنين؛ أهى قريبة من هنا؟".

"إنها دار حكومية، تبعد حوالى الساعة من هنا. لم تكن لتتحمل الإقامة فى دار خاصة. لهذا أعطتنا بيتها؛ حتى تتمكن من الحصول على مساعدة من الحكومة. تعرف، لقد فعلت هذا حتى لا يعرفوا بأنها تمتلك ثروة".

"من قبيل أصول عقارية يمكن منها توفير أتعاب رعايتها؟".

"هذا صحيح؛ فالحكومة لا تترك أحداً وشأنه، ويصل بنا الأمر إلى العراك للحصول على حقنا. انتظر لبضع سنوات وستجد أن المكسيكيين هم المسيطرون على هذه المنطقة الملعونة بأكملها"، ثم نظرت إلى السماء وقالت: "يا إلهى، اقبض روحى قبل أن يحدث هذا".

"توخى الحذر عند الدعاء. هل تعتقدين بأنها ستقبل التحدث معى؟".

"ربّما؛ فهى متقلبة المزاج. أحاول أن أذهب لرؤيتها، لكن ماذا أفعل مع هذا الطفل الرضيع، والمزيد من الأطفال فى المدرسة، كما أن الوقود ليس بالشىء الرخيص، أليس كذلك؟" كانت تنظر إليه عن كثبٍ وهى تضيف: "كم تساوى لك هذه المعلومات إذن؟".

"حسنا، يعتمد هذا على ما ستخبرنى به". تأملها هوراشيو للحظات ثم أضاف: "لنقل إننى لو وجدت المعلومات تستحق فسأدفع لها مائة دولار".

"تدفع لها! إنها لن تنتفع بأية أموال، بل عنيت أن تدفع لى أنا".

ابتسم هوراشيو: "موافق، سأدفع لك أنتِ؛ فهل بالإمكان أن ترتبى لى رؤيتها؟".

"حسنا، أرى أننا توصلنا إلى اتفاق، وأنا سأذهب معك. فلا أريد أن تغادر البلدة دون أن تتذكر اتفاقنا".

"متى نذهب؟".

"زوجى يعود إلى البيت فى السادسة، وعندها يمكننا أن نذهب. وحسب الطريق سنصل إلى هناك بعد العشاء؛ فكبار السن لا يحبون أن يقطع عليهم أحد وقت طعامهم".

"اتفقنا. ما اسم جدتك واسم دار المسنين؟".

"وهل أبدو غبية إلى هذا الحد؟ يمكنك أن تتبعنى بسيارتك، وسأقودك أنا إلى غرفتها".

"لا بأس. قلت لى إنها متقلبة المزاج؛ فما الذى يعنيه ذلك بالضبط؟".

"يعنى أنها قد تفقد عقلها أحياناً؛ فهى من تلك النوعية المنكوبة".

تنبه هوراشيو لهذه الملاحظة، وأصابه القلق من أن تكون هذه الشابة بدورها معتوهة، إلا أنه فهم أخيراً ما تعنيه، فقال: "أتقصدين أنها تعانى من الخرف؟".

"ذلك ما قصدته؛ لذا عليك أن تعتمد على حظك اليوم".

"حسناً، شكراً لمساعدتك هذه، يا...".

"ليندا سو بوكانان. أصدقائي يدعونني ليندى، لكنك لست صديقي، لذا عليك فقط أن تناديني ليندا".

"ناديني هوراشيو".

"يا له من اسم غريب!".

"حسناً، أنا رجل غريب الأطوار بالفعل. أراكِ هنا في الساعة السادسة، وبالمناسبة يا ليندا، فقد تقيأ محبوبك الصغير على حذائك للتو"، وهكذا تركها وهي تجر قدمها جراً عبر العشب وهي متضايقة.

الفصل

٢٤

كانت ساندي تجلس إلى الفراش وقد بدت في حال أفضل. تركتهما المرضة وحدهما، فاقتربت ميشيل من الفراش وتناولت يد ساندي بين يديها.

سألتها ميشيل: "أخبريني، ما الذى حدث لكِ بحق الله؟".

ابتسمت ساندى وهى تشيح بيدها الأخرى، مع أن يدها التى بين يدى ميشيل كانت تختلج قليلاً في ذات اللحظة وقالت: "أوه، حلوتي، هذا أمر يحدث لي من حين لآخر. لا شيء يستدعي القلق؛ فقد تعثرت وسقطت أرضاً وبعدها لم أدر شيئًا. والآن وبعد تلك المحاليل صرت في أحسن حال كما ترين".

"أمتأكدة أنت من أنك بخير؟".

"بالتأكيد".

"لقد ظننت أنك تعانين من نوبة أو شيء من هذا القبيل".

"أعتقد أنكِ قد أدركت الآن سبب عدم نجاحي في الاستمرار في أى عمل، وأعتقد أنني لو كنت أعمل في قيادة الطائرات لكانت كارثة، أليس كذلك؟". أخذت تحاكي ما يقوم به الطيار داخل قمرة القيادة وتقول: "أيتها السيدات والسادة، هذا الكابتن يتحدث. نحن نوشك على الإقلاع في طريقنا إلى الجحيم، أما الشخص الذى يقود هذه الطائرة فهو - ومن دون كل الناس - أنا!

فتشبثوا بمقاعدكم، أيها الأوغاد، بينما أحاول التحكم في هذه الطائرة اللعينة". ثم أطلقت ضحكة واهنة وتخلت عن يد ميشيل.

"أنا آسفة يا ساندى، آسفة حقاً".

"هذه هى الحياة وأنا قانعة بذلك".

ترددت ميشيل، قبل أن تقول لها: "لقد توجهت إلى غرفتك بعد أن أخذوك. لم أعلم سبباً لذلك، إلا أن من المحتمل أننى كنت مذعورة مما حدث. إلا أننى سمعت صوت شخص آخر يقترب، فاختبأت وراء الباب ووجدت أنه بارى وقد دلف إلى الداخل".

عندها اعتدلت ساندى قليلا فى جلستها وقالت: "وهل رآك؟".

"كلا؛ فلقد تسللت للخارج، إلا أننى سارعت بإخبار كبيرة المرضات، وأعتقد أنه الآن يخطط للانتقام منى".

تراجعت ساندى بظهرها للوراء وقالت: "وما الذى يريده من غرفتى؟".

هزت ميشيل كتفيها فى حيرة وردت: "ربما كان يريد أن يتعرف على سبب كل تلك الجلبة، أو ربما انتوى أن يسرق كل ما له قيمة؛ مما لا يمكن تبين اختفائه إلا بعد فترة".

جاوبتها ساندى ساخرة: "أتمنى إذن لو أمكنه أن يبذل المزيد من الجهد حتى يعثر على بنكى الذى أحتفظ فيه بمجوهراتى كلها؛ فأنا لا أحضر أياً من تلك الأشياء إلى مثل هذه الأماكن، فهى ستسرق فى الغالب".

"تفكير صائب".

حاولت ساندى أن تعتدل أكثر فى جلستها، إلا أن ميشيل سارعت إلى مساعدتها، فرفعت الغطاء لأعلى؛ لتكشف عن ساقى ساندى، ثم رفعت المرأة من خاصرتها حتى أسندت ظهرها إلى الوسادة، ثم أعادت الغطاء على ساقيها.

علقت ساندى قائلة: "أنتِ قوية".

"وأنتِ لا تنقصك العضلات أيضاً".

تنهدت ساندى وهى تقول: "قد يصح هذا بالنسبة لنصف جسدى العلوى. إلا أن ساقىّ فى نحافة ووهن الإسباجيتى" ثم تنهدت وقالت: "كان لابد أن ترى ساقىّ قبل الحادثة ... كانت أشبه بسيقان لاعبات التنس".

ابتسمت ميشيل قائلة: "بالتأكيد". كانت ساقا ساندى واهيتين بالفعل، وهذا هو الذى دفع ميشيل إلى رفع الغطاء. لقد أرادت أن تتيقن من أن ساندى عاجزة حقا؛ فقد كان حدسها يلح عليها أن هناك شيئًا غير منطقى فيما يتعلق بساندى.

"هذا كل ما يتاح لنا أن نفعله هنا، ألا نتوقف عن التفكير؟".

بعد ساعة كانت ميشيل تشارك فى جلسة جماعية أخرى كان هوراشيو قد ألحقها بها.

سألت ميشيل واحدة من المرضات: "متى يصلنا طبيبنا ذو الدراجة البخارية إذن؟".

"من؟".

"هوراشيو بارنز!".

"أوه، لم يبلغنا بشىء. إلا أن لديه زميلاً ينوب عنه، وهو ماهر فى مجاله".

"هنيئاً له".

كانت ميشيل عائدة من الجلسة، وتنعطف عند أحد الأركان، حينما كادت تصطدم ببارى القادم من الجهة المقابلة.

همت بالابتعاد، حينما قال: "كيف حال صديقتك ساندى؟".

أدركت أن عليها ألا تسايره، إلا أن هاجساً داخلها أجبرها على أن ترد على سؤاله، فقالت: "بخير حال. وهل وجدت فى غرفتها ما يستحق السرقة؟".

"إذن فأنت إذن من أبلغ عنى المرضة".

"هل أخذت كل هذا الوقت حتى تعرف؟ يا لك من مغفل!".

فقال لها بابتسامة صفراء: "ما رأيك في أن أنبهك إلى حقيقتك؟ أنا شخص بوسعي الانصراف من هذا المكان في أي وقت أريد. أما أنتِ فمعتوهة ومحتجزة هنا".

"صحيح، فأنا معتوهة، معتوهة قادرة على دق عنقك في أي وقت أشاء".

قال لها هازئاً: "اسمعي يا صغيرتي، لقد تربيت في أحط أحياء ترينتون، ومن المؤكد أنكِ لا تدرين ما أعنيه بكلمة أحط هذه - اللعنة!".

حيث كانت قدم ميشيل قد ارتفعت بحركة خاطفة من ساقها واخترقت الجدار الخشبي على بعد سنتيمترات من رأسه، ولقد بقيت تنظر إليه وهي تبعد قدمها عنه من جديد، وقد بدا باري خائفاً ويداه فوق رأسه.

قالت ميشيل: "لن يكون الجدار هو الضحية في المرة القادمة، هذا لو حاولت أن تضايقني أو تضايق ساندي". استدارت لتنصرف، إلا أنها ألقت نظرة على الفجوة التي صنعتها في الجدار وقالت: "ربما كان من الأفضل لك أن تعيده كما كان يا باري - حسبما تقول تعليمات الاهتمام بالنظافة الشخصية".

"سوف أبلغهم بأنكِ قد هجمتِ عليّ".

"سارع بهذا إذن، وعندها سأحصل على عريضة موقعة من كل سيدة تلصصت عليها منذ بداية عملك هنا، وأنا متيقنة من أنهن يحلمن برؤيتك خلف القضبان".

"ومن هو الذي سيصدقهن؟ فكلهن مجانين".

"سيدهشك هذا، باري. فللكثرة مصداقيتها، وما الذي يدعوك إلى الاعتقاد بأنهم لو تفحصوا ملفك لن يجدوا شيئاً مريباً؟ صدقني أيها الأحمق؛ فأنا أعلم كيف أنقب عما أريد".

أخذ باري يسبها، وهو يستدير ويضرب الأرض بقدمه.

وبينما كانت ميشيل تسير عائدةً إلى فراشها، خطر لها أن وسيلة وحيدة هي الأنجح مع شخص مثل باري، وخططت لتكريس كل جهودها منذ هذه اللحظة لتلك الوسيلة - وكانت تعلم من أين تبدأ.

الفصل

٢٥

قامت الشرطة المحلية بعملها، تماماً مثل مكتب التحقيقات الفيدرالى (إف بى آى)، فى شخص ذلك الصارم مايكل فينتريس. بالكاد ألقى نظرة على شين بعد أن أنهى توضيحه للكيفية التى وجد عليها جثة ريفيست.

ثم قال بنبرة جافة: "ورجعت أنت إلى هنا، لماذا؟".

"كنا قد اتفقنا على لقاء بغرض متابعة التحقيق فى القضية. إلا أنه لم يفتح الباب، لذا دلفت للداخل"، لم يشأ شين أن يخبره عن الجزء الخاص بإطلاق النار عليه؛ حيث أخبره حدسه بأن يبقى هذا سراً الآن، وحتى يفهم الموقف جيداً.

قال له فينتريس ـ فى نبرة تخلو من الاهتمام: "سمعت بأنهم قد استأجروا مخبراً خاصاً ليأتى ويتحقق مما حدث. إذن فهو أنت؟".

"أنا هو".

"إذن سأسدى إليك نصيحة. إن أول مرة أجدك فيها فى طريقى، ستكون هى نفسها آخر مرة. أفهمت؟".

"فهمتك". لم يجرؤ شين على أن يسأله عما يدعو" الإف بى آى" إلى التحقيق فى مصرع شخص مدنى؛ فمصرعه ليس مثل مصرع مونك تورينج؛ لكونه قد وقع على أراض فيدرالية.

تم نقل بقايا جثة لين ريفيست إلى المشرحة المؤقتة حيث وضعت جثة مونك، بينما وقف مدير الشرطة المحلية ينظر إلى حوض الاستحمام الذى صار خاوياً الآن ويهزّ رأسه. كان شين إلى جواره يهز رأسه بدوره، لكن الأفكار التى تعتمل فى رأسه كانت أشد تعقيداً من تلك التى فى رأس مدير الشرطة، أو هكذا تخيّل.

لقد لقى ريفيست مصرعه فى ساعة تقع بين الوقت الذى فارقه فيه شين عند منتصف الليل، والوقت الذى اكتشف شين فيه جثته، أى خلال فترة مداها ست ساعات ونصف، وهو يعتقد بأنه قد رأى شامب بوليون يدخل بيته فى حوالى الساعة الثانية صباحاً. هذه فكرة، ولكنها غير مؤكدة.

قدم الرجل نفسه ـ قاطعاً عليه حبل أفكاره: " أنا ميركل هايز ، رئيس الشرطة". ومن قبل أن يتمكن شين من الرد كان الرجل يسأله مردفاً: "وأنت شين كينج؟".

"ذلك صحيح".

"كنت تعمل فى الخدمة السرية سابقاً؟".

"صحيح للمرة الثانية".

كان هايز فى أوائل الخمسينيات من عمره، ذا شعر أشيب قصير، وكرش ظاهر قليلاً، وساقين سميكتين، وكان عريض المنكبين مع تقوس فى الظهر لا يكاد يظهر، إلا أنه قلل بعض الشىء من طوله الذى يتعدى ست أقدام.

"هل كونت فكرة عما حدث؟".

"كنت مع لين ليلة أمس. وتناولنا بضعة مشروبات، وربما أفرط فى الشراب بعض الشىء، ولقد تركته عند منتصف الليل تقريباً، وكان يرقد فاقد الوعى من فرط الشراب فوق الأريكة فى الطابق السفلى".

"وما هى طبيعة الحوار الذى جرى بينكما؟".

كان شين قد استعد لهذا السؤال، بل وتفاجأ وكان مندهشاً من أن فينتريس لم يسأله هذا السؤال، فرد بهدوء: "دردشة. بعضها حول مصرع مونك تورينج، وبعضها حول بابيج تاون".

"أتعتقد بأنّه قد شرب بما فيه الكفاية، ومع هذا فقد صعد إلى هذا الحوض ولكنه غرق؟".

"لا يمكننى أن أنكر أنه قد شرب بما فيه الكفاية ليفعل شيئاً كهذا".

ظل هايز صامتًا، لكن أومأ برأسه عند هذا التعليق.

تابع شين كلامه: "كان الباب مفتوحاً حينما جئت إلى هنا.. إلا أني أتذكر أنه كان مغلقاً ليلة أمس".

قال هايز: "لذا فإما أنه قد فتحه أو...".

"هذا صحيح".

"لقد بدأنا التحقيقات، إلا أن أحداً ممن حققنا معهم حتى الآن لم ير شيئاً. وبطبيعة الحال فإن مكتب التحقيقات الفيدرالى هو من يتولى هذه التحقيقات".

"وما الذى يدعو مكتب التحقيقات الفيدرالى إلى التدخل فى هذا؟ فلم يكن ريفيست موظفاً فيدراليا، كما أنها ليست أرضًا اتحادية؛ فلا أرى أنها قضية فيدرالية".

"لماذا لا نتمشى بالخارج؟".

كان منزل ريفيست مطوقاً بالسياج الأصفر الذى تضعه الشرطة بشكل معتاد عند حدوث جريمة قتل - هذا لو كانت جريمة القتل شيئًا عاديًا بالأساس. كانت سيارة الإسعاف التى تحمل جثة ريفيست قد انطلقت وسرعان ما ابتعدت عن الأنظار. نظر شين نحو ذلك الحشد الصغير المتجمع أمام الكوخ ورأى أليسيا تشادويك وشامب بوليون يتحدثان معًا بصوت هامس.

رأته أليسيا يراقبهما، وكانت تتمنى لو انضم إليهما، لكن شين أدار وجهه بعيداً بسرعة؛ فلم يكن مستعداً الآن للتعامل معها أو مع شامب.

قاده هايز إلى حيث سيارته ذات الدفع الرباعى، والتى لم تكن تحمل أية لوحات معدنية، وأشار لشين ليدلف إلى جواره داخل السيارة. قال له هايز بعد أن أصبحا داخل السيارة: "قد يبدو ما أنتوى أن أقترحه عليك الآن غير تقليدى إلى حدّ ما، لكنّى سأخاطر به. ما رأيك فى أن نتشارك أنت وأنا فى هذه القضية؟".

رفع شين حاجبه في دهشة وقال: "مشاركة؟ أنت رئيس شرطة المقاطعة، أما أنا فمخبر خاص".

"أنا لا أعنى أن يكون هذا بصفة رسمية؛ لكن ما بدا لى هو أن كلينا لديه نفس الهدف، ألا وهو البحث عن قاتل ريفيست".

"ألا ينطبق ذلك على تورينج أيضاً؟".

"في الحقيقة فإنها لن تكون المرة الأولى التى تصور فيها جريمة القتل على أنها انتحار".

"كانت هذه هى نفس وجهة نظر ريفيست".

"أتعتقد أنه لا يزال يعتنقها الآن؟ هذا مثير، وما الذى قاله عنها أيضاً؟".

"هذا هو أهم شيء؛ ولكنه كان يرغب فى أن تكون جريمة قتل وليس انتحاراً، لو فهمت ما أقصده، إلا أن الرغبة وحدها لا تكفى".

"كثيرون هم من يعارضون فكرة أن تكون جريمة قتل؛ فهناك مسدسه وبصماته، ويبدو أنه قد ذهب إلى كامب بيرى طواعية".

"لا أعتقد أن تورينج كان ممن يميلون للانتحار؛ هذا مما جمعته من معلومات".

"أغلبهم ليس كذلك. لقد اطلعت على ملف خدمتك، وقرأت عن تلك القضايا التي شاركت فيها برايتسبرج. إذن، ما رأيك؟ فلو كان لى أن أقف فى وجه عملاء (الإف بى آى)، فلابد لى من شخص يقف بجانبى".

"ما رأيك في أن أرد على عرضك بعد مراجعته مع رؤسائي؟".

"وما رأيك في أن توافق وحسب؟".

"سأتفق معك على شيء؛ فأنا الآن أعمل على قضية، بل اثنتين الآن، فإذا ظهر أمامي أمر أو خطر لي خاطر، فعندها سأبادر بالاتصال بك"، تأمل وجه هايز قبل أن يضيف: "وأنت بدورك، لو صادفك شيء أخبرني على الفور".

فكر هايز في هذا العرض الجديد، ثم مد يده في النهاية ليصافحه قائلا: "حسناً، اتفقنا".

"بوسعك الآن أن تقدم لي خدمة".

"ما هي؟".

"خذني لرؤية جثة مونك تورينج القابعة في المشرحة".

الفصل

٢٦

كانت المشرحة المؤقتة قد وضعت داخل مكتب صغير خاوٍ في منطقة وايت فيذر الرئيسية بالبلدة، وكان بالمكان أحد خبراء الفحص الطبي، والذي تم إرساله من ويليامسبرج، إلا أنه لم يكن سعيداً أبداً بهذه المهمة البعيدة عن محل عمله الأساسي. قام بسحب جثة مونك تورينج من الثلاجة المتنقلة.

لم يكن مونك خلال حياته بالرجل الوسيم، ولم يغير الموت من هذا شيئاً؛ فقد كان قصير القامة له بطن تشوهت ملامحه بفعل شق ممتد من عند رقبته إلى عظم عانته. حاول شين أن يتبين أي تشابه بينه وبين ابنته، إلا أنه لم يفلح في ذلك. فلابد أنها أقرب شبهاً إلى أمها، هكذا قال لنفسه.

استعرض الخبير مع شين آخر ما توصل إليه وبعد المعلومات الروتينية حول مونك تورينج؛ والتي تشمل كونه في السابعة والثلاثين من العمر، طوله خمس أقدام وست بوصات، وزنه ١٧٠ رطلاً، إلخ. عرف شين أن من الواضح أن سبب الوفاة كان طلقاً نارياً اخترق صدغه الأيمن.

فعلق شين قائلاً: "كان مونك يستخدم يده اليمنى، وهو الأمر الذي يعضد من نظرية الانتحار".

فرد الخبير بنبرة يشوبها الشك: "لكننى لم أصل إلى هذا الجزء فى تحليلى بعد. من أين عرفت هذا؟".

"ترى يده اليمنى أكبر حجماً قليلاً، كما أنها أكثر خشونة، كما أننى رأيت قفاز بيسبول بمنزله، ولم يكن من النوع المعد لمن يستخدمون يدهم اليسرى فى اللعب".

أومأ هايز برأسه فى استحسان، فى حين عاد الخبير لينظر فى ملاحظاته.

نظر شين إلى يدى مونك من جديد وقال: "يبدو لى أن هناك بعض الآثار على يديه".

فقال الخبير: "إنها بقع حمراء على راحة اليد والأصابع".

ثم أتبع قوله بأن أراهما، مستخدماً ما بدا أنها عدسة مكبرة عالية التقنية، آثاراً موجودة على راحة اليد، ومن ثم أعاد يد القتيل إلى جانبه.

فقال هايز: "يبدو أنها آثار صدأ. ربما نتجت عن تسلقه ذلك السور المعدنى عند كامب بيرى".

فنظر شين إلى الخبير وقال: "هل لديك الملابس التى كان يرتديها؟".

فأخرجها الرجل من إحدى الخزانات وقاما بفحصها. كانت مكونة من سروال من قماش القطيفة المضلعة، أسود اللون، وقميص قطنى مخطط بالأزرق والأبيض، وسترة داكنة اللون ذات غطاء للرأس، وملابس داخلية، وجورب، وحذاء ملطخ بالوحل.

أعطى هانز لشين حقيبة صغيرة عازلة للماء وقال: "هذا ما وجدوه جوار الجثة، وتأكد أنها ملك لتورينج". كان بداخلها بطانية وكشاف ضوئى.

فقال شين وهو ينظر إلى تلك التمزقات فى نسيج البطانية: "من المحتمل أن يكون قد استخدم هذه البطانية فى تخطى الأسلاك الشائكة فوق السور، ومع هذا فإننى لا أظن أنها وقتْهُ كثيراً. ألا توجد أية خدوش على جسده بسبب تلك الأسلاك؟".

هز الخبير رأسه بالنفى.

فأضاف هايز: "يدهشنى أنهم لم يجدوا أية قفازات، أعنى من النوع الذى يمكنه من التغلب على السور وأسلاكه الشائكة".

قال شين: "لو كان قد ارتدى قفازاً لما كنا قد عثرنا على بصماته فوق المسدس. إن الأمر أقرب إلى أن يكون انتحاراً أيها المفتش".

إلا أن الخبير رفع رأسه قائلاً: "لا يمكننى التصريح يقيناً بأنه كان انتحاراً أم لا. هذه هى مهمة الطبيب الشرعى".

فعلق شين بقوله: "تقول فى تقريرك إن الرصاصة انطلقت من مكان قريب، ولم تنطلق والمسدس ملتصق بالصدغ. إلا أنه لا توجد أية دلائل على إصابات ناجمة عن دفاعه عن نفسه، أو على أنه كان مقيداً؛ فهل تعتقد أن شخصاً يقترب إلى هذا الحد من القاتل ولا يحاول أن يدافع عن نفسه؟ أنا غير مقتنع بهذا".

فقال هايز: "ربما تم اقتياده بالقوة".

"كان هذا سؤالى التالى... ما الذى ذكره تقرير فحص السميات بجثته؟".

"لم يصلنى التقرير بعد".

"إذن فليس بمقدورنا حتى الآن أن نستبعد فكرة الانتحار. ولو أنه قد انتحر، فلماذا اختار أن يفعل هذا داخل كامب بيرى؟ وهل هناك صلة بينه وبين السى آى إيه؟ هل سبق أن كان يعمل هناك؟ هل كان يود هذا ولكنهم رفضوه؟".

أشاح هايز برأسه وقال: "لم نتحر حول هذا حتى الآن"، ثم التفت إلى الخبير قائلاً: "هل توصلتم إلى توقيت تقريبى لمصرع ريفيست؟".

"لم يكن داخل المياه إلا لفترة تتراوح بين خمس أو ست ساعات، وكان هناك ما بدا كأنه تجمع لنزيف داخل فمه، وهو ما يشير إلى أنه قد مات غرقاً، وحينما أبدأ فى تشريح جسده سأتمكن من التيقن من هذا من خلال وجود مياه فى رئتيه".

نظر هايز إلى ساعة يده وقال: "من خمس إلى ست ساعات، وهذا يعتمد على توقيت اكتشافهم للجثة، فلو لم يكن داخل حوض الاستحمام كل هذه المدة قبل أن يغرق، فإننا نتحدث عن توقيت يقع بين الواحدة والثانية من بعد منتصف الليل".

فقال شين: "لم تمض كل هذه الفترة الطويلة منذ أن تركته". لكنه قال لنفسه: *"إلا أن هذا يتوافق مع توقيت رؤيتي لشامب وهو عائد إلى منزله"*. عاد شين ليقول لهما بصوت مسموع: "لكنه تناول الكثير من الشراب".

دوَّن خبير التشريح هذه الملاحظة، وهو يشكره.

سأله هايز: "هل يمكن أن يكون مخموراً لدرجة أن يفقد وعيه ليغرق داخل الحوض؟ ولكن، ألم يكن للمياه التي غمرت أنفه وفمه أن تفيقه؟".

لكن الخبير هز رأسه نافياً وقال: "لو كان فاقد الوعي بسبب إفراطه في معاقرة الشراب، فإن الصدمة التي سيسببها الغرق لن تكون كافية لإفاقته".

"لقد تركته وهو يكاد يفقد وعيه؛ لذا فأنا أتساءل عن السبب الذي دفعه إلى التفكير في أن يأخذ حماماً من الأساس؟".

رد الخبير: "ربما تقيأ، ووجد أن عليه أن ينظف جسده".

لكن شين هز رأسه نافياً وقال: "لو أنك مشمئز من القيء الذي غطى جسدك، فإنك لن تنتظر حتى يمتلئ حوض الاستحمام، بل ستبادر لتقف تحت المياه المنهمرة"، وما إن قالها شين حتى تنبه إلى أمر لم يخطر له من قبل.

علق هايز ـ والذي لم يلحظ ذلك البريق الذي التمعت به عينا شين؛ قائلاً: "ملاحظة صائبة".

قال له هايز أثناء عودتهما إلى السيارة: "ما هي الخطوة التالية؟".

لم يرغب شين في أن يخفي عنه لهفته وهو يقول: "أود أن ألقي نظرة ثانية على ذلك الحمام؛ فلقد خطر لي شيء".

"وما هو؟".

"أنا الآن متيقن من أن ريفيست قد مات مقتولاً".

الفصل

٢٧

حينما عادا إلى منزل لين ريفيست، قاده شين إلى الحمام حتى توقف عند بابه.

ثم قال: "لقد دخلت هذا الحمام عند الحادية عشرة أو الحادية عشرة والربع ليلة أمس، وهو الحمام الوحيد بالمكان".

قال هايز في تساؤل: "حسناً...وماذا بعد؟".

"هل قام رجالك أو رجال. (الإف بى آى) بتحريز أى شىء من الحمام؟".

"كلا. لقد نقلوا الجثة وحسب. لماذا تسأل؟".

"حسنا، انظر حولك، ما الذى لا تراه هنا؟".

أخذ هايز يتأمل تفاصيل المكان الصغير وأخيراً قال: "حسناً، لقد يئست ما هو هذا الشيء؟".

فأشار شين إلى الأرضية قائلا: "لا توجد مناشف، ولا شراشف...كما اختفت دواسة أرضية الحمام، وكل تلك الأشياء كانت موجودة حينما كنت هنا ليلة أمس. كما أن هناك شيئًا آخر". خطا نحو خزانة صغيرة ذات أدراج، ونظر خلفها قائلا: "كان هناك مكبس طويل ذو مقبض خشبى، ولكنه ليس هنا الآن".

تساءل هايز: "أنت تلمح إذن إلى أن...؟".

مال شين نحو الأرضية ومرر يده فوق بلاطها، ومن ثم على الجدار فوق حوض الاستحمام، ثم اعتدل قائلا: "إنه رطب، ولكنه ليس مبتلا. ما أريد أن أقوله هو أن عليك أن تخفى المناشف فى حال استخدمتها فى مسح المياه التى تناثرت فوق الأرضية وعلى الجدران أثناء التصارع مع ريفيست".

"فماذا عن المكبس؟".

حاكى شين بيديه حركة التقاطه لشىء فى يده ثم الوقوف عند حوض الاستحمام، ثم قال: "لا تريد أن تحكم سيطرتك على ريفيست مستخدماً يديك وحدهما؛ فبوسعه عندها أن يصارعك وقد يتخلف فى أظافره من جسدك ما يمكن أن يكشف عن هويتك بتحليل الدى إن إيه، أو حتى قطع من نسيج ملابسك. أما لو باعدت بينك وبينه بعصا المكبس الطويلة؛ فيمكنك أن تتخلص منه دون حتى أن يمسك".

"تباً!".

"لكن هذه الطريقة ستؤدى إلى كثير من البلل؛ لذا عليك أن تخفى بعدها جميع المناشف، ودواسة الأرضية، والمكبس، وإلا ستراها الشرطة، وتستدل منها على وجود صراع، وبالتالى تتحول القضية من غرق إلى جريمة قتل، وربما جاء ريفيست إلى هنا ليأخذ حماماً واستقر داخل الحوض حينما ضرب القاتل ضربته، ولولا أنه كان مخمورا لكان قد بقى حيا".

"لذا فلو أنه كان مخمورا واستخدم القاتل المكبس، فليس بوسعنا أن نستبعد أن يكون القاتل امرأة".

نظر شين إليه فى دهاء وقال: "هذا صحيح. عليك أن تتصل بخبير التشريح، وتطلب منه أن يتحقق من وجود علامات دائرية على صدر أو بطن ريفيست؛ فبوسع هذا المكبس أن يخلف سجحات تبقى ظاهرة تحت نظرة العين المدققة، وأخبره أيضاً بأن يتحقق مما إذا كانت هناك بقايا خشبية من المكبس تحت أظافره".

أخرج هايز هاتفه المحمول فى سرعة، وأجرى الاتصال بينما تابع شين التدقيق بنظره فى الحمام، وبعدما أنهى المأمور مكالمته عاد ليبتسم لشين قائلاً: "لقد تركت له رسالة. ويبدو لى أن قرارى بأن أكون شريكاً لك فى هذا التحقيق كان قراراً وجيهاً".

"يجب ألا يجرفك الحماس؛ فالفارق بين معرفة أن رجلاً قد قتل وبين اكتشاف هوية قاتله أشبه بالفارق الذى كان مارك توين قد ذكره بين ضوء البرق والبرق نفسه. فعلينا الآن أن نمسح أرجاء هذا المكان ونكتشف ما إذا كان أحدهم قد شاهد شخصاً يغادر منزل ريفيست الليلة الماضية. هناك أفراد أمن فى جميع أرجاء المنطقة، ولابد أن أحدهم قد رأى شيئاً، وخاصة لو كانت نظريتى سليمة وكان الشخص هذا قد غادر وبصحبته كومة من المناشف ومكبس بالوعة حمام".

"سأفعل. هل من شىء آخر؟".

فقال شين وهو شارد الفكر: "كنت عند ضفاف نهر يورك هذا الصباح، قرابة الساعة السادسة والنصف، ورغبت فى إلقاء نظرة على المرفأ وتفحص تلك المنطقة. عندما أطلق أحدهم على رصاصتين من بندقية آلية، وهو الأمر الذى كنت قد أتيت إلى لين كى أخبره عنه".

فسأله هايز فى دهشة: "ومن أين أتت هاتان الطلقتان؟".

"ربما كان مصدرهما الضفة الأخرى من النهر".

"كامب بيرى؟".

أومأ شين برأسه موافقاً.

فقال هايز فى بطء: "ومونك تورينج قد وجد مقتولاً بدوره فى أراض تابعة لكامب بيرى".

كان بوسع شين أن يقرأ بسهولة ما يفكر فيه الرجل. فهل يود هذا المأمور الريفى أن يتورط فى قضية يكون للمخابرات المركزية دور فيها؟ ومع هذا فلو أن مونك تورينج ولين ريفيست

قد لقيا مصرعهما على أيدى أفراد من الضفة الثانية للنهر، فيبقى السؤال هو لماذا حدث ذلك؟ ولقد كان على شين كينج أن يعترف أنه سؤال مثير للفضول، كما يبقى خياره هو، فهل هو مستعد للمخاطرة بحياته لأجل الحصول على إجابة هذا السؤال؟

"أنا لست متأكداً من هذا، إلا أننى أعتقد بأن من المحتمل أن أكون قد رأيت شامب بوليون وهو عائد إلى بيته حوالى الساعة الثانية صباحاً".

"إلا أنك لست متيقناً من هذا؟".

هز شين رأسه بالنفى قائلاً: "لست متيقناً حتى الآن؛ فلقد كانت الليلة معتمة، إلا أنه لا يزال أمرًا علينا التحقق منه عند الحديث عن حجج غياب كل من المشتبه فيهم. أوه، كما أن هناك أمرًا آخر؛ فأنا أعلم أن مونك قد سافر خارج البلاد منذ ثمانية أو تسعة أشهر مضت، ولهذا سنحتاج إلى أن نعرف الجهة التى سافر إليها".

"لكن جواز سفره ومتعلقاته الشخصية لدى (الإف بى آى)".

"أنت المأمور، ويحق لك طلب نسخة منه".

"هل تعتقد أن لهذا الأمر أهمية؟".

"صار لكل شىء أهميته الآن".

خرج شين إلى حيث الشمس التى صارت ساطعة الآن، وهو يتساءل عما إذا كان لحياته هذه أن تكون طبيعية فى يوم من الأيام.

شعر بأحدهم يربت على كتفه، فالتفت.

كانت أليسيا تشادويك، وقد بدا التجهم على وجهها وهى تقول: "علينا أن نتحدث معًا. الآن!".

"وماذا لو لم أكن راغباً فى هذا؟".

"عندها سأخلع ساقى المعدنية لأضربك بها حتى الموت".

"وأنا لا يليق بى أن أدفعك إلى فكرة كهذه. هيا بنا نبتعد عن هنا".

الفصل

٢٨

سار بارى عبر المدخل وهو يحمل صندوقاً كرتونياً، وكانت ميشيل تتسلل من خلفه على بعد عشر خطوات. كان موضع ترك البريد والطرود خارج الباب الأمامى.

فتح بارى الباب الأمامى بمفتاحه وتوجه للخارج، فزادت ميشيل من سرعة خطواتها، حتى وصلت الاستراحة غير المشغولة وانحنت مختبئة وراء شجرة كبيرة عريضة الجذع.

عندما فتح بارى الباب وعاد، توترت أعصاب ميشيل. كانت هناك مشكلة؛ فليس معها مفتاح، وبعين تنظر إلى بارى وعين تنظر إلى الباب الذى ينغلق ببطء، اندفعت نحو الخارج. كان بارى على بعد أقل من ثلاث أقدام منها ولم يستدر، وهى دلالة على مهارتها فى التحرك بخفة بالغة؛ وما إن اختفى بارى، حتى أقحمت ميشيل قدمها داخل الباب لمنعه من أن ينغلق. تركت حذاءها ليبقى الباب مواربا، وسرعان ما تخطته إلى الخارج.

لم يستغرق منها الأمر سوى بضع ثوان فقط حتى عثرت على الطرد الذى تركه بارى فى الكومة خارج البناية بجانب صندوق البريد. أخرجت ميشيل قصاصة ورق وقلماً من الرصاص وكتبت

العنوان الذى سيرسل إليه الصندوق، كما لمحت أيضاً اسم المرسل ولم تكن دهشتها كبيرة حينما تبين لها أنه لم يكن بارى.

قالت وهى تقرأ اسم المرسل: "لولا مارتن". عادت فى خفة إلى داخل البناية، وجذبت حذاءها وهرولت تعود إلى قسمها من البناية، ونجحت فى أن تصرف انتباه ممرضة لمدة كافية لأن تلقى نظرة خاطفة على سجلات المرضى فى مركز الممرضات. كانت لولا مارتن منطوية على نفسها داخل القسم الذى يسمونه بعش المجانين، وليس من المعروف عن أولئك المرضى الذهانيين أنهم يرسلون العديد من الطرود. تسللت داخل مركز خدمات المرضى واستخدمت الهاتف هناك لمخابرة رفيق لها فى شرطة فيرفاكس. وبعد أن أعطته بعض المعلومات كخلفية، قال: "كيف توصلت إلى هذه المعلومات يا ماكسويل؟".

"أنا؟ أوه... أنا فى مهمة سرية".

وبعد ساعة، دلفت ميشيل إلى غرفة ساندى الخاوية. الزهور ما زالت هناك، لكن تم تنظيف الغبار من فوق الأرضية. افترضت ميشيل أن يد ساندى صارت الآن نظيفة أيضاً، حتى ما هو أسفل أظافرها المشذبة. لم يسبق لميشيل أن عانت من تلك المشكلة لحقيقة بسيطة وهى أنها لم يسبق وجملت أظافرها؛ فهى لم تكن تريد لأحد أن يعبث بأصابعها.

وبعد خمس دقائق لاحقاً، كانت مهمتها قد أنجزت، بعدها عادت ميشيل إلى غرفتها، وفى ظهيرة ذلك اليوم حضرت جلسة جماعية، وكانت مسرورة جداً من التقدم الذى حققته فى مراقبتها لبارى حتى إنها نهضت وتحدثت عن نفسها قائلة: "أنا ميشيل وأنا أريد أن أتحسن. بل فى الحقيقة أنا أعتقد بأنى قد صرت أفضل". ابتسمت للآخرين فى الدائرة وهم يومئون لها باستحسان. بعضهم صفق بينما همس آخرون بكلمات التشجيع. بينما جلس آخرون عابسين أو ينظرون إليها فى عدم تصديق.

لو أنه قد خطر لميشيل أن السبب الوحيد لإحساسها بأنها قد صارت أفضل هو أنها قد شغلت نفسها عن التفكير في مشاكلها الخاصة، فإنها لم تبد أية إشارة تنم عن إدراكها لمشاكلها الداخلية؛ فقد عاشت بالأساس لأجل الحركة والإثارة وليس للتجليات المفجعة في أغلب الأحيان لاستبطان الذات، وكونها كانت صادقة مع تلك الخصلة الشخصية، فكل ما كانت تفكر بشأنه هو باري وساندي، وبعدها أرادت أن تخرج من هنا قبل أن يتبينوا في نهاية المطاف أن لا فارق بينها وبين قاطني "عش المجانين".

الفصل

٢٩

جلس شين أمام أليسيا في مكتبها بالكوخ رقم واحد. كانت قد صحبته عبر المنطقة الرئيسية بسرعة كبيرة؛ حتى إنه لم يتمكن سوى من رؤية منطقة مفتوحة كبيرة بها الكثير من المكاتب الصغيرة والتي كان وراء كل واحد منها عبقري ولا شك. أمكنه أن يشعر بالقوة العقلية للعاملين والتي تعمل في تناغم مع طنطنة الحواسب الخارقة.

أشار إلى ساق أليسيا اليمنى وقال ممازحاً: "لو حاولت أن تضربيني بذلك الشيء، فسترين ما أنا فاعل".

لم تحاول أليسيا أن تبتسم، بل قالت بجدية: "كيف لقى لين ريفيست مصرعه؟ ولا تخبرني بأنه قد كان انتحاراً!".

لاحظ أن عينيها كانتا محمرتين فقال: "أنا لا أعرف الطريقة التي مات بها".

"وكيف لا تعرف؟".

"القاتل وحده يعرف بالتأكيد، وباعتبار أنني لم أقتله، فبوسعي فقط أن أخمن سبب الوفاة".

"حسناً، واصل تخمينك إذن".

"لا يمكنني القيام بذلك؛ فهو تحقيق شرطة مستمر".

فبادرته قائلة: "لا أصدق أنك تستند إلى تلك الحجة المثيرة للشفقة".

"لقد كنت شرطياً، وأعرف أن تسرب الأسرار يمكن أن يفسد التحقيق، إلا أن الشرطة تتعامل مع الجريمة على أنها حالة وفاة مريبة".

"لكن هذا يعنى أنه إما قتل أو مات نتيجة حادث؟".

ابتسم وقال: "أو مات فى الحقيقة ميتة طبيعية".

"لكنك قلت بأن شخصًا ما قد قتله".

"يمكن أن أكون مخطئًا".

"أوه...شكراً إذن على هذا العون الكبير".

مال شين للأمام، وقد صار أكثر جدية، ثم قال: "الحقيقة هى أننى قد قابلتك للتو، ولم أعرفك من قبل، وما الذى يمنع أن تكونى أنتِ القاتلة".

"ولكنى لم أقتل أحداً".

"لم أصادف من قبل قاتلاً يعترف بجرمه. ولهذا يوجد من يسمون بمحامىّ الدفاع".

"هل تعتقد أن لهذه الجريمة صلة بمقتل مونك؟".

"لابد أن نقطتى الأخيرة قد فاتت عليك. هل تودين منى تكرارها؟".

فمالت أليسيا للأمام قائلة: "لقد وجدوا وصية مونك تورينج فى بيته ليلة أمس، ولقد علمت للتو بأن مونك قد أوصى بأن أكون أنا الوصية على ابنته. وأنا عازمة على القيام بهذا الواجب حتى النهاية. لذا، فإذا كانت البنت فى خطر، فأريد أن أعرف ذلك".

"أوصى مونك بأن تكونى أنتِ الوصية على ابنته، لا أعتقد أن علاقتكما كانت بهذه القوة".

"لقد عرف مونك بأننى مهتمة بأمر فيجى، وقد جعلت من رعايتها أولويتى القصوى".

"حسناً، ومع مصرع ريفيست، فإن بابيج تاون لم تعد بهذا الأمان".

وضعت أليسيا يداً على عينيها وهى تقول منتحبة: "مسكين لين! أوه، يا إلهى! لا يمكننى تصديق أنه قد مات".

عاد شين بظهره للوراء قائلاً: "يبدو لى أنكِ لا تتحملين وقع وفاة لين، فهل من سبب معين؟".

سحبت منديلاً ورقيا من علبة فوق مكتبها وتمخطت، قائلة: "لين وأنا كنا صديقين".

"صديقان! صديقان عزيزان، أم علاقة أوثق من هذا؟".

"ذلك أمر لا يخصك".

"إذا كانت هناك علاقة بينك وبين لين ريفيست، فيجب أن تعلم الشرطة بتفاصيلها".

"حسناً، كانت بيننا علاقة نوعاً ما، فما الفارق؟".

"هل كانت علاقة عادية؟ أم حميمية؟ هل كنتما تنويان الزواج؟".

"يا لك من مزعج وبغيض!".

"إنك امرأة شديدة الذكاء، لكنكِ وعلى ما يبدو لا تستطيعين تبين أننى أهيئك لما سوف تسألك الشرطة ومكتب التحقيقات الفيدرالى عنه. فهل تظنين أن العميل فينتريس ستأخذه الشفقة بكِ؟ إن وجود قتيل له علاقة معكِ أمر يعنى أن تكونى من بين المشتبه فيهم".

"أنا لم أقتله. تباً. بل كان أمره يهمنى، لقد كان رجلاً لطيفاً. وربما كانت هناك علاقة أوثق تنتظرنا فى المستقبل. أما الآن؟".

أشاحت بوجهها والدموع تتساقط على وجهها.

قال شين محاولاً التخفيف عنها: "لا بأس يا أليسيا، لا بأس، أعلم أن الأمر صعب عليك"، ثم صمت قبل أن يضيف: "يمكنك أن تخبرينى فقط إذا ما كان لين قد ذكر لكِ أى شىء حول أحد يخطط لإيذائه؟ أو أنه يعرف معلومة يمكن أن تعرضه

للخطر؟ أى شىء له علاقة ببابيج تاون؟ أو كامب بيرى؟ شىء من هذا القبيل؟".

أخذت أليسيا تتنفس بعمق ومسحت عينيها بكم تنورتها قبل أن تسأله: "كامب بيرى؟ وما علاقة ذلك بمصرع لين؟".

"إذا كانت هناك صلة بين مصرع مونك تورينج وما حدث للين، فربما كانت هناك صلة قوية بينه وبين كامب بيرى".

"لكننى ظننت أنك قد قلت بأن الجريمة بدت وكأن مونك قد انتحر".

"لسنا متيقنين من هذا بعد؛ لكن رجاءً أن تجيبى عن سؤالى، هل ذكر لكِ لين شيئاً؟".

"لم يذكر لى أن أحداً يريد إيذاءه".

فمال شين للأمام قائلا: "حسناً، وماذا عن وجود جواسيس هنا؟ هل حدث وتكلم معكِ عن ذلك؟".

هزّت رأسها نفياً وقالت: "لا، أبداً. لماذا تسأل؟".

"إنه مجرد شىء قاله لى. هل من شىء آخر تذكرينه؟".

قالت أليسيا وهى تحاول الابتسام: "حسناً، لقد قال لى بأنّ الناس هنا لا يعلمون أى شىء عما هم بصدده، وأن ذلك الشىء الذى يعملون عليه قادر على تغيير العالم بأسره، ولكن ليس للأفضل".

"وقد قال لى بأننا نحن الخبراء العباقرة جاهلون بخبايا العالم الحقيقى، وربما كان محقاً فى هذا...ذكر لى بأن ما كان يجرى فى بابيج تاون يستحق أن تندلع لأجله الحروب. الأمر لا يتعلق بالأرقام فقط".

"أنا خائفة، شين. فقد كان لين ريفيست رجلاً قديراً. وحقيقة أن شخصًا ما قد تمكن من أن يقتله، بل وداخل منزله ومع كل ما حوله من ترتيبات أمنية..." كانت أليسيا ترتجف وهى تعود بظهرها للوراء.

وقد بدت نظراتها بائسة تعسة حتى إن شين نهض وأحاط كتفيها بذراعه وقال محاولاً طمأنتها: "لا عليك يا أليسيا".

"لا تعاملنى هكذا! أنا خائفة من أجل فيجى؛ فهى يمكن أن تكون فى خطر أيضاً".

"لماذا؟".

"عليك أنت أن تخبرنى؛ فأنت الخبير فى هذه الأمور".

"هل تعرف البنت بأن أباها لن يعود؟".

بدت أليسيا منزعجة وهى تقول: "إننى أحاول أن أجد سبيلاً لإخبارها، لكن الأمر ليس سهلاً علىّ".

"لو كنتِ قلقة بشأنها حقاً، فعليك أن تبعديها عن بابيج تاون".

"لا أستطيع أن أفعل ذلك".

"ظننت أن رعاية فيجى هى أولويتك القصوى؟".

"إن فيجى سعيدة هنا، فلا أستطيع أن أنتقل بها من هنا وآخذها إلى مكان لم تعرفه من قبل. إن ذلك كفيل بتحطيمها".

"ليست المسألة مسألة اختيار".

إلا أن أليسيا قالت بغتة، وهى تقبض على يده: "بل عندى خيار آخر...أن نبقى هنا وتعمل أنت على الحفاظ على سلامة فيجى".

قال شين: "لكننى حصلت على وظيفة بالفعل". إلا أنه صحح لنفسه المعلومة: "*بل حصلت على وظيفتين الآن*".

"إنها طفلة، وتحتاج إلى المساعدة. فهل سترفض أن تساعد طفلة صغيرة ضعيفة فقدت أباها للتو؟".

همَّ شين بأن يقول شيئاً ولكنه سكت، وفى النهاية تنهّد قائلاً: "أحسب أن بوسعى مراقبتها".

عادت الدموع تنساب على وجنتيها من جديد وهى تقول: "شكراً لك".

"والآن وبعد أن صرت حارسها غير الرسمي، عليّ أن ألتقي فتاتنا".

استعدت أليسيا للنهوض قائلة: "لقد انتهت فيجي للتو من القيام ببعض التحليلات من أجلي".

"ماذا؟".

"لدى فيجي القدرة على تحليل الأعداد الكبيرة عقلياً، ورغم أن قدرتها لم تصل بعد إلى المدى الذى يجعل عملي لا قيمة له، إلا أن هناك داخل طيات عقلها ما يمكننا من التوصل إلى طرق مختصرة يطول بحثي عنها".

"إذن فهذه البنت الصغيرة الضعيفة قادرة على أن تقلب العالم رأساً على عقب؟".

فقالت أليسيا مبتسمة: "حسناً، تقول الحكمة القديمة إن الأرض لن يرثها سوى الضعفاء".

الفصل

٣٠

توقع شين أن يجد فيجي فتاة خجولة هادئة الطباع؛ إلا أنه وجدها مفعمة بالنشاط، وبدا له أن عينيها الزرقاوين لا تفوتان شيئاً من حولها. كانت ترتدى قميصاً أحمر، وسروالاً قطنياً، وكانت حافية القدمين، وبعدما قدمته أليسيا لفيجي، أخذته هذه الأخيرة من يده إلى البيانو.

قالت له: "اجلس".

فجلس.

"أتعزف؟". هكذا سألته، وهى تحدق فيه بعينين حادتين لدرجة غير مريحة.

"أعزف فقط على الجيتار. من أربعة أوتار فقط، ليس النوع المعقد بالتأكيد، وهذا أمر جيد بالنسبة لشخص يفقد ملايين الخلايا الدماغية كل يوم".

لم تعبأ بأن تضحك لدعابته. بل جلست لكى تعزف له لحناً لم يسمعه من قبل.

"حسناً، لقد نجحت فى إثارة دهشتي...من هو صاحب هذه المقطوعة؟".

بادرت أليسيا بالرد: "إنها فيجينير تورينج. إنها من تأليفها".

حدق شين فى البنت ولم يعلق.

فسألته ببساطة: "هل أعجبتك؟".

أومأ قائلا: "أنتِ فنانة موهوبة جداً".

ابتسمت، وعندها أمكن لشين أن يرى حقيقة البنت ذات الأحد عشر ربيعاً؛ فقد كان تعبيرها خجولاً، متلهفاً لإرضاء من حولها، وهو الأمر الذى بث الخوف فيه، فهذا كفيل بأن يجعلها تثق فى أناس لا يجب أن تثق فيهم، وهو لم ينس بعد ما قاله ريفيست عن الجواسيس هنا.

"فيجى، هل أنتِ...؟".

قاطعته بالعودة للعزف من جديد، وعندما انتهت، نهضت وسارت نحو كرسى عند منضدة المطبخ وحدّقت خارج النافذة، وبينما كان شين يراقبها، كانت عيناها الواسعتان الجذلتان تتغلقان.

نهض شين متسائلاً: "فيجى؟".

نظر شين إلى أليسيا، التى كانت تشير إليه بأن يلحق بها عند الأريكة.

قالت وهى تتحدث بهدوء: "إنها تعيش فى عالمها الخاص. ولو انتظرناها فستجىء".

"هل فحصها الخبراء؟ هل تتلقى علاجاً؟".

"أنا لا أعرف شيئًا عن الخبراء، لكنّها لا تتلقى علاجاً. والآن، ولكونى ولية أمرها فسأنظر فى هذا الموضوع".

"ما الذى تعرفينه عن والدة فيجى؟".

"قال لى مونك بأنهما قد انفصلا قبل سنوات، وقد نال حق الوصاية الكاملة".

"ذلك الذى قاله لى ريفيست؛ لكنك تعرفين القانون يا أليسيا. لو أن والدة فيجى أرادت أن تنال حق الوصاية عليها، فستناله بحكم محكمة، مالم تكن فى السجن أو عاجزة عن الاعتناء بابنتها".

"لكن مونك قد عيننى وصيةً عليها".

"لا أهمية لهذا عند وجود أحد الأبوين".

"لن أهتم بهذا الأمر حتى يحدث".

"١٨,٣١٣ و ٢٢,٣٠٧"

التفتا لينظرا إلى فيجى، التى كانت تحدق الآن فيهما.

قالت لهما الفتاة موضحةً: "تلك هى العوامل الأولية للعدد ٤٠٨,٥٠٨,٠٩١، أليس كذلك؟".

أمنت أليسيا على كلامها: "ذلك صحيح. فإذا ضاعفنا ١٨,٣١٣ و ٢٢,٣٠٧ لكان المجموع هو ٤٠٨,٥٠٨,٠٩١".

فصفقت فيجى فى جذل.

"لكننى أعطيتك ذلك العدد قبل ساعة بالكاد، فكيف توصلت إلى ذلك بهذه السرعة؟". هكذا سألتها أليسيا.

"لقد رأيتها، فى رأسى".

فقالت أليسيا بلهفة: "هل اصطفت أمام عينيك؟ هل عدت إلى ممارسة المسائل الرياضية بعقلك ثانية؟".

"كلا. لقد ظهرا داخل عقلى وحسب. لم يكن على القيام بأية حسابات".

قالت لها أليسيا متأملة: "إنها على الأقل ليست كأى رياضيات يدركها البشر. فيجى، أعتقد أن السيد شين يريد سؤالك عن شىء ما".

فنظرت إليه فيجى فى ترقب.

"حسناً، أردت منك فقط أن تعرفى بأننى سآتى لرؤيتك. موافقة؟".

نظرت فيجى إلى أليسيا، التى أومأت برأسها إيجاباً.

فقالت فيجى: "أعتقد هذا... لكن على كذلك أن أستشير مونك".

"هل تدعين أباك باسمه الأول؟".

"إنه بدوره يدعونى باسمى الأول. أليس هذا هو ما يفعله الناس عادة؟".

"أعتقد هذا. إننى لم ألتق بأبيك، لكن يبدو لى مما سمعته عنه أنه قد كان رجلا ذا شأن".

"هو كذلك بالفعل. كان يعزف بإحدى فرق الروك فى الكلية". عادت فيجى للنظر عبر النافذة من جديد، وكان شين يخشى أن تدخل من جديد فى إحدى تلك الحالات، لكنها اكتفت بأن قالت: "أتمنى أن يرجع للبيت قريباً؛ فهناك الكثير مما أود أن أخبره به".

"من قبيل ماذا؟ " سألها شين، ولكنه أحس بأنه قد تسرع كثيراً.

فسرعان ما نهضت فيجى وعادت تعزف على البيانو من جديد، وكانت هذه المرة أشد صخباً.

وعندما توقفت لبعض الوقت، قال شين: "فيجى، متى كانت آخر مرة رأيت فيها أباكِ؟". لم تجبه على استفساره هذا إلا بالعزف بصخب أكبر.

فصاح شين: "فيجى!"، لكن أليسيا كانت تسحبه نحو الباب الأمامى بينما ضربت فيجى بقبضتيها على لوحة المفاتيح ثم هرولت خارج الغرفة. وما هى إلا ثوان قليلة حتى سمعا صوت الباب وهو ينغلق فى عنف، وبعد لحظات كانت المرأة التى شاهدها شين نائمة على الأريكة الليلة الماضية تدلف إلى الغرفة.

قالت أليسيا: "سآتى خلال بضع دقائق حتى ألقى نظرة عليها يا سيدة جراهام"، ثم قادت أليسيا شين إلى خارج البيت.

قال لها وهو يحك رأسه: "حسناً، أرى مشكلتك مع فيجى".

"أعتقد أنها تعرف، فى أعماقها، بأن خطباً ما قد أصاب أباها؛ ففى كل مرة يبدأ أحدهم فى التلميح حول ذلك الموضوع تمنعه".

لمح فيجى وهى تحدق فيهما عبر نافذة غرفة نومها؛ ولكنها سرعان ما اختفت وكأنها خاطر خطر له سريعاً ثم تبدد.

التفت شين إلى أليسيا قائلاً: "بالنسبة لتلك الأعداد التى أخبرتك عنها. ألم يكن من الممكن أن تخمنها عن طريق الحاسبة؟".

"بلى، لكنها كانت لتستغرق قرابة يوم كامل لتتوصل إليها، فالعدد ١٨,٣١٣ هو العدد الأولى الـ ٢,٠٠٠، وهذا يعنى بأنها يجب أن تمر على كل تلك الأعداد التى سبقتها حتى تتأكد من أنها تنقسم إلى ٤٠٨,٥٠٨,٠٩١ بدون بقية، وقد توصلت إلى هذا بعقلها فقط، تماماً كما قالت".

"هل من الممكن أن أعرف بمدى أهمية ذلك؟".

"شين...".

"تبا يا أليسيا، هناك أناس يقتلون هنا، ولقد وافقت على حماية فيجى لأنكِ تعتقدين بأنها فى خطر، وأقل ما يمكنكِ أن تساعدينى به هو أن تخبرينى بالسبب".

"حسناً. إن العالم قد صار يعتمد على معلومات ترسل إلكترونياً، ونقلها من طرف لآخر بأمان هو مفتاح الحضارة؛ فأنت تستعمل بطاقة ائتمانك لشراء الأشياء، وتحصل على النقد من ماكينات سحب النقود، وترسل البريد الإلكترونى؛ وتدفع الفواتير أو تشترى أشياء عبر الإنترنت. وصار التشفير هذه الأيام مقيداً بالأعداد وما تتكون منه من أرقام، والنظام الأقوى هو الذى يستند على الكتابة المشفرة الرئيسية اللامتناظرة. وهى الشيء الوحيد الذى يجعل منظومات الإرسال الإلكترونى، بدءاً من الحكومة إلى التجارة إلى المواطنين، منظومات آمنة وفعالة".

"أعتقد أننى قد سمعت عنه، ألا يسمونه نظام (آر إس إيه) أو شيئًا من هذا القبيل؟".

"صحيح. والآن فإن المفتاح العام القياسى عبارة عن عدد أصم كبير جدا طوله مئات الأرقام ويحتاج إلى مائة مليون حاسوب

شخصى، تعمل بالتوازى لعدة آلاف من السنين للتوصل إلى المفتاحين الأوليين، وعلى أية حال، فبينما يعرف الجميع العدد الرئيسى العام، أو على الأقل هذا ما يعرفه حاسوبك، فإن السبيل الوحيد لقراءة ما يتم إرساله هو فتح المفتاح العام باستعمال المفتاحين الخاصين؛ وهذان المفتاحان هما العاملان الأوليان للمفتاح العام وبرامج حاسوبك وحدها هى التى تعرفهما. لنأخذ مثالاً بسيطاً، فالعدد خمسون قد يكون المفتاح العام وعشرة وخمسة هما المفتاحان الخاصان. فإذا كنت تعرف العددين عشرة وخمسة فعندها يمكنك أن تقرأ الإرسال".

"مثل الأعداد التى أعطتك فيجى إياها؟".

"نعم، ومع تزايد سرعة الحاسبات والعمل على تشغيل مئات الملايين من الحاسبات بالتوازى لمهاجمة أكواد التشفير فإنها تبقى فى تصاعد على الدوام؛ لكن ما زال كل ما عليك أن تفعله هو أن تضيف بضعة أرقام أكثر إلى المفتاح الرئيسى وبالتالى قد يصل الوقت المطلوب لكسره إلى آلاف إن لم يكن ملايين السنوات".

"لكن بحثك قد يبطل كل هذا".

"إن جميع العاملين فى مجال التشفير يراهنون على حقيقة عدم وجود طريق مختصر للتحليل؛ لأنه وبعد ألفى عام من البحث لم يتوصل أحد إلى شىء من هذا، ورغم ذلك فإن فيجى قادرة على أن تفعل ذلك من وقت لآخر. فهل بوسعها أن تفعل ذلك مع الأعداد الأكبر؟ إذا كان الأمر كذلك، كما قلت، فلن يكون هناك إرسال إلكترونى آمن وسيختلف العالم كليةً عما هو عليه الآن".

"أى سنعود إلى الآلات الكاتبة والبريد وعلب القصدير المتصلة بأسلاك؟".

"إنه أمر كفيل بأن تفلس الأعمال التجارية وأن تسقط الحكومات؛ ولن يكون لدى المستهلك الفقير أية فكرة عما يمكنه أن يفعل حيال ما هو أمامه، ولن يتمكن الجنرالات من تأمين

الاتّصال بجيوشهم، وأنا أشك فى أن معظم الناس كانوا يدركون أنه وفى أواخر السبعينيات، وقبل ابتكار الكتابة المشفرة الرئيسية العامة، كان على الأعمال التجارية والحكومات أن ترسل آلاف الرسائل بشكل ثابت، ومع كل منها دليل فك شفرتها وكلمات السر... لا أحد يريد العودة إلى تلك الأيام".

فقال شين: "يدهشنى أن حضارتنا بأكملها صارت تعتمد على أن نعجز عن تحليل الأعداد الهائلة بسرعة".

"يمكنك القول بأننا قد نصبنا الشرك، والآن صار علينا أن نقع فيه".

"من الواضح أن الشعوب لا تعى أياً من هذا؟".

"هذا أمر كفيل بأن يميتها خوفاً".

"أنتِ تعتقدين إذن أن هناك طريقاً مختصراً؟".

"إن فيجى هى من يجعلنى أعتقد فى هذا، لكن وعلى الرغم من ذلك، فإن قلقى الأكبر الآن ليس حول هذه الأعداد، بل على فيجى. لا أستطيع أن أسمح بأن يحدث لها أى شر".

"هل تقصدين أن هناك من يعرف بأن فيجى قد تكون هى المفتاح الذى يقلب العالم رأساً على عقب؟".

"قلت بأن لين يعتقد أن هناك جواسيس بهذا المكان، وأبوها كان يعرف بأمر قدراتها وقد لقى مصرعه. لذا فأنا فى حيرة من أمرى... فى حيرة شديدة من أمرى".

عاد شين ليضع يده على كتفها مهدئاً ويقول: "لن يحدث شىء لها. إن (الإف بى آى) والشرطة حولنا؛ والمكان يغص بالحراس".

ذكرته قائلة: "كان هذا هو الحال قبل أن يلقى لين مصرعه".

"لكننى موجود".

"وما الذى تقترحه لحماية فيجى؟".

"كم غرفة نوم فى منزلك؟".

"أربع. ولماذا تسأل؟".

"واحدة لفيجى، وواحدة لكِ، وواحدة لى، وواحدة تبقى خاوية".

"هل تعنى بأنك ستنتقل للعيش معى؟".

"لو أننى بقيت فى ذلك البيت الرئيسى، فلن يكون هناك من سبيل يمكننى به أن أصل إليها فى الوقت المناسب فى حال حدوث شىء لها".

"سيتوجب على أن أحصل على موافقة شامب وأن أتحدث مع فيجى، وسأنتهى من عملى غداً عند السادسة مساءً، ما رأيك فى ذلك كموعد؟".

"ولماذا لا تنتقلين إلى كوخ فيجى وحسب؟".

"هناك الكثير من الأشياء التى تذكرنى وتذكرها بمونك. ورأيت أن الانتقال بها من هناك أفضل".

"وكيف ستفسرين ذلك؟".

"سأفكر فى طريقة ما".

وهنا تركته أليسيا وانصرفت.

وقف شين ينظر إليها إلى أن رن جرس هاتفه الخلوى. نظر إلى الرقم وعندها تأوه فى سخط؛ فقد كان رقم جوان ديلينجر. كيف سيفسر لها أنه قد صار مسئولاً، ليس عن مهمة واحدة بل عن مهمتين جديدتين؟ إلا أن الجواب كان واضحا. لقد قرر ألا يجيب على الهاتف اللعين.

عاد إلى غرفته وهو يتعجب من أنه بدلاً من أن يخرج من الحفرة التى قد سقط فيها فإنه يزيد من عمقها ومن حجم ورطته فى آن واحد.

الفصل

٣١

عندما عاد هوراشيو بارنز إلى منزل ليندا سو بوكانان ذلك المساء لم يكن زوجها، داريل، سعيداً بشأن ما كانت زوجته تخطط له. كان رجلاً كبير الجسد، مهملاً فى مظهره، وقد امتط قميصه القطنى المتشحم العريض ليغطى اتساع صدره وبطنه. كان يقبض على الطفل الرضيع بكف يده العريضة، وبيده الأخرى أمسك بزجاجة شراب.

صاح داريل: "إنكِ حتى لا تعرفين شيئاً عن هذا الرجل ضئيل الجسد يا ليندى. قد لا يعدو أن يكون واحداً من أولئك المغتصبين الملاعين".

"حسناً، لو أنك فكرت فى الموضوع، فإن أكثر المغتصبين هم من المغتصبين الملاعين"، قالها هوراشيو بسرور، ثم أردف: "وفى الحقيقة فإنى قد رأيت بضعة منهم فى السجن".

"أرأيت ما الذى كنت أقوله لك؟ إن الرجل من ذوى السوابق" هكذا قالها لها داريل صراحة.

رد هوراشيو: "كلا، بل لقد تعاونت مع عدة سجون نظامية فى تقديم المساعدة النفسية للنزلاء؛ لكننى وعلى خلاف مرضاى كنت أغادرها فى نهاية اليوم".

تفحصت ليندا سو محفظتها وسحبت منها مفاتيحها وهى تقول: "سوف نذهب فى سيارتين منفصلتين يا داريل، وكذلك معى هذا المسدس"، قالتها وهى تريه مسدسا صغيرا.

بدا داريل مرتاحاً عند رؤية هذا السلاح النارى فقال: "حسناً، إذا حاول القيام بأى شىء فعليكِ فقط أن تطلقى عليه النار".

فقالت ليندا سو فى بساطة: "هذا هو ما أنتويه"، وكانت تتحقق من أن مسدسها محشو بالرصاص.

فصاح هوراشيو: "مهلاً يا رفاق...أولاً، لا إطلاق النار على أى شخص. وبالمناسبة، هل معكِ رخصة لحمل هذا الشىء؟".

فصاح داريل متهكماً: "نحن فى تينيسى يا رجل، ليست هناك حاجة لرخصة لحمل مسدس داخل ولايتنا الحبيبة تينيسى".

فقال هوراشيو: "ربما كان عليك أن تتحقق من معلوماتك، وأنا هنا فقط للتحدث مع جدة ليندا سو. ولقد أخبرتها أن بوسعها أن تعرفنى فقط بالطريق وسوف أذهب وحدى".

فالتفت داريل سريعاً نحوها وقال: "حقاً؟ فلماذا تذهبين معه إذن؟".

إلا أنها بادرته قائلة فى سخط: "أنا أرافقه كى أحصل على أتعابى، أيها المغفل".

"اسمعى، سأعطيك الدولارات المائة الآن، ويمكنك أن تبقى هنا إلى جوار رجلك البشوش هذا"، هكذا قال هوراشيو بينما كان داريل ينظر إليه فى حيرة.

"أنا أرفض هذا العرض؛ فلقد فهمت أن تلك المائة هى الحد الأدنى لما تعرضه، وإذا وجدت أن معلومات الجدة مفيدة وحقيقية، فستكون الأتعاب أكثر، بل وربما أكثر من هذا بكثير".

"لكن هذا ليس ما فهمته أنا".

"هل تريد الذهاب لرؤية الجدة أم لا؟".

"مائة دولار! تباً!"، قالها داريل بعدما تبين له أخيراً ما يدور حوله كل هذا الحوار.

إلا أن هوراشيو رد مستسلماً: "حسناً، تربحين...هيا بنا نذهب".

قالت ليندا سو بابتسامة صغيرة: "اعتقدت أنك ترى الأمور كما أراها".

ناداهما داريل من مكانه عند سقيفة المنزل: "يا ليندى، إذا كان من المحتم أن تطلقى عليه النار، فتأكدى من أن تحصلى على ماله اللعين أولاً".

قال هوراشيو متهكماً: "يا رجل، لو أنها قتلتنى فسيكون بمقدورها أن تأخذ كلّ مالى؛ حيث إننى سأكون عاجزا عن فعل أى شىء".

وافقه داريل متحمساً: "أوه...ذلك صحيح يا صاح...هل سمعت هذا يا حبيبتى؟".

إلا أن هوراشيو رفع يده محذراً: "لكنها ستقضى عندئذٍ بقية حياتها فى السجن بتهمتى القتل والسرقة بقوة السلاح، وفى الحقيقة فإن تينيسى الحبيبة تقضى على جرم كهذا بعقوبة الإعدام؛ فأتمنى أن يلزم كل منكما حدوده".

حدق فيه داريل بلا مبالاة، وعقله عاجز عن صياغة أى رد.

التفت هوراشيو إلى ليندا سو وقال: "وتأكدى من ألا تطلقى النار على نفسك".

إلا أنها ردت فى سرعة: "إن به زر أمان".

"سيكون هذا غريباً؛ فالمسدسات من هذا النوع لا يمكن تأمينها".

صاحت ليندا سو فى سخط: "أوه".

"لكِ الحق فى أن تسخطى".

الفصل

٣٢

كانت دار المسنين على بعد حوالى ساعة، وحينما دلف هوراشيو إليها، صدمته رائحة المكان الكريهة. لقد دلف كثيرا إلى أماكن قميئة مثل هذه لمعالجة الناس من الكآبة. تبا، ومن هذا الذى لا تصيبه الكآبة بعدما يقضى سنواته الذهبية وسط النفايات؟ يتكدس المسنون مثل الأقفاص والصناديق فى كراسيهم المتحركة ومشاياتهم المستندة إلى الحائط. وعبر القاعة، كانت أصوات الضحك المعلبة داخل جهاز التليفزيون تنبعث نحو آذان هوراشيو وليندا سو وهما يتوجهان إلى مكتب الاستقبال. كان صوت الضحكات غير كافٍ للتغطية على أصوات الشكوى والأنين الصادرة عن ذلك الجيل العتيق المهمل فى هذا المزيج كريه الرائحة من الخرسانة والآمال المسحوقة.

تحركت ليندا سو بثقة للأمام، وهى تتجاهل بطريقتها ما يحيط بها من بؤس إنسانى، وبعد دقيقتين كانا داخل غرفة الجدة، كانت غرفة مشتركة تبلغ عشر أقدام طولاً وعشر أقدام عرضًا، بها جهاز تليفزيون يبدو غير صالح للاستخدام. كانت شريكة الجدة فى غرفتها بالخارج، إلا أن الجدّة نفسها كانت تجلس فى كرسى مرتدية روبا منزليا عتيقا، وقدماها الحمراوان المتورمتان تبرزان من خلال نعلها الرث. كانت تحيط شعرها

الرمادى، أو ما تبقى منه بوشاح شبكى، وكان وجهها مترهلاً تغطيه التجاعيد، أسنانها مصفرة ومتحطمة فى عديد من الأماكن، ورغم ذلك فقد كانت عيناها متيقظتين وثابتتين. كانتا تتنقلان بين ليندا سو وهوراشيو ثم إلى حفيدتها من جديد.

قالت الجدة فى لكنة جنوبية رقيقة: "لم أركِ منذ فترة يا ليندى".

بدت ليندى سو متفاجئة بهذا التعليق فردت: "لقد كنت مشغولة، لدى أطفال يجب أن أربيهم، ورجل على أن أرضيه".

"وأى رجل هذا؟ ذلك الذى خرج للتو من السجن أم الذى دخله؟".

ندت عن هوراشيو ضحكة خافتة. كان من الواضح أن الجدة كبيرة السن لم تكن تعانى من الخرف.

قالت ليندى وهى تشير إلى هوراشيو: "يريد صاحبنا هذا أن يعرف بعض المعلومات عن أولئك الذين كانوا يعيشون فى الجوار بالحى حينما كنت تعيشين هناك".

دارت نظرات الجدّة حتى استقرت على هوراشيو. كانت هناك لمحة فضول فى هاتين العينين العجوزتين. من المحتمل أنها ترحب بأىٍ شىء قد يجعلها تنسى المكان الذى تقبع فيه.

بادرها قائلا: "هوراشيو بارنز"، ثم صافحها وهو يردف: "أسعدنى لقاؤك، وشكرا لكِ على هذا الوقت".

أجابته قائلة: "هيزل روز. الوقت هو الشىء الوحيد الذى لدى الكثير منه فى هذا المكان. والآن، ما الذى تريد أن تعرفه؟".

فأخبرها عن عائلة ماكسويل.

أومأت برأسها متفهمة وقالت: "أتذكرهم بالتأكيد؛ فلقد كان فرانك ماكسويل ذا طلعة بهية فى زيه الرسمى، وكذلك أولاده؛ جميعهم كانوا وسيمين أقوياء الشخصية".

"وابنته، ميشيل؟ هل تتذكرينها؟".

"بالطبع. لماذا لا تصارحنى عن سبب رغبتك فى معرفة هذه المعلومات؟".

"ربما وجدت السبب مملاً جداً".

"أشك فى أن ذلك الملل قادر حتى على أن ينافس ما فى هذا المكان من سأم، لذا أرجوك أن تتابع كلامك حتى تسرى عن امرأة عجوز".

"لقد طلبت منى العائلة اكتشاف شىء ما، شىء كان قد حدث حينما كانت ميشيل فى السادسة من عمرها. يمكن أن يكون هذا منذ حوالى سبع وعشرين أو ثمان وعشرين سنة مضت".

"حادث؟ مثل ماذا؟".

"حادث بوسعه أن يغير من شخصية ميشيل".

علقت ليندا سو ساخرة: "سحقاً، وهل تمتلك طفلة فى السادسة أية شخصية؟".

"بالعكس... فشخصية الطفل الدائمة تتشكل جوهرياً عند سن السادسة".

سخرت ليندا سو ثانيةً وبدأت تعبث فى مشبك محفظتها بينما أدار هوراشيو ظهره لها مولياً انتباهه لهيزل وهو يكمل: "هل لاحظت شيئًا من هذا؟ أعلم أنه قد مضى زمن طويل على هذا إلا أنكِ ستقدمين لى مساعدة كبيرة إذا أمكنكِ أن تتذكرى".

بدت هيزل مستغرقة فى تأملاتها قليلاً، وهى تزم شفتيها.

إلا أن ليندا سو كسرت الصمت أخيراً وهى تقول: "سأترككما وحدكما قليلاً". نهضت وهى توجه إصبعها نحو هوراشيو مردفة: "ليس هناك سوى مخرج وحيد لهذا المكان؛ فلا تفكر حتى فى التهرب منى من دون أن تنفذ ما اتفقنا عليه". ثم أبدت ما خيل لها أنها ابتسامة مخلصة ناحية جدتها ثم انصرفت.

سألته هيزل حالما انصرفت حفيدتها: "ما مقدار ما تعهدت بدفعه لها؟".

ابتسم هوراشيو، وهو يسحب كرسياً ليجلس بجانبها: "مائة دولار، وأنا أفضل بالأحرى أن أعطيه لكِ".

أشاحت هيزل بيدها رافضة هذه البادرة: "ليس هناك ما أصرف عليه المال فى هذا المكان. أعطها لليندى وحسب؛ فهى لا تعرف سوى الرجال الفاشلين، وهى ستحتاج إليها. لديها أربعة أطفال من أربعة رجال مختلفين وكأنهم تبرعوا بهم لها".

سألته فى النهاية: "وكيف حال ميشيل؟".

فقال هوراشيو بصراحة: "كان حالها أفضل".

اعترفت هيزل قائلة: "لقد كنت أتتبع حياتها المهنية... أقرأ عنها فى الصحف وغيرها".

"أفعلتِ هذا؟ لماذا؟".

"انظر إلى ما فعلته تلك الفتاة بنفسها. صارت رياضية أوليمبية، وعميلة سرية بجهاز الأمن الرئاسى. كانت لتفخر بنفسها، وكنت أعلم أنها ستصبح كذلك".

"هكذا؟".

"مثلما قلت أنت، فبوسعك أن تعرف ما سيكون عليه الطفل منذ سن مبكرة، وتلك البنت كانت عنيدة ومصممة. أتذكَر أن طموحها كان يتعدى حجمها، ولم تكن تلك البنت لتترك أى شىء يقف فى طريقها".

"كان من الممكن أن تصبحى خبيرة نفسانية بارعة".

"أردت أن أكون طبيبة، وتخرجت فى المرتبة الثالثة فى الكلية".

"وماذا حدث؟".

"أراد أخى الأكبر سنًا أن يكون طبيباً أيضًا، وفى ذلك الزمن كان الأولاد يحصلون على ما يريدون وليس البنات، لذا بقيت فى البيت، أعتنى بأبوى المريضين. وبعد ذلك تزوجت، وصار لدى أطفال، وتوفى زوجى بسبب جلطة فى اليوم التالى لتقاعده، والآن أنا هنا. ليست بالحياة الحافلة، لكنها كانت المتاحة أمامى".

"إن تربية ورعاية عائلة مهمة جليلة".

"أنا لا أقول بأنى آسفة على أى يوم فيها، لكن لكل شخص أحلامه، وبعض الناس، مثل ميشيل، يقاتلون بشدة لإدراك هذه الأحلام".

"هل لاحظت اختلافاً طرأ عليها؟".

"بلى. لكننى لا أستطيع القول بأن هذا قد حدث وهى فى السادسة؛ فقد مرت سنوات عديدة كما تفهم. لكن الطفلة لم تعد فجأة تنظر إلى عينىّ رغم أننا كنا أصدقاء، كنت أدعوها إلى حفلات شاى بسيطة وغيرها مع بعضٍ من أطفال الحى الآخرين. ثم توقفت عن المجىء. كانت أحياناً تجزع من أشياء ما، أو تبكى. حاولت الكلام مع أمها، لكن سالى ماكسويل لم تكن ترغب فى أن تسمعنى، كما أنهم انتقلوا من مسكنهم بعد ذلك بفترة قصيرة على أية حال".

"وهل لديك فكرة معينة عن ذلك الذى ربما يكون قد حدث ليتسبب فى تغيير شخصية ميشيل؟".

"لقد فكرت فى الموضوع على مر السنين، لكننى لم أتوصل لشىءٍ أبداً".

"أحد الأشياء التى أخبرتنى عائلتها بها أنها قد صارت وعلى نحو متزايد مهملة، وأن هذا لم يتغير".

"لم أكن أدعى إلى بيتهم كثيراً؛ فقد كانت سالى مشغولة، أما فرانك فلم يكن يهتم سوى بعمله".

"كنت أعتقد أن عمل الشرطة يتصف بالانتظام المطلق فى ساعات العمل".

"لقد رزقوا بميشيل فى وقت متأخر نسبياً، وكان فرانك يبذل جهده فى السيطرة على قوة الشرطة الرئيسية بالمدينة، وكان يعمل فى أثناء النهار، ويتلقى دروساً ليلية فى كلية محلية لنيل درجة الماجستير فى القانون الجنائى".

"يا له من رجل طموح! فهل من شىء آخر بإمكانك أن تخبرينى بِه؟".

"حسنا، هناك أمر يحيرنى، وربما ليس له علاقة بما تبحث عنه".

"سأسمع منكِ أى شىء الآن".

"حسنا... لقد كان لدى عائلة ماكسويل سياج جميل من الورود يحيط بمقدمة منزلهم، وكان فرانك قد زرعه كهدية لسالى فى عيد زواجهما. كان جميل المنظر والشذى. كنت أذهب إلى هناك لمجرد أن أشتم عبير الزهور".

"وهو لم يعد هناك الآن؟".

"ذلك صحيح؛ فلقد نمت ذات ليلة لأستيقظ فى الصباح التالى فأجد أن أحدهم قد خربه".

"وهل اكتشفتم الفاعل؟".

هزت رأسها بالنفى وقالت: "ظن فرانك أن من فعلها هم بعض الصبية الذين كان قد ألقى القبض عليهم بتهمة قيادة السيارة وهم سكارى، لكننى لست متأكدة من ذلك. فما علاقة مراهقين كهؤلاء بالزهور؟ من المنطقى أن يمزقوا إطارات سيارة فرانك أو أن يلقوا بالأحجار على نوافذ المنزل".

"هل تتذكرين متى كانت هذه الحادثة؟".

حدّقت فى السقف، وزمت شفتيها ثانيةً قبل أن تقول: "قبل ثلاثين سنة تقريباً، أحسب هذا".

"أو ربما قبل سبع وعشرين أو ثمانٍ وعشرين؟".

"هذا ممكن، أجل".

مال هوراشيو بظهره إلى الوراء، وقد استغرق فى أفكاره، ثم نهض مخرجاً محفظته من جيبه.

إلا أن هيزل رفعت يدها على الفور فى رفض.

وقالت : "أعط المال لليندى؛ فهى لن تتركك لحالك قبل أن تفعل هذا".

لكن هوراشيو لم يكن يخرج مالاً من محفظته؛ بل دون شيئاً على ظهر بطاقة وناولها إليها قائلا: "هذا هو اسم ورقم هاتف سيدة أعرفها هنا، وهى قادرة على أن تنتقل بكِ إلى دار أفضل من هذه بكثير. أمهلينى يوما للترتيبات وبعد ذلك هاتفيها".

"ليس لدى مال لدار أفضل".

"ليس للأمر علاقة بقدر ما لديك من مال؛ بل بعلاقاتك ومن تعرفين يا هيزل، والمكان الذى أفكر فيه يدير فصولاً دراسية مستمرة فى موضوعات مختلفة، بما فيها الطب، هذا إذا كنتِ لا تزالين مهتمة".

تناولت العجوز البطاقة وقالت فى هدوء: "شكراً جزيلاً لك".

وحينما هم هوراشيو بأن ينصرف، قالت له: "لو رأيت ميشيل، فبلغها سلامى، وأخبرها أننى حقاً فخورة بها".

"سأفعل".

سار هوراشيو عبر القاعة، ووجد ليندى تتهامس داخل حجرة الزوار مع أحد المرافقين، كان ضخم الجثة. ناول هوراشيو المرأة البدينة ما أرادته من مال، وسرعان ما خرج من المكان.

وبينما كان يدلف إلى سيارته بدأ يتساءل عن الكيفية التى يمكن بها تخريب سياج من الورود أن يسبب ذلك التأثير المدمر على حياة ميشيل ماكسويل...بعدها بثلاثة عقود من الزمن.

الفصل

٣٣

كان الصباح التالى حافلاً بالنسبة لميشيل؛ فقد أساءت إلى إحدى المرضات وتشاجرت معها حول هوراشيو بارنز، ثم عادت إلى غرفتها وجذبت تلك الماصة من فم شيريل بعدما لم تعد تحتمل تلك الأصوات التى تصدرها تلك المرأة بماصتها.

ثم سمعت وقع أقدام تتجه نحوها، وحينها أدركت أن لحظة الحقيقة قد حانت.

فقبضت على جسد شيريل، التى كانت تحتج بصوت عال، وألقت بها داخل الحمام وهى تصرخ فى وجه المرأة: "لا تخرجى حتى تسمعى صوت جسد يرتطم بالأرض"، ويبدو أن هذا الأمر كان كافيا لأن تتوقف شيريل عن الصراخ لأجل ماصتها.

أغلقت ميشيل باب الحمام فى عنف، ثم استدارت وبقيت ثابتة.

انفتح باب غرفتها بغتةً وبقوة، كان بارى هناك، يقبض على ماسورة معدنية.

صرخ فيها: "أيتها العاهرة".

فصرخت بدورها تسخر منه فى غضب واستهزاء: "يا تاجر المخدرات"، ثم أردفت وهى تضحك: "دعنى أحزر، لقد ألقوا القبض على شريكك هذا الصباح وقد اعترف عليك".

عاد يهدر ثانيةً: "أيتها العاهرة!".

أشارت له بيديها: "تعال...اقترب يا بارى، هيا. تعرف بأنكِ متيم بي، وبعد أن تلقننى درساً سيكون من حقك أن تقضى وقتاً ممتعاً معى".

قفز للأمام نحوها، وهو يرفع الماسورة عالياً استعداداً لضربة قاتلة.

إلا أنه حاول أن يتراجع فى آخر لحظة قبل أن ترتطم قدمها بوجهه فى ركلة قوية، لم تنتظر حتى يفيق من أثر الركلة، فسددت لكمة قوية بقبضتها إلى معدته، وبعدها دارت فى الهواء حول نفسها وهى تسدد ركلة أخرى؛ ولكن إلى فكه هذه المرة، فارتطم جسده بفراش شيريل. حاول جاهداً أن يفيق من هذه الضربات المتتالية، وهو مذهول من قوة ضرباتها، وألقى بالماسورة نحوها، إلا أنها مرت إلى جوار رأسها.

رفع بارى كرسياً وقذفه نحوها، إلا أن ميشيل تفادته فى خفة. دار حول الفراش وانقض محاولاً الإمساك بها، إلا أنها سددت ركلة جانبية هائلة إلى كليته لتخور قواه.

سقط على ركبتيه وهو يئن، بينما وقفت ميشيل فوق رأسه قبل أن تجهز عليه بلكمة من مرفقها وجهتها لمؤخرة رأسه؛ فارتمى جسده هامداً على أرضية الغرفة.

قالت ميشيل: "أنا فى الانتظار يا بارى. لو أردت أن تنهى هذا، فعليك أن تعجل؛ فسرعان ما ستأتى الشرطة".

همس فى ضعف: "عاهرة!".

"أليست لديك سوى هذه الكلمة؟".

حاول النهوض فاستعدت ميشيل لكى توجه له الضربة القاضية، إلا أن شرطيين من قوة فيرفاكس ظهرا عند مدخل الغرفة، وهما شاهرا السلاح.

فأشارت ميشيل إلى بارى قائلة: "هذا هو من تريدان. أنا ميشيل ماكسويل، التى اتصلت بالمفتش ريتشاردز بالأمس".

فقال أحد الشرطيين، وهو ينظر إلى الغرفة المحطمة: " هل أنتِ بخير يا سيدتى؟".

بينما كان بارى يئن وهو على الأرض ويقول: "أيها الأبله! أنا من تعرض للأذى. أنا بحاجة لطبيب، وهى من هاجمتنى".

"هذه غرفتى. وهو من جاء ومعه تلك الماسورة المعدنية، وبصماته فى كل مكان...لقد حاول الانتقام منى بسبب كشفى النقاب لوكر المخدرات الصغير الذى كان يديره هو وذاك الصيدلى، وأعتقد بأنهما كانا يحتالان على سجلات الحاسوب التى تسجل موجودات الأدوية؛ حتى لا تظهر السرقة، بينما كان صاحبنا بارى ينقلها إلى الخارج حيث عصابته مدعياً بأنها طرود بريدية يرسلها المرضى المقيمون هنا"، ثم نظرت إلى الرجل المتكوم على الأرض وهى تردف: "وكما تريان، فإن الرياح بالنسبة له لم تأتِ بما تشتهى سفنه".

ساعد الشرطى بارى على النهوض، بالرغم من احتجاجه وتألمه من جراحه المثخنة، وكبل يديه وهو يتلو عليه حقوقه.

قال أحدهما: "سنحتاج إلى شهادتك يا سيدتى".

"أوه...كم أتوق إلى أن أدلى بها".

كانا يعيدان سلاحيهما فى غمدهما وهما يقودان بارى إلى الخارج، حينما تجمد الكل فى مكانه؛ فعند مدخل الغرفة كانت ساندى فى كرسيها المتحرك، إلا أن نظراتهم لم تكن مسلطة على المرأة...بل على المسدس الذى كانت تصوبه نحوهم.

الفصل

٣٤

سارعت يد أحد الشرطيين إلى غمد سلاحه، لكن ساندى صرخت فيه: "إياك!"، وزادت من إحكام يديها على المسدس، وهى تصرخ فيه ثانية: "لا...أنا لا أريد إيذاءك، بل أريده هو"، كانت تشير بمسدسها نحو بارى.

توقفت نظراتها عنده وقالت: "ألم تتعرف على بعد؟ ليس هناك من سبب يدفعك إلى هذا. فأنت لم تأت ذلك اليوم لتقتلنى؛ بل جئت لتقتل شاهد العريس؛ ولكنك أخطأت فأصبت العريس بدلا من ذلك. أصبت زوجى!".

شهق بارى بينما اتسعت ابتسامة ساندى وهى تردف: "أوه، الآن بدأت تتذكر"، ثم هزت رأسها وهى تكمل: "ويا له من خطأ! قتلت زوجى، وتركتنى كسيحة وتركت هدفك، ولابد أن زعيم عصابتكم قد صب عليك جام غضبه".

تقدمت نحوها ميشيل فتحولت فوهة المسدس نحوها.

قالت لها ساندى: "ميشيل، لا تتقمصى دور البطل هنا. أنا حقاً لا أريد إيذاءك، ولكنّى سأفعل إذا حاولت منعى من أن أنتقم من هذه النفاية".

"ساندى، ليس عليك أن تفعلى هذا؛ لقد اعتقلوا بارى بتهمة الإتجار فى المخدرات، ومن المؤكد أنه سينال عقوبة كبيرة".

"كلا، لن يحدث هذا يا ميشيل".

"ساندى، لدينا الدليل، وهو مذنب لا محالة".

"سيستفيد من إجراءات برنامج حماية الشهود، وسيغطّون على جرمه تماماً كما فعلوا فى الماضى".

التفتت ميشيل تنظر إلى بارى وبعدها عادت تقول لساندى: "برنامج حماية الشهود؟".

"لقد وشى برؤساء عصابته ولم يدخل السجن ساعة واحدة عقوبةً لقتله الرجل الذى أحببت؛ فلقد غض رجال (الإف بى آى) الطرف عنه لأنه ساعدهم على إسقاط واحدة من أكبر العائلات الإجرامية، وسوف يغضون الطرف عنه هذه المرة أيضا. أليس هذا صحيح يا بارى، أم أناديك باسمك الحقيقى، أنتونى بيندر؟".

فابتسم بارى وقال: "لا أعرف ما الذى تتحدثين عنه، وإذا حاولت أن تطلقى النار على فستنتهين إلى المصير نفسه".

"وهل تعتقد بأننى أهتم بذلك؟ فلقد حرمتنى من الشىء الوحيد الذى كان يهمنى أمره".

"إننى حزين من أجلك، أيتها السيدة الصغيرة الكسيحة".

"اخرس! اخرس!"، كانت ساندى تصرخ، وإصبعها يلامس الزناد.

كان الشرطيان ينظران بثبات إلى سلاح ساندى، وأحست ميشيل بهذا، فاستدارت وهمست بشىء لهما، أسرعت وانسلت بين بارى وساندى.

"ساندى، أعطينى المسدس؛ فهو سيسجن هذه المرة، أنا سأعمل على تحقيق هذا".

"حقاً!"، هكذا قال بارى يضحك ساخراً.

فالتفتت ميشيل إليه فى سرعة وقالت: "اخرس، أيها الأبله"، ثم عادت تنظر إلى ساندى.

"سيدخل السجن، أقسم لكِ. والآن ناولينى المسدس".

"ميشيل، ابتعدى عن طريقى؛ لقد قضيت سنوات عمرى أتعقب هذا الوغد، وعلىّ الآن أن أنهى حياته".

"لقد حرمك من زوجك وساقيك؛ فلا تسمحى له بأن يحرمك من بقية حياتك".

"أية حياة؟ أتسمّين هذه حياة؟".

"يمكنك أن تساعدى أناساً آخرين يا ساندى. ذلك يساوى الكثير".

"بل أنا حتى لا أستطيع مساعدة نفسى، فكيف لى أن أساعد غيرى؟".

"لقد ساعدتنى أنا"، أخذت ميشيل خطوة أخرى للأمام، وأضافت بنبرة أكثر هدوءاً: "ساعدتنى... أنت لست بمجرمة، ولا قاتلة، بل إنسانة طيبة؛ فلا تدعيه يحرمك من هذا".

اهتز المسدس قليلاً بين يدى ساندى، لكنها عادت تقبض عليه في قوة، وهى تقول في هدوء: "أنا آسفة يا ميشيل. معكِ حق؛ فأنا لا أستطيع أن أقتل هذا القذر حتى وإن كان يستحق ذلك".

"هذا صحيح يا ساندى، والآن أعطنى المسدس".

"وداعاً يا ميشيل".

"ماذا!".

كانت ساندى تدير فوهة المسدس لتلصقه بصدغها وتضغط الزناد، و.... أصدر تكة معدنية... فاعتصرت ساندى الزناد ثانيةً؛ ولكن الرصاصة التى أرادتها ختاماً لحياتها لم تنطلق، فنظرت في ذهول إلى ميشيل، التى تحركت فى هدوء نحوها وأخذت المسدس من يدها وهى تقول: "لقد أفرغته من ذخيرته".

حدقت فيها ساندى بدهشة، قائلة: "كيف... كيف عرفت بنيتى؟".

"تلك الأوساخ على أصابعك وعلى أرضية الغرفة، فاعتقدت أن هناك أحداً يعبث فى تربة سلة الزهور، وأدركت أنك كنت تخفين شيئاً".

سألها أحد الشرطيين: "ولماذا لم تخفى عنها المسدس وحسب؟... لو لم نعرف منك للتو أنه فارغ من رصاصاته، لكان من الممكن أن نطلق عليها النار".

أمسكت ميشيل بيد ساندى التى كانت ترتجف وقالت: "اعتقدت أنه من الأفضل لها أن تصل بهذا الانفعال إلى منتهاه، حتى تستطيع مواصلة حياتها، ولتتبين ما هى قادرة أو غير قادرة على فعله"، ثم ابتسمت برقة لها وهى تردف: "أحياناً ما يكون هذا أفضل علاج".

فقالت لها ساندى: "وهل كنت تعرفين بأمر بارى؟".

"لم أتصور أنه من قتل زوجك، لكنى لاحظت أنك تراقبينه، وحدست بأنك مهتمة بتحركاته. على أنى لم أعلم بأمر برنامج حماية الشهود هذا".

هنا تدخل بارى ليقول بثقة: "بالمناسبة... عليك بالاتصال بالمسئول عن مراقبتى بجهاز خدمة السجون الأمريكى. اسمه بوب ترومان، بالعاصمة".

فقالت ميشيل ببهجة مفاجئة: "بوب ترومان؟".

فنظر بارى إليها شذراً وقال: "أتعرفينه؟".

"بالطبع؛ فلقد ربحت الميدالية الفضية فى الألعاب الأولمبية مع ابنته، وحينما أخبره بما حدث، فستكون محظوظاً لو أمكنك أن ترى نور الشمس بعد الآن. لابد أن هذا اليوم هو يوم سعدى".

وهكذا اقتادوا بارى، الذى أخذ يركل بساقيه ويصرخ. بينما كان الشرطيان يحاولان أن يقتادا ساندى معهما، لكن ميشيل أقنعتهما بأن يتركاها؟ قائلة: "هل تودان حقاً أن تسجلا ما حدث هنا فى محضر رسمى؟ كما أنكما بهذا ستجلبان غضب

وكراهية كل زوجة فى أمريكا". كانت تتعمد التحديق فى خاتم الزفاف بإصبع أحد الشرطيين.

فقال الشرطى بعصبية لشريكه: "لقد كان المسدس فارغاً".

رد عليه الشرطى الآخر قائلاً: "تباً، لست بحاجة إلى ما ينغص علىّ عملى، لكننا سنحرز السلاح".

وهكذا تحركت ميشيل بساندى إلى غرفتها وقضت بعض الوقت فى الكلام معها، ولما عادت ميشيل إلى غرفتها، سمعت صوت نشيج؛ ففتحت باب الحمام فكادت شيريل تسقط من ورائه.

"شيريل، أنا آسفة، لقد نسيت أمرك تماماً"، كانت شيريل ترتجف فقادتها ميشيل إلى فراشها، وجلست جوارها؛ ثم شاهدت الماصة ملقاة على الأرضية، فالتقطتها وناولتها إياها؛ لكن شيريل ولدهشتها لم تبدأ بمصّها، بل زادت من تشبثها بميشيل، حتى إن ميشيل كانت تحس بحدة عظام المرأة وهى تضغط على جلدها.

تنهدت ميشيل، ثم ابتسمت وهى تعاود احتضان المرأة من جديد وتقول: "سمعت بأنهم سيعقدون جلسة مفيدة الليلة حول اضطرابات تناول الطعام. ما رأيك أن نحضرها معًا بعد العشاء؟".

فقالت شيريل هامسةً وهى ترتجف: "ولكنك لا تعانين من اضطرابات غذائية".

"هل تمزحين معى يا شيريل؟ إننى أتناول شريحة الساليزبيرى، وهذا يكفى، بل إننى بدأت أحبها، ولو لم يكن هذا اختلالاً غذائياً...فما هو الاختلال إذن؟".

الفصل

٣٥

فى المساء التالى كان شين يحزم حقائبه حينما قرع أحدهم باب غرفة نومه.

"تفضل".

دس شامب بوليون رأسه من خلال الباب.

فسأله شين: "هل تكلمت أليسيا معك؟".

"حول انتقالك من هنا؟ نعم. ليس لدى مشكلة فى أن تلعب دور الملاك الحارس لفيجى"، ثم أضاف بحزم: "ولكننى أحذرك فقط من أن ينتهى الأمر بمصرعك".

"لطالما كنت أعطى الأولوية القصوى للحفاظ على حياتى".

أغلق شين حقيبته ووضعها على الأرض ثم قال: "تعرف، إننا لم نتحدث معًا حتى الآن عما تقوم به هنا فى بابيج تاون".

فدلف شامب إلى الغرفة، وهو يقول: "كنت أعتمد على لين فى أن يزودك بهذه التفاصيل...".

قاطعه شين قائلاً: "وبما أن لين قد صار عاجزاً عن القيام بهذه المهمة، فهلا خرجنا نتريض قليلا؟ يمكن أن أتمشى حتى الكوخ رقم اثنين معك الآن".

"إذن فأنت تعرف بأمر الكوخ رقم اثنين، أليس كذلك؟".

"وأنا حقاً متشوّق لمعرفة ذلك الابتكار الذى لديكم، ذلك الذى سيجعل الناس ينسون أديسون وبيل؟".

"معروف عنى الاستسلام لمثل هذه المبالغات من وقت لآخر".

"لماذا لا تدعنى أرى بنفسى؟".

"اسمع، أنا لا أقصد عدم التعاون معك و...".

إلا أن شين قاطعه قائلا: "تعاون معى إذن".

فقال شامب فى تعال: "هناك أسرار لابد أن يحافظ عليها المرء".

"دعنى أوضح لك الموقف هنا يا شامب. أولاً، أنا أعمل مع مدير الشرطة هايز فى هذه القضية، وبوسعه أن يرغمك على أن تطلعنى على ما أريد هذا إذا أجبرتنى على أن أسلك هذا الطريق. ثانياً، كلا الرجلين اللذين لقيا مصرعهما على صلة ببابيج تاون. وأشك فى أنك تود للأمور أن تصل إلى قتيل ثالث، خصوصاً لو تصادف أن تكون أنت القتيل الثالث هذا".

"أنا! هل تعتقد بأننى فى خطر؟".

"ما أعرفه هو أننى فى خطر، وبالتالى فأنت بدورك فى خطر".

"اسمع، أليس بإمكان هذا الانتظار؟ فأنا مشغول جداً".

"ذلك الذى قاله لى لين ريفيست، وأنت تعرف ما حل به".

جفل شامب للحظة، قبل أن يتمالك نفسه ويقول: "لا أعرف، لكن هذا صعب جداً".

"علمتنى التجارب أن من لا يبدى تعاوناً هو من يكتم أسراراً".

فاحمر وجه شامب وهو يقول: "ليس لدى ما أخفيه".

"جيد، فليس لديك مانع إذن من أن تخبرنى أين كنت بين الساعة الثانية عشرة والثانية ليلاً، فى الليلة التى قتل فيها لين ريفيست؟".

"هل هذه هى الفترة التى قُتل فيها؟".

"أجبنى فقط عن السؤال".

فقال الآخر فى تحدّ: "ليس على أن أجيب عن أى شىء".

"هذا صحيح. اتصل بمحاميك، وأغلق فمك، ودع مكتب التحقيقات الفيدرالى يتحرى كل تفاصيل حياتك بدءاً من فترة ما قبل المدرسة، وأنت تعلم مدى دقتهم فى هذا الصدد".

بدا شامب مستغرقاً فى فكره لبضع لحظات ثم قال: "لم أستطع أن أنام؛ لذا توجهت إلى الكوخ للحصول على بعض نتائج الاختبار".

"وهل رآك أحد؟".

"بالطبع؛ فهناك دائما أناس يعملون، فنحن فى عملية لا تتوقف خطواتها أبداً".

"إذن فقد كنت هناك طيلة ذلك الوقت؟ من الثانية عشرة وحتى الثانية صباحاً؟ وبعدها؟ على أن يكون لما ستقوله شهود"، وكان شين يقول فى نفسه: *"هيا شامب، خبرنى ولو كذبة واحدة. هيا"*.

بدت قطرات عرق فوق جبين شامب وهو يقول: "ما أعلمه هو أنك لا تستطيع احتجازى ولو لدقيقة واحدة".

"أنا بالفعل لا أستطيع، لكن هناك من يستطيع، بل وسيحتجزك على الفور، والآن دعنا نذهب لنلقى نظرة على كوخك".

وفى الطّريق إلى هناك قال له شين: "هل يأتيك عمال نظافة؟ أم أنكم تقومون هنا بهذه الأعمال بأنفسكم؟".

"تأتى الخادمات يومياً فى عدة نوبات. هناك نحو أربع وعشرين خادمة فى النوبة الواحدة".

أشار برأسه تجاه خادمة ترتدى الزى الأبيض وهى تدفع فوق الرصيف عربة تحوى ملابس للمغسلة وقال: "تتم خدمات المغسلة فى جزء من الكوخ رقم ثلاثة، بجانب مقر الأمن، ويتم

التدقيق فى اختيار جميع عمال النظافة، ويرتدون زياً واحداً ويحملون بطاقات هوية لا يمكن التلاعب بها؛ فهل ذلك كاف؟".

"لا، ليس كافيًا. وأى نوع من المنظفات يستعملون؟".

عندها توقف شامب عن السير وهو يحدق فيه فى دهشة وقال: "ماذا قلت؟".

"كنت أمزح فقط يا شامب؛ كنت أمزح".

الفصل

٣٦

كان الكوخ رقم اثنين أكبر جداً من ذلك التابع لأليسيا. وللدخول عبر الباب المغلق، كان على شامب أن يدخل شارته الأمنية فى شق، وأن يتم المسح الضوئى لبصمات أصابعه من قبل جهاز بالحائط، أما الكوخ من الداخل فكان مكونا من منطقة عمل هائلة فى المنتصف، مع غرف مرفقة تحيط بها، وأمكن لشين أن يرى من خلال بعض الأبواب المفتوحة بهذه الغرف ماكينات متطورة وأناسًا يعملون عليها، وعلى إحدى الحوائط لافتة مدون عليها: "P=NP".

فأشار شين إليها متسائلاً: "ما الذى تعنيه هذه المعادلة؟".

تردد شامب قليلاً قبل أن يجيبه: "هى معادلة تمثل NP، أو الزمن غير الحتمى متعدد الحدود الذى يساوى P أو الزمن متعدد الحدود، والذى حينما يتحقق بالكامل، سيجعل E تساوى MC مربعة تبدو مثل مخطط لمجموعة من الأشياء عديمة القيمة".

"وكيف ذلك؟".

"يمثل الزمن متعدد الحدود المشاكل سهلة الحل، أو السهلة نسبيا، وتمثل مشاكل NP الكاملة المشكلات الأشد صعوبة فى هذا الكون".

"مثل كيفية علاج السرطان؟".

"ليس بالضبط، بالرغم من أن أحداً لا يعرف نوعية التطبيقات التي قد تظهر، وفي الحقيقة فإن لدينا قسمًا هنا وظيفته الوحيدة هي أن يحدد الكيفية التي يتخذ بها البروتين المفرز حديثاً الشكل المناسب لوظيفته في الجسم، فهناك تريليونات الطرق المختلفة التي يتخذها هذا البروتين، ومع هذا فهو لا يتخذ سوى الشكل المناسب في كل مرة".

لاحظ شين أن عقدة لسان الرجل تنفك حينما يدور الحديث عما يتعلق بمجال خبرته؛ فعزم على أن ينتهز هذه الفرصة. قال شين: "إذن. لو كان هذا ما يحدث على الدوام، فما هو الداعي إلى فهم الطريقة التي يحدث بها ذلك؟".

"لأنها أحيانا ما تخطئ، وحينها تكون النتائج كارثية؛ فالزهايمر ومرض جنون البقر من أمثلة فشل البروتين في اتخاذ الشكل المناسب، لكن الذي أتحدث عنه حقا، على سبيل المثال، هو أفضل وسيلة لصناعة سيارة، أو كيفية إدارة الملاحة الجوية في العالم ليس بواحدة من أفضل الطرق الممكنة، بل أفضل طريقة ممكنة مع الأخذ في الحسبان كل عامل يمكن تصوره، وكيفية الانتقال بالطاقة من النقطة(أ) وحتى أي مكان آخر بالكفاءة القصوى؛ أو كيفية الانتقال بالبشر بأقصى وأكفأ وسيلة ممكنة. لك أن تعلم أن رجل مبيعات يريد أن يزور خمس عشرة مدينة مثلاً، يكون أمامه ٦٥٠ بليون احتمال للقيام بالتخطيط لرحلته.

وهل تعلم أنه لا يوجد أي برنامج حاسوب يمكنه أن يضمن لك ألا يكون خالياً من العيوب؟ لكننا لو نجحنا في حل إشكالية NP هذه سيكون من الممكن إنتاج البرنامج الكامل في كل مرة، وهناك نقطة أخرى بالغة الأهمية، تتمثل في حقيقة تكون الكون؛ فهناك من الأسباب ما يدفعنا إلى الاعتقاد بأننا لو نجحنا في حل إشكالية NP، فإننا سننجح في حل كل هذه الإشكاليات وبضربة واحدة، وسيكون هذا هو أعظم اكتشافات التاريخ قاطبة؛

بل إن نيل جائزة نوبل وحدها سيكون انتقاصاً من شأن هذا الاكتشاف".

"فما الذي يمنع الحاسبات من فعل هذا الآن؟".

"إن الحاسبات آلات حتمية، بينما، وحسبما عرفنا من اسمها، فإن إشكاليات NP غير حتمية، ولهذا نحتاج تقنية غير حتمية لحلها".

"وهو ما تعملون عليه هنا؟".

"إلى جانب البحث عن طريقة لتحليل الأعداد الضخمة وبسرعة".

"لقد أوضحت لي أليسيا هذا المفهوم؛ فهي تحاول إيجاد طريق مختصر، وبعدها لن يكون هناك شيء مؤمن، وسينقلب العالم الذي نعرفه رأساً على عقب؛ فهل يستحق تدمير العالم جائزة نوبل؟".

استهجن شامب منطقه قائلاً: "تلك قضية السياسيين، وليس قضيتنا نحن العلماء المتواضعين، فبحث أليسيا مجرد محاولة قد لا تصيب"، ثم أشار شامب إلى كل ما يحيط به متابعاً: "هنا يكمن الجواب. علينا فقط أن نجده"، ثم تردد لحظة قبل أن يقول: "انظر إلى هذه".

ثم قاد شين بلهفة إلى منضدة بيضاوية مغطاة بالزجاج. وتحت الزجاج ماكينة صغيرة غريبة المنظر.

سأله شين: "ما هذه؟".

"إنها ماكينة تورينج"، هكذا أجابه شامب بنبرة وقار.

"تورينج. أتقصد مونك تورينج؟".

"كلا، بل آلان تورينج. وعلى أية حال، فإني أعتقد بأن مونك كان له صلة به، وهو ما يثبت لي أن الجينات الوراثية تلعب دورها أيضاً، فلقد كان آلان تورينج عبقرياً حقيقياً أنقذ حياة ملايين البشر في أثناء الحرب العالمية الثانية".

"هل كان طبيباً؟".

"كلا... كان تورينج عالم رياضيات، ومع ذلك فتلك الصفة بالكاد تنصف الرجل؛ فقد كان مسئولاً عن متنزه بليتشلي المشهور، خارج لندن".

لقد أسمينا البنايات هنا بالأكواخ تقديراً لخبراء فك الشفرة في بليتشلي؛ لأنهم كانوا يسمون المرافق التي عملوا بها بالأكواخ. وأوجز لك الأمر ببساطة... فقد اخترع تورينج ماكينة كانت قادرة على التغلب على ماكينة إنيجما الألمانية الشهيرة، والتي كانت تولد الشفرات. لقد انتهت الحرب في أوربا مبكراً بعامين على الأقل بسبب ما قام به تورينج. (وقد كان شاذاً جنسياً. وأحمد الله على أن الحكومة لم تكتشف ذلك وقتها، وإلا لكانت قد أوقفته عن العمل وربما خسر الحلفاء الحرب البلهاء! فكما تبين فيما بعد، فحينما انتهت الحرب افتضح أمر شذوذه الجنسي؛ ففقد منصبه ولم يكن أمامه سوى الانتحار، وضاعت كل تلك الموهبة ").

"وأسميتموها بماكينة تورينج؟".

"نعم. تورينج أفترض أنها ماكينة مفكرة بصورة شاملة، ومع ذلك فهي تبدو بسيطة التكوين، ويمكنني أن أؤكد لك أنها ومن خلال مجموعة صحيحة من الأوامر قادرة على أن تواجه أي مشكلة، وكل الحاسبات اليوم مبنية على غرار هذه الفكرة؛ اعتبرها برنامج حاسوب قديماً. لا أحد يمكنه أن يخترع حاسوباً كلاسيكياً أقوى وأفضل في مفهومه من ماكينة تورينج؛ يمكنك فقط أن تصنع واحداً يؤدي الخطوات بصورة أسرع".

"ها قد عدنا إلى كلمة الكلاسيكية ثانية".

التقط شامب أنبوباً زجاجياً طويلاً رقيقاً وقال: "وهذه هي الأداة الوحيدة في العالم التي يمكن القول بأنها أشد فعالية من ماكينة تورينج".

"لقد أريتني هذا الشيء عند أول لقاء لنا، لكنك لم توضح لي ماهيته".

"يمكنني أن أخبرك، لكنك لن تفهم".

فقال شين في تبرم: "بربك، فأنا لست بهذا الغباء".

فبادره الرجل قائلا: "ليس هذا ما قصدته! أنت لن تفهمه لأنني أنا نفسي لا أفهمه حقاً؛ فالعقل الإنساني غير مهيأ للعمل عبر مسطح شبه ذري، وأي فيزيائي يخبرك بأنه يفهم العالم الكمي تمام الفهم هو رجل كاذب".

"كمي؟ أهذا هو ما نتحدث عنه هنا؟".

"جزيئات ذرية فرعية بشكل محدد تمتلك القدرة على حساب قوى أبعد بكثير من الفهم الإنساني".

قال شين وهو ينظر إلى الأنبوب: "لا يبدو لي أنه يمتلك كل هذه القدرة".

مر شامب بإصبعه على امتداد الأنبوب وقال: "في مجال الحاسوبات يقولون بأن للحجم أهميته، وفي مختبر لوس ألاموس الوطني يوجد حاسوب عملاق يسمونه بالجبل الأزرق، وكما أنك وبلا شك تعرف، فإن كل جهاز حاسوب شخصي في العالم به رقاقة سيليكونية، هي دماغ الحاسوب وبه ملايين المفاتيح الصغيرة التي تعمل بلغة الصفر والواحد، أما الجبل الأزرق فله أكثر من ستّة آلاف رقاقة تجعل منه حاسوباً قادراً على القيام بثلاثة تريليونات عملية حسابية في الثانية، وهم يستعملونه في محاكاة تأثيرات الانفجار النووي منذ أن قررت الولايات المتّحدة، حمداً لله، ألا تفجر تلك الأشياء الملعونة في أرض الواقع. وعلى أية حال، ومع ماكينة بهذه القوة، وعندما حاولوا إعادة إنتاج مجرد جزء من مليون جزء من الثانية من انفجار نووي، فقد استغرق الأمر من هذا الأزرق أربعة أشهر قضاها في تحليل الأعداد".

علق شين في دهشة: "ليست بالسرعة المدهشة أبداً".

"إنهم يعملون على حاسوب عملاق آخر سيجعل من الجبل الأزرق شيئاً من الماضي ـ ماكينة تقوم بثلاثين تريليون عملية

حسابية فى الثانية، وسموها رمزاً (كيو) وهى تشغل مساحة هكتار من الأرض، وستكون قادرة على أداء عدد من الحسابات فى الدقيقة الواحدة يفوق ما يمكن لإنسان معه أن يقوم به خلال بليون سنة، بل إن هناك خططا لبناء واحدة أسرع من هذه أيضاً، ومع هذا فكل هذه الحاسبات ليست أفضل من ماكينة تورينج؛ فهى فقط تشغل مساحة أكبر وتكلف الكثير عند تشغيلها. ذلك كان أفضل ما أمكننا أن نفعله"، ثم رفع الأنبوب وهو يقول: "إلى الآن".

"تقول بأن هذا حاسوب؟".

"فى وضعيته الحالية ليس سوى أداة أولية يمكنها القيام ببضعة حسابات، ورغم ذلك فهذه ليست النقطة الأساسية. فأى حاسوب يتكلم بلغة الواحد والصفر، فأنت بالنسبة لأى حاسوب كلاسيكى إما واحد أو صفر، فأنت لست كليهما، وفى العالم الكمى لا تستقيم هذه القواعد؛ فالذرة، فى الحقيقة، يمكن أن تكون كلا من الواحد والصفر فى نفس الوقت، وهنا يكمن جمال المفهوم الكامل؛ فالحاسوب الكلاسيكى يتثاقل فى التعامل مع المشكلة وفى الغالب بأسلوب خطى حتى يصل إلى الحل. أما مع الحاسوب الكمى فكل ذرة وحيدة تبحث عن الجواب الصحيح بالتوازى. لذا، فلو كنت تريد معرفة الجذر التربيعى لكل الأعداد من ١ إلى ١٠٠,٠٠٠، فضع كل الأعداد على خط الذرات، وعالج الذرات بالطاقة، وبعد ذلك حطمها جيداً وبعناية؛ لأنه ما إن تلاحظ حتى يتكشف كل شىء كمنزل بنى من أوراق اللعب ثم تهاوى، وسرعان ما تكون أمامك كل الأجوبة الصحيحة فى نفس الوقت، وفى أجزاء من الألف من الثانية".

"لا أرى كيف يمكن حدوث هذا".

انقلب وجه شامب بغتة وقال: "بالطبع لا تستطيع هذا! فأنت لست بعبقرى، ولكن دعنا نفسره من خلال شىء يمكنك فهمه؛ فالحاسوب العملاق، مثل الوحش الهائل (كيو)، يتغذى

على البيانات فى أربع وستين قطعة. لذا دعنا نجدل صفاً من أربع وستين ذرة معاً، وتذكر أنه فى الوقت الذى يشغل فيه (كيو) مساحة هكتار؛ فإن الأربع والستين ذرة المجهرية لا ترى بالعين، وبوسع هذا الحاسوب الكمى ذى الذرات الأربع والستين أن يؤدى ثمانى عشرة كوينتيليون عملية فى الثانية مقارنة بكيو الذى يؤدى فقط ثلاثين تريليون عملية فى الثانية".

فغر شين فاه ثم قال: "ثماني عشرة كوينتيليون؟ هل هذا رقم فعلى؟".

"سأحاول أن أبسط الأمر لك. فلكى يتساوى (كيو) مع قوة تلك الأربع والستين قطعة المجهرية من الطاقة، فإن ذلك الحاسوب العملاق يحتاج إلى ما يساوى خمسمائة شمس لكى يحتوى كل رقاقات الحاسوب المطلوبة". ثم ابتسم بخبث وهو يضيف: "إذا أمكنك أن تفهم كيفية التعامل مع قضية الحرارة، بالطبع. أو أن تستخدم الجزيئات. وكما ترى فهى تشغل مساحة أقل من هذا بكثير، وكما قلت لك، فهذا هو سبب أن للحجم أهميته فى عالم الحاسبات؛ فالأصغر أفضل بكثير من الأكبر".

سأله شين: "وهل كان مونك تورينج يتعامل مع كل هذا؟".

"نعم. فقد كان فيزيائياً موهوباً جداً".

"وما عرفه كان شيئاً يمكن بيع أسراره؟"

"هناك بالتأكيد أناس راغبون فى دفع الثمن".

"هل ذكر لك أى أحد من قبل احتمال أن يكون هناك جواسيس فى بابيج تاون؟".

رأى شين أن يلقى بهذا التعليق مرتجلاً حتى يلحظ رد فعل الرجل.

"من أخبرك بذلك؟".

"إذن فأنت تعرف باحتمال وجود جواسيس؟".

"كلا، أعنى... حسناً... هذا أمر محتمل دائماً"، قالها شامب بتردد، وقد شحب وجهه جداً.

"لا بأس، اهدأ، وأخبرني بالحقيقة".

اعتدل الرجل قائلا: "لا أستطيع القول بيقين بوجود جواسيس أو عدم وجودهم هنا. تلك هي الحقيقة".

"ولو كانوا موجودين، فما الذي قد يبحثون عنه؟".

"لدينا سنوات من البيانات، ومن الأبحاث، والتجربة والخطأ، ومن التقدم، والإمكانيات، ونحن نقترب من هدفنا".

"وهل لهذا الشيء قيمته؟".

" بل له قيمة هائلة".

"يستحق أن تندلع لأجله الحروب؟".

حدق شامب فيه وقال: "آمل ألا تصل الأمور لهذا، ولكن...".

"لقد سافر مونك تورينج إلى خارج البلاد قبل حوالى تسعة شهور، ولابد أنك قد صادقت على تلك الإجازة؛ فهل تعرف إلى أين ذهب؟".

"كلا، لكنه قال إن الأمر متعلق بالعائلة. أنت لا تعتقد أن مونك تورينج كان جاسوساً، أليس كذلك؟".

لم يجبه شين. لمح إحدى العاملات التي كانت تغادر الكوخ. ولما عبرت المدخل، ومضت لوحة صغيرة بجانب الباب. لم يكن شين قد لاحظها عندما وصل إلى هنا.

"ما هذا؟".

قال له شامب: "ماسح ضوئي. يسجل آلياً هوية من يغادر ووقت مغادرته".

"هذا صحيح. كما أخبرني لين ريفيست عن سجل الحاسوب؛ فقد تمكنوا من تتبع تحركات مونك تورينج بهذه الوسيلة، وهكذا بوسعنا أن نسأل الحاسوب عن موعد مجيئك إلى هنا الليلة الماضية وموعد انصرافك".

هم شامب بالرد حينما انتبه كلاهما ناحية الباب الذي انفتح بغتة وبقوة، ودلف المأمور هايز مسرعاً وبصحبته حارس أمن ينظر حوله في ترقب.

قال هايز لشين وهو يلتقط أنفاسه بقوة: "لقد كنت أبحث عنك في كل مكان؛ فنحن مطلوبان لحضور اجتماع، الآن، مع آيان وايتفيلد. كان قد طلب مني الحضور، لكنني أردت أن تكون معي".

سأله شين وسط دهشته: "ومن هو آيان وايتفيلد هذا بحق الله؟".

أجابه هايز: "إنه من يدير كامب بيرى. من الأفضل أن نسرع"، ثم رمق شين بحدة وهو يضيف: "ألن تأتي؟".

"بل سآتي".

الفصل

٣٧

بعد معاناة خلال وجبة العشاء المبكرة وحضور جلسة مناقشة اضطراب التغذية مع شيريل، قامت ميشيل بإنهاء إجراءات خروجها من المصحة، وقبل أن تغادر قررت زيارة ساندى.

"لقد استشرت زميلى فى جهاز المارشال الأمريكى، وأخبرنى بأنهم ساخطون مما يقوم به بارى، وقرروا ألا يحظى بدعم برنامج حماية الشهود، وطلبوا من المدعى العام المطالبة بأقصى العقوبة".

"لا يمكننى أن أوفيك الشكر يا ميشيل، ولا أعرف ما الذى كان يمكن أن يحدث لو كان المسدس محشواً بالذخيرة".

"لا عليك، وهل وجد الأصدقاء المجانين إلا لذلك".

"لا تقلقى علىّ واذهبى إلى ذلك الرجل الذى تحبين".

"ساندى...نحن فقط أصدقاء".

"لكنكِ سترينه".

"بل أتوق إلى ذلك...إننى أفتقده".

"جيد، وعندها ستحددين ما إذا كنت تودين أن تبقى صديقة له فحسب أم لا".

بينما كانت ميشيل تتجه نحو الخارج، نادتها ساندى: "لا تنسى دعوتى إلى الزفاف، ولو كنت مكانك لاشتريت كاشفاً

للمعادن، فلن تعرفى مع طبيعة عملك هذه هوية من سيحضرون زفافك".

فى طريق خروجها تركت رسالة لهوراشيو بارنز عند رئيسة المرضات: "أخبرى صاحب الدراجة الهارلى بأن يحذفنى من قائمة مرضاه؛ فلقد شفيت".

"وأنا سعيدة لأن خطة علاجك قد آتت ثمارها معك".

"أوه، ليس للأمر علاقة بما وضعتموه من خطة علاجية؛ فالإيقاع ببارى هذا كان له مفعول أجدى من كل الأقراص المهدئة". أغلقت ميشيل الباب خلفها فى عنف، وأخذت تستنشق هواء المساء الطلق قبل أن تستقلٍ سيارة أجرة فى طريقها إلى الشقة الجديدة. دلفت إليها مستخدمة المفاتيح التى كان شين قد تركها لها، وأخذت تقلب فى حاجاتها، بل إنها فتشت كذلك فى بعض حاجيات شين، مفسدة كل ما بذله من جهد فى ترتيب المكان، رغم علمها بمدى حبه للنظام.

ثم هرولت نحو عربتها وأخذت تجول بها الشوارع قرابة نصف الساعة وقد فتحت نوافذها، والموسيقى تصدح عبر سماعات مشغل الأقراص، وهى تشعر بالراحة وتتحسس ما هو أسفل قدميها من علب معدنية فارغة. كانت تعلم أن هذا هو كل ما تحتاج إليه الآن، ومع أنها لم تكن تطيق تلك الجلسات مع بارنز، إلا أنها قد نجحت فى احتمالها، كما أنها لم تدخل فى أى صراع إرادة إلا وكانت هى الطرف المنتصر.

إلا أنها سرعان ما نسيت كل شىء عن هوراشيو بارنز وهى تركز أفكارها فى ما تنتوى القيام به: أن تلتحق بشين. ربما كان عليها أن تهاتفه وتعرفه بأنها فى الطريق إليه، إلا أنها لم تكن لتقوم بهذه الخطوة السهلة، ومع أنها لم ترد أن تبدى هذا، لكنها كانت فى قرارة نفسها تخشى من أن يطلب منها ألا تحضر بمجرد أن تخبره بذلك.

حينما عادت ميشيل إلى شقتها وجدت ما كانت تبحث عنه بعد بحث سريع فى حاجات شين: ملف كامل عن بابيج تاون. لقد ذكر لها شين أنه سيستقل طائرة صغيرة إلى هناك، ولا شك أن الآنسة الرقيقة جوان هى من خصص له مثل هذه الطائرة. إلا أن ميشيل فضلت أن تستقل عربتها إلى هناك، وخمنت أن الرحلة ستستغرق قرابة أربع ساعات فى حال القيادة العادية، أما مع وجود جهاز تتبع الرادار غير القانونى فى عربتها والانطلاق بالعربة بسرعتها القصوى، فإنها واثقة من الوصول إلى هناك خلال أقل من ثلاث ساعات، ولن يمنعها عن ذلك كونها ليست مخولة بالذهاب إلى هناك من الأصل؛ فالقضية هى الشىء المهم. وهى متيقنة من أنه سيكون من الصعب ألا تنجح مع شين فى سبر أغوارها ما إن تنضم إليه. المهم أن يكونا معًا.

أعدت حقيبتها وانطلقت عبر الطريق، ولم تتوقف إلا لتناول قدح كبير مركز من القهوة وثلاث قطع من شيكولاتة باور بارز؛ فكان من الطبيعى أن تبلغ نسبة الإدرينالين لديها أوجها. وشعرت بالبهجة المفعمة بالحيوية، والأهم...بالحرية.

توجه هوراشيو مباشرة من المطار إلى المصحة ليكتشف أن أهم مرضاه قد رحلت.

سأل كبيرة الممرضات: "ألم تفصح عن مقصدها بعد خروجها من هنا؟".

"كلا، لكنها طلبت منى أن أخبرك بأنها قد شفيت".

"أوه...حقا؟ أصارت طبيبة نفسها الآن؟".

"لا أدرى، ولكن دعنى أقص عليك ما حدث منها خلال فترة تغيبك". حكت له الممرضة فى عجالة أمر بارى وساندى، وحكاية برنامج حماية الشهود وتهريب المخدرات.

"هل فعلت كل هذا فى الفترة التى تغيبت فيها؟ تباً؛ إننى حتى لم أغب لفترة طويلة!".

"تلك السيدة لا تهدأ، ولقد علمت بأنها قد لقنت بارى درساً قاسياً، وأنا عن نفسى لم أكن أحب التعامل معه".

تمتم هوراشيو وهو يبتعد: "أليس التنبؤ بالقدرة الرائعة؟".

فلم يسع الممرضة التى لم تسمع ما قال سوى أن تتمتم بدورها: "طابت ليلتك أنت أيضا يا صاحب الدراجة الهارلى".

أخذ هوراشيو يقلب أفكاره. كان عليه أن يستقرئ ما تنتويه ميشيل الآن. على أن الأمر لم يكن بهذه الصعوبة، فمن البديهى أنها ستسعى للالتحاق بشين، بل ربما كانت فى طريقها إلى هناك بالفعل، وليس أمام هوراشيو ومن الناحية القانونية أية وسيلة يمكنه بها أن يمنعها، لكنه فى ذات الوقت يعلم أن تلك المرأة لم تُشف بعد، ويمكن لواقعة المقهى أن تتكرر من جديد، بل وفى صورة أبشع.

كان يفكر فى تنبيه شين حينما رن جرس هاتفه.

"...لقد كنت علي وشك الاتصال بك".

فقال شين ساخرا: "كان يمكننى أن أقول إن العقول الكبيرة تفكر بنفس الطريقة، لولا أننى محاط هنا بالفعل بالعديد من الأمخاخ الكبيرة، لذا فلن أقول شيئاً، وأنا الآن فى طريقى للقاء رئيس كامب بيرى لكننى رغبت فى أن أسألك عن أمر بعينه".

"كامب بيرى؟ أتقصد مزرعة السى آى إيه؟".

"وهل يوجد غيرها. أود أن تسدى إلىّ معروفاً"، ثم أخذ يقص عليه أمر فيجى إلى أن قال: "أعلم أنه سيكون من الصعب عليك أن تأتى إلى هنا لكونك منشغلاً مع ميشيل وبقية مرضاك".

هنا بادره هوراشيو قائلا: "فى الحقيقة إن الوضع قد تغير؛ فلقد نجحت مريضتى المفضلة فى الهروب منى". عرف شين بما حدث من ميشيل داخل المصحة وحتى خروجها منها.

فقال شين: "تباً، إنها بارعة فى أن تخلق المتاعب فى كل مكان تذهب إليه"، إلا أن كلماته كانت تفصح عن شىء من الفخر بها.

"أخمن أنها فى الطريق إليك الآن".

"إلىَّ أنا؟ إننى لم أخبرها سوى بالقليل عن القضية، ولكننى لم أفصح عن مكانها".

"هل تركت أى شيء يتعلق بها فى شقتك؟".

عندها زمجر شين ساخطا: "أوه...تباً...لقد تركت ملفاً هناك لأنه لا يوجد مكتب لى هنا".

"العيب فى غريزتك التنظيمية إذن، إلا أن هذا يعنى أنها ستكون عندك مع حلول الصباح، إن لم يكن قبل ذلك".

"سيجن جنون جوان. إنهما على طرفى نقيض".

"مدهش. سألحق بك فى الغد. هل هناك مكان يصلح للإقامة فى الجوار؟".

"بوسعى أن أجد لك أى مكان يصلح للنوم فى بابيج تاون. ما الذى على أن أفعله حينما تأتينى هى؟".

"تصرف علىَ طبيعتك، ومن المؤكد أنها ستفعل الشئ نفسه".

"هل حققت أى تقدم فى علاجها؟".

"لقد أتيت من رحلة غاية فى الأهمية، زرت خلالها تينيسى، وسوف أعرفك بتفاصيلها حينما أراك، وعلىَّ أن أشكرك على ترشيحك لى للتعامل مع هذه الحالة المثيرة؛ فيبدو لى أن فيجى هذه حالة فريدة من نوعها".

"المكان كله هنا يبعث على الدهشة يا هوراشيو. بل يمكن القول بأنه من الخطورة بمكان، لذا فلو كنت تود أن ترفض هذه المهمة فلن أجد غضاضة فى ذلك".

"سأتظاهر بأنى لم أسمع هذه العبارة".

"وهل صارت ميشيل أفضل حالا؟".

"علينا أن نساعدها على تنقية روحها يا شين؛ فلا يعتريها القلق من جديد تجاه أى خطر، وأنا لن أتراجع حتى أنجح فى هذا".

"وأنا معك يا هوراشيو".

"جيد؛ فمما رأيته من تلك المرأة يمكننى أن أقول لك بأن من الصعب على أى رجل على ظهر هذه الأرض أن يسيطر عليها بمفرده".

"أعلم تماماً ما تعنيه".

الفصل

٣٨

بينما كانت السيارة تنطلق بهما عبر المبانى الحجرية الأنيقة لكلية ويليام آند مارى، ألقى شين نظرة سريعة على هايز؛ فقد كان المأمور منحنياً بجسده إلى الأمام على مقود السيارة وأصابعه تتمسك به بقوة مبالغ فيها، حتى ابيضت أنامله.

"لو أنك حطمت مقود السيارة فى منتصف هذا الطريق أيها المأمور هايز، فلن نتمكن من العودة".

عندها انتبه هايز واحمر وجهه خجلاً وهو يخفف من قبضته على المقود قائلاً: "نادنى ميرك. الجميع هنا يفعل ذلك. أعتقد أنك لا ترانى من النمط العادى لممثلى القانون، أليس كذلك؟".

"ليس من المعتاد أن يتم استدعاء شرطى وسط التحقيقات لأجل مقابلة مهمة كهذه".

"ما الذى تعتقد أنه سيقوله لنا؟".

"أشك فى أنه سيقول لنا أى شىء مما نود سماعه، وبوسعى القول بأنه لن يتعاون معنا بأى شكل من الأشكال".

صاح هايز متعجباً: "يبدو أنه يوم حافل بالمفاجآت!".

"هل تحدثت مع أليسيا؟".

أطرق هايز برأسه قائلاً: "كان علىَّ هذا. خاصةً بعدما أخبرتنى بأنها كانت على علاقة بريفيست".

"هل كانت علاقة قوية؟".

"يبدو لى أنها تعتقد هذا".

توقفا بالسيارة عند العنوان الذى كان مع هايز. كانت بناية من ثلاثة طوابق بدت لشين أنها تتكون من وحدات سكنية.

التقاهما رجل يرتدى قميصاً قطنياً طويل الرقبة وسروالاً كاكى اللون داخل البهو. تأمل شين الرجل وخمن أنه أحد حرس آيان وايتفيلد. لم يكن الرجل على نفس طول شين، كما أنه يفتقر إلى العضلات المفتولة، إلا أنه كان رشيق القوام وليس عليه أى أثر لبدانة، وأدرك شين بعينيه الخبيرتين أن الرجل من ذلك النوع الذى لن يتردد فى قتلك ولو عشر مرات وبطرق مختلفة، ومن دون أن يغمض له جفن.

كان أول ما فعله هو أن أراهما بطاقة هويته، ثم بادر بتفتيش هايز بسرعة، ومن بعده شين ومن دون أن ينبس ببنت شفة.

ارتفع بهما المصعد إلى الطابق الثالث، وسرعان ما كانا يجلسان إلى مقاعد وثيرة حول طاولة بيضاوية داخل إحدى الوحدات الجانبية. كان الرجل قد تركهما للحظات قبل أن يعود ومعه رجل آخر. كان بدوره يرتدى نفس الملابس، كما أنه كان بنفس قوام صاحبه، مع أنه تميز بشعر قصير أشيب ومن الواضح أنه يناهز الستين من عمره، على أن شين قد لاحظ أن الرجل يعرج بعض الشىء، رغم أنه لم يكن هناك شىء ملحوظ فى ساقه اليمنى.

ما إن نظر هذا الرجل إلى حقيبة كان يحملها الآخر، حتى كان بين يديه ملف من تلك الملفات الحكومية... لابد أن هذا هو آيان وايتفيلد إذن... هكذا قال شين لنفسه.

وبعد بضع لحظات من الصمت، قضاها مضيفهما فى قراءة الملف، عاد ليلتفت إليهما قائلاً:

"لقد حدثت أربع حالات انتحار داخل هذا المكان على مدار الأشهر السبعة والعشرين الماضية".

لم يكن شين يتوقع أن يكون هذا الكلام هو بداية الحوار، وكان من الواضح أن هذا هو نفس شعور هايز.

واصل وايتفيلد استرساله قائلاً: "ولسبب ما صرنا ملاذ كل مكتئب يحاول الانتحار، وأنا لا أدرى السبب وراء ذلك، ولكن فيما يبدو أن الأسباب كثيرة، بما فى ذلك الرغبة فى الشهرة أو التسبب فى المتاعب، وغنى عن القول أننى قد بدأت أسأم هؤلاء المجازفين".

سأله شين بينما شحب وجه هايز: "أعتقد أن لا علاقة بين شخص يحتضر وبين كونه مجازفاً، أليس كذلك؟ إن ظروف مصرع مونك تورينج لم تتضح كاملةً حتى الآن، ولم نحدد بعد ما إذا كان الأمر انتحارًا أم أنها جريمة قتل".

نقر وايتفيلد على الملف وهو يقول: "جميع الحقائق تؤدى إلى أنه انتحار". كان ينظر إلى هايز. "ألا تتفق معى حول هذا أيها المأمور؟".

تلعثم هايز قليلاً وهو يقول: "أعتقد أن من الممكن أن نقول بذلك".

إلا أن شين نبهه قائلاً: "لا يوجد دليل على أن مونك كان يعانى من الاكتئاب بدرجة تدفعه إلى أن ينتحر".

فسأله وايتفيلد: "أليس جميع العباقرة يعانون منه؟".

"ومن أين لك أن تعرف بأنه عبقرى؟".

"حينما يأتى أحدهم للعمل فى الجوار فعلى أن أعرف كل شىء عنه".

بادر شين بسؤاله: "كنت من قبل فى بابيج تاون، أليس كذلك؟".

عاد وايتفيلد ليوجه كلامه إلى هايز، قائلاً: "اعتقدت بأنى قد أوضحت موقفى. كانت أربع حالات انتحار...والآن صارت خمسًا، وقد نفد صبرى".

فقال هايز، وهو يجاهد كى يستجمع شجاعته أمام تلك النبرة الآمرة للرجل: "هناك رجل لقى مصرعه".

"بوسع أى أحد أن يقفز من فوق سور، ومن ثم يفجر رأسه".

فقال شين: "إن مجرد افتراضك لذلك لا يعنى أنه الحقيقة".

إلا أن وايتفيلد بقى يحدج هايز بنظراته وهو يرد: "أرى أن لهذا الرجل صلة بك".

فبادره شين: "آسف، أنا شين كينج. أعتقد أننا قد نسينا أن نعرف أنفسنا قبل هذا الحوار. أنا أحقق فى هذه المسألة مع المأمور هايز، وكلانا يفترض أنك آيان وايتفيلد، رئيس كامب بيرى ...التابعة لوكالة المخابرات المركزية؟ ولو لم يكن هذا صحيحا، فإننا بالتالى قد أهدرنا الوقت".

فقال آيان: "لقد أغلقت المباحث الفيدرالية القضية معلنةً أنها جريمة انتحار".

"لن تكون هذه هى المرة الأولى التى تستبق فيها المباحث الفيدرالية الأحداث، أليس كذلك؟ كما أن لدينا جريمة قتل لين ريفيست، رئيس طاقم الأمن فى بابيج تاون".

"هذا ليس من شأنى".

"بل هو من شأنك. خاصةً لو تبين أن لهذه الجريمة صلة بمصرع تورينج".

"وأنا أشك بشدة فى أمر كهذا".

فقال شين: "هذه هى لعبتنا نحن...فلا أهمية لرأيك هنا".

لم يعلق وايتفيلد، إلا أن أنظاره اتجهت نحو الباب، وما هى إلا لحظات حتى كان الرجل الآخر يقتاد شين من ذراعه فى قوة نحو الخارج، وفى البهو أعادوا لهايز مسدسه، بينما زاد الرجل من شدة ضغطه على ذراع شين قبل أن يتركه يرحل.

وما إن وصلا إلى السيارة ذات الدفع الرباعي، حتى بادره هايز قائلاً: "هل جننت حتى تتحدث معه بهذا الأسلوب؟".

"ربما".

"لماذا تعمدت أن تتحدث معه بهذا الأسلوب؟".

"لأنه متحذلق كاذب، هذا هو السبب".

فقال هايز: "لكنه محق بشأن حالات الانتحار الأربع".

"هذه نقطة وجيهة نبهتني إليها".

"أشكرك. أحاول أن أفعل هذا ولو لمرة فى اليوم...هل سنعود إلى بابيج تاون إذن؟".

"علىَّ أن أتحقق من أمر ما أولاً".

استقل شين مقعد السائق بينما جلس هايز إلى جواره قائلاً: "لا أعتقد أن اللوائح تقول بأن بوسعك قيادة هذه السيارة".

"ارجع إليها لترى بنفسك"، قالها شين وهو يقود السيارة للخلف، ثم استدار بها مبتعداً عن مدخل البناية.

فسأله هايز: "ما الذى تنتوى القيام به هنا؟".

"تراقب. أعتقد أنك ملم بهذه الأمور".

"من الذى تعتقد أنك ستتجسس عليه بحق الله؟ رئيس كامب بيرى!".

"وهل هناك قانون يمنع هذا؟".

"ربما...".

بعد خمس عشرة دقيقة توقفت سيارة أمام المدخل وترجلت منها سيدة بدت فى أواسط العقد الثالث من عمرها، طويلة القامة، برونزية البشرة، ذات ساقين طويلتين، وشعر أشقر فوق وجه من الصعب أن تبتعد بعينيك عنه. وحينما اقتربت من البوابة الأمامية، وكان فى انتظارها هناك وايتفيلد وتابعه. تحدثت السيدة مع وايتفيلد لبضع دقائق، بعدها توجه وهو يعرج قليلاً يتبعه حارسه إلى سيارة سوداء وسرعان ما انطلق بها، تاركاً السيدة خلفه، وقد بدت عليها خيبة الأمل.

فقال شين: "أمر مثير. إما أنها زوجته أو رفيقته".

"أو مجرد صديقة".

"كلا...وايتفيلد يرتدى خاتم زواج".

بينما كانا يتحدثان، شاهدا السيدة وهى تستقل سيارتها من جديد وتنطلق بها، وبدوره انطلق شين وراءها تاركاً مسافة مناسبة بين العربتين.

سأله هايز فى قلق: "ما الذى تفعله بحق الله؟".

"أتبعها".

"قد نقع فى متاعب نحن فى غنى عنها يا شين".

"أنا فى وسط المتاعب بالفعل".

لم يَسَعْ هايز سوى أن يعود بظهره للوراء فى مقعده فى استسلام، بينما ابتسم شين قائلاً: "أمازلت سعيداً بقرارك أن تتعاون معى؟".

"كلا!".

"جيد، هذا يعنى أننا على وشك أن نكون فريقاً متفاهماً".

عندها تذكر شين أن ميشيل ستكون هنا فى غضون بضع ساعات؛ فلقد كان خاطر كهذا وفى الظروف العادية كفيلا بأن يؤجج شوقه للقاء شريكته الحقيقية، إلا أن كلمات هوراشيو لم تزل تتردد فى عقله. من الممكن أن تشكل ميشيل خطراً، على الأقل ضد نفسها، ولم يكن من المفترض أن تبارح المصحة؛ فهى لم تشف بعد. وهى فى طريقها إلى هنا، فمن على وجه هذه الأرض يمكنه التنبؤ بما قد يحدث؟!

الفصل

٣٩

استغلت ميشيل سفرها بالسيارة فى الاتصال بواحدة من صديقاتها والتى كانت تعمل فى مركز الاستخبارات الوطنى بعد فترة قضتها فى العمل بالخدمة السرية حيث ساعدتها ميشيل على تطوير حياتها المهنية. هاتفتها بالمنزل خشية أن يكون هاتف العمل مراقبا.

وبعد قليل من الدردشة، سألتها ميشيل: "إننى لا أود منك أن تفشى لى بأسرار يا جودى، ولكن ما الذى تعرفينه عن كامب بيرى؟".

"هل تقصدين ما يتم من أنشطة تدريبية للقوات المسلحة؟".

"هيا...صارحينى يا جودى. فنحن نتحدث عن السى آى إيه".

"حسناً...حسناً. اغفرى لى هذا الرد الرسمى الذى اعتدناه".

أخذت صديقتها تمدها بوصف تفصيلى للمكان، ونبذة عن تاريخه ومهمته الرسمية؛ ثم أضافت: "إن معظم التدريبات المتقدمة تتم عند منطقة تسمى (النقطة) فى نورث كارولينا، إلا أن تلك المنطقة لا تزال هى المركز الميدانى الأهم بالنسبة للمخابرات المركزية، والحقيقة أن البنتاجون يفكر فى تأسيس

مركز لتدريب الجواسيس يكون تحت إشرافه الكامل، بالإضافة إلى زرع عملاء ميدانيين له فى جميع أنحاء العالم".

علقت ميشيل فى سأم: "أحيانا ما ينقلب التجسس الزائد عن حده إلى خطر مضاد".

ضحكت جودى قبل أن تتابع كلامها: "لا يسعنى التعليق رسمياً على كلامك هذا، أما الرئيس الحالى لكامب بيرى فهو رجل يدعى آيان وايتفيلد، وأعتقد أنه كان رجلا عسكريا سابقا...فى قوات (دلتا) الخاصة. كان من أبطال حرب فيتنام، وهو رجل لا يمكن لأحد أن يعبث به، وقد التحق بالوكالة فى الثمانينيات، وخدم فى منطقة الشرق الأوسط على مدى السنوات الأخيرة الماضية، وبعد عودته، أظهر عزماً على أن يعيد لكامب بيرى مكانتها المميزة".

"وما الذى يقوم به فى هذا الصدد؟".

"ما الذى يهمك أن تعرفيه؟".

"لدى مهمة هناك؛ فقد لقى أحدهم مصرعه داخل ذلك المكان".

"قرأت عن الحادث فى الصحف، لكنهم قالوا إنه قد انتحر".

"قد يكون هذا ما حدث بالفعل...كنا نتحدث عن وايتفيلد".

"حسنا...كان الكونجرس قد قرر منذ عامين، وبعد جهد جهيد، تخصيص مبلغ من المال لإنشاء بناية جديدة هناك، وهم يزعمون أنها بناية سكنية".

"هم يزعمون؟".

"اسمعى...أنا لم أقل لكِ هذه العبارة".

"وأنا لم أتحدث معكِ من الأصل يا جودى، اتفقنا؟ والآن أخبرينى".

"كانوا قد أنشأوا خلال التسعينيات بناية سكنية تتكون من ١٠٥ غرف لتستوفى احتياجات مدرسة تدريبية جديدة؛ لذا

يقال إن هذه الأموال قد خصصت لإنشاء مركز للتحقيقات والاستجوابات".

"استجوابات؟ وما سبب أن يتم هذا محاطاً بالسرية؟".

"هذا يعتمد على طبيعة الاستجوابات التى تتم هناك و...".

أكملت لها ميشيل عبارتها قائلة: "...والكيفية التى تتم بها".

"بالضبط".

"إرهابيون؟".

"ربما كانت وكالة الأمن القومى تتنصت على هذه المكالمة الآن".

"دعيهم يتنصتوا. ليس لديهم العدد الكافى من الأفراد كى يصلوا إلى مكالمات الأشرار أمثالنا. لذا فهم يحضرونهم إلى ذلك المكان الذى لا يعرف أحد عنه شيئاً، بل ربما قاموا بتعذيبهم هناك".

"بصورة رسمية؟ بالطبع لا. ربما يتم هذا بصفة غير رسمية، من يدرى؟ إننا بالطبع لا نستطيع أن نخبر أى أحد عن أن هناك مركزًا للتعذيب قد افتتح فى تايد ووتر بفرجينيا، وعلى بعد ثلاث ساعات فقط من عاصمة العالم الحر. إننى لا أؤيد إساءة معاملة السجناء، إلا أنها حرب على الإرهاب، فلا يمكننا أن نخوضها وفق الأساليب القديمة".

"حسنا، وكيف يقتادونهم إلى هناك؟".

"لقد خصصوا من الأموال المخصصة للإنشاءات الجديدة ما يكفى لإنشاء مهبط جديد للطائرات الضخمة".

"تقصدين الطائرات العابرة للقارات؟".

"بالضبط".

صمتت ميشيل للحظات، قبل أن تسألها: "وهل لا تزال الفرق شبه العسكرية تتلقى مهامَّ فى كامب بيرى؟".

"لا يمكننى الإفصاح عن هذا".

"صارحينى...جودى!".

"يكفى أن أقول لكِ بأنه من غير المستحب الذهاب إلى هناك إلا للضرورة، وإلا فمن الممكن أن تصبح حياتك مجرد ذكرى".

علقت ميشيل بسخرية: "كم أقدر لكِ كل هذا التشجيع".

"أنتِ من ساعدنى على اجتياز أول سنة لى فى الخدمة".

"على الفتيات أن يساعدن بعضهن البعض".

"هل تقومين بهذه المهمة مع شين كينج؟".

"بالطبع".

أغلقت ميشيل الخط، والتهمت قطعة أخرى من الشيكولاتة، منهيةً معها قهوتها. ألقت نظرة على ساعتها، ومن ثم خارطة الإرشاد الملاحى أمامها. تسعون ميلا فى الساعة وستون دقيقة تبقت. كان عليها أن تثق فى صديقها القديم...جهاز تتبع الرادار غير القانونى القابع أمامها.

الفصل
٤٠

تبع شين وهايز السيدة حتى موقف للسيارات تابع لمقهى من المقاهي الشهيرة يقع على بعد ثلاث بنايات من حرم جامعة ويليام آند مارى، وبينما دخلت هى إلى ذلك المكان، أخذ هايز وشين يتناقشان فى سرعة، واستقر الرأى على أن يتوجه شين إلى هناك وحده، تاركا هايز بزيه الرسمى داخل عربته الرسمية.

وبينما انسل شين من السيارة فى سرعة، أشاح له المأمور بيده منبهاً: "اسمع، أود أن أنبهك إلى أن تتبعك لهذه السيدة أمر غاية فى الخطورة لو تبين أن هذه السيدة هى زوجة وايتفيلد".

"ولكن لو تبين أن مصرع مونك له صلة بكامب بيرى وبآيان وايتفيلد، فإن من الممكن أن تختصر لنا هذه السيدة الطريق، ومن يدرى، فربما عرفت أيضاً من هو ذاك الذى حاول أن يقتلنى".

كان بداخل المقهى خليط عجيب من فتيان وفتيات الجامعة وكذلك من الموظفين والعاملين، وخلف المشرب يقبع شابان وكهل يقومان على ملء الشراب فى سرعة وإتقان؛ فقال شين لنفسه ساخراً: "*من الواضح أن التعليم العالى يسبب ظمأً لا يرتوى*".

كانت هناك، تجلس إلى طاولة عالية فى مؤخرة المقهى. كانت قد تناولت مشروبها بالفعل وتحاول أن تتحاشى مضايقة شاب بدا أنه فرد فى فريق كرة القدم الجامعى هنا، بل إن جسده

الضخم يؤكد أنه لاعب خط الدفاع أيضاً. لم يلق شين باللائمة على الشاب بسبب هذه المحاولة، فقد كانت تنورة السيدة قصيرة وساقاها طويلتين، ومع انسدال شعرها الأشقر فوق كتفيها، وامتداد رقبتها الانسيابية الجذابة، واللهيب المنبعث من تلك العينين الزرقاوين وكأنهما... تباً، لو أنه كان بالجامعة لما توانى عن بذل كل غال ونفيس لأجل نيل رضا هذه الجميلة.

دون الشاب شيئاً على منديل وناولها إياه. نظرت إلى ما كتبه ـ لا شك أنه رقم هاتف أو حتى اسم مكان يود الشاب أن يقابلها فيه ـ ثم هزت رأسها وطلبت منه أن يبتعد عنها.

انتهز شين الفرصة وجلس إلى جوارها، فلاقت عينيه بابتسامة تقدير.

قالت: "لم أرك هنا من قبل".

"هذا لأنى لم آت إلى هنا من قبل"، ثم نظر إلى إحدى المضيفات قائلاً: "أحضرى لى شراباً كالذى تتناوله السيدة".

رمق شين خاتم الزفاف فى إصبع يدها بنظرة سريعة.

لاحظت المرأة نظرته فقالت: "لا أعتقد أن هناك قانوناً يمنع امرأة متزوجة من الخروج بمفردها".

"بالطبع. وأنا أعتذر... شين كارتر".

"فاليرى ميسالين".

لو أنها زوجة آيان العجوز، فمن الواضح أنها لم ترغب فى أن تحمل اسمه.

تصافحا. كانت قبضتها قوية واثقة؛ حتى إنها ذكرتها بقبضة يد يعرفها جيداً: قبضة يد ميشيل.

"ما الذى أتى بك إذن إلى بلدتنا الصغيرة هذه؟".

"العمل. أفهم من هذا أنك تعيشين هنا؟".

"كلا، لكن لزوجى مكتب هنا. وكنت فى الحقيقة أخطط للخروج معه الليلة...". نظرت إلى كأسها وهى تردف: "إلا أن هذا لم يحدث".

فسر له هذا المشهد الذى تابعه خارج البناية.

"هل يليق بى أن أسأل عما حدث بينك وبين زوجك حتى يفوت على نفسه مثل هذه الفرصة الرائعة...أم أن فى الأمر سراً؟".

ضحكت قائلة: "ليس فى الموضوع سر، لكن إجابتى قد تكون كذلك".

أتى شراب شين وارتشف كلاهما من كأسيهما فى حين ألقى هو نظرة سريعة على المكان حوله. كان يحاول أن يتبين ما إذا كان هناك من أحد تتعدى نظراته إليها مجرد الفضول العادى.

"ما هى طبيعة عملك إذن يا شين؟".

"حلال مشاكل".

"جميل...فهل بوسعى استئجار خدماتك؟"، قالتها ممازحة.

"أتعابى ليست بالبسيطة".

"لم أكن لأسمح لك بالجلوس هنا لو كانت غير ذلك".

" ما هى طبيعة عملك أنت؟".

"لم يعد هناك ما يقال".

"هناك أولاد؟".

"كلا، لم ننجب".

"ولا أنا".

رمقت يده بحثاً عن خاتم وقالت: "لم تعد متزوجاً الآن؟".

انفصلنا، ولم أشأ أن أتزوج ثانيةً".

"ما الذى فعلته حتى تركتك زوجتك؟".

"من الواضح أنى أشخر بصوت عال أثناء نومى".

"صارٍ هناك علاج ناجع لذلك".

"حقا؟ وما هو؟".

"أن تجد من يمكنها أن تسلب عقلك".

ابتسم قائلاً: "تباً...أتودين أن يحمر وجهى خجلاً الآن، أم ماذا؟".

"مجرد تعليق. وليس من الضرورى أن يكون موجهاً لك أنت، بالرغم من كونك جذابًا بالفعل، لكنك لا تنتظر أن تأتى مثلى لتخبرك بهذا. أليس كذلك؟". كانت نبرتها صريحة، جريئة. لقد تعدت المرأة مرحلة المغازلة، ومن الواضح أنها تصبو إلى شىء آخر.

رمق ساعته. سرعان ما ستصل ميشيل، ولم يرغب فى أن يزيد من تضييقه الخناق على فاليرى أكثر من هذا.

"اعذرنى لو كنت قد سببت لك الملل"، قالتها بسخط.

فرفع رأسه فى دهشة ليرى تلك النظرة الغاضبة على وجهها.

"لدى موعد على أن ألحق به".

"من الأفضل أن تسرع للحاق به، وفى المقابل أبقى أنا هنا لأفرغ من شرابى فى هدوء".

"فاليرى...رأيت ذلك الشاب وهو يحاول أن يفرض نفسه عليكِ، وأنا لست كذلك".

"هذه أشهر عبارة تسمعها أية امرأة".

مد يده فى جيبه وأخرج منها ورقة دون عليها شيئاً ما فى سرعة. ناولها إياها قائلاً: "علىّ أن أغادر الآن، وهذا هو رقمى".

"وما حاجتى إلى رقمك؟".

نظر إليها فى رجاء وقال: "لنقل إنها بداية تعارف، وليس عليكِ أن تعطينى رقمك لو كنت لا ترغبين".

"جيد؛ فأنا بالفعل لا أرغب فى هذا".

أنهى شرابه ونهض قائلاً: "أسعدنى التعرف عليكِ يا فاليرى".

لم ترد على تحيته، إلا أنه كان يشعر بنظراتها وهى تكوى ظهره بنيرانها مع كل خطوة يخطوها نحو الخارج، وحينما صار عند هايز قص عليه ما جرى.

صاح فيه ممثل القانون فى غضب: "أما من وصية لديك قبل أن تموت! لقد كان آيان على وشك أن يقتلك لمجرد سؤال عن كامب بيرى؛ فهل تتخيل ما الذى يمكن أن يفعله بك لو تبين له أنك تحاول إغواء زوجته؟".

"كان مجرد شراب تناولته مع السيدة. كانت ودودة فى البداية، إلا أن شيئًا ما حدث فتحولت للنقيض بغتة. لذا قررت الانسحاب".

"ربما كانت معتادة على محاولة الرجال فرض أنفسهم عليها ومحاولة معرفة أى شىء عن زوجها، كما فعلت أنت!".

عادا أدراجهما إلى بابيج تاون فى صمت، وبينما ترجل شين من السيارة عند وصولهما كان يقول: "لدى رفيقان سينضمان إلىّ فى وقت لاحق؛ فهل تود أن تخبرهما بنفس الترتيبات التى اتفقنا عليها معًا؟".

"تقصد أنهما سينضمان للفريق؟"، فأومأ شين برأسه موافقاً.

"لا أدرى ما أقول...هل هما جيدان؟".

"مثلى...إن لم يكونا أفضل منى".

"حسنا، ربما كان على أن أفكر فى هذا...خاصةً وأنك عازم على أن تلقى مصرعك على يدى زوج غيور".

بينما انطلق هايز بسيارته عبر بوابة بابيج تاون، شاهد شين تلك الأضواء التى تقترب منه، ولما اقتربت السيارة أكثر، تنهد فى عمق.

فقد وصلت ميشيل ماكسويل.

الفصل

٤١

نجح شين فى أن يرسم ملامح الدهشة فور رؤيته ميشيل، لكنه لم يطلب منها تفسيرا مطولا، وبدلاً من ذلك حول انتباهه إلى إلحاقها بالمجمع، ولقد تطلب الأمر جدلاً ساخناً مع حراس الأمن عند البوابة الأمامية، وفى النهاية اضطر إلى مهاتفة شامب بوليون، الذى خرج بنفسه لحل النزاع.

عندما رأى شامب ميشيل لأول مرة، تحول الفيزيائى المبهر من فوره إلى مجرد جروٍ يحاول أن يستجدى انتباهها.

قال شامب متلعثما: "نعم، بالطبع يمكنكِ أن تبقى"، بينما مد يده إلى ميشيل يود أن يصافحها.

فقال شين: "ربما كان من الأفضل أن نتناول بعض الطعام فى غرفة الطعام بينما نناقش الأمر".

قالت ميشيل ونظراتها على شامب: "لا بأس. شكراً لك يا سيد بوليون".

"رجاءً، نادينى شامب".

فقالت: "أنا متأكدة من أنك اسم على مسمى".

وبينما انطلقت بهما السيارة، لمح شين نظرة وَلَهٍ فى عينى شامب وهو يتطلع إلى ميشيل.

فقال فى نفسه...*فى أحلامك يا صاح*.

كانت غرفة الطعام تكاد تكون فارغة فى هذه الساعة، لكن الطهاة فى بابيج تاون كانوا يتناوبون على مدار الساعة، فما هى إلا خمس عشرة دقيقة حتى كان أمامهم الطعام الساخن والقهوة.

أخبر شين ميشيل بكل شىء، بما فى ذلك محاولة اغتياله، ونظريته حول مصرع ريفيست، وحواره الوجيز مع فاليرى ميسالين، وبدورها، أخبرته ميشيل بما عرفته من صديقتها التى تعمل بمركز الاستخبارات القومى.

قال شين : "لقد سمعت صوت طائرة تهبط عند حوالى الساعة الثانية صباحاً فى أول ليلة لى هنا. طائرة كبيرة؛ فتساءلت عن سبب عدم رؤيتى لأى ضوء لها".

"لقد أخبرتنى زميلتى بأن آيان وايتفيلد ليس بالرجل الذى يمكن خداعه".

فقال شين: "ثقى أن نفس هذا الانطباع قد تولد لدى".

"أنت تعمل هنا مع المأمور هايز؟".

قلب شين السكر فى قهوته وقال: "بدت لى أنسب وسيلة للعمل".

"ألم تمانع جوان الصغيرة فى هذا؟".

"جوان الصغيرة لم تعلم بهذا؛ لأننى لا أرد على اتصالاتها".

"كنت أعلم أنك تفضلنى أنا".

"تمهلى...فسوف أخبرها بما يحدث إن عاجلاً أو آجلاً".

"وماذا عن هايز هذا؟".

"شخص قوى الشكيمة، ورفيق لا بأس به، ويرى أن من الخطأ أن أتقرب من زوجة وايتفيلد".

"وأنا أشاركه الرأى".

"لو أن مونك قد لقى مصرعه على أيدى أصحابنا فى كامب بيرى، فربما كانت هى الوسيلة الوحيدة للوصول إلى الحقيقة".

"بناءً على الأسلوب الذى تعامل به معها هذه الليلة، فإننى أشك فى أن وايتفيلد يفضى إليها بأى شىء".

"ربما عرفت أى شىء؛ فهى ليست بالمغفلة كما أن علاقتها بزوجها ليست على ما يرام".

"حسناً، لنفترض أن وايتفيلد هو من قتل مونك، فما هو السبب؟".

"ربما كان شيئاً رآه؟ ربما كان للأمر علاقة بهذه الرحلات الجوية السرية؟ فهناك أمر غريب يحدث هناك بالتأكيد، بل إن أحدهم قد أطلق النار علىّ. ومهما كان رأينا فى رجال السى آى إيه ، فإنهم لا يقدمون على قتل مواطن من دون سبب".

ثم أردفت ميشيل: "ربما كان قد شاهد تعذيب أحدهم أو مقتله".

"إنهم يفترضون أن تورينج قد تسلق السور ومن ثم لقى مصرعه هناك. ولكن ماذا لو أنه قد وصل إلى أبعد من ذلك؟ وماذا لو كان قد قتل وهو يحاول الخروج من كامب بيرى مجدداً؟".

"ولكنك قلت بأن جميع الأدلة تشير إلى كونه انتحاراً".

" بالله عليك، ألا يمكن أن تفكر السى آى إيه فى أن تحول جريمة قتل إلى انتحار؟".

"شين، ما الذى دفع مونك تورينج إلى الدخول خلسة إلى هناك من الأصل؟".

"حسبما يقول وايتفيلد، فإنه انتحر إما ليشوه صورة السى آى إيه، أو ليموت وسط ضجة إعلامية".

"لكنك غير مقتنع بهذا".

"كلا، ولكنه ربما يكون قد شاهد الطائرات وهى تهبط ولكونه عبقريًا ذا فضول فقد قرر أن يتحقق من الأمر بنفسه".

"ألم يستطع هذا العبقرى أن يتبين أن من الانتحار قيامه بمثل هذا الأمر؟"، سألته بنبرة شك.

"ربما كان هناك إذن سبب آخر لدخوله إلى هناك؛ ولكنَّ هناك احتمالاً آخر. ربما كان يتلصص على هذا المكان ويبيع

الأسرار لن يدفع أكثر، ومن الواضح أن ريفيست فكر فى وجود جواسيس بالمنطقة، كما أن تورينج قد غادر البلاد فى السابق".

"هذا لا يفسر لنا كيف انتهى به الأمر ميتاً فوق أراضى السى آى إيه، وربما لم يكن تورينج يتجسس من الأساس".

سألها شين فى فضول: "ما الذى تعنيه؟".

"أعنى، ما الذى يقومون به هنا فى بابيج تاون؟ يتلاعبون بالأرقام وبأجهزة الحاسوب، أم أنهم يدعون هذا؟". ثم خفت صوتها وهى تردف: "كيف علمت بأن هذا المكان ليس فى الحقيقة حلبة للجواسيس؟ فهناك وعبر النهر واحد من المراكز الأشد سريةً بالنسبة للسى آى إيه، وربما كان كل ما يدور هنا مجرد غطاء لتغطية أفعالهم الحقيقية: التجسس على هذا الوطن".

ابتسم شين وقال: "يالها من نظرية رائعة. كنت أعلم أننى أفتقدك وبشدة".

"لهذا يسموننا بالفريق".

"ولكن لو كان هذا المكان حلبة تجسس، فما الذى دعاهم إلى استدعائنا إلى هنا؟".

"كان ريفيست هو من استدعانا إلى هنا، فربما لم يكن يعلم بأمر هذا التجسس. إلا أنه قد ذكر لى أن أصحاب المكان يفكرون فى إلغاء مهمتى".

"حينما أستجمع الشجاعة الكافية لمحادثة جوان، فسوف أطلب منها أن توافينى ببعض المعلومات حول بعض هذه الأمور، وأريد بالأخص خلفية أشد تفصيلاً عن شامب، وأليسيا، ومونك تورينج".

"ذكرت لى شيئاً عن الحاسبات الكمية...الكوانتوم؟".

"قال لى ريفيست إن أمرها يستحق أن تندلع من أجله الحروب!".

"أنت تظن إذن أن مصرع ريفيست له علاقة بمصرع تورينج؟".

"لو لم يكن الأمر كذلك، فإن له علاقة على الأقل ببابيج تاون، لقد كان عليٍ وشك أن يخبرنى بكل شىء عن المكان، ثم توجه ليأخذ حماماً، فلقى مصرعه داخل الحوض".

" لكن المباحث الفيدرالية تعتقد أنه حادث غرق؟".

"فينتريس هو الرجل المسئول، وأنا لا أدرى ما الذى يفكر فيه، وقد أوضح تماماً أنى مجرد حشرة سيسحقها لو أنى وقفت فى طريقه".

"الوقت متأخر. لماذا لا نتوجه إلى منزلنا الجديد؟".

التقط شين حقيبته ومن ثم توجها إلى المنزل ذى الطابق الوحيد. لم تكن هناك أنوار بالداخل.

"لابد أنهم نائمون". فتح شين الباب بالمفتاح الذى كانت أليسيا قد أعطته له وقاد ميشيل إلى الداخل، ثم أضاء أنوار المدخل وهو يقول: "سأنام فى واحدة من غرف النوم أعلى السلم. وهناك غرفة خاوية قبالة غرفتى، وسوف أوضح الأمر لأليسيا فى الصباح".

تأملها من دون أن تلحظ هذا، ثم قال فى هدوء: "أنت بخير إذن؟".

"فى الحقيقة إننى فى أفضل حال، وعلىّ أن أقر بأن دخولى المصحة كان من مصلحتى".

"وماذا عن ذلك الأمر الغريب الذى ذكرت بأنه يجرى داخل المصحة؟ هل تبينت لكِ حقيقته؟"، سألها من دون اهتمام؛ فقد كان يعلم الإجابة بالفعل.

إلا أنها ردت عليه كاذبةً: "لا شىء يستحق الذكر، وعلىّ أن أقول لك بأن صديقك هوراشيو قد خيب أملى كثيراً، فبعدما سألنى الكثير من الأسئلة غير ذات الأهمية وقام بتوبيخى كثيراً تركنى وذهب، ومن وقتها لم أره".

"حقاً؟ هذا مدهش". لم يشأ شين أن يخبرها بأن هذا الذى تتحدث عنه سوف يكون هنا خلال ساعات.

"حسناً، دلنى على الطريق إلى الفراش؛ فأنا لا أستطيع مقاومة النوم أكثر من ذلك".

إلا أنها سرعان ما شحذت كل حواسها بغتة وهى تسحب مسدسها وتصوبه باتجاه الأصوات التى تقترب نحوهما فى سرعة عبر الظلام.

الفصل

٤٢

سارع شين بالامساك بذراع ميشيل وهو يصيح: "فيجى؟ أهذا أنت؟".

صارت الأصوات أوضح الآن. كان هناك شخص ما يئن.

قاد شين ميشيل إلى الغرفة المجاورة وتحسس طريقه حتى مفتاح الضوء.

كانت فيجى قابعة فى مقعد إلى جوار الحائط. ترتدى بيجامة وشعرها منسدل على كتفيها؛ مما جعلها تبدو أكبر سنا. كانت عيناها محمرتين بسبب البكاء وتعبيرات وجهها تنم عن أنها تعانى من آلام شديدة.

سارعت ميشيل بإغماد مسدسها وهرولت نحو الفتاة، ثم مالت عليها وهى تسألها فى هدوء: "هل أنت بخير يا صغيرتى؟".

سواء كان السبب هو لطف كلمات ميشيل أو تلك النظرة القلقة التى بدت على محياها، فإن فيجى قد مدت يدها إلى ميشيل فتناولتها.

فقال شين: "فيجى، هل حدث خطب ما؟ هل أليسيا موجودة هنا؟".

لم تنبس فيجى ببنت شفة، فقط بقيت تنظر إلى ميشيل.

"ابقى معها، وسأذهب للبحث عن أليسيا". صعد شين درج السلم فى سرعة فى حين جلست ميشيل على الأرض وهى تربت على يد فيجى.

"لا بأس، يا فيجي اسمى ميشيل. ميشيل ماكسويل. صديقة شين. نادينى ميشيل، أو ميك إذا أحببت هذا".

فقالت فيجى على الفور وهى تمسح عينيها بيدها الأخرى: "ميك".

"هل هناك مانع فى أن أناديك فيجى أم أنكِ تفضلين أن أقول...آنسة تورينج؟".

إلا أن فيجى هزت رأسها وهى تهمس: "فيجى".

"فيجى إذن، وهو اسم جميل، فهناك الكثير من ميشيل إلا أننى لم ألتق بفيجى من قبل، وهذا يعنى أنكِ فتاة مميزة".

أومأت فيجى برأسها، كما لو أنها توافقها الرأى، إلا أنها شددت من قبضتها على يد ميشيل، وهى تقول من جديد: ميك".

أومأت فيجى برأسها ببطء، وعيناها تبحثان عن عينى ميشيل، وكأنها تبحث عن أى شك فى هذه الحقيقة الجديدة؛ أو ربما تبحث عن الكذب.

عاد شين ومعه أليسيا. تطلعت ميشيل إليهما فلاحظت أن المرأة لم يبارحها النعاس بعد، إلا أن ما لفت انتباهها هو تلك الساق الصناعية البادية أسفل منامتها. عرفهما شين سريعاً على بعضهما البعض.

قالت أليسيا: "لم أكن أعلم بأنها قد هبطت الدرج"، ثم حولت انتباهها إلى شين وهى تقول له فى غضب: "لقد انتظرناك حتى تأخر الوقت".

"اعذرينى يا أليسيا، لقد عطلنى أمر آخر".

"ربما كان علينا الآن أن نعيد النظر فى ترتيباتنا إذن".

فقالت ميشيل وهى تنهض عن الأرض وهى تمسك بيد فيجى: "أنا هنا. أنا ميشيل ماكسويل، شريكة شين. وسنعمل معًا على أن تجرى الأمور على ما يرام من الآن".

حدجت أليسيا شين بنظراتها لبرهة قبل أن تومئ إلى ميشيل قائلة: "أرى أنكِ قد صرتِ بالفعل صديقة لفيجى".

فابتسمت ميشيل لفيجى وهى تقول: "بل أعتقد أننى وفيجى سنصبح صديقتين رائعتين".

عندها تقافزت فيجى فى جذل وهى تتجه صوب البيانو بالغرفة الأخرى، ووسط الظلام كانوا يسمعون الأغنية التى بدأت تعزفها.

فالتفتت ميشيل ناحية شين وهى تقول له: "أوه...مدهش".

أوضحت لها أليسيا قائلة: "هذه هى طريقة فيجى للتعبير عن إعجابها بك".

سألها شين: "ما الذى استدعى بكاءها؟".

فقالت بصوت خفيض: "ذلك العميل الفيدرالى اللعين، فينتريس؛ لقد جاء إلى هنا هذه الليلة، وأخذ يتحدث فى تفاصيل مصرع مونك، فسمعته فيجى".

صاح شين فى غضب: "أوه...تباً".

"ليتك رأيتها منذ ساعات، فلم يكن من الممكن تهدئتها، وقد كان علىَّ أن أخبرها بحقيقة ما حدث. لم يكن من الممكن أن أكذب عليها، ليس وهى على تلك الحال على الأقل، وفى النهاية طلبت من الطبيب المناوب أن يعطيها مهدئًا، وكانت نائمة حينما توجهت إلى فراشى، لكن من الواضح أن تأثير المهدئ كان قد انتهى".

فقال شين: "وما الذى أتىَ بفينتريس إلى هنا حتى يتحدث معكِ بحق الله؟".

"كان يريد استجواب فيجى فى البداية، لكننى رفضت. ولا أعتقد أنه كان يقصد أن تسمع فيجى حديثه، إلا أنه لم يبق ليساعدنى على تهدئتها".

سألتها ميشيل: "ما الذى كان يريد أن يعرفه؟".

"كان يريد أن يعرف عما إذا كانت لدى فكرة عن سبب توجه مونك إلى كامب بيرى، أو إذا ما كان قد أخبرنى بأنه ذاهب إلى هناك".

تبادل شين وميشيل نظرات متسائلة قبل أن يقول شين: "قيل لى إن التقرير الرسمى لمكتب التحقيقات يرجح انتحار مونك".

أخذت أليسيا فيجى بعيداً عن البيانو، لكن الفتاة الصغيرة أبت أن تخلد إلى النوم إلا بعد أن تقودها ميشيل إلى فراشها بالطابق العلوى.

وبعد أن تمنيا ليلة سعيدة لأليسيا، استقر كل من شين وميشيل فى غرفتى نومهما، ثم دلف شين إلى غرفة ميشيل وجلس إلى فراشها بينما كانت تفرغ حقيبتها فى الخزانة.

قال معلقا: "لا تقلقى، فلن يستغرق منك الأمر وقتاً طويلاً قبل أن تحولى هذا المكان إلى فوضى تامة".

"هل تود منى أن أضحك على هذا التعليق. ما الذى حدث لساق أليسيا؟".

حكى لها شين ما تعرضت له فى العراق، وعن عملها فى بابيج تاون.

فعلقت ميشيل على حكايته قائلة: "يالها من سيدة تستحق التقدير. لابد أنه كان من المروع لفيجى أن تعرف بما حدث لأبيها".

"بالفعل"، قالها شين موافقاً، ثم سمعا صوت أزيز هاتفه المحمول، فأطلق زفرة ساخطة وهو ينظر إلى شاشته.

فابتسمت ميشيل وهى تقول: "دعنى أخمن، أليست صاحبتنا جوان؟ هل ستتجاهل اتصالها ثانيةً؟".

"كلا، فلو لم أجب هذه المرة فستأتى بنفسها إلى هنا".

قالت ميشيل فى تهكم وهى تدس مسدسها أسفل الوسادة: "أوه...كم سيكون هذا مشوقا...ربما كان عليك ألا ترد إذن. فلو أنها أتت إلى هنا، فربما أمكننى أن أتظاهر بأنى قد أطلقت عليها النار عن طريق الخطأ ظناً منى أنها حيوان مفترس يبحث عن لحم. أوه...هذا لن يجدى؛ فهى حيوان مفترس بالفعل. فقتلها لن يكون من قبيل الخطأ بأى حال".

"أرجو أن تقدرى الموقف، فلابد أن أتعامل معها بحكمة".

"هيا إذن، ولكن فى أثناء هذا أود أن أسمعك وأنت تعنفها وتطلب من هذه الحيزبون أن تدعك وشأنك".

فنهض شين قائلا: "هذه الحيزبون هى من يدفع لنا أتعابنا، أو أتعابى أنا على الأقل، فاتركينى أتعامل معها وحدى فى غرفتى".

" يالك من جبان! وهل ستخبرها بأنى هنا؟".

"قلت لكِ دعينى أتعامل معها".

"ما هى مشكلة الرجال مع مثل هذه المواجهات؟ فالنساء لا يمانعن فى دخولها".

وبعد أن غادرها، تسللت ميشيل إلى أسفل حيث الردهة وفتحت الباب المفضى إلى غرفة فيجى. كانت الفتاة جالسة إلى الفراش وسط العتمة، فقالت لها: "إنه أنا، ميك".

فقالت فيجى بصوت خفيض: "هاى...ميك".

"هل تودين أن أجلس معك لبرهة من الوقت؟".

فمدت لها فيجى يدها.

جلست ميشيل إلى جوار الطفلة الخائفة وسط الظلام، وحينما لامست يد الفتاة يديها، شعرت ميشيل بغصة حينما ذكرتها هذه اللمسة بذكرى بعيدة لا تود أن تتذكرها الآن؛ فقد كانت هناك الآن فتاة صغيرة خائفة تحاول أن تسبر أغوار الغموض المحيط بها، إلا أن الصورة اختفت بنفس السرعة التى ظهرت بها، لتترك ميشيل وسط حيرتها، وخوفها وارتباكها، وكأن لا فارق بينها وبين تلك الفتاة المسكينة التى تقبع إلى جوارها.

الفصل

٤٣

ظلت جوان ديلينجر تصرخ فى شين على مدى دقيقتين، مع أنه شعر أنهما مرا عليه كالدهر، بل إنها حاولت أن تشعره بالذنب أيضا.

"لقد فعلت الكثير من أجلك يا شين؛ فهل هذه هى الطريقة التى ترد لى بها الجميل؟".

"لم أكن أجيب اتصالاتك لأنه لم يكن لدى ما أخبرك به. فما الذى حدث لكل هذا؟".

"سأخبرك لماذا أفعل كل هذا. لقد تلقى رئيسى اتصالاً من أكثر من شخصية بالاستخبارات المركزية تخبره بأن من الأفضل أن نتوقف عما نقوم به، وقد ذكر اسمك كواحد من أهم الأسباب التى تستدعى هذا. هل وصل بك الأمر إلى استفزاز نائب مدير العمليات بحق الله!".

"إن آيان وايتفيلد لم يكن ليتعاون بأى حال من الأحوال على إغلاق ملف هذه القضية، وإنى لأتساءل عن الوسيلة التى عرف بها أن مؤسستك هى المسئولة عن التحقيق".

"إنها المخابرات المركزية يا شين، وهى قادرة على أن تعرف أى شىء. تبا، إن نصف عدد الذين يعملون فى مؤسستى هم ممن عملوا بها فى وقت ما من حياتهم".

"لا يمكننى منع الشرطة من التحقيق فى جريمة قتل يا جوان".

"أوه، ذكرتنى بأمر آخر. أتخبرنى الآن بأنك تتعاون مع الشرطة؟".

"هذا يمكننى من دخول أماكن لا يمكننى دخولها سوى بهذه الطريقة، وهو ما يزيد من فرص وصولى إلى الحقيقة. أليس هذا ما هو مطلوب منى؟".

"حينما استأجرتك يا شين لهذه القضية فـ...".

قاطعها قائلا: "دعينا نحدد هذا الأمر من الآن. من هو الذى استأجرنا؟".

"لين ريفيست".

"إنه ليس سوى رئيس الأمن، وينبغى أن يكون هناك من أمره باستئجار خدمات مؤسستك".

"هل تفكر فى أن تسأله عن هذا إذن؟".

"هذا لن يجدى الآن؛ فلقد لقى مصرعه".

"ماذا؟!".

"لقد مات، وأنا مندهش من أن الذين قد اتصلوا بكم لم يخبروكم بهذه المعلومة الصغيرة".

"إننى لا أصدق ما سمعته؛ فلقد كان لين شخصاً متعاوناً. إنها لطمة كبيرة لنا".

فقال شين: "هذا مؤكد؛ على أننى لم أستطع أن أعتبره رجلاً متعاوناً".

سألته فى حدة، "وما الذى تعنيه بهذا؟".

"لقد قتل يا جوان، وخبرتى علمتنى أن الناس يقتلون لسببين: أحدهما أن هناك من لا يحبهم، والثانى أن هناك من لا يريد لهم أن يحيوا حتى يفصحوا عن أسرارهم".

"تعنى أن لين كان ضالعاً فى مقتل مونك تورينج؟".

"إن الجريمتين وثيقتا الصلة ببعضهما".

"ولكن لم يتبين رسمياً أن مونك قد لقى مصرعه مقتولاً".

"هذا من الناحية الرسمية، وكذلك الحال مع جريمة لين، ولكننى متيقن من أن هناك من قتله. وبالمناسبة، أود أن أخبرك بأن هناك من أطلق النار علىّ، وأعتقد أن الطلقات كانت آتية من كامب بيرى".

"يا إلهى! كل هذا قد حدث ومن دون أن تفكر فى أن تتصل بى ؟".

"كنت مشغولاً، والآن لنعد إلى سؤالى الأساسى: من هو الذى استأجرنا؟".

"لا أدرى".

"جوان، إننى منهك وأكاد أصاب بالسأم من هذا العالم حولى، فلم أعد أحتمل اللف ولا الدوران. لقد قال لى لين ريفيست إن ما يحدث هنا كفيل بأن تندلع الحروب بين الدول لأجله".

"هل قال لك هذا؟".

"ألا تعلمين هذا أيضاً؟".

"بالطبع لا. أقسم لك يا شين، وقد ظننت، من القليل الذى أعلمه عن القضية، أنك لن تستغرق سوى يومين وبعدها تكون قد أغلقت ملف القضية وأن تورينج قد انتحر على أراضى كامب بيرى؛ فقد حدث هذا من قبل كما تعلم".

"أجل، فقد بين لى آيان وايتفيلد هذه النقطة؛ إلا أن هذه السلسلة قد تغيرت الآن مع مصرع ريفيست".

"هذا إن كانت هناك صلة بين الجريمتين".

"وحدسى يخبرنى بوجود صلة بينهما".

"إذن فعلى أن أرسل بإمدادات".

"لدى بالفعل شخص سيساعدنى".

خيم الصوت لبرهة، قبل أن تهمس جوان قائلة: "هل تقول لى بأنها الآن إلى جوارك؟".

"من؟ ميلدريد؟".

"بل ميشيل ماكسويل!"، كانت تصرخ بأعلى صوتها حتى إن شين قد اضطر إلى أن يبعد هاتفه الخلوى عن أذنه.

ثم أجابها بكل هدوء: "هذا صحيح. لقد وصلت للتو وأبلغتنى بأنها ستنضم إلى".

"ولكنها لا تعمل لصالحنا".

"أعلم هذا؛ ولكننى قد أوكلت إليها مهمة مساعدتى من الباطن".

"أنت لست مخولاً بهذا".

"الحقيقة هى أننى أمتلك هذا الحق؛ فأنا متعاقد حر مع مؤسستك، ووفق البند رقم ١٥ من العقد الذى وقعته معكم فإن لى الحق فى استشارة من أراه مناسباً للمهمة طالما كنت أنا من أدفع أتعاب هذه الاستشارة".

"وهل قرأت العقد حقاً؟".

"إننى دوماً ما أقرأ العقود يا جوان؛ لذا فمن الممكن أن نصل معًا إلى حقيقة ما حدث، كما أن هناك صديقاً آخر سينضم إلينا، وهو إخصائى نفسى اسمه هوراشيو بارنز".

"لماذا؟ أم أننى لست مخولة وفق العقد بأن أسألك عن اختياراتك لمن يساعدونك؟".

فقال ببساطة: "السبب هو ابنة مونك تورينج، فقد تبين لها منذ قليل أن والدها قد مات فانهارت أعصابها، كما أن التواصل معها مهمة صعبة، إلا أننى أعتقد بأن هوراشيو قادر على سبر أغوارها".

وبعدما سلمت جوان بهذه المستجدات، قالت: "وهل تعتقد أن تلك الفتاة تعرف أمراً له صلة بمصرع أبيها؟".

"إنها تعد الآن واحدة من الخيوط القليلة التى توصلنا إليها".

"شين، إن المخاطرة بحياتك ليست من ضمن مهام عملك".

"لن أنسى هذا".

"بالمناسبة، أخبر ميلدريد بأنها ستكون فى غاية الجاذبية لو أنها تلقت بجسدها رصاصة مميتة كانت موجهة إليك".

"إنها تعلم وبلا أى شك مشاعرك تجاه هذا الموضوع".

أغلق شين الخط، ثم ألقى بجسده على فراشه وهو بكامل ملابسه، واستسلم للنوم. لم يعد مهتماً بسلامته الشخصية الآن. فإلى جواره الآن فريق عمل كامل. ربما كان من الخير أنه لا يستطيع قياس درجة الخوف والارتباك التى كان عليها فريقه... وإلا لما كان قد استغرق فى هذا النوم العميق!

الفصل

٤٤

حينما وصل هوراشيو بارنز فى وقت مبكر من صباح اليوم التالى لم يلقه شامب بنفس الترحاب الذى لاقى به ميشيل.

فقد صاح فيه: "نحن لسنا فى منتجع ترفيهى!".

فقال له شين: "لكننى أرى أن بوسعه مساعدة فيجى".

"فليفعل هذا من بعيد إذن... تبا. نحن هنا فى مكان يحيط به حراس الأمن من كل جانب، وتجرى بداخله العديد من الأبحاث فائقة السرية؛ ومع هذا فأنا حتى لا أعرف اسم هذا الرجل".

فبادره شين قائلاً: "بوسعى أن أشهد له. لقد سمعت بدخول ميشيل هنا، مع أنك لم تكن تعرفها أيضا. فما هو الفارق؟".

رد عليه شامب فى سرعة: "لا!". وابتعد بخطوات بطيئة.

صار هوراشيو نزيلا فى أحد فنادق بلدة وايت فيذر المجاورة، ولم تكن ميشيل قد استيقظت بعد حينما انتهز شين الفرصة واستعار سيارة تبع بها هوراشيو إلى وايت فيذر، وبعد أن أنهى هوراشيو إجراءات الإقامة جلس الرجلان فى غرفة الطعام لتناول القهوة.

قال له هوراشيو: "منطقة لطيفة. لولا كل جرائم القتل التى حدثت لكنت قد قررت أن أتقاعد وأعيش بقية حياتى هنا".

"أخبرنى بما حدث معك فى تينيسى".

حينما انتهى هوراشيو من حكايته، قال له شين: "وما علاقة سياج من الورود والمشكلة التى تعانى منها ميشيل؟".

"لا أدرى إن كانت هناك صلة أم لا". كان يتأمل شين وهو يرتشف من قدح القهوة، ثم أردف: "كيف حالها الآن إذن؟".

"تبدو لى فى حالة طيبة، ويبدو أنها تتجاوز محنتها بنجاح".

"قد لا يدوم هذا. حدثنى عن فيجى؟".

وهكذا أخذ شين يروى له كل ما يعرفه عن فيجى، وبعدها عاد هوراشيو بظهره إلى الوراء وهو يقول: "لا يبدو من كلامك أن مهمتى ستكون هينة، وكيف فى رأيك سأبدأ معها، خاصة وصاحبنا شامب يمنعنى من الدخول إلى المنطقة؟".

"بوسعى أن أحضر فيجى إلى هنا. ستسمح لها أليسيا بهذا؛ فهى مهتمة لأمرها".

"حسنًا. هل أخبرت ميشيل بأنى سآتى إلى هنا؟".

"كلا، ولكنها سرعان ما ستعرف، وحينما أخبرها أنك قد أتيت لتساعد فيجى فلن تجد غضاضة فى ذلك؛ فالفتاة قد تعلقت بها سريعًا".

فقال هوراشيو وهو شارد الفكر: "سيساعدنى هذا فى نقاط بعينها... وربما أمكننى أن أضرب عصفورين بنفس الحجر".

عندما عاد شين إلى بابيج تاون وجد ميشيل فى غرفة الطعام تحادث شامب، بينما كانت فيجى تجلس إلى المائدة الطويلة وهى تمضغ ما بدا أنها فطيرة حلوة.

لما رأى شامب حضور شين نهض عن مقعده وهو يقول: "آمل أن تكون قد تفهمت السبب الذى يمنع صديقك من الإقامة هنا".

فسألته ميشيل فى سرعة: "أى صديق هذا؟".

أجابها شين فى صراحة: "هوراشيو بارنز".

عندما لاحظ شامب الدهشة التى ارتسمت على وجه ميشيل، بدا عليه المفاجأة وقال: "سأستأذن أنا الآن"، وسارع بالخروج من

المكان. بادرت ميشيل بالتساؤل ـ بعد أن خرج شامب: "ما الذى أتى ببارنز إلى هنا بحق الله؟".

"لأجل فيجى. نحتاج لمن يجيد التعامل معها".

"ألم تجد سوى الرجل الذى سجننى بالمصحة ثم ذهب؟ لا أصدق أنك قد فعلت هذا يا شين".

"إنه لم يسجنك، بل إنك قد ذهبت إلى المصحة طواعيةً، كما أنه لم يهرب منكِ".

"ما الذى تقوله؟ لقد اختفى".

"لقد ذهب إلى تينيسى".

عندها قست ملامح ميشيل وتجمدت وكأنما أصابها مس، وبعد قرابة الدقيقة من الصمت قالت فى هدوء: "وما الذى دعاه إلى الذهاب إلى تينيسى؟".

"ما هو السبب فى رأيك؟".

"لا يمكننى أن أسمح لك من دون كل الناس أن تتلاعب بى هكذا".

"حسنًا. لقد ذهب إلى تينيسى حيث المكان الذى نشأت فيه وأنتِ صغيرة".

"لا أصدق هذا الهراء!".

لم يلاحظ أى منهما أنهما قد صارا موضع انتباه كل من بالقاعة حينما علا صوتها.

"لقد ذكر أخوك أن شخصيتك قد تغيرت بغتة حينما كان عمرك ست سنوات".

"لقد كنت صغيرة!".

"صارحينى يا ميشيل، ما الذى حدث وقتها؟".

"لا شىء! هل لديك أنت ذكريات وقت أن كنت فى السادسة من عمرك؟".

عندها أدرك شين ما الذى يحدث الآن، لقد كان فى طريقه لأن يفسد كل شىء. لقد كان يتدخل فى عمل هوراشيو، ويسأل

ميشيل عن أسئلة شديدة الخصوصية وبأسلوب فج وأمام غرباء، فسارع بأن يقول لها: "كلا، لا أتذكر شيئاً...أنا آسف". بدا أن نبرته المتراجعة قد أخمدت غضبها قليلا، ونظر كلاهما تجاه فيجى التى كانت تراقبهما، وقد ارتسمت الحيرة والشك على ملامحها، فسارعت ميشيل بالجلوس إلى جوارها وأحاطتها بذراعها قائلة: "لا بأس يا فيجى، كان مجرد اختلاف، وهو أمر يحدث على الدوام"، ثم قالت بحدة لشين: "أليس كذلك؟".

فأومأ شين برأسه قائلاً: "أجل على الدوام"، ثم نهض من مكانه والتحق بهما.

كانت فيجي ترتدى سروالاً ذا حمالتين من الجينز، وكان شعرها معقوصاً فى ضفيرتين. لاحظت ميشيل أن أظافر البنت متآكلة حتى نهايتها، بسبب أنها تقصفها بأسنانها.

قال شين: "لابد أن تذهب إلى الفصل الدراسي؛ فلديهم هنا مدرسة يلتحق بها أبناء العاملين، وهى موجودة بالقصر عند نهاية البهو"، ثم خفض صوته وهو يضيف: "لقد رتبت أن يكون بصحبتها حارس، وسنعود قبل أن ينتهى الفصل الدراسي".

"نعود؟...نعود من أين؟".

"سترين".

الفصل

٤٥

أوصلا فيجى إلى الفصل الدراسي، وقبل أن يفارقاها، تحدثت ميشيل وشين مع معلمتها، وكانت امرأة فى أواسط العمر.

قالت عنها المعلمة: "إنها حالة خاصة، ولكنها ـ أحياناً كثيرة ـ تكون أكثر التلاميذ الذين علمتهم عبقرية".

قال لها شين: "تقول أليسيا شادويك إنها قادرة على تحليل الأعداد الكبيرة باستخدام عقلها فقط".

"بالضبط. هل تتخيل أن تكون قادراً على أن ترى الملايين، بل المليارات من الأعداد وهى منتظمة بدقة فى مخيلتك؟".

فقال شين: "كلا، لا يمكنني هذا. الحقيقة أنى أجد صعوبة فى تذكر رقم هاتفى الشخصى".

فارقا فيجي ومعلمتها والحارس، وفى البهو قابلا أليسيا شادويك.

"إنها فى مأمن داخل المدرجة"، حكى لها شين ما رتب له ثم حدثها عن هوراشيو قائلا: "ربما كان بإمكانه أن يساعدها".

سألت أليسيا وهى تحدج شين بنظرة حادة: "هل سيساعدها على اجتياز محنة موت أبيها؟ أم أن هناك أمراً غير هذا؟".

"أليسيا، لو أنها تعلم أى شيء يتعلق بمصرع مونك فسنحتاج إلى أن نعرف ما بداخلها، وكلما توصلنا إلى هذا فى وقت أسرع، صارت فيجى فى مأمن أكثر من ذى قبل".

"حسناً، لا مانع فى أن نقوم بهذا".

قال شين لميشيل وهما يسيران عبر أراضى القصر: "لقد بنى هذا المكان على يد رجل كون ثروته الطائلة من بيع الأطعمة المعلبة الفاسدة والتى ربما قتلت الكثيرين".

"إننى لا أجد أية لافتة تقول بأن هذا المكان يسمى بابيج تاون".

"هذا لافت للانتباه بالفعل، وأنا أيضاً لم أر مثل تلك اللافتة". أخبرها بمنظومة الأكواخ، ثم بتفاصيل حواره مع شامب وحواسب الكوانتوم.

"لقد طلبت من جوان أن تعرف هوية صاحب هذا المكان، ومع كل تحفظاتكِ عليها، إلا أنها تجيد القيام بهذا".

ردت ميشيل فى سرعة: "كل الحيوانات قادرة على نبش الأرض بمخالبها".

فى النهاية وصلا إلى كوخ تورينج الذى صار خالياً الآن.

"لقد فرغ ميشيل فينتريس، عميل المباحث الفيدرالية ذو المزاج السيئ، هذا الكوخ من محتوياته، ولكننى طلبت من جوان أن تبحث فى أمر الجهة التى كان مونك قد سافر إليها".

"لقد قلت بأن أليسيا قد ذكرت لك بأنه مكان ما عبر البحار؟".

"لكنها لا تعرف البلد بالتحديد".

ثم قادها إلى كوخ لين ريفيست.

سألته: "هل تحققت من حجة غياب شامب فى الليلة التى لقى فيها ريفيست مصرعه؟".

"يشير الحاسب إلى أنه قد دلف إلى الكوخ رقم اثنين فى الحادية عشرة والنصف، وسجل خروجه منه فى الساعة الثالثة

صباحاً، فأياً كانت هوية الشخص الذى رأيته عند الساعة الثانية صباحاً فهو ليس شامب".

"وبما أنه قد تبين أن ريفيست كان ميتاً منذ خمس ساعات على الأقل، حينما اكتشفت الجثة، فإننا نستبعد شامب من قائمة المشتبه بهم".

قال شين وهو يتنهد: "كان مشتبهًا به بالليل، ثم صار بريئًا بالنهار!".

بعدها توجها إلى المرفأ، ومسحت ميشيل المكان بعينها الخبيرة: "لا يوجد شيء يلفت النظر؛ فهو مكان ترويجى مثالى"، ثم سارت نحو زورق بخارى من طراز فورميولا يبلغ طوله ستاً وعشرين قدماً قابعاً فوق قارب داخل أحد المراسى وقالت: "أحد ملاك هذا المكان من نيويورك".

نظر شين إلى الاسم الذى كتب فوق إحدى نوافذ مؤخرة القارب: "التفاحة الكبيرة"، ثم أشار عبر النهر وهو يقول. "كم نستغرق من الوقت للتجديف حتى هناك؟ لا أقصد أن تقومى أنتِ بهذا، بل أقصد شخصاً عاديًا".

تأملت ميشيل المسافة، ثم قالت: "لا أعرف طبيعة التيار هنا، ولكن ربما استغرق الأمر خمساً وأربعين دقيقة. إن المسافة تبدو دوما أقرب وأنت فوق البر. أما حينما تبدأ فى خوض المياه، فإنك تشعر وكأن المسافة تزداد طولاً".

"لنقل إذن إن رحلة الذهاب والعودة تستغرق ساعتين، مع الأخذ فى الاعتبار أنه سيجدف بقوة أقل فى رحلة العودة".

"هذا صحيح".

قادها عبر الغابة إلى البقعة التى يمكنهما منها رؤية كامب بيرى. أخرجت ميشيل نظارتها المعظمة من الحقيبة، وأخذت تنظر من خلالها.

كانت الشمس ساطعة على السور اللامع المحيط بأراضى السى آى إيه.

قالت له وهى تدرس المسافة والزاوية من موضعها: "كيف أمكنهم التصويب عليك من هذا الموضع؟".

"لنحمد الله أنها لم تكن بالطلقات الصائبة، وإلا لما كنت معكِ هنا".

أشارت إلى يسارها نحو منطقة خاوية من الأشجار وقالت: "هل هذا مدرج طائرات؟".

"بالفعل".

نظرت إلى الروافع الكبيرة عند نهاية امتداد النهر وقالت: "أتخص البحرية الأمريكية؟". أومأ شين برأسه إيجابًا، فتساءلت ميشيل: "أين اكتشفوا جثته؟".

"أعتقد أنهم قد وجدوها هناك". كان يشير إلى بقعة من الغابة تبعد حوالى مائة ياردة من المدرج.

"إذا قلنا إن مونك قد ذهب إلى هناك من تلقاء نفسه وليس لينتحر، فإنه إما كان فى طريقه للقاء أحدهم، أو ليتجسس على المكان حينما هاجمه أحدهم".

"هذا صحيح، لكنه لو كان قد ذهب ليتجسس على المكان فإن لدى السى آى إيه الحق فى أن تطلق عليه النار، فما الذى يدعوها إلى التعمية على الأمر ليبدو وكأنه انتحار؟".

"ربما كان انتحارا بالفعل".

"فماذا عن ريفيست؟ فمن المؤكد أنه قد قُتل".

فقالت ببساطة: "ليس له صلة بموت مونك".

لم يكن شين يتحلى بنفس هذه الثقة وهو يقول: "ربما".

قال لها شين بغتةً وهما فى طريق العودة: "اسمعى، كان على أن أُعلِمَك مسبقًا بحضور هوراشيو، وأنا آسف لأنى لم أفعل ذلك. لقد كنت أحاول أن أساعدك فحسب".

"لا عليك". إلا أنها قالتها بنبرة علم منها شين أنها لن تغفر له هذا أبدا.

الفصل

٤٦

عندما استقلا سيارة ميشيل، أنزل شين زجاج النافذة وأخذ نفساً عميقاً وهو يقول: "أتذكرين أنك قد نظفت سيارتك هذه ذات مرة من أجل أن أتمكن من التنفس بصورة طبيعية؟!".

" كان ذلك حينما كنت أحبك"، قالتها، وهى تزيد من سرعة العربة، ثم أردفت: "حسناً، إلى أين الآن؟".

قادا العربة على طول النهر، وكانا يمران كل نصف ميل أو أقل بمنزل كبير خرب أو مزرعة؛ وكان الشىء الوحيد القائم فيها هو عدد من المداخن المبنية بأنواع مختلفة من الطوب.

قالت ميشيل مازحة: " لقد كان أجدادنا على حق عندما قالوا إن الطوب عمره أطول من الإنسان ".

فى النهاية توقفا عند واحدة من الأراضى وترجلا من العربة. سار شين عبر الممشى الذى طالت أعشابه تتبعه ميشيل، وعلى عمود المدخل الحجرى المتدلى كتب " فارليجيت"، بنقش برونزى بارز.

قال شين: "لقد قرأت كتاباً فى بابيج تاون عن التاريخ المحلى، وعرفت منه أن فارليجيت كانت مملوكة لابن مخترع مشهور".

سألته ميشيل: "فماذا حدث؟".

"مثل الكثير من الأغنياء الذين يرثون المال، لقد ضيع المال. وأغلب القصور من حولنا، مثل براندن فيلد، توكرجيت، قد تحولت إلى خرائب".

أضافت ميشيل: "أو تحولت إلى مختبرات سرية حيث يموت فيها الناس".

هبت ريح باردة عبر المرج الأمامى، وسرعان ما تبددت وسط الغابة المحيطة.

قالت ميشيل بينما لفت ذراعيها حول كتفيها وتطلعت نحو منزل رجل الدين: "أراهن أنه كان جميلاً وقت أن كان جديداً". على خلاف العديد من الضيع الإقطاعية المهجورة هنا، فإن جدران فارليجيت ما زالت قائمة عبر الأبواب الأمامية الخشبية الكبيرة التى تهالكت، وكانت أغلب النوافذ مهشمة والسقف المصنوع من ألواح مليء بالفتحات. "من المحتمل أنه كان مكاناً لطيفاً لينشأ فيه المرء"، قالتها ميشيل بقليل من الحزن.

نظر إليها فى دهشة وقال: "إنك أبداً ما امتلكت بيتاً، ولا أظن أنك تفكرين فى أمور مثل هذه".

"كما لم يسبق لى أن تزوجت، وهو ما لا يعنى أننى لا أفكر فى هذا"، هكذا ردت عليه بسرعة بديهة.

سمعا صوت صخب يأتى من داخل المكان.

قالت ميشيل: "تبدو كأصوات بشرية"، ثم سحبت مسدسها وتوجهت إلى البيت يتبعها شين، وبالداخل، أخرجت ميشيل كشافاً من حقيبة ظهرها وأنارته من حولها. كان المر الذى كانا يسيران عبره طويلاً، قذر الأرضية، متداعى الجدران، وكان الهواء رطباً مما جعل شين يسعل. عادت الأصوات التى سمعاها من جديد، مثل همسات متسارعة، ثم ندت صرخة مكتومة بدت وكأنها إلى جوارهما تماماً. جفل كلاهما وصوبت ميشيل فى سرعة كلاً من ضوء كشافها ومسدسها فى ذلك الاتجاه. لم يجدا سوى الحائط ورغم هذا كانا ما زالا يسمعان ما بدا وكأنه طنين مرتفع.

نظرت إلى شين فى حيرة وقالت: "عش دبابير؟". بدا متحيراً بدوره، ثم تقدم خطوة للأمام نحو الجدار ونقر عليه، وعندها توقفت الأصوات.

هز رأسه وهو يقول: "بل هو عش بشرى". تحسست أصابعه الجدار حتى وجدت الشىء الذى كانت تبحث عنه: أنشوطة معدنية صغيرة. جذبها شين وعندها انفتح ذلك القسم من الجدار.

ارتطم بساقيه شىء ما وارتطم بصدره شىء آخر؛ فسقط أرضاً على ظهره. ارتفعت أصوات الخطوات الهاربة عبر الردهة. ونهض شين وهو يسمع أصواتاً أخرى: مزيج من الصراخ والضحك.

تطلع خلفه. كانت الصرخات آتية من صبى صغير، فى حوالى الثامنة من عمره، وكانت ميشيل تحكم الإمساك به. أما الضحكات فكانت ميشيل هى صاحبتها وكان من الواضح أنها تقصد بها شين.

وبعد أن نفض شين عن ملابسه الغبار، قالت ميشيل للصبى فى صرامة مصطنعة: "حسناً، اسمك، ورتبتك، ورقمك المسلسل أيها السيد".

كان ينظر بخوف إليها وأدركت ميشيل أنها كانت لا تزال تصوب مسدسها إليه. "أووه...آسفة". أغمدت مسدسها وهى تقول: "هيا، تكلم. ما الذى تفعله هنا؟".

بينما قال شين: "قد تؤذى نفسك بالتواجد فى مكان كهذا يا بنى".

فقال الصبى فى عناد: "نحن نأتى إلى هنا كثيراً، ولم نصب بأى أذى من قبل".

ألقى شين نظرة فاحصة داخل المكان الخفى: "إنها حجرة سرية. كيف وجدتموها؟".

"وجدها أخى، تيدى. لقد اعتاد أن يأتى إلى هنا هو ورفاقه حينما كان فى مثل سنى. والآن صار مكانى أنا، وبكل الأماكن القديمة حجرات سرية".

تحفزت حواس شين وهو ينظر إلى ميشيل، وأخرج محفظته وناول الصبى ورقة فئة عشرة دولارات قائلاً: "شكراً، أيها الصبى".

وبعد أن انصرف الصبى الصغير مهرولاً، سارا إلى الخارج حتى جلسا إلى مصطبة صخرية قديمة.

سألته ميشيل: "هل نبحث فى بابيج تاون عن حجرة سرية إذن؟".

"بالفعل".

"وهل لى أن أسألك عن السبب؟".

"السبب أننا سنجد شيئاً نفعله، ولو كان هناك جاسوس فى بابيج تاون...؟". كانت نبرة صوته تخفت حتى سكت حينما انتبه إلى ما يرمى إليه كلامه.

"هل تعتقد أن أى جاسوس سيستخدم حجرة سرية؟ وماذا يفعل بعد ذلك؟ يخرج ليلاً من مخبئه يتلصص؟ هلا تحدثت بمنطقية".

"ما الذى تعرفينه عن كامب بيرى؟".

"لا أعلم أكثر مما ذكرته لك".

"لو بحثت عن معلومات حول هذا المكان عبر الإنترنت لما وجدت شيئاً، سوى بعض المواد التقليدية المعروفة".

"هل أنت مندهش من هذا؟".

"ذكر لى الشخص الذى استقبلنى عندما وصلت بالطائرة أن القوات البحرية قد تملكت هذه الأرض خلال الحرب العالمية الثانية، حيث كانت أرضاً للتدريبات، ثم غادرت ولكنها عادت خلال الخمسينيات وأخرجت الجميع منها".

"الجميع؟ من هم هؤلاء الجميع؟".

"كان هناك بلدتان. بلدة تدعى ماجرودر، وأخرى لا أذكر اسمها، ومن الواضح أن المنازل وكل شىء لا يزال باقيا".

"وما علاقة هذا بتحقيقاتنا؟".

"لا توجد علاقة. إننى فقط أحاول تهيئة عقلى للتفكير فى شىء له صلة بها".

"بالمناسبة، كيف صارت هناك معرفة بين ريفيست ومونك تورينج؟".

"لم تكن العلاقة بينهما بتلك القوة، هذا حسبما قال لى ريفيست، ولكنه وبينما كنا نتناول الشراب معاً صارحنى بشىء لافت للنظر".

"وما هو؟".

"ذكر لى أنه ومونك تورينج قد ذهبا ذات يوم للصيد فى نهر يورك، وكانا على متن قارب صغير ويتجرعان الشراب ويلقيان بالصنارة فى المياه للتسلية، وهما لا يتوقعان أن يصطادا أى شىء".

"ثم؟".

"ثم نظر مونك ناحية كامب بيرى وقال له شيئاً من قبيل: من المفارقات أن هؤلاء هم أعظم جامعى الأسرار فى العالم".

فسألته ميشيل: "وما هو وجه المفارقة فى ذلك؟".

"حسبما قال لى ريفيست، فإنه عندما سأل مونك عن وجه المفارقة، فلم يجبه بشىء".

"لا أدرى كيف تساعدنا حكاية كهذه".

"إننى لم ألتقه أبداً إلا أننى لا أظن أن مونك تورينج يمكن أن يلقى بالكلام جزافاً. هيا بنا".

"إلى أين؟".

"هل تذكرين أننى قد قلت لك بأننى لم أجد سوى القليل من المعلومات عن كامب بيرى عبر الإنترنت؟".

"بلى؟".

"ولقد وجدت مقالتين كتبهما شخص يدعى ساوث فريمان، يعيش في بلدة صغيرة تسمى آرك، وهو يترأس تحرير صحيفة محلية كما أنه من مؤرخي المنطقة، وأعتقد أنه من بين القلائل الذين يمكن أن يمدونا بمعلومات عن كامب بيرى".

ضربت ميشيل براحتيها على فخذيها وهي تنهض قائلة: "ساوث فريمان؟ مونك تورينج؟ شامب بوليون؟ ما علاقة هذه القضية بالأسماء غريبة الأطوار بحق الله؟".

الفصل ٤٧

كانت آرك مجرد بلدة صغيرة تتكون من بضعة شوارع، وإشارة مرور واحدة، وعدد من المحال المتواضعة، وخط سكة حديد عتيق لا يستخدم؛ لكن آثاره ظاهرة في الشارع الرئيسي، وكأنه خط مرسوم عفا عليه الزمن، وكانت هناك بناية حجرية متداعية من طابق واحد، وهي التي تشغلها صحيفة (ماجرودر جازيت)، بينما شاهدا لافتة متهالكة أخرى تقول بأن نفس البناية تحوى جمعية ماجرودر التاريخية.

سألته ميشيل وهي توقف سيارتها: "لو كان اسم البلدة آرك، فلماذا لم تسم الصحيفة آرك جازيت؟".

أجاب شين في غموض: "أشاركك في هذا التساؤل، ولكن علينا أن نسأل صاحبنا ساوث عن هذا".

دلفا إلى البناية ليقابلهما رجلٍ أسود طويل القامة، بدا في العقد السادس من عمره، نحيفاً، وكان ذا وجه شديد النحول تحيط به لحية بيضاء، بدت من وسطها سيجارة تخرج من بين شفتين مزمومتين.

صافحهما وهو يقول: "ساوث فريمان... لقد تلقيت مكالمتك. أنتما ترغبان في معرفة بعض المعلومات عن تاريخ المنطقة؟ هذا هو المكان المناسب إذن".

أومأ شين برأسه وقادهما ساوث إلى غرفة مكتب صغيرة بها خزائن ملفات معدنية رمادية اللون، ومكتبان صغيران، إلا أن جهاز حاسوب حديثا كان يقبع فوق واحد منهما، وتحمل الجدران مجموعة منتقاة من الصور الفوتوغرافية للمنطقة، بما في ذلك صورة كبيرة التقطت بالقمر الصناعي لمنطقة أدرك شين أنها هي نفسها كامب بيرى. فوقها لافتة تقول: "الجحيم الأرضي".

فأشار إليها شين وهو يقول ساخراً: "أرى أنك واحد من كبار مشجعي أهم جهة استخباراتية بالبلاد".

فنظر ساوث إلى الصورة وهو يقول في لا مبالاة: "لقد أعادت الحكومة أبويّ إلى بلادهما، وحولت حياتي إلى جحيم؛ فكيف برأيك سيكون شعوري تجاهها؟".

صحح شين له قائلا: "لقد كانت القوات البحرية هي من فعل ذلك، وليست السي آي إيه".

"البحرية... الجيش... الاستخبارات، إنني أراها جميعاً كشيء واحد... إمبراطورية الشر".

"لقد قرأت مقالك عن كامب بيرى".

أطفأ ساوث سيجارته ليشعل أخرى على الفور وهو يقول: "حسناً، ليس لديك خيارات كثيرة إذن، أليس كذلك؟". كانت ميشيل تحاول إبعاد دخان السيجارة عن وجهها.

رمق شين ميشيل وهو يقول: "كنت تعيش في ماجرودر؟ هذا ما أفترضه من خلال اسم صحيفتك".

أطرق فريمان برأسه قائلا: "هذا صحيح. كانت هناك بلدتان على الأراضي التي تسمى الآن كامب بيرى: ميل بيجلر وماجرودر، وتلك الأخيرة هي التي ولدت بها، وهما الآن في قائمة الأماكن التي اختفت بغتة من سجلات وخرائط مكتب تسجيل فيرجينيا الرسمي".

سأله شين: "هل لديهم إحصائيات من هذا القبيل؟".

أجابه فريمان بأن أشار نحو قائمة مثبتة إلى لوحة إعلانات، وهو يقول: "انظر بنفسك. فهنا أسماء جميع المقاطعات والبلدات وغيرها مما اندمج في أماكن أخرى، وتغيرت مسمياتها أو ـ كما هو الحال مع ماجرودر ـ سرقتها الحكومة الملعونة".

نظر شين إلى القائمة لدقيقة وقال: "فهمت من مقالاتك أن المنازل لا تزال هناك، بل جميعها في الحقيقة؟".

"لا يمكنني أن أؤكد ذلك بالطبع؛ حيث إنهم لا يسمحون لأمثالي بالتجوال هناك؛ ولكنني استطعت أن أجمع معلومات من هنا وهناك من ألسنة الناس الذين كانوا هناك، وهذه المعلومات تبين أن العديد من البنايات لا تزال على حالها ـ بما في ذلك المكان الذي ولدت وعشت فيه حينما كنت صبياً صغيراً. هذا هو السبب الذي دفعني إلى تسمية الصحيفة ماجرودر جازيت. رأيت في هذا وسيلة لإحياء ذكرى البلدة".

علق شين ساخراً: "أرى أن كل فرد في هذه البلاد قد اضطر إلى أن يقدم التضحية خلال الحرب العالمية الثانية".

"لا غضاضة بالنسبة لي في أن أضحي طالما كان هذا هو حال الجميع".

"ما الذي تقصده؟".

"لقد كانت ماجرودر مجتمعاً لطبقة العمال الزنوج، أو كانت مجتمعاً ملوناً كما أحبوا أن يسموه وقتئذ؛ فأنا لم أر البحرية وهي تخلي أية أراض للبيض الأثرياء. لم يتغير شيء عما كان عليه الحال قديماً. اطرد الأسود الفقير لأن أحداً لن يلقى له بالاً".

قال شين: "أنا مقدر لحجم تلك المشكلة يا ساوث، مقدر جداً. إلا أننا قد حضرنا إلى هنا لنتحدث عن كامب بيرى وتاريخها".

"هذا ما أخبرتني به عبر الهاتف، إلا أنك لم تخبرني عن السبب".

"نحن محققان من جهة خاصة استأجرنا من يديرون بابيج تاون للتحقيق في مصرع مونك تورينج".

"صحيح، صاحبنا الذى وجدوه قتيلاً هناك. لقد كتبت مقالاً حول هذه الجريمة، ولم يتم نشره لأننى لم أنته منه بعد"، ثم نظر إليهما فى شك وهو يتابع: "تعملان لصالح بابيج تاون إذن؟ ما رأيكما فى أن نجرى مقايضة؟ أحدثكما عن "المزرعة" وتحدثاننى عما يفعلونه فى عش العباقرة ذاك؟".

"أخشى أننا لن نتمكن من هذا يا سيد ساوث. من واجبنا ألا نفشى الأسرار".

"ربما كان هذا واجبى أيضا".

تدخلت ميشيل فى الحوار قائلة: "ما نحاول أن ننجزه هو التوصل إلى حقيقة ما حل بمونك تورينج".

"وماذا عن الشخص الآخر الذى لقى مصرعه بدوره، الذى قتل داخل بابيج تاون؟ قالوا إنه قد لقى مصرعه غرقاً فى حوض استحمامه...قضاءً وقدرا، وبدورى أقول هذا صحيح، فبنفس المنطلق أقول بأن لى هارفى أوزوالد وجيمس إيرل راى بدورهما قد ارتكبا جرائم الاغتيال من دون شريك. لابد من أن نتعاون هنا. فلو امتنعتما عن الكلام سأمتنع أنا الآخر عنه. وذاك الباب هناك. وداعاً".

فقالت ميشيل: "ربما لو توصلنا إلى الحقيقة فى مصرع مونك تورينج فقد تؤدى تبعات هذا إلى رحيلهم عن كامب بيرى".

عندها فقط تغيرت التعبيرات التى ارتسمت على محيا ساوث؛ فقد حل الفضول محل العناد وهو يقول: "تعتقدان أن هذا ممكن؟".

"أى شىء ممكن، ونحن هنا أمام مونك تورينج الذى لقى مصرعه داخل تلك الأرض".

"لكن جميع وسائل الإعلام المحايدة تذكر أن الأمر انتحار، ولا فارق بينه وبين من وجدوهم منتحرين خلال السنوات القليلة الماضية، بينما يصرخ أصحاب المدونات على شبكة الإنترنت

منبهين إلى أن فى الأمر مؤامرة تحيكها الحكومة، وأنا متحير بين الاثنين".

فقال شين: "ربما توصلنا إلى الحقيقة، بمساعدتك".

أطفأ ساوث سيجارته، والتقط صحيفة كانت فوق سطح مكتبه وبدا منشغلا بقراءتها، ثم قال: "ما الذى تودان أن تعرفاه؟".

"ما يمكنك أن تخبرنا به عن كامب بيرى؟ وأنا مهتم أكثر بالأحداث الراهنة".

حدجه ساوث بنظرة من فوق الصحيفة وقال بتشكك: "الأحداث الراهنة؟".

"بالفعل، من قبيل ما يأتى جواً".

"إذن فأنت بدورك قد لاحظت تلك الطائرات؟ وأعتقد أنك قد رأيتها عن قرب هناك فى بابيج تاون. إنها تهبط عندما تجتاز النهر. صحيح؟".

"لكن المرء لا يمكنه عند الثانية صباحاً أن يتبين أى شىء بوضوح، وخاصةً حينما يتعمدون ألا يضيئوا أنوار مدرج الهبوط".

"أجل، أعلم هذا".

سألته ميشيل: "وهل رأيتها؟".

"هاى...تلك الحكومة اللعينة لا تمتلك كل الأراضى التى هنا. إننى أحضر الباربيكيو الممتاز من متجر بيرس عند نهاية طريق سبوكفايل، ومن ثم أتوجه عبر النهر إلى أحد الأماكن التى يمتلكها صديق لى، وأجلس عند ضفة النهر جوار منزله منتظرا هبوط تلك الطائرة التى تأتى محملةً بأشياء لا ترغب الحكومة فى أن يعرف أحد شيئاً عنها، ودعنى أُفْض إليك بشىء، كنت أعلم أن هناك شيئًا ما يجرى وذلك من قبل اندلاع حرب الخليج الأولى ومن بعدها أفغانستان والعراق، بسبب العدد الكبير من الطائرات التى صارت تهبط على ذاك المدرج وكأنما صار أشبه بطريق أوهارا الذى لا تنقطع عنه السيارات فى شيكاغو".

ثم التمعت عيناه وهو يردف: "إننى أقود سيارتى مرةً فى الأسبوع نحو مدخل كامب بيرى، فأرى الأسطح المعدنية الخضراء فوق بيوت الحرس، وفوقها جميعاً تلك اللافتات التحذيرية...(ممنوع الاقتراب، أرض تابعة لحكومة الولايات المتحدة)، فأقول لنفسى تلك أرض أمى أيها الأوغاد، وعليكم أن تعيدوها لى، وبالطبع فإن تلك الكلمات لا تتجاوز شفتىّ، حتى لا يسمعوها". ثم أضاف فى تهكم: "ومن بعدها أنعطف بالسيارة عائداً أجر أذيال الخيبة، إلا أن هذا يرفع من معنوياتى بعض الشىء". صمت ساوث للحظات، قبل أن يتابع سرده: "تأتى تلك الطائرات مرة واحدة فى الأسبوع، أيام السبت. فى نفس التوقيت فى كل مرة، وهى من الطراز النفاث كبير الحجم. أعرف صديقاً يعمل فى المراقبة الجوية ولديه اتصالات بالجيش هناك فى نورفولك. لا تهبط تلك الطائرات فى أى مكان فى هذه البلاد إلا فى كامب بيرى. ولا يوقفها أى شىء...أى شىء".

سألته ميشيل: "أليست طائرات عسكرية؟".

"صديقى يقول إنها ليست كذلك. يعتقد بأنها مسجلة كطائرات خاصة".

فقال شين: "طائرة خاصة تمتلكها السى آى إيه؟".

"تباً، إن المخابرات تمتلك أسطولها الخاص من الطائرات. إنهم ليسوا بمجبرين على أن يخبرونا بالأوجه التى ينفقون عليها أموال دافعى الضرائب".

فسأله شين: "كم أتوق إلى معرفة تلك الشحنة التى تحملها تلك الطائرات!".

نظر ساوث إليه وكأنما يريد أن يسبر أغواره ثم قال: "ربما كانت عبارة عن بشر...بشر يتنفسون ولا يتحدثون سوى العربية أو الفارسية؟".

"معتقلون أجانب؟".

فقال ساوث بتصميم: "ليست لدى ذرة تعاطف مع الإرهابيين ولكن لابد من التنبيه إلى أن من الضرورى أن يتم التعامل معهم وفقاً للقانون، فلو كانت السى آى إيه ترى أن تحضر منهم ما يحلو لها من دون أية محاكمة أو إشراف قضائى؟ أعنى أن لها سوابق فى هذا المجال". ثم ابتسم وهو يردف: "لو كان هذا هو ما يحدث، فإن الصحفى الذى سينال سبق كشف الحقيقة سينال جائزة البوليتزر من دون أدنى شك".

علقت ميشيل ساخرة: "بالفعل...ذاك سيكون سبقاً صحفياً لم تحلم به ماجرودر جازيت".

بينما قال شين: "لقد قاموا مؤخراً بإطالة مدرج الطائرات حتى يتسنى للطائرات الأكبر حجماً أن تهبط عليه، كما خصصوا أموالاً لبنايات سكنية إضافية. فما رأيك فى هذا؟".

نهض ساوث واقفاً وهو يقول: "دعنى أرك رأيى".

قادهما إلى حجرة أخرى. بينما تعمد شين أن يؤخر نفسه قليلاً بعد خروج ساوث، حيث سارع وباستخدام هاتفه المحمول بالتقاط بضع صور لخريطة القمر الصناعى لمنطقة كامب بيرى، وبعدها سارع باللحاق بهما فى الحجرة المجاورة، التى كانت تشغل منتصفها طاولة كبيرة. افترشت فوقها خريطة تفصيلية.

قال لهما ساوث وهو يشير إلى عدة نقاط على الخريطة: "هذه البقعة من كامب بيرى هى التى كانت فى الماضى بلدتى بيجلر ميلر وماجرودر...أترىان عدد المنازل؟ منازل جيدة التصميم. هناك شوارع جيدة، تتيح الوصول إلى كل تلك النقاط، وبالتالى فمع كل هذه المنازل يفترض أن تنتفى الحاجة إلى بناء أخرى جديدة. فما الذى يعنيه هذا؟".

فتساءلت ميشيل: "أمن الممكن أن تكون تلك المبانى متداعية؟".

"لا أعتقد هذا. وكما قلت لكما، لدى من معارفى من عمل هناك، فلو تم هدم مناطق بالكامل، فكان من المفترض أن تكون

هناك عمليات لنقل ما تخلف عن هذا الهدم على الأقل، وأنا لم أسمع بها"، ثم أشار إلى بقعة فوق الخريطة وهو يردف: "كما أن كامب بيرى هى موضع المنشأة الوحيدة المسجلة فى سجلات التاريخ الوطنى لكنها غير متاحة لزيارة المواطنين لها، وأقصد قصر البورتو بيللو التى كانت منزل آخر حكام فيرجينيا الملكيين، جون موراى، الإيرل الرابع فى عائلة دانمور، بل إن السى آى إيه نفسها لا تجرؤ على التفكير فى هدمه".

فسألته ميشيل: "وكيف تسنى لمكان كهذا أن يدخل تحت نطاق كامب بيرى؟".

"لقد فر دانمور من ويليامسبرج؛ حيث كان قصر الحاكم فى بورتو بيللو، حينما اقترب جيش واشنطن من المنطقة خلال حرب الثورة. عندها فر الجبان خلال الليل على متن سفينة بريطانية عائداً إلى إنجلترا، وهناك شارع فى نورفولك سمى باسمه. ليس تشريفا له، ولكنها كانت آخر بقعة تطؤها قدما ذلك الملكى القمىء داخل أمريكا. إلا أن مقصدى هو أن لديهم الكثير من المبانى الصالحة لإسكان البشر، فما الحاجة بهم إلى أخرى جديدة؟".

"هل لديك أية اتصالات جيدة داخل كامب بيرى؟".

"لو كان لدى لكنت قد استفدت منها. ليس لدى سوى معلومات تافهة تصل إلىّ من حين لآخر، أقصد أننى لا أعرف أحداً هناك يستطيع الوصول إلى سجلات ركاب تلك الطائرات لو كان هذا ما تعنيه"، وأشار إلى مناطق على الخريطة وهو يردف: "لديهم فرق شبه عسكرية تتدرب كامل الوقت هناك، لكننى أعتقد أنها تدريبات استخباراتية تخصصية؛ أو أنهم قناصة يعملون لصالح الحكومة؛ فالمخابرات المركزية هم أفضل وأقدر من يمكنه القتل، وهم يتدربون تدريبات محاكاة على عمليات يقومون بها فى مختلف أرجاء العالم، بل إن لديهم مناطيد يطيرونها لأجل تغيير الطقس فوق بقاع بعينها، فتمطر السماء

فوقها أو تثلج، وأشياء من هذا القبيل، وهناك طواحين الهواء الضخمة، وأخرى تولد الرياح الساخنة. هذا ما علمته على الأقل".

علقت ميشيل بقولها: "لمحاكاة القتال فى الصحراء. كما فى أفغانستان". أمضيا بضع دقائق أخرى مع ساوث فريمان، ثم تركاه على وعد بمداومة الاتصال، وقد أخبرهما بدوره بأنه سيعرفهما إذا ما استجد أى جديد، ثم قال قبل أن يغادراه: "من يدرى؟ فربما تمكنت من استرجاع منزل العائلة. ألن يكون هذا جميلاً؟!".

وبينما كانا يستقلان عربة ميشيل رن جرس هاتف شين المحمول.

"كينج يتحدث".

شهق بغتة وهو ينصت إلى الطرف الآخر، ثم قال: "تباً!" وبعدها أغلق الخط.

"هل قُتل شخص آخر؟".

"بالفعل، كما أن هناك ما هو أسوأ بالنسبة للقتيلين الآخرين".

"ما الذى تتحدث عنه؟".

"أخبرنى المأمور هايز أن المشرحة قد انفجرت بما فيها ومن فيها!".

الفصل

٤٨

"تسرب غاز"، هكذا قال لهما المأمور هايز وهما يحدقان في الركام المتفحم لما كان يعرف بالمشرحة المؤقتة.

فقالت ميشيل: "أليس هذا ما يقولونه على الدوام؟".

سأله شين: "تقول بأنٍ مختص التشريح قد لقى مصرعه؟".

أومأ هايز برأسه قائلا: "كان بالداخل يعمل على تشريح جثة ريفيست، ولم يتبق من جثته ما يمكن أن يقوم أحد بتشريحه".

"وكذلك حال جثتى مونك وريفيست؟".

"لا شيء سوى العظام".

"ألا تعتقد أنها حادثة مدبرة ببراعة؟".

عندها دوى بالمكان صوت هادر: "ظننت أننى قد نبهتك بالابتعاد عن طريقى".

التفت ثلاثتهم إلى العميل الفيدرالى الخاص فينتريس الذى كان يسرع الخطى نحوهم. توقف أمام وجه شين مباشرةً وهو يقول: "هل تعانى من مشكلة فى السمع؟".

سارع هايز بالتدخل قائلاً: "إنه يعمل معى أنا، أيها العميل فينتريس".

"لا يهمنى حتى ولو كنت تعمل مع الشيطان نفسه، فقد أخبرتك بألا تتدخل فى عملى".

قال له شين فى هدوء: "لقد جئت للتو إلى هنا تلبية لطلب المأمور هايز...وهل لك أن توضح لى كيف يمكن للمباحث الفيدرالية أن تتواجد ويكون لها سلطة على مكان تحقيق فى جريمة قتل محلية لا صلة لها بأية مسألة أو شخص فيدرالى؟".

همّ فينتريس بالتهجم على شين لولا أن تدخلت ميشيل فيما بينهما.

"اسمع، لقد كنت أنا وشين نعمل فى الجانب الفيدرالى أيضاً، فينتريس. وكان مصدر معلوماتنا الرئيسى هو لين ريفيست والذى قتل. وشين هو من وجد الجثة؛ ومن الطبيعى أن نكون على علم بمستجدات هذه القضية، لكننا لن نتدخل بأى شكل من الأشكال فى التحقيقات الفيدرالية. كل ما نصبو إليه هو الحقيقة، وهو هدفك أنت أيضا".

بدا أن كلماتها كانت ذات تأثير إيجابى على فينتريس.

فسارع هايز يقول: "شين، ربما كان من الأفضل أن تخبر العميل فينتريس بنظريتك حول مصرع ريفيست".

إلا أن شين قال متذمراً: "لا أريد أن أكون متطفلاً على عمله".

فقال له فينتريس بسرعة: "أخبرنى وحسب".

أخبره شين فى تبرم عن نظريته حول اختفاء المناشف ودواسة الحمام وكذلك عن اختفاء مقبض البالوعة والكيفية التى يعتقد أن ريفيست قد لقى مصرعه بها، ثم أضاف: "كنا قد طلبنا من خبير التشريح أن يتحقق من وجود آثار بعينها على جثة لين".

حدق فينتريس فى أرضية الرصيف لبضع لحظات ثم قال: "لقد لاحظت فى الحقيقة عدم وجود مناشف...وكذلك دواسة الحمام، لكننى لم ألحظ ذلك للمقبض بالفعل".

فقالت ميشيل: "إذن فأنت بدورك تشك فى كونها جريمة قتل؟".

"دائماً ما أشبه بوجود جريمة، وأنا بصدد استدعاء فريق للتحرى عن كل شيء هنا".

قال شين: "وهل أنت مهتم بمصرع ريفيست لكونك تعتقد أن له صلة بمصرع مونك تورينج، والذى قتل فوق أراض فيدرالية؟".

عندها سارعت ميشيل بالاقتراح: "ما الذى يمنع أن نوحد جهودنا إذن".

"هذا غير ممكن. لا بأس إن كان لديكما معلومات تودان أن تخبراني بها، إلا أن هذا لن ينطبق على، فلدينا أساليبنا الخاصة فى الإف بى آى".

قال له شين: "ظننت أن من بين هذه الأساليب التعاون مع الشرطة المحلية".

فأضاف هايز: "وأنا هنا أمثلها".

رد عليه فينتريس صائحاً وهو ينظر إلى شين وميشيل فى تحد: "ولكنهما لا يمثلانها".

فسألته ميشيل: "أليس الهدف هو أن نلقى القبض على الجانى؟".

"كلا، الهدف هو أن ألقى أنا القبض على الجانى".

فقال شين: "سأهون الأمر عليك إذن...لتكن منافسة. من يلق القبض على الجانى أولاً ينل التقدير المستحق...واعلم أننا سوف نهزمك شر هزيمة". قالها واستدار على عقبيه ماضياً.

فالتفت فينتريس إلى هايز قائلاً: "لو حاول بأية طريقة كانت إعاقة تحرياتي، فسوف تكون أنت المسئول يا هايز!".

رد عليه هايز فى تحد: "إننى أقوم بعملى ليس إلا".

"كلا، بل من الواضح أنكما تحاولان القيام بعملى أنا".

لاحظ فينتريس أن ميشيل تتأمله وهى تبتسم.

"ما الذى تنظرين إليه بحق الله يا سيدتى؟".

"كان عليك أن توافق على عرضنا بالتعاون معك يا سيد فينتريس. فكم أتمنى أن أرى نظراتك البلهاء هذه عندما ننجح فى التوصل إلى الجانى". قالتها وانصرفت بدورها.

صاح فيها فينتريس وهى توليه ظهرها: "بوسعى إلقاء القبض عليك لتلفظك بهذا".

فالتفتت إليه ميشيل وقالت: "لا تستطيع هذا. ألا يعد ما قلته من باب حرية التعبير؟ طاب يومك".

بعد دقيقة لحق هايز بهما عند السيارة.

ثم قال لهما: "عظيم، لقد صرنا الآن أعداءً للمخابرات المركزية والمباحث الفيدرالية فى آن واحد. ما هى الجهة التى سنستجلب عداوتها الآن؟ وكالة مكافحة المخدرات؟".

قالت ميشيل وهى تغير الموضوع: "لو افترضنا أن المشرحة قد تفجرت عمداً، يكون السؤال عن السبب والدافع".

فعلق شين: "والرد يبدو واضحاً. فهناك بالجثتين شيء سيجده خبير التشريح وسيشير إلينا ذلك الشيء إلى طرف الخيط السليم".

فقال هايز وقد خطر له خاطر: "لقد كان قد انتهى بالفعل من تشريح جثة مونك. فلابد أنهم لم يكونوا قلقين من شيء داخل جثة مونك".

فقال شين: "هذا صحيح؛ فإحراق جثة ريفيست لن يمكننا من التحقق من صحة نظريتى حول الأسلوب الذى قُتل به".

وأضافت ميشيل: "وكيف لنا أن نتحقق من أن خبير التشريح كان قد انتهى من هذه الجزئية أم لا؟".

سارع هايز بالقول: "لو كان قد فعل فإنه لم يجد الفرصة ليخبرنا بذلك، وقد كنت طلبت منه أن يهاتفنى حالما يجد أى شيء إلا أنه لم يفعل".

قال شين فى ثقة: "بوسعنا أن نتتبع طرف خيط لا يمتلكه فينتريس".

نظرت ميشيل إليه تسأله: "وما هو؟".

"فاليرى ميسالين".

فقال هايز فى سخط: "تبا. كنت أخشى أن تقول هذا".

الفصل

٤٩

صافح هوراشيو بارنز فيجى بينما كانت أليسيا شادويك تراقبهما فى عصبية. كانوا يجلسون فى الردهة الصغيرة بالنزل الذى كان يقيم فيه هوراشيو.

ومن قبل أن يتفوه هوراشيو بأية كلمة سارعت فيجى بالنهوض واتجهت صوب بيانو صغير كان قابعاً بأحد أركان المكان وبدأت تعزف، فنهض هوراشيو بدوره وجلس إلى جوارها. قال لها وهى تتابع العزف: "هل تمانعين فى أن أشاركك العزف؟".

هزت رأسها موافقة بينما انتظر للحظات يتأمل الإيقاع الذى تعزف به ثم بدأ يعزف فى سلاسة. عزفا كثنائى على مدى خمس دقائق إلى أن توقفت فيجى بغتة وقالت: "لقد انتهيت من العزف". عادت لتجلس إلى مقعدها بينما جلس هوراشيو قبالتها، وهو يتأملها فى إمعان.

قال لها: "أنتِ عازفة ممتازة، كما علمت أنك عبقرية فى مجال الرياضيات أيضاً".

فقالت فيجى: "الأرقام تسلينى، وأنا أحبها لأنك فى كل مرة تضيف نفس الأرقام فإنك تحصل على نفس الإجابات، وقليلة هى الأشياء التى يمكن معها الحصول على إجابات موحدة".

"تعنين أن الحياة مليئة بكل ما هو غير متوقع؟ أجل، أنا أتفق معكِ في هذا. إذن فأنت مرتاحة إلى الأرقام؟".

أومأت فيجي في شرود وهي تنظر حولها.

واصل هوراشيو تأملها بينما كانت تتلفت حولها. إن إشارات الجسد لا تقل أهمية عن التواصل اللفظي. سألها بضعة أسئلة تمهيدية عن حياتها في بابيج تاون. وكان هوراشيو ينتوي أن يتحسس طريقه حول موضوع مونك تورينج، لكن كلمات فيجي التالية قد هدمت خطته من أساسها.

فقد سألته فيجي: "لقد مات مونك. هل تعلم هذا؟"، ثم قالت في سرعة من قبل أن يجيب: "كان أبي".

"أعلم هذا، سمعت به. وأنا آسف جداً. مؤكد أنكِ كنت تحبينه كثيراً".

أطرقت فيجي برأسها، ثم التقطت تفاحة من طبق كان فوق الطاولة المجاورة لها وبدأت تأكلها.

"وماذا عن والدتك؟".

توقفت فيجي عن المضغ وهي تقول: "ليس لي أم".

"كل إنسان له أم. هل تعنين أنها قد ماتت؟".

هزت فيجي كتفيها وهي تقول: "بل أعني أن ليس لي أم. أخبرني مونك بذلك".

نظر هوراشيو إلى أليسيا، فوجدها متألمة من هذا الحوار، ثم هزت رأسها في عجز.

"أنتِ إذن لا تتذكرين شيئاً عنها؟".

"عن من؟".

"أمك".

"ألم تسمعني. ليس لدي أم".

"حسناً...ما الذي كنتِ تحبين القيام به مع والدك؟ هل كان بارعاً في التعامل مع الأرقام مثلك؟ هل كنتما تلعبان بالأرقام؟".

ازدردت فيجي قطعة من التفاحة وهي تقول: "طوال الوقت كان

يقول بأنني أذكى منه، وكان خبيراً في الفيزياء الكمية. هل سمعت بها؟".

"مثل هذه الأمور تفوق ذكائي بكثير".

"فهمت. إنني أفهم العديد من الأمور التي لا يتخيل الناس أنني أفهمها".

عاد هوراشيو لينظر إلى أليسيا، التي كانت تومئ له لتشجعه على الاستمرار.

"الناس إذن لا يتصورون أن هناك أموراً تفهمينها؟".

قالت وكأنها تشدو: "أنا صغيرة...صغيرة...صغيرة. هذا ما يظنونه على الأقل".

"أراهن أن مونك كان يعتقد غير ذلك".

"كان مونك يعاملني معاملة مميزة".

"وكيف ذلك؟".

"كان يثق في".

"مدهش، شخص كبير يثق في شخص في سنك. أراهن أن هذا يرضيكِ"؛ فهزت كتفيها دون أن تعلق، فقال هوراشيو: "هل تذكرين آخر مرة رأيت فيها مونك؟". بقيت هي على صمتها فأردف هوراشيو: "بعقلية مثل عقليتك فإنني على ثقة بأنك لو حاولت فسوف تستطيعين وبسهولة".

"أحب تذكر الأرقام أكثر من أي شيء آخر. الأرقام لا تتغير أبداً. فالواحد يبقى واحداً والعشرة تبقى عشرة على الدوام".

"لكن الأرقام تتغير، أليس كذلك؟ لو أنكِ قمت مثلاً بضربها أو جمعها أو طرحها أو حتى قسمتها؛ فالعشرة يمكن أن تكون عشرة أو عشرة آلاف، والواحد يمكن أن يكون واحداً أو مائة. أليس هذا صحيحاً؟".

كانت فيجي مهتمة جداً بكلامه وهي تقول بآلية: "صحيح".

تساءل هوراشيو: "أم خطأ؟".

فقالت فيجى: "خطأ. خطأ. خطأ"، ثم تناولت قضمة أخرى من التفاحة.

عاد هوراشيو بظهره إلى الوراء وهو يقول لنفسه: " وكأنها ببغاء"، ثم عاد ليسألها: "أتحبين الأحاجي الرقمية؟ أعرف واحدة تعلمتها فى أثناء الجامعة. هل تودين أن تلعبيها؟ مع أنها صعبة نوعا ما".

وضعت فيجى التفاحة فوق الطاولة وهى تقول فى اهتمام: "لن تكون صعبة بالنسبة لى".

فقال: "لنفرض أننى جد، ولدى حفيد يبلغ عدد أيام عمره نفس عدد أسابيع عمر ابنى ويبلغ عدد أشهر عمره نفس عدد سنوات عمرى، ومجموع عمر ابنى وحفيدى وعمرى معاً يساوى ١٤٠ عامًا. فكم يبلغ عدد سنوات عمرى؟".

نظر هوراشيو إلى أليسيا، التى كانت تحاول حل الأحجية على ورقة أخرجتها من حقيبتها، وحينما عاد لينظر إلى فيجى سألها: "هل تريدين ورقاً وقلمًا؟".

"لماذا؟".

"حتى تحلى الأحجية".

"لقد حللتها بالفعل. أنت تبلغ من العمر أربعة وثمانين عاماً، لكنك لا تبدو لى عجوزاً".

بعد دقيقة نظرت أليسيا إليهما. كانت قد دونت على ورقتها سلسلة من الحسابات تنتهى بدورها عند الرقم (٨٤). ابتسمت لهوراشيو وهى تهز رأسها فى حيرة.

"لا يمكننى حتى أن أقترب منها".

فنظر هوراشيو إلى فيجى، التى كانت تنتظر رد فعله.

سألها: "هل تتخيلين جميع الأرقام فى عقلك؟"، فأومأت ببساطة قبل أن تعود لتناول التفاحة.

أعطاها رقمين كبيرين وطلب منها أن تضربهما ببعضهما البعض. فعلتها فى غضون ثوان، فأعطاها مسألة قسمة، فحلتها

فوراً، ثم اختبرها بجذر تربيعى. إلا أن فيجى أجابت فى غضون ثوان ثم بدأت تنظر إلى هوراشيو فى ملل وهو يدون بعض الملاحظات فى سرعة.

قال: "لدى إشكالية أود أن تفكرى فيها".

تنبهت قليلا رغم أن الملل لم يفارقها.

لست ببغاء. بل أنت أشبه بالكلب المدرب يا فيجى، هكذا قال لنفسه، قبل أن يعود ليسألها: "لنفرض أن لديك صديقا عزيزا تفعلين كل شىء معه. ولنفرض أن هذا الصديق العزيز قد رحل ولن تريه مجددا. فما هو شعورك؟".

رمشت فيجى بعينيها مرة ثم مرتين. وبدأت حركة أجفانها تزداد سرعة لدرجة أن وجهها كان يعانى. شعر هوراشيو وكأنه يراقب جهاز حاسوب تعانى رقاقات تشغيله من السخونة الزائدة.

عاد ليسألها: "ما هو شعورك يا فيجى؟".

قالت له بنبرة متحيرة: "هذه الإشكالية لا تحوى أية أرقام".

"أعلم هذا، ولكن هناك الكثير من الإشكاليات التى لا علاقة لها بالأرقام. هل ستكونين سعيدة، تعيسة، أم لا مبالية؟".

"ما الذى تعنيه كلمة لا مبالية؟".

"تعنى أنكِ لا تهتمين حقا بالأمر".

فقالت بآلية: "بلى".

" ماذا عن كونك تعيسة؟".

"تعيسة، سأكون تعيسة".

"ولكن غير سعيدة؟".

نظرت فيجى إلى أليسيا: "لا توجد أية أرقام فى هذه الإشكالية".

"أعلم هذا يا فيجى، ابذلى ما فى وسعك وحسب".

لم تعلق فيجى وواصلت قضم التفاحة.

دون هوراشيو بعض الملاحظات ثم قال: "هل فكرت فى آخر مرة رأيت فيها أباك؟".

سألته بغتة: "ولماذا يجب ألا أكون سعيدة؟".

"هذا لأن صديقك قد تركك ورحل. لقد كنت تفعلين أموراً مسلية بمساعدة صديقك؛ فلو أن صديقك رحل فلن يمكنك القيام بها...فأنا متيقن مثلاً من أنك كنت تفعلين أموراً مسلية مع أبيك قبل أن يرحل. وأنتِ حزينة الآن لكونه قد رحل، صحيح؟ فلم تعد هناك أمور مسلية معه؟".

"لقد رحل مونك".

"هذا صحيح. هل كنت تقومين بشىء مسلٍ معه فى آخر مرة رأيته فيها".

"الكثير من الأمور المسلية".

"مثل ماذا؟".

"لا يمكننى أن أخبرك".

"أوه، هل هو سر؟ الأسرار مسلية، فهل كان بينكِ وبين مونك الكثير من الأسرار؟".

خفتت فيجى صوتها وهى تقترب منه قائلة: "كلها أسرار".

"ولا يمكنك أن تفضى بها لأحد، صحيح؟".

"صحيح".

"ولكنك قادرة على ذلك لو أردت".

"بالفعل إذا أردت هذا".

"وهل تريدين ذلك؟ أعتقد أنك ترغبين".

بدا عليها التردد للمرة الأولى، قبل أن تقول: "يمكننى أن أقول بطريقة سرية".

"تعنين بالشفرة مثلاً؟ أخشى أننى لا أجيد الشفرات".

"كان مونك يحب الشفرات. يحب الشفرات السرية. تجعله دموياً. كان يخبرنى بهذا".

نظر هوراشيو إلى أليسيا فى تساؤل، إلا أنه وجد أن حيرتها تفوق حيرته.

فقال: "تجعله دموياً يا فيجى؟ ما الذى تعنينه بهذا؟".

ابتسمت وقالت: "أنا الذى أسألك، ما الذى كان يعنيه مونك حينما قال بأن الشفرات تجعله دموياً؟".

"هذا صحيح، هذا ما قاله، الشفرات جعلته دموياً. الشفرات والدم، هذا ما قاله".

عاد هوراشيو بظهره إلى الوراء وقال: "وهل صار مونك دموياً فى آخر مرة رأيته فيها؟".

قالت بسعادة: "نعم".

قال هوراشيو: " ذكر لك سراً إذن؟" فأومأت فيجى برأسها، فقال هوراشيو: " هل يمكنك أن تخبرينا عنه؟".

تبددت ابتسامتها وهى تهز رأسها فى بطء.

"لماذا؟ هل هو سر كبير؟".

قالت أليسيا بهدوء: "فيجى، لو كنت تعرفين شيئاً فمن المهم أن تخبرينا به".

أجابتها فيجى وهى تشير إلى هوراشيو: "لا أعتقد أننى أحبه. علىَّ أن أذهب الآن". نهضت وخرجت سريعاً من الحجرة.

رمق هوراشيو أليسيا، والتى كانت تحبس أنفاسها، ثم قالت: "أخبرتك أنه من الصعب استخلاص المعلومات منها. هل استفدت من لقائها هذا؟".

"أعرف عنها الآن أفضل مما كنت أعرف منذ ساعة مضت. وهذا مهم فى حد ذاته".

"حسناً، لكن عليك أن تعلم أنك حينما تلتقيها فى المرة القادمة فستجد أنها شخص مختلف بالكلية".

بعدما غادرت أليسيا بصحبة فيجى، هاتف هوراشيو شين وأخبره بمجريات الجلسة.

سأله شين: "هل تعانى فيجى من التوحد إذن؟".

"التوحد مصطلح مطاط. لكني ـ على أى حال ـ لا أعتقد أنها تعانى منه".

"ماذا إذن؟".

"أعتقد أنها وبصورة ما أذكى منا جميعاً وبكثير، ولدرجة أنها تفتقر إلى وسيلة للتواصل معنا، لكنها وفى جوانب أخرى ليست على هذه الدرجة من الذكاء، أو النضج، حسبما أرى. ربما كانت لديها مشكلة فى الإدراك الحسى، وأقصد هنا إدراكنا نحن الحسى؛ فنحن نتوقع أن تضاهى قدراتها الوجدانية عقلها، لكنها ما تزال فتاة صغيرة، كما أن مشاعرها تجاه والدها غريبة".

"مثل ماذا؟".

"من الواضح أن مونك قد تعامل معها كشخص ناضج، أو على الأقل فى أمور بعينها، إلا أنه وفى جوانب أخرى لم يكن يتعامل معها سوى على أنها...أشبه بآلة".

"آلة؟".

"أعلم أن كلامى ليس له معنى. إلا أننى كنت أتمنى لو أعرف شيئاً عن أمها. إن فيجى لا تدرك من الأساس أن لها أماً".

فسأله شين: "إلى أين يأخذنا هذا إذن؟".

"أخشى أنه لن يوصلنا إلى شيء".

"كانت نتائجنا متفقة على الأقل. أقصد هذا اللا شيء".

"ما الذى تنتوى القيام به إذن؟".

"سأحاول أن أجرب حيلة أخرى".

الفصل

٥٠

حيث إن تلك السيدة كانت قد رفضت أن تعطى شين رقم هاتفها، فلم يجد أمامه سوى الرجوع إلى دليل الهاتف والإنترنت، ولكن بلا جدوى. وفى النهاية قرر أن يعود أدراجه إلى ويليام سبرج ذلك المساء وإلى نفس المقهى الذى التقاها فيه الليلة الماضية. كانت ميشيل تود مرافقته إلا أن شين خالفها الرأى بينما كانا يتناقشان داخل غرفته بكوخ أليسيا.

"لست متأكداً من أن فاليرى سترتاح لحضورك معى".

"فكر فى الأمر يا شين، إن شخصا مثل آيان وايتفيلد لن يدع امرأته تفشى أسراره، بل من المحتمل أنه يخضعها لرقابة طيلة الوقت".

"حسناً، عندها سيكونون قد رأونى معها بالفعل، فلو رأونى للمرة الثانية فربما أثارهم هذا فوقعوا فى خطأ ما...وهو ما سأنتهزه".

"هذه محاولة تحتاج إلى حظ كبير، أليس كذلك؟".

"ليس لدينا الكثير من الخيارات؛ فلقد احترقت تلك الجثث، كما أن فينتريس يضيق الخناق علينا، ولا أحد فى بابيج تاون يعرف أى شيء. أما الشخص الوحيد القادر على مساعدتنا، وأقصد فيجى، فهى لا تتحدث بلغة يمكن أن يفهمها أحد".

"ظننت أن هوراشيو قد عقد مقابلة معها".

"بالفعل". قص عليها سريعاً ما أخبره هوراشيو به عن جلسته مع فيجي.

"من الواضح أن مونك قد أخبر ابنته بأمر ما، إلا أنه استخدم كلامًا مشفرًا".

"هذا لو صدقناها، وصدقنا موضوع الشفرة والدم هذا. فما الذى يربط بين الكلمتين؟".

أجابته ميشيل فى حيرة: "ومن أين لى أن أعرف؟".

"هذا هو المحير فى هذه القضية؛ فقليلة هى الأدلة والخيوط ومع هذا فهى سرعان ما تتبدد ولا يحل محلها شيء جديد".

"بالمناسبة، ألم تصلك أية معلومات عن طريق صاحبتك القميئة؟".

أخرج شين ورقة من جيبه وهو يقول: "لقد سافر مونك إلى إنجلترا، وقد نجحت جوان فى تتبع طريق جولته هناك. لندن...كامبريدج...مانشيستر...ثم مكان يدعى ويلمسلو فى شيشاير. وبعدها مكان أخير يكسب تلك الأماكن الأخرى منطقيتها".

"وما هو؟".

"بليتشلى بارك. حيث عمل قريبه آلان تورينج خلال الحرب العالمية الثانية، ونجح - حسبما قال شامب بوليون - فى إنقاذ العالم".

"وما هو الرابط بين هذا المكان وبقية الأماكن؟".

"إنها - إلى جانب ثلاث سنوات قضاها فى برينستون - الأماكن التى تنقل فيها آلان تورينج خلال حياته، فقد ولد فى بادنجتون بلندن، ثم درس فى جامعة كامبريدج، ونال درجة الدكتوراه فى برينستون بالولايات المتحدة، ثم عاد إلى كامبريدج، ومن بعدها إلى بليتشلى بارك، ثم إلى جامعة

مانشيستر بعد انتهاء الحرب، إلى أن انتحر فى ويلمسلو بشيشاير عام ١٩٥٤".

"فالرجل على صلة قرابة بمونك الذى قرر أن يتجول عبر مسار تاريخ مضى...أم أن فى الأمر لغزاً أكبر من هذا؟".

"محتمل".

"ما الذى تود منى القيام به...خلال حوارك مع تلك المرأة المتزوجة؟".

"فيجى مسئوليتك الليلة، وقبل هذا يود هوراشيو التحدث معك. ولو وجدت وقتاً، فسيكون من المهم أن تبحثى عن غرفة سرية داخل القصر".

"وماذا لو لم أتحدث مع هوراشيو؟".

"أنا لن أجبرك على شيء. إلا أنه يود مخلصاً أن يساعدك".

"تعنى بأن يتحدث من وراء ظهرى إلى عائلتى وينبش فى حياتى الماضية؟".

"هذا هو عنوان إقامته هنا".

"ما الذى ستفعله الآن؟".

"أهيئ نفسى للموعد".

ردت مغتاظة: "إنك أحياناً ما تنجح فى استثارة غيظى".

"حقاً؟ لن يمكننى أن أحس بذلك الشعور أبدًا".

الفصل

٥١

قضت ميشيل الساعة التالية فى التجول داخل الطابق الرئيسى بالقصر بصورة مقصودة وفى نفس الوقت غير لافتة للنظر قدر الإمكان، فتجولت داخل غرفة البلياردو، والمكتبة الشاسعة، وحجرة التدخين، وحجرة الأسلحة التى تحوى عرضاً للبنادق والمسدسات العتيقة، كما دلفت إلى الردهة، وغرفة المقتنيات، التى تتزين جدرانها برءوس الحيوانات المحنطة. لكنها لم تلحظ أية إشارة إلى وجود غرفة سرية، وبعد أن ملت من كل هذه الجدران التى نخر السوس فى خشبها، والسجاد الفارسى تحت قدميها، وعبق قرن مضى يحلو له أن يطغى على القرن الحادى والعشرين الذى تعيشه، وبعدما تعبت من عدم جدوى ما تفعله، قررت أن تخرج إلى الهواء الطلق لتفكر فى خطوتها التالية.

كان الوقت مبكراً على إحضار فيجى، إلا أنها استغرقت حوالى نصف الساعة فى محاولة تشغيل سيارتها، قبل أن تستقلها وتنطلق بها للقاء هوراشيو.

"إننى أقوم بهذا لأجل شين فقط"، قالتها له وهى تجلس داخل نفس الحجرة التى التقى هوراشيو فيها فيجى.

"إننى سعيد لوجودك هنا، أياً كان سبب هذا، وأود أن أخبرك بأنكِ قد تركت بصمتك هناك فى المصحة؛ فقد ألقيت القبض على مجرم وأنقذت حياة امرأة، ولابد أن يشعرك هذا بالرضا".

"نعم، فلقد كنت أشعر بارتياح...حتى أخبرنى شين بأنك تود التحدث معى".

"إننى أحاول أن أقوم بعملى وحسب".

"اسمع، لندخل فى الموضوع مباشرة. لقد حضرت الجلسات، وقمت بالتمارين، وأجبت عن أسئلتك المستفزة، وأفصحت عما بداخلى، وألقيت القبض على تاجر مخدرات و نجحت ـ كما قلت أنت ـ فى إنقاذ حياة امرأة، وبالتالى أعتقد أننا سنتخلص من كل هذا إلى أنى قد شفيت، وبالتالى فلا داعى للاستمرار فى إنفاق أموال شين على هذا الأمر، اتفقنا؟ والآن علىَّ أن أعود لأتابع عملى، وعليك أنت أيضاً أن تعود لممارسة عملك، أعتقد أننى بهذا أكون قد أوضحت الأمر لك". قالتها وهى تنهض من مقعدها.

إلا أن صوته الهادر باغتها وهو يقول: "أنتِ لم تشف بعد. بل لم تقتربى من هذا بعد، بل أنتِ مريضة تماماً يا سيدتى. سوف تستمر حالتك فى الانحدار وسيأتى اليوم الذى تصابين فيه بحالة من الجنون فى أثناء ممارستك لعملك وربما عندها تقتلين شين نفسه، فلو كنت لا تجدين غضاضة فى هذا، انصرفى، واستقلى هذه الخردة التى تعتبرينها سيارة وابتعدى عن هنا، ولكن لا تخدعى نفسك بأنك قد شفيت؛ لأن هذا هو أغبى هراء سمعته فى حياتى، فمن يودون أن تتحسن حالتهم لابد أن يبذلوا جهداً لتحقيق هذا الهدف؛ ولكنهم لا يكذبون على أنفسهم وعلى الآخرين، ولا يقبعون فى أماكنهم حتى تزداد حالتهم المرضية سوءاً بينما ينكرون أن بهم أى علة على الإطلاق؛ فهم شجعان أمام أنفسهم، وأنا عن نفسى قد مللت التعامل معك".

شعرت ميشيل بالغضب يتنامى داخلها. كانت تعتصر قبضتيها، بينما توتر جسدها بالكامل.

عادت نبرته لهدوئها المعتاد وهو يتابع كلامه: "أترين قدر الغضب الذى يعتمل بداخلك الآن؟ أرأيت كيف تنامين سريعاً يا ميك؟ لمجرد بضع كلمات قلتها لك، وهى الحقيقة بالمناسبة، إلا أنها لا تعدو أن تكون مجرد كلمات. نسمى هذا بالافتقار إلى السيطرة على الذات. وأنت الآن تودين قتلى، أليس كذلك؟ أعلم هذا. أراه فى عينيك الآن. نفس الرغبة فى قتل ذلك المسكين فى المقهى. الفارق هو أنكِ تركته يضربك ضرباً مبرحاً حتى لا تجدين أمامك من مناص سوى أن تقتليه. أما هذه المرة فأنتِ متيقظة تماماً إلا أن الغضب يسيطر عليك ويجعلك تواقة إلى قتلى أنا الآخر. هذا ما قصدته من أن حالتك فى انحدار. فماذا بعد؟ هل سيتولد الغضب لديك حتى لمجرد نظرة غريب لكِ فى الشارع؟ أم سينبثق فجأة وأنتِ داخل عربة المترو؟ أو ربما لمجرد أن رائحة أحدهم كريهة؟ أصل مشكلتك يكمن فى هذا الغضب الداخلى يا ميشيل. وعليكِ أن تتعاملى معه الآن".

قالت فى خواء: "وماذا لو لم أفعل؟".

" فسوف تخسرين، وينتصر الشر. هذا هو خيارك".

عادت ميشيل لتجلس إلى مقعدها ببطء.

كان هوراشيو ينظر إليها فى ثبات، بينما بقيت نظراتها مسددة إلى الأرض وهى تشعر بألم فى عنقها.

حينما تكلمت، خرج صوتها مرتجفاً: "لا أدرى ماذا تريد منى".

"بوسعى أن أكون وقحاً فأقول الحقيقة، ولكن العقول لا تعمل هكذا. كل ما أريد هو أن نتحدث يا ميشيل، هذا كل شىء. أود أن أطرح بعض الأسئلة، وأن أسمع ردودك، ولكننى بالأخص أريد أن أتحدث معكِ، وعنك أنت. هذا هو كل شىء؛ فهل تعتقدين أنكِ مستعدة لذلك؟".

مرت دقيقة كاملة كانت خلالها تفكر وهى تعتصر ذراعى مقعدها بيديها اعتصاراً. "حسناً"، قالتها أخيراً فى خفوت وبصوت لا يكاد يسمع.

"لقد ذهبت إلى البيت الذى تربيت فيه وقت أن كنت فى السادسة من عمرك. هل أخبرك شين بهذا؟".

"أجل".

"التقيت هناك امرأة تدعى هازيل روز. هل تتذكرينها؟".

أومأت ميشيل بالإيجاب.

"هازيل تتذكرك بالتأكيد. أخبرتنى بأنها فخورة جداً بك".

تأملها هوراشيو للحظات إلا أنها لم تبد أى رد فعل تجاه ما قال، فأردف: "قالت بأنكِ كنت تذهبين إلى منزلها لحضور حفلات الشاى التى يتجمع بها صبية وفتيات الحى. هل تتذكرين تلك الحفلات؟".

"كلا".

استمر هوراشيو فى تأملها عن كثب. لم يكن يتبع أسلوباً بعينه؛ فهو يقرأ لغة جسد مرضاه آملاً أن تكون قراءته سليمة ليس إلا.

"حكت لى هازيل عن سياج الورود الجميل الذى كنتم تمتلكونه".

ما إن تلفظ بهذه الجملة حتى لاحظ أن جسد ميشيل قد تراخى، كما لو أن أحدهم قد أوقف نبض قلبها. ظن فى البداية أنها ستفقد الوعى، إلا أنها سرعان ما استجمعت نفسها وعادت لتعتدل فى جلستها.

قالت بنبرة آلية: "والدى هو من زرع ذلك السياج".

"صحيح. كهدية عيد زواج، إلا أن أحدهم خربه".

"بعض الصبية المغتاظين من والدى".

"هذا احتمال من بين احتمالات أخرى".

عادت أعصابها لتتوتر إلا أنها لم تكن تنظر إليه.

"لاحظت هازيل تغيراً حل بكِ وقتئذ. هل تذكرين سبب هذا؟".

"كنت في السادسة من عمري، فكيف لي أن أتذكر شيئاً مثل هذا؟".

"حسناً... لكنكِ تذكرين سياج الورود، وتذكرين أن والدك هو من زرعه وأن هناك من خربه".

سارعت بالرد قائلة: "ربما أقدمت على قتل أحدهم وأنا في السادسة من العمر، وأحاول الآن كبت ذلك داخل نفسي. هل ترضى هذه الإجابة فضولك؟".

"هل سنعود إلى المشاركة من جديد؟ كنت أتمنى أن تصمدى ولو لعشر دقائق بعد اتباع هذا الأسلوب الهادئ، وأنا لا أتبعه كثيراً".

حينما نظرت إليه كانت عيناها تمتلئان بالفضول، ثم قالت: "فلماذا تتبعه معى إذن؟".

قال لها في هدوء: "لأنى أراكِ تسقطين إلى الهاوية يا ميشيل، ولا أريد أن تصلى إلى نقطة اللاعودة".

"تبا... إننى هنا، هوراشيو، أعمل وأفكر وأساعد شين وطفلة صغيرة تحتاج لمن يقف إلى جانبها الآن، فكيف يمكن بعدها أن أكون بغاية السوء؟ أخبرني كيف؟".

"هذا سؤال لن يجيب عنه سواكِ".

خيل لهوراشيو للحظات أنه يرى الدموع تترقرق في عينيها، إلا أن كل هذا تبدد حينما نظرت إليه في قسوة وهي تقول: "أعلم أنك تحاول مساعدتي، وأعلم أن شين يحاول بدوره، وأعلم أننى أعانى من بعض المشاكل... أعلم هذا، ولكننى أحاول التعامل معها. أحاول أن أبقى عنصراً بناء".

"هذا جيد بل ممتاز، ولكنكِ في أثناء إصرارك على أن تكونى عنصراً بناء تتجاهلين مشكلاتك هذه - بل تتعامين عنها يا ميشيل".

تحولت نبرتها إلى العناد وهي تقول: "تقول إننى قد تغيرت حينما كنت في السادسة؟ إلا أن حياتي لم تتحول إلى هذه الدرجة من السوء. هل سبق لك أن كنت بطلاً أوليمبياً؟ أو شرطياً ناجحاً؟ هل سبق لك أن كنت حارساً للرئيس؟ أنت فعلت كل هذا. هل سبق لك أن أنقذت حياة إنسان؟ لقد فعلت هذا... وأكثر من مرة".

"لا أقول بأنكِ لم تتمتعى بحياة ناجحة. فما فعلت في حياتك يعد شيئًا غير عادى. إلا أننى أحدثك عن المستقبل. أحدثك عن السلوك الهادم للذات. أحاول أن أجعلك تفهمين أنكِ وعند مرحلة ما ستضطرين لدفع الثمن".

نهضت واقفة وهي تقول: "هل تقول لي بأن كل شيء فعلته في حياتي ذى صلة بأمر قد يكون أحاق بي وأنا صغيرة؟ هل تحاول أن تقول هذا لي!"، كانت كلماتها عبارة عن صراخ متواصل.

"كلا، لم أقل هذا. أنتِ من تقولين هذا".

اختفت ميشيل من أمامه في لحظة، تماماً كما حدث مع فيجى. سمع صوت محرك سيارتها ثم صوت الإطارات وهي تندفع بسرعة فوق أرض الحصباء بالخارج.

مسح هوراشيو وجهه بكفيه، ثم سار نحو الخارج، واستقل دراجته الهارلي وتبعها؛ إنه لن يتركها تذهب هذه المرة!

الفصل

٥٢

"لابد أن أحمى ظهرك على الأقل يا شين"، هكذا قال له هايز بينما كان الرجلان فى طريقهما إلى ويليام سبرج داخل سيارة هايز الخاصة.

"لن يجدى هذا نفعاً، وايتفيلد يعرف ملامح وجهك".

"ليرافقك أحد مساعدىّ إذن؛ فلن يدعك وايتفيلد تتلاعب بزوجته كيفما تشاء".

"يبدو أنه لا يجد غضاضة فى ارتياد زوجته للمقاهى وتعرفها على الغرباء؛ لأنه لا يبدو أنها كانت أول مرة ترتاد فيها ذلك المقهى".

"لكنه يعلم من أنت، ولو رآك هناك فسيظن أنك تحاول التجسس عليه".

"لكنه لا يعلم أننى أعلم أنها زوجته، فلو حاول أن يستعرض نفسه أمامى، فسوف أتصنع الدهشة وأبتعد عن طريقه فحسب".

"هل تظن أن خدعة كهذه ستنطلى على شخص مثل وايتفيلد؟".

"الأقرب أنها لن تجدى، ولكن لو كنت تمتلك طرف خيط أقوى من هذا فعرفنى به. تباً...إننى حتى غير متيقن من أنها ستكون هناك هذه الليلة. قد يكون ما نفعله الآن مجرد إهدار للوقت".

"ولو فرضنا أنها تعرف أموراً ما، فما الذى سيجبرها على الإفضاء بها إليك؟".

"لست بهذه السذاجة فيما يتعلق باستخلاص المعلومات".

"لكنك قلت بأنها قد زجرتك فى أول مرة".

"هأنت قد قلتها بنفسك...أول مرة".

"تبدو متيقناً من أن وايتفيلد له يد فى مقتل مونك ولين؟".

"لقد قتل مونك فوق أراض تتبع السى آى إيه، وطلب وايتفيلد تنحيتنا عن التحقيق فى مصرعه، ومن تلك الأراضى انطلقت رصاصات بقصد قتلى أو إخافتى، وهناك طائرات تطير من دون أية أضواء لتهبط هناك فى منتصف الليل".

"طائرات؟".

"تحلق عبر أجواء بابيج تاون، وهى من الطراز النفاث هائل الحجم، والقادر على عبور القارات. ولا أحد يعلم ما تحمله تلك الطائرات، كما أن هناك أموالاً يخصصها الكونجرس لبناء ما قيل بأنها بنايات سكنية جديدة للمتدربين داخل كامب بيرى. مع أن البنايات السكنية هناك تفوق الحاجة فى عددها".

"ما الذى تعنيه بكلمة (قيل)؟".

"تعلم أن من المكن استخدام البنايات فى أغراض مختلفة ومتنوعة، بما فى ذلك أن تكون مراكز للاستجواب والتحقيقات. بل وغرفاً للتعذيب".

كاد هايز ينحرف بسيارته خارج الطريق المسفلت من فرط صدمته لما سمعه للتو، ثم صاح: "هل فقدت عقلك؟ تلك أمور غير قانونية ولا يمكن أن تمارس فى هذه البلاد".

"ربما كان مونك قد رأى معتقلين لا يعلم أحد عنهم شيئاً...ربما رآهم يعذبون. أليس هذا دافعاً لأن يتم قتل الرجل؟".

"لا يمكننى أن أصدق شيئاً كهذا. وحتى لو...فماذا عن مقتل لين ريفيست؟".

"ربما أفضى إليه مونك بما رآه، أو ربما كان يشك هو فى ذلك، أو رآه بدوره، وحينما اكتشف وايتفيلد ذلك لم يتوان عن قتله هو الآخر".

"ما الذى منع لين من إبلاغ الشرطة لو أنه قد اكتشف أمراً كهذا؟ لا تنس أنه كان عميلاً فيدرالياً سابقاً".

"ربما لم يكن يود الاصطدام بالمخابرات المركزية التى يمثلها آيان وايتفيلد، وربما هناك من المسئولين الأعلى من يعلم بما يجرى داخل كامب بيرى، وربما أخبر أحدهم بالفعل ولكن ذلك الشخص وشى به".

"صرت الآن تتحدث بمنطق نظرية المؤامرة".

"وما الذى يمنع؟ هذه أشياء تحدث كل يوم، فكلما كبر حجم الكعكة صار نطاق المؤامرة أوسع حتى تشمل الكل. وبالمناسبة، أصحابنا فى الإدارة الأمريكية لا يسمون أموراً كهذه بالمؤامرات...بل يسمونها بالسياسات".

فقال له هايز فى عصبية: "هذه أمور لا يمكن لمثلى استيعابها بسهولة يا شين، وأنا لا أجد حرجاً فى أن أقول لك إننى مجرد شرطى داخل بلدة صغيرة، لا ينتظر سوى أن يتقاعد خلال بضع سنوات".

"يمكننى أن أترجل من سيارتك هنا يا ميرك، وبعدها بمقدورك أن تتركنى وشأنى. لا مانع فى فض هذه الشراكة ومن دون أية ضغينة، ولكننى لن أتوانى عن كشف الحقيقة وراء كل هذا".

بدا أن هايز يتأمل عرضه هذا للحظات، قبل أن يقول: "تباً، ليكن ما يكون...فربما كنا ننبش فى أمر مهم هنا، ولكننى مازلت مصراً على أن شخصاً لابد أن يتولى مراقبتك وحماية ظهرك الليلة".

ولو أن أحدهما قد نظر نحو مؤخرة السيارة؛ لأدرك أن هناك بالفعل من يتبعهما لحظة بلحظة وطوال الليل!

الفصل

٥٣

أوقف هوراشيو دراجته البخارية بجوار سيارة ميشيل. كانت قد انعطفت عن الطريق الرئيسى، وتوقفت أسفل بعض الأشجار بالقرب من النهر. لم تكن داخل السيارة فتتبع هوراشيو طريقاً ترابياً يصل حتى الماء حيث وجدها تجلس إلى جذع شجرة متداعية امتدت جزئياً فوق الماء. لم تأبه لحضوره بينما جلس إلى طرف آخر من الشجرة الذى كان لايزال جاثماً على الأرض.

"أمسية لطيفة"، قالها وهو يرمى حصاة لتتطاير سريعاً فوق صفحة مياه نهر يورك، والذى كان يحمل حطام تخلف عاصفة رعدية سابقة امتدت حتى خليج تشيسبيك.

ظلت ميشيل صامتة لبضع دقائق، تحدق فقط إلى الماء حتى خشى هوراشيو من أن تلقى بنفسها إلى النهر.

إلا أن كلماتها الأولى استحوذت على انتباهه بالتأكيد: "لقد نظفت سيارتى ذات مرة. فعلتها لأجل شين".

"لماذا؟".

"لأنه كان يروق لى وكذلك كان يمر بظروف صعبة".

"هل كان أمرا صعبا عليكِ، أقصد تنظيف الشاحنة؟".

"أصعب جداً مما يجب. بدا لى كل شىء بها وكأنه لا يقدر بمال، إلا أنها مجرد سيارة فى نهاية الأمر، أليس كذلك؟"، دارت حول نفسها حتى صارت تواجهه.

"مجرد عربة"، قالتها ثانية.

"عربة، غرفة نوم، أسلوب حياة. يمكننى أن أتخيل أن الأمر كان صعباً جداً".

"لا أستطيع أن أبقيها نظيفة، لقد حاولت... حسناً... أنا لم أحاول بجدية شديدة. لا أستطيع أن أفعل هذا وحسب؛ فخلال يوم كنت قد أعدت كل شىء من جديد".

"يقول شين بأن زورق السباق الخاص بك نظيف جداً. بل يقول بأن بوسع المرء أن يتناول الطعام من فوقه".

ابتسمت وقالت: "يمكنه أن يقول ذلك بالرغم من أنه قول لا يخلو من مراوغاته. هل سبق أن رأيت أى أحد يبالغ فى أناقته ونظامه؟ أنت تعلم ما أعنيه".

جذبت فرعاً صغيراً من الشجرة الساقطة ورمته نحو الماء. وبينما راقبته يبحر بعيداً قالت: "أنا لا أعرف لماذا تغيرت يا هوراشيو. أنا حقاً لا أعرف. إننى لا أتذكر حتى هذا التغيير فى حقيقة الأمر، لكن مع إصرار العديد من الناس على أن هذا ما حدث، فإننى أخمن بأن علىَّ القبول بهذا".

"حسناً. ذلك مدخل جيد. خطوة إيجابية جداً يا ميشيل. ورغم ذلك فعندما ذكرت أمر سياج الورود بدا عليك رد فعل. فلماذا؟".

عادت لترتجف بوضوح ثانيةً حينما قال هذا. مرت الدقائق التالية فى صمت. كانت ميشيل تحدق فى جذع الشجرة الذى كانت تجلس إليه؛ بينما ظلت نظرات هوراشيو موجهة نحوها بشكل مباشر. لم يقل أى شىء خوفاً من أن يفسد إمكانية الاختراق الحقيقى الأول لشخصيتها منذ بدأ يراها، وقد أثمر صبره بالفعل.

فقد قالت: "هل يمكن أن تكون خائفاً من شيء وأنت لا تدرى ماهيته؟".

"نعم. يمكن أن يكون مدفوناً داخل أعماقك بحيث إن كل ما تشعرين به هو الخوف بدون إدراك لمصدر هذا الخوف. قمع فى العقل الباطن لأحداث ماضية تتجاوز قدرة المرء على التعامل معها فى وقتها، وهى آلية مزروعة فى الدماغ لغرض حمايتنا؛ فنحن ببساطة نعمل على حجب ما يخيفنا".

"هكذا فقط؟".

"هكذا فقط؛ لكنه أقرب لمياه متجمعة داخل سرداب تحاولين إصلاحه برقعة هنا أو هناك، وفى النهاية يصبح الضرر حاداً بحيث يتهدد كامل أساس البيت بينما يبدأ الماء فى التسرب إلى أماكن غير متوقعة، أماكن لا نستطيع رؤيتها حتى يقع الضرر".

" إذن فأنا مجرد بيت متعفن؟".

"وأنا أفضل مرمم منازل يمكنك أن تصادفيه".

"ولكن...لو كنت لا أستطيع تذكر حتى هذا الذى أنا خائفة جداً منه، فكيف لك أن تساعدنى؟".

"هناك محاولة وطريقة حقيقية...التنويم المغناطيسي".

هزت ميشيل رأسها قائلة: "أنا لا أومن بذلك الهراء، فلا أحد يمكنه أن ينومنى مغناطيسياً".

"عادةً ما يكون المعاندون هم أسهل من يتم تنويمهم مغناطيسياً".

"لكن يجب أن تكون هناك رغبة على الأقل، أليس كذلك؟".

"هذا يساعد بالتأكيد. لكنك تريدين التحسن، أليس كذلك؟".

"ما كنت لأجلس لأتكلم معك هنا حول هذا الموضوع ما لم تكن لدى رغبة؛ فأنا لم أتكلم مع أى أحد حول هذا الأمر، أبدًا!".

"سأعتبر أن هذا إطراء. هل ستتركيننى أنومك مغناطيسياً؟".

"أنا لا أحب فقدان السيطرة على نفسي يا هوراشيو. وماذا لو أخبرتك عن شيء ليس بالإمكان أن أعالجه؟ ماذا لو كان الأمر بذلك السوء؟".

"لهذا السبب التحقت بكل تلك الكليات ولدى كل تلك الشهادات المعلقة على الحائط. أنا محترف. دعينى فقط أمارس عملى. هذا الذى أطلبه".

"أنت تطلب الكثير ... وقد يكون أكثر مما أستطيع أن أقدم لك"، قالتها بشكل صريح.

"هل ستفكرين فى الموضوع على الأقل؟".

نهضت من مكانها فى تثاقل، ومشت ببطء بامتداد الجذع، ولما مرت بجواره قالت له وهى تلتفت إليه بالكاد: "سأفكر فى الأمر".

كان هوراشيو ينظر نحوها بشيء من الغضب، وقال: "وإلى أين تذهبين الآن؟".

"لدى واجب تجاه فيجى يجب أن أؤديه".

الفصل

٥٤

كان شين محظوظاً لأن فاليرى كانت تجلس فى نفس منضدة الليلة الماضية، وكما فعلت بالأمس، فإنها كانت تبعد عن نفسها متطفلاً آخر من مفتولى العضلات؛ فقد بدا أنها تمثل عنصر جذب لهم. كان الرداء الذى ترتديه فاليرى أقل استفزازا وإثارة هذه المرة، كانت ترتدى سروالاً من القماش الناعم وفوقه سترة من قماش كشمير، وقد عقصت شعرها فى ضفيرة فرنسية مع قليل من أحمر الشفاه.

عندما رأت شين يتوجه إليها، سارعت بالنظر إلى الجهة الأخرى، وعندما جلس قبالتها، أصرت على ألا تنظر إليه.

"أرى أن شعبيتك ما تزال طاغية هنا".

"وأنا أرى أنك لا تفهم معنى التجاهل فهماً جيداً".

"الليلة مغامرة جديدة".

"ليس من حيث مكانى الذى أجلس فيه".

"هل تودين تناول العشاء؟".

"هل على أن أستدعى أحد رجال الأمن للتخلص منك؟".

"دعينى أفكر فى هذا الخيار، بينما تقررين أنت ما ستتناولينه".

ظهر على وجهها شبح ابتسامة، وسارع هو بانتهاز الفرصة قائلا: "ها هى ذى فرصة صغيرة تلوح فى الأفق، لكنى راضٍ بما حصلت عليه إلى الآن".

"ولماذا تعتقد أننى أريد تناول العشاء معك؟".

"حسنا...الآن وبعد أن استرعيت انتباهك بالكامل، سأخبرك". توقف قبل أن يقول: "أريد فقط شخصاً أتكلم معه، فسرعان ما يمل المرء الترحال وحيدا. أنا لست أبحث عن أى شيء عدا دردشة لطيفة مع العشاء، ويمكننا أن نتقاسم شيك الحساب، فلا يكون هناك فضل لأحد على الآخر".

"وأنت تفترض أننى سأشاركك هذه الدردشة اللطيفة حسب قولك؟".

"أعتقد أن الدردشة قد بدأت بالفعل. لدى رادار وإن كان غبياً وضحل التفكير إلا أنه يعمل جيدا جدا، وهو لم يصدر أية إشارة تحذير منذ أن قابلتك".

لمح شين مجدداً خاتم الزواج فى إصبع فاليرى. تعمد أن يلمحه بطريقة يكون من الصعب معها ألا تنتبه هى إليها.

"لابد أنك تتساءل عما يجعلنى أجلس للعشاء معك بينما تصادف أننى امرأة متزوجة؟".

"كنت أفكر فى أننى لو كنت زوجك فما كنت لأتركك ترتادين المقاهى وحدك".

"يمكننى أن أعتنى بنفسى".

"قلقى سيكون على أنك قد تعجبين بأحد الرجال".

"وأنت تظن أننى قد أعجبت بك؟".

"أعتقد بأنك تتساءلين عما إذا كنت جاداً أم لا، أو أننى مجرد وغد آخر ينتظر الفرصة".

"وأى واحد أنت؟".

"حسنا، لو كنت أنا ذلك الوغد فسأقول لك الآن بأنى جاد جداً".

"أين الحقيقة إذن؟".

"أنت من يقرر وفقاً لما ترينه منى. إجابة معقولة؟".

"وما الذى سنتحدث عنه حتى يسعنى أن أبدأ بالملاحظة؟".

"يمكننا أن نبدأ بالحديث عن أنفسنا، وسأبدأ أنا أولاً، ومثلما قلت من قبل، فأنا منفصل عن زوجتى، وليس لدى أطفال. أخبرتك بأننى حلال مشاكل، وهذه هى الحقيقة. فأنا محام، لكن عليكِ ألا تعتبرى هذه تهمة ضدى، فأنا هنا للقيام ببعض التحريات لصالح عميل تورط فى قضية سيئة السمعة. ماذا عنكِ أنت؟".

"متزوجة ولم يقدر لى أن أكون أماً مثلما أخبرتك قبل ذلك. كنت أعمل، أما الآن فأجلس فى البيت أو أخرج أحياناً. ذلك كل شىء".

"تخرجين بدون زوجك؟ أعنى أنه يضيع على نفسه فرصة مصاحبة كل هذا الجمال والذكاء...؟".

رفعت إصبعها تحذره: "أنت الآن تتعدى الخط الأحمر".

"آسف. سأتراجع إلى حيث كنت. كيف تسلين وقتك؟".

"لا أسلى وقتى بأى شىء، وأعتقد أننى قد نلت نصيبى من المرح فى هذه الحياة، والآن حياتى أشبه بالتدحرج فوق منحدر".

"بالله عليك إنك تتحدثين وكأن إحدى قدميك فى القبر".

"ألا أبدو كذلك؟".

"أأنت مريضة أو شىء من هذا القبيل؟".

"ليس بالمعنى الذى تفكر فيه، كلا".

استراح بظهره للوراء ثم قال: "حسناً...إنك - على الأقل - واحدة من أكثر ثلاث نساء مثيرات قابلتهن فى حياتى، زوجتى السابقة لم تكن من بين قائمة العشرة الأوائل".

"أفهم من هذا أن ذوقك سيئ إلى هذا الحد؟".

"ولكننى تطورت للأفضل من وقتها".

"أما زوجى فمن السهل أن يكون ضمن قائمة الخمسة الأفضل بالنسبة لأية سيدة؛ فهو وفى الحقيقة مثير للاهتمام - على الأقل ما يقوم به مثير جداً".

"وما هو هذا الذى يقوم به؟".

هزّت رأسها فى عناد: "ألم تسمع بالحكمة التى تقول... اللسان المنفلت يغرق السفن القائمة".

تظاهر شين بالحيرة للحظة: "يغرق السفن؟ هل هو فى الجيش؟ أعرف أن لهم حضورًا كبيرًا هنا".

"إنه يعمل بالحكومة، لكن ليس فى ذلك الفرع؛ بالرغم من أنه كان فى فيتنام".

"فيتنام! لكنك لست بذلك الكبر فى السن".

"لقد انتظر وقتاً طويلاً قبل أن يقرر الزواج. ولا يمكننى تفسير إقدامه على ذلك بعد مرور كل تلك السنوات من العزوبية".

"ماذا إذن؟ مكتب التحقيقات الفيدرالى؟ عندى بعض رفاق الجيش السابقين الذين التحقوا بالمكتب".

"هل سبق أن سمعت عن كامب بيرى؟".

هز شين رأسه نافياً ببطء وقال: "لكن الاسم يبدو مألوفاً لدى. هل هو معسكر للأطفال؟".

ابتسمت: "بطريقةٍ ما، لكن الأطفال هناك كبار جداً وكذلك ألعابهم".

"ما الذى تتحدثين عنه؟".

"كامب بيرى عبارة عن مركز تدريب تابع للوكالة الحكومية التى يسمونها السى آى إيه. أتعلم ما الذى تعنيه هذه الحروف، وأنا لا أقصد السخرية بالطبع؟".

"وكالة المخابرات المركزية! يعمل زوجك لحساب وكالة المخابرات المركزية؟"، قالها هامساً بحدة.

فنظرت إليه بشك: "هل أنت متأكد من أنك لم تسمع عن كامب بيرى؟".

"أنا من أوهايو. ربما كان الاسم معروفاً هنا، لكن أخباره لم تصل إلى دايتون".

"حسنا، في الحقيقة إن زوجي هو من يدير المكان، كما أنه ليس بالضبط سراً رسمياً".

اصطنع شين الذهول قائلاً: "فاليرى، دعينى أسألك سؤالاً واحداً بسيطاً".

بادرت هي فقالت: "...ما الذى يدعو مثل هذا الرجل إلى ترك زوجته تذهب للمقاهي وحدها وتتناول عشاءها مع رجل غريب؟".

فأومأ شين موافقاً.

"حسنا، دعنى أجبك وبكل بساطة...إن أمرى لا يهمه. وأحياناً ما أسأل نفسى عن سبب موافقتي على الارتباط به أو سبب رغبته في الزواج منى. حسنا، أنا أعرف السبب. لقد أعطيته انطباعا أوليا رائعا، لكن هذا التأثير زال مع الوقت بالنسبة لآيان".

"إذن لو كان كلاكما منفصلاً عن الآخر، فما الذى يمنع الطلاق؟".

استهجنت فكرته قائلة: "إن مسائل الطلاق تسىء للسمعة فضلاً عن أنها تستنزف الكثير من الوقت والمال. قلت لى بأنك مطلق، أليس كلامى صحيحا إذن؟".

قال شين ـ بنبرة إقرار: "صحيح جداً. أخمن أنه يبقى مشغولاً جداً. أعنى تلك الحرب على الإرهاب وغير ذلك".

"أو أننى لم أعد أثير اهتمامه بما يكفى".

عاد شين بظهره للوراء وهو يقول بجدية: "كان الحب بينى وبين زوجتى من أول نظرة؛ لكنها تغيرت، أو أنا الذى تغير،

من يدرى بحق الله. ربما لم تكن مهنة المحاماة تعجبها. أرى الآن أن مصير ذلك الزواج كان الفشل منذ البداية".

"ربما كان هذا هو مصيرى أيضًا".

"لماذا...كيف التقيت بآيان؟".

"كنت أعمل مع مقاول خاص يعمل بدوره مع وكالة المخابرات المركزية. كنت أعمل فى مجال لم يكن بهذه الشهرة وقتها، وهو الإرهاب البيولوجي، والتقيت آيان فى مؤتمر فى أستراليا. كان هذا قبل أن تتم ترقيته كمدير لكامب بيرى بالطبع. كنت قد زرت المكان فى الحقيقة قبل حتى أن أتعرف على آيان؛ لكننى مللت وانصرفت عن هذا المجال. أما هو فلا يزال مبتهجا بذلك العالم. هذا هو الاختلاف بينه وبينى، وقد صار الآن اختلافا كبيرا".

"انتظرى لحظة. لهذا بدا لى الاسم مألوفاً. ألم يعثروا على جثة فى كامب بيرى؟".

أومأت فاليرى ببطء وقالت: "قام الرجل على ما يبدو بتسلق السياج وأطلق الرصاص على نفسه".

"تبا، ما الذى يدفع أى إنسان إلى أن يفعل ذلك؟".

"كل شخص عنده قضاياه ومشاكله".

"يبدو لى أنك تتكلمين عن تجربة".

"كلنا نتكلم عن تجربة يا شين".

بعد انتهاء العشاء تمشيا معًا فى الشارع.

"كانت أمسية جميلة يا فاليري، شكرا لكِ".

"بل كانت كئيبة، وأنا السبب".

بقى شين صامتاً، فلم يكن لديه ببساطة ما يرد به على هذا التعليق، إلا أنه قال أخيراً: "سأبقى فى البلدة لمدة أسبوع تقريباً. فهل تودين أن نلتقى ثانية؟".

"لا أعتقد أن هذه فكرة جيدة".

"هل لى على الأقل بأن أحتفظ برقم هاتفك؟".

"لماذا؟".

"هل هناك من ضرر فى الكلام؟".

"هناك ضرر فى كل شىء". إلا أنها أخرجت محفظتها، وسحبت قلماً وورقة صغيرة ودونت رقماً، قبل أن تناولها إياه.

"يمكنك أن تترك رسالة على هذا الخط؛ وإذا لم أتصل بك، فتقبل أسفى مقدماً. أشكرك على إنقاذى من ملل قضاء ليلة أخرى فى ذلك المقهى. مع السلامة". لامست ذراعه، ثم مضت عبر الشارع، تاركة شين يصارع مشاعر متضاربة. ربما كانت هذه هى حقيقة فاليرى ميسالين: امرأة وحيدة تعيش حياتها إلى أن يستجد جديد، وهكذا تبدد طرف الخيط الوحيد الذى يمكن أن يقوده إلى كامب بيرى. فما هو السبيل الذى عليه أن يسلكه الآن؟

جاءه الرد بسرعة السؤال نفسه؛ فقد كان هذا الخيار هو الشىء الوحيد المتاح أمامه، لكن السؤال هو...هل لديه الشجاعة اللازمة أو الجنون لتنفيذه ؟

الفصل

٥٥

قررت ميشيل أن تجمع بين قيامها بواجبها تجاه فيجى والقيام بتحرك تكتيكى جرىء. كان ضوء الشمس لا يزال قائماً، فذهبت مع البنت إلى المرفأ بعد أن استأذنت أليسيا، وهناك جهزت فيجى بسترة نجاة سليمة، وبعد أن تحققت من أن البنت تجيد السباحة، سحبا قارب كاياك وسرعان ما كانا فى الماء، حيث جلست فيجى فى المقدمة لتقوم بالتبديل، بينما جلست ميشيل عند المؤخرة توجه القارب وترشد فيجى إلى حركة التبديل الصحيحة.

سرعان ما أتقنت فيجى الحركة الصحيحة، وصارت ضرباتها سلسة وماهرة خلال الماء. من المؤكد أن فيجى أقوى مما تبدو عليه، هكذا فكرت ميشيل.

قالت فيجى بينما الريح تتلاعب بشعرها: "هذا مثير!".

فقالت لها ميشيل: "كم أحبه!". لم يستغرق الأمر منها سوى ضربتين قويتين فى الماء بمجدافها، وبعدها صارتا عند قلب النهر. عندما يمارس المرء التجديف بشكل جماعى لمئات الآلاف من الأميال فى الماء فإن ذاكرة العضلة تكون قد تشربت الحركة.

وكما خططت ميشيل، فقد وصلتا بسرعة إلى منطقة فى نهر يورك تقع قبالة كامب بيرى، فتوقفت عن التجديف وأخبرت

فيجى أن تفعل الشىء نفسه، وبينما تركتا أنفسهما للتيار اتكأت ميشيل بظهرها للوراء، وأخذت تراقب من طرف خفى تلك المنطقة السرية التابعة لوكالة المخابرات المركزية. كان لمعان السياج المحيط هو ما يقابلها. لم يكن هناك حارس على مرأى البصر، ورغم ذلك فقد أخبرتها حاستها السادسة أن هناك عيونًا تراقبها.

قالت فيجى فجأة: "ذلك هو كامب بيرى، وهناك مات مونك".

"أتعرفين كامب بيرى؟". أومأت فيجى برأسها إيجاباً، فقالت ميشيل: "هل حدث أن تكلم مونك معك حوله؟".

أومأت فيجى برأسها من جديد بإيماءة أخرى فأردفت ميشيل: "وما الذى قاله؟".

"أشياء".

"شفرات ودماء؟".

التفتت فيجى لتحدق فيها وقالت: "لقد كنتِ تتكلمين مع ذلك الرجل الآخر".

"هوراشيو بارنز، نعم. هو صديق لى"، أدركت ميشيل فوراً مدى خطأ تعليقها هذا.

"أنا لا أحبه".

"حسناً.. إنه أحياناً لا يجيد التخاطب مع الناس بالصورة المطلوبة. إذن فهى شفرات ودماء؟ ذلك يبدو مثيراً للاهتمام".

من مزايا أن تكون على قارب فى منتصف النهر أن فيجى لا تستطيع أن تنهض لتغادر، وذلك كان أحد الأسباب التى دفعت ميشيل إلى جلب البنت إلى هنا.

"لقد أحب مونك الشفرات، وعرفنى بها. كان قريباً لعالم مشهور جداً".

"وأنتِ قريبة له أيضاً".

أومأت فيجى ونظرة فخورة على وجهها ثم قالت: "آلان تورينج كان شاذاً جنسياً، والناس لم يحبوا فيه ذلك، لذا تناول تفاحة مسممة ومات".

لم تجد ميشيل ما تقوله إزاء هذا التغير فى اتجاه الحوار. *من الواضح أن مونك كان يتعامل معها وكأنها شخص بالغ.* لذلك لم تجد ميشيل سوى أن تقول: "ذلك مؤسف جداً".

"أتمنى ألا أضطر أبداً إلى أن آكل تفاحاً مسمماً حينما يغضب الناس منى".

"أنا متأكدة من أن أمراً كهذا لن يحدث لكِ يا فيجى"، قالتها ميشيل بحزم ثم أردفت: "فلم يكن الانتحار أبداً بحل". شعرت ميشيل بوخز الذنب وهى تقول هذا الكلام.

"الأمر أشبه بتلك الملكة المسنة الشريرة فى قصة سنو وايت. حيث حولت نفسها إلى عفريتة، ثم طفت فوق النهر إلى الكوخ فى الغابة، ثم خدعت سنو وايت وأقنعتها بتناول التفاحة المسممة. إنها لم تمت، لكنها نامت، وتطلب الأمر أن يقبلها الأمير حتى تستيقظ. كم هذا مقزز!".

"الاعتماد على أمير وسيم حتى تتحول حياتك للأفضل ليس بالخيار الذكى. صحيح؟".

"صحيح، لكن هذه القصة تبين أن أى شخص يمتلك التفاحة يصبح قويا جداً".

رأت ميشيل أن تغير الموضوع فقالت: "فيجى، هل سبق أن سمعتِ عن غرفة سرية فى القصر؟".

التفتت فيجى إليها وقالت: "غرفة سرية؟".

"نعم. كنا فى بيت قديم آخر فى هذه المنطقة ووجدنا بعض الأطفال داخل غرفة سرية هناك. وقال أحد الأطفال إن كثيرًا من الأماكن القديمة هنا بها غرف سرية".

"أنا لم أسمع أبداً عن وجود واحدة فى بابيج تاون".

"حسناً". انتظرت ميشيل للحظات ثم قالت: "بمناسبة الكلام عن الأشياء السرية...هل يمكنك أن تعلميني بعض الشفرات؟".

"هناك الكثير من الأنماط المختلفة، كما يمكنكِ أن تبتكريها أيضاً".

"وهل كنتِ ومونك تبتكران الشفرات؟".

"أوه...بالتأكيد. في كثير من الأوقات".

"أعتقد أنه أراد إبقاء أمور بعينها سراً عن الآخرين. هل تعرفين من هم الأناس الذين يريد إبعادهم عن هذه الأسرار؟".

قالت فيجي: "الجميع"، ثم التفتت وهى تنظر إلى ميشيل فى تجهم، وهى تردف: "بما فى ذلك أنتم".

أدركت ميشيل فجأة أن فيجي كانت تعرف بالضبط ما الذى كانت تحاول الوصول إليه، وأنها كانت تتسلى بها؛ فقررت ميشيل أن تتبع أسلوباً أكثر مباشرة. كان فيه مخاطرة لكنهم يفتقرون إلى العديد من الخيارات الآن.

"فيجي، نحن نحاول أن نكتشف من أخذ مونك منكِ. هل تفهمين ذلك؟ وذلك هو السبب الوحيد لوجودنا هنا".

راقبتها ميشيل بينما كتفا فيجي يتهدلان فى استسلام، ومع أنها ليست متأكدة من كيفية ترجمة لغة الجسد هذه، إلا أن ميشيل قالت: "لو أنه كان خائفاً من شخص ما، أو منع أسراراً عن الناس، فسوف يساعدنا حقاً أن نعرف من هو ذلك الشخص؛ فكل ما نحاول أن نفعله هو أن نقدم يد المساعدة".

"إن الناس الذين يقولون إنهم يريدون المساعدة، تكون لديهم أسباب أخرى خلاف ذلك".

"ليس نحن يا فيجي، صدقيني".

اقتربت منها فيجي فى عصبية وهى تحدق فيها قائلة: "هل دفع لكِ أحدهم لقاء هذه المساعدة؟".

باغتها السؤال، لكنها أحست أن الكذب على البنت لن يكون بالشيء الجيد فقالت: "إن عملي يقتضى منى مساعدة الناس، ومنه أكسب عيشي".

"إذن فأنتِ تتلقين أتعاباً، ولهذا تقضين وقتاً معي، وما كنت لتساعدينني لولا هذا، وأراهن أن الأمر لو كان بيدك لرغبت فى مصاحبة أصدقائك الحقيقيين".

"فيجي، ليس لدى العديد من الأصدقاء الحقيقيين. فى الواقع، لو استثنينا شين، فإننى لا أستطيع القول بأن عندى أيا منهم".

"أعتقد أن هذه ليست الحقيقة".

"لماذا، هل تعتقدين أن لكل شخص الكثير من الأصدقاء ما عداك؟ كما أن هناك أطفالاً آخرين فى مدرسة بابيج تاون".

"لا أحد منهم مثلى. فالكل يرى أننى غريبة الأطوار".

"كل شخص غريب الأطوار بطريقة ما، فلو قمت بجولة داخل سيارتى، فستعرفين بالضبط ما الذى أتحدث عنه. إنها عبارة عن مستودع نفايات لا يبدو أننى سأستطيع التخلص منها مهما حاولت".

حدقت فيها فيجي وهى تقول: "لهذا جلبوا ذلك السيد بارنز إلى هنا؛ لأننى غريبة الأطوار".

ازدردت ميشيل لعابها بصعوبة وقالت: "فى الحقيقة إن...السيد بارنز يساعدنى أنا أيضاً فى التخلص من بعض المشاكل التى أعانى منها منذ... منذ أن كنت طفلة صغيرة".

قالت فيجي: "هل هذا صحيح؟" أومأت ميشيل برأسها. "أتقسمين على هذا؟ أنتِ لا تقولين هذا وحسب".

"أقسم لك. يا للرجل المسكين، كنت أنهض وأتركه كلما حاول أن يطرح على أسئلة، مع أنه كان يقصد أن يجعلنى أفضل".

قالت فيجي بصوت خافت: "أنا فعلت ذلك أيضًا. لماذا أقسم لك؟".

ترددت ميشيل، ليس لأنها لم تكن تعرف الجواب على السؤال، ولكن لصعوبة التلفظ بالإجابة، وأخيراً قالت: "لأننى كنت خائفة".

"خائفة من ماذا؟" قالتها فيجى بصوت مأخوذ وهى تحدق فى ميشيل.

"خائفة من أنه قد صار قريباً من الحقيقة، ولست واثقة من قدرتى على التعامل معها".

التقطت فيجى مجدافها وقالت بصوت خفيض جداً: "وأنا أيضاً".

"اسمعي، إننى لا أتذكر حقاً ما حدث لى. لهذا يريد تنويمى مغناطيسياً، لمساعدتى على التذكر".

"وهل ستسمحين له بهذا؟".

"لا أدرى، ما رأيك أنت؟".

"هل تودين سماع رأيى؟".

"بالتأكيد. فأنتِ ذكية بالفعل. هل علىّ القيام بهذا أم لا؟ أعنى أنه من الممكن أن أستمر فى حياتى دون أن أعرف ماهية هذا الشىء؛ فأحياناً ما تكون الحقيقة قاسية".

قالت فيجى فى حسم: "أعتقد أن عليكِ أن تسمحى له بالقيام بهذا".

"حقاً؟ لماذا؟".

"أليس من الأفضل أن يعرف المرء الحقيقة؟".

لم تجبها ميشيل على الفور، ثم قالت: "أعتقد أنكِ محقة. من الأفضل للمرء أن يعرف".

"هلا عدنا الآن؟"، كانت فيجى تدفع المجداف إلى المياه.

"طبعاً. أتمنى أن تكونى قد استمتعت بوقتك".

أطرقت فيجى ولم تعلق، وبينما دارتا بالقارب وأخذا تجدفان بعيداً، كان هناك رجل يتسلل خارجاً من الغابة عند ضفة كامب بيرى. أبعد آيان وايتفيلد منظاره المعظم عن عينيه، لكن نظراته

بقيت مسلطة على القارب. كان أحد رجاله قد نبهه إلى وجودهما. سحب الهاتف المحمول من حامله المثبت بحزامه واتصل برقم.

كانت ملامحه متجهمة وهو يتحدث، وبعد دقائق انضم إليه مساعده ضخم الجثة.

قال له وايتفيلد: "كانا يعملان فى السابق فى الخدمة السرية؟ هى وشين كينج؟".

"هذا صحيح. اسمها ميشيل ماكسويل، وقد حضرت للتحقيق فى قضية تورينج وريفيست ممثلةً لبابيج تاون".

فقال له وايتفيلد: "كانت ابنة تورينج معها فى القارب".

"ما الذى تنوى القيام به يا سيدى؟".

لم يرد وايتفيلد على سؤاله، وبقى واقفاً يحدق فى السياج السلكى عند المياه، وفى النهاية التفت إلى الرجل قائلاً: "أحياناً ما يكون عملنا هذا لعيناً، بنى".

ثم استدار متجهاً إلى داخل الغابة.

* * *

وعند الضفة الأخرى كانت ميشيل وفيجى قد أرسيتا القارب ووضعتا المجدافين عند المرفأ، وفى طريق عودتهما إلى بابيج تاون وضعت فيجى يدها فى يد ميشيل وهى تضغط راحتها بعض الشىء قائلة: "أتمنى أن يساعدك السيد بارنز على تذكر أى شىء".

"أشكرك يا فيجى، وأقدر لكِ مساعدتك لى على اتخاذ القرار".

حينما وصلتا إلى الكوخ ركضت فيجى إلى البيانو وبدأت تعزف، وبعدما انتهت من عزف الأغنية عادت تنظر نحو ميشيل وتقول: "إننى أحبك يا ميشيل".

"وأنا كذلك يا فيجى".

نهضت فيجى عن البيانو وهرولت تصعد الدرج. توقفت عند أعلى السلم والتفتت إليها وهى تقول بصوت أقرب إلى الصراخ: "شفرات ودماء"، ثم ركضت عبر الردهة إلى غرفتها، تاركة ميشيل بالأسفل صريعة الدهشة والحيرة فى آن واحد.

الفصل

٥٦

كان شين قد استأجر سيارة أجرة فى ويليامسبرج عاد بها إلى بابيج تاون بعد العشاء مع فاليرى. اجتاز الجسر فوق نهر يورك وكان يعبر نقطة جلوشيستر عندما لحقت به السيارة التى كانت تتبعه طيلة المساء وأجبرته على الخروج من الطريق، ومن قبل أن يخرج شين من السيارة كان هناك رجل يقف إلى جوار النافذة.

"اخرج من السيارة"، صرخ الرجل فى شين، وهو يلوح ببطاقة هويته.

لم يكن هذا الواقف سوى عميل مكتب التحقيقات الفيدرالى الخاص مايك فينتريس، والذى كان الشرر يتطاير من عينيه.

قال شين بنبرة تعمد أن تكون مهذبة: "هل بالإمكان أن أسأل عن سبب تصرفك هذا؟".

"أغلق فمك وهيا إلى سيارتى! الآن!".

تبعه شين إلى حيث سيارته الفيدرالية ذات الدفع الرباعى، ثم دلف إلى المقعد المجاور للسائق بينما جلس فينتريس فى مقعد السائق، وما إن أغلقا البابين حتى التفت إليه فينتريس وهو يبادر بقوله: "ما الذى تظن أنك فاعله، هل أنت أبله؟".

فقال شين بهدوء: "كنت عائداً إلى بابيج تاون عندما أخرجتني عن الطريق؛ فهل هذا هو موعد تدريبات القيادة لديكم أم أن هذه إحدى هواياتك؟".

"توقف عن هذا الهراء الذى تقوم به. فى البداية ذهبت لرؤية آيان وايتفيلد".

"فى الحقيقة إنه هو من استدعانى، أنا والمأمور هايز".

"وبعدها قابلت زوجته فى المقهى".

"لا، لقد التقينا بعضنا البعض صدفة".

"وتناولت العشاء معها صدفة أيضاً؟".

"هذه ليست جريمة، حسب درايتى بالقانون على الأقل".

"ما هى بالضبط طبيعة علاقتك بفاليرى ميسالين؟".

"يجمعنا العشق المشترك للمشروبات".

وكز فينتريس صدر شين بإصبعه قائلاً: "لا يمنعنى شىء الآن عن اعتقالك".

"هل لى أن أعرف التهمة؟".

"بوسعي احتجازك لثمان وأربعين ساعة من دون أى نقاش. وفى تلك الأثناء يمكن أن أجد التهمة التى تليق بك".

"إننى أمارس عملى هنا، مثلك تماماً، وأحاول اكتشاف هوية قاتل مونك تورينج ولين ريفيست. هل لا تزال تذكر المنافسة الصغيرة التى حدثتك عنها؟".

"وأنا أخبرتك أن تبتعد عن طريقى".

"لم أكن أعلم أن فاليرى ميسالين جزء من طريقك هذا".

"ليس لها دخل فى هذه القضية، وكذلك الحال مع آيان وايتفيلد؛ فالرجل لديه أشياء أكثر أهمية ليقلق حولها من مجرد محقق خاص يدس أنفه فيما لا يعنيه".

نظر شين إليه وهو غير مصدق ثم قال: "متى بدأت هذه العلاقة الحميمة بين المباحث الفيدرالية ووكالة المخابرات المركزية؟".

"أطلب منك ومن أجل مصلحتك أن تتراجع. هناك قضايا أكثر أهمية بكثير هنا من جريمتى قتل".

"هلا أخبرتنى بها؟".

"اخرج من سيارتي. وإذا قدر لنا أن نلتقى ثانيةً، فأعدك بأنك لن تحب هذا اللقاء".

ترجل شين خارج العربة وبعد ذلك نقر على النافذة قائلاً: "بالمناسبة، هل من أخبار عن "تسرب الغاز" فى المشرحة؟".

لم يجبه فينتريس، بل كاد يدهم قدم شين بينما السيارة تهدر مبتعدة عن المكان.

على الرغم من أسلوبه والذى تعمده مع فينتريس، إلا أن شين لم يكن مبتهجاً وهو يعود إلى سيارته. كان يغرق شيئاً فشيئاً فى أفكاره وهو يرى أنه عاجز عن العثور على أى طرف خيط فى هذه القضية، وبينما كان يقود سيارته عائداً إلى بابيج تاون أدرك شين ما عليه أن يفعله.

"لا يمكن أن تكون جاداً يا شين"، قالها له هوراشيو بينما كان ثلاثتهم يقفون بجانب سيارة ميشيل ودراجة هوراشيو البخارية، عند طريق ترابى على بعد حوالى الميل من بابيج تاون.

تابع هوراشيو كلامه قائلاً: "لقد تخطى مونك تورينج سياج معسكر بيرى، فانظر ماذا حدث له".

"ثقا بي، أنا لا أريد تخطى ذلك السياج، لكننى استنفدت جميع الخيارات".

أسندت ميشيل ظهرها إلى سيارتها وهى تقول متأملةً شريكها: "متى تعتقد أن علينا القيام بذلك؟".

نظر هوراشيو إليها وقال: "هل تنوين الذهاب مع هذا المخبول؟".

بينما نظر شين إلى ميشيل قائلاً: "سأذهب وحدى".

"لا تفكر فى هذا. فلو ذهبت، فسأذهب أنا أيضاً".

فقال لها: "لو أمسكوا بنا فستكون هذه نهايتنا، وأنا أعنى هذا حرفياً".

فأجابته: "أنت لا تمل من الجدال".

صاح فيهما هوراشيو: "ألا تعيان ما تتحدثان عنه؟ إنها المخابرات المركزية بحق الله. ربما تعدمان بتهمة الخيانة العظمى".

تجاهله شين وهو يتحدث إلى ميشيل: "سنذهب إلى هناك يوم السبت... هذا إذا ما لم يستجد جديد فى القضية حتى ذلك الوقت".

فقالت: "موعد قدوم الطائرة التالية؟".

أومأ برأسه موافقا وقال: "لا أدرى إن كنت قد لاحظت تلك الخريطة في مكتب ساوث فريمان، لكن...".

إلا أنها أتمت له عبارته قائلة: "إن مدرج الهبوط موجود على الجانب الآخر لصف الأشجار؛ حيث وجدوا جثة مونك. لذا فنحن نعول على هذه الرحلة".

"سيكون أمراً مثيرا إذا تمكنا - على الأقل - من رؤية ما تحويه تلك الطائرة الملعونة".

فقال هوراشيو ساخطاً: "حسناً، أنتما تثيران أعصابى، تعرفان بأننى لا أستطيع أن أسمح لكما أن تفعلا هذا".

فالتفت شين إليه قائلا: "إذا كنت لا تريدنا أن نذهب إلى حيث السياج فعليك أن توصلنا إلى الحقيقة. ألست أنت بدورك تبحث عنها؟ أليس هذا ما تفعله مع فيجى وميشيل، أليس كذلك؟".

"ذلك أمر مختلف".

"ليس بالنسبة لى. هناك ثلاثة رجال لقوا مصرعهم. وغريزتي تخبرنى بأن للأمر صلة بما يجرى فى كامب بيري، بل إن شخصاً ما هناك قد حاول أن يقتلنى؛ فأنا لا أستطيع التخلى عن هذا الحدس".

"أبلغ السلطات إذن".

"سيصاب المأمور هايز بأزمة قلبية لو علم بما ننتوى القيام به، بل ربما قتلنى فينتريس وزعم أن الرصاصة انطلقت خطأ من مسدسه، لقد أعلمت هايز بأمر عشائى مع فاليرى ولقائى القصير مع فينتريس، لكننى لم أعلمه بأكثر من هذا، وأعلمتك أنت لأنى أثق بك. ولن أفعل أى شيء من شأنه أن يلحق الضرر بك".

سأله هوراشيو بعصبية: "ما الذى تتحدث عنه؟".

"إذا ألقوا القبض علينا فسيحاولون التعرف على كل من يعتقدون أنه متورط معنا، وذلك يعنيك أنت. لذا فهذه هى فرصتك كى تعود إلى منزلك، الآن. وسوف نقسم، أنا وميشيل، على أنك لا تعرف شيئاً عن الأمر".

استند هوراشيو إلى السيارة وقال: "حسناً... يجب أن أقول لكما إن أغلب المجرمين الذين تعاملت معهم ليسوا على هذا القدر من مراعاة شعور الآخرين".

"وإذا انتهينا من هذه المهمة وعدنا إلى بيتنا، فلا يزال بمقدورك أن ترى ميشيل"، ثم سارع شين بالنظر إلى شريكته قائلا: "هذا إن أرادت هى ذلك".

إلا أن ميشيل بقيت صامتة.

"وماذا لو اخترت البقاء؟"، سألهما هوراشيو.

"لن تكون هناك مشكلة طالما لم يلق القبض علينا. أما لو حدث هذا، فسيبدأ المحققون فى التحرى حولك لو بقيت أنت هنا، ولا أستطيع ضمان أنك لن تصبح هدفاً لهم".

"إذا ألقى القبض عليكما، فيمكننى أن أساعدكما برفع دعوى لإثبات اختلال قواكما العقلية".

فابتسم شين وقال: "من اللطيف أن يمتلك المرء خيارات".

فقال هوراشيو: "لكنكما تخاطران بحياتكما، شين".

"وما الجديد فى هذا؟ لقد أمضيت أغلب سنوات حياتى وأنا أحاول ذلك".

أردفت ميشيل: "تعلم أن مثل هذه الأمور تصبح طبعاً متأصلاً مع مرور الوقت".

راقبهما هوراشيو بينما كانا يتبادلان نظرة معينة كتلك التى لا يتبادلها سوى شخصين اعتادا وضع حياتهما على المحك. "إن فيجى تعرف شيئاً ما. شفرات ودماء، ولو تمكنا من كشف النقاب عما يعنيه هذا، فقد تتفتح لنا أبواب كثيرة تغنينا عن الذهاب إلى ذلك السياج الملعون".

"أى محقق محنك يتتبع أدلة متعددة لأن معظمها لا ينجح. إنها لعبة حسابات بسيطة، لكننى أركز الآن على تلك الأرض عبر النهر".

فقالت ميشيل: "وفى هذه الأثناء...يمكننى أن أجرب حظى مع شامب".

فقال شين: "وأنا بدورى سأتكلم مع أليسيا".

سألتهما ميشيل: "ما هى توقعات الطقس لليلة السبت؟".

"بارد وملبد بالغيوم".

"لدينا وقت للاستعداد على الأقل. سنحتاج إلى بعض الأشياء"

"لقد طلبتها بالفعل".

"ألم تطرح جوان عليك أسئلة؟".

"أنا لم أستعن بجوان؛ لأننى لا أئتمنها، ليس على مهمة كهذه على الأقل".

قال هوراشيو وهو يتظاهر بسد أذنيه: "لا أريد سماع أكثر من هذا...فلا أريد أن أعرف الكثير من الأسرار".

"لا تقلق. فمثلما قلت لك، إذا تم إلقاء القبض علينا فلن نكشف النقاب عنك"، وابتسم ابتسامة عريضة وهو يردف: "ما لم نعقد معهم صفقة أفضل تقتضى بأن نبيعك لهم".

"ما الذى قمت به لأستحق أصدقاءً مثلكما؟".

فقال شين: "هوراشيو، نحتاج لمن يتابع فيجى. الشفرات والدماء. أنت محق، لابد أن هذه العبارة تعنى شيئاً".

"يمكننى عقد جلسة أخرى معها".

بينما قالت ميشيل: "لقد أصبحت مقربة جداً منها...دعنى أحاول أنا".

فنظر هوراشيو إليها: "هل قالت لكِ بأنها تحبك؟".

"نعم. وقالت إنها لا تحبك".

علق الإخصائى النفسى ببرود: "تجدين متعة بالغة فى إيصال تلك الحقيقة".

فقال شين: "الشىء المحير الآخر هو أننى لو كنت محقاً فى أن ريفيست قد مات مقتولاً، فإن أحداً لم يرَ أى شخص يغادر كوخه مع أن مكانه مكشوف ولابد أن شخصاً ما قد رأى شيئاً".

فسأله هوراشيو: "هل أنت متأكد من أن رفيقك المأمور يطرح الأسئلة المناسبة على الأشخاص المناسبين؟".

"أفترض ذلك، وربما كانت تلك الفرضية خاطئة، وربما كان علينا أن نفعل ذلك بأنفسنا".

"فما الذى علىَّ القيام به بينما تستعدان أنتما الاثنان للذبح؟"

"هل ذلك يعنى أن..." لكن هوراشيو قاطع شين قائلاً:

"نعم، سأبقى. لابد أننى معتوه مثلكما، لكن الجيد هو أننى سأجد الكثير من الوقت لتقديم خدماتى الاستشارية داخل السجن بعدما يلقى القبض علينا جميعاً. لذا عليكما أن توكلا إلىَّ مهمة قبل أن أعود إلى صوابى، وأقفز مستقلاً دراجتى الهارلى وأبتعد بأسرع ما يمكننى عنكما أيها المجنونان".

"يمكنك أن تذهب وتتحدث مع رجل يدعى ساوث فريمان فى آرك، بفرجينيا. إنه يدير الصحيفة هناك وهو خبير فى التاريخ المحلى للمنطقة. أخبره أننا من أرسلك. اعرف كل شىء حول هذه المنطقة".

بينما هما بالافتراقَ، همس هوراشيو إلى ميشيل قائلاً: "هل أمعنت التفكير فى عرض التنويم المغناطيسى؟".

"سأعقد اتفاقاً معك...لو عدت من تلك المهمة على قيد الحياة سأتركك تنومنى مغناطيسيا".

"إن مجرد تفكيركما فى القيام بذلك يعنى بالنسبة لى أن كليكما يعانى من الجنون. أتعلمان ذلك؟".

"تمنَّ لى حظاً طيباً يا هوراشيو".

فقال فى سخط وهو يراها تغلق باب العربة: "حظًّا سعيدًا".

الفصل

٥٧

فى وقت مبكر من الصباح التالى ذهبت ميشيل للتريض مع فيجى، حيث تمشيتا على طول النهر إلى أن جلسا حيث حوض السفن بالمرفأ ووضعتا أقدامهما فى المياه. حاولت ميشيل عدة مرات أن تقود دفة الحديث نحو الشفرات والدماء، لكن فيجى تفادت تلك المحاولات بذكاء.

سألتها فيجى: "هل بالإمكان أن نبحر بالقارب ثانيةً؟".

"بالتأكيد، هل تودين أن نذهب الآن؟".

"كلا، كنت أسأل فحسب"، ثم أشارت فيجى عبر النهر وهى تردف: "أنا لا أحب ذلك المكان".

"كامب بيرى؟ لماذا؟ بسبب ما حدث لمونك هناك؟".

"ليس هذا فقط"، قالتها ببساطة.

"فلماذا إذن؟".

"كان مونك يختفى كثيراً، قالت وهى تغير الموضوع فجأة: "ويتركنى بمفردى لوقت طويل".

"متى؟ تعنين وقت أن فارق البلاد؟ "، فأومأت فيجى برأسها. لم تصدق ميشيل أنها لم تفكر فى أن تسأل البنت حول هذا من قبل، فقالت: "هل تعلمين لماذا غادر البلاد؟ ولماذا زار تلك الأماكن فى الخارج؟".

"كان يتحدث كثيراً عن آلان تورينج عندما عاد، ولم تكن تلك هى المرة الأولى التى ذهب فيها إلى هناك؛ لقد كان يحب آلان تورينج كثيراً، بالرغم من أنه ميت".

"ومتى كانت المرة الأولى التى ذهب فيها إلى هناك؟".

"قبل أن نأتى إلى هنا. عندما كنا نعيش فى المكان الآخر".

"وما هو هذا المكان الآخر؟".

"فى مدينة نيويورك. أنا لم أحب العيش هناك. عشنا فى شقة داخل إحدى البنايات. كل السكان كانوا من كبار السن. أنا لم أحبهم لأن رائحتهم كانت مضحكة. كلهم عدا شخص واحد. رجل عجوز أحببته، وقد أحبه مونك أيضا. تكلما كثيرا. كان كلامهما مضحكاً، ومع ذلك كان من الصعب فهمه.

"هل تتذكرين ما تحدثا عنه؟"، لم يكن لدى ميشيل سوى إحساس ضعيف بأهمية مثل هذا الأمر، لكنها أرادت إبقاء فيجى فى حالة الاسترسال هذه.

"ليس لهذه الدرجة. تحدثا عن ذكريات قديمة منذ زمن طويل".

"فهمت".

"كنت فقط أعزف على البيانو بصوت عال جداً متى أراهما يتحدثان ".

"لكنكِ قلت بأنك أحببت هذا الرجل العجوز".

"بالفعل. كان لطيفاً، لكنه تحدث فى أمور قديمة ولم أكن أفهمه".

"أحيانًا ما يود المسنون الحديث عن ذكريات الماضى، وعلى ما يبدو أن مونك قد وجد فيها ما يهمه".

"لقد عرف العجوز الكثير عن الرياضيات والعلوم، وعرض على مونك بعض الخرائط القديمة، وأنا رأيته مرة يكتب كل تلك الرسائل على قطعة ورق، ويحرص على أن يتأكد من أن أبى يمكنه أن يفهمها".

"أشياء من قبيل الشفرات؟".

"أعتقد هذا".

"لكنكِ قلت رسائل. ظننت أن مونك مهتم بالأرقام فقط؟".

"قال مونك إن التاريخ ملىء بالأرقام، الأرقام المهمة، وقد استعمل آلان تورينج الأرقام منذ زمن مضى ليساعد على إنهاء حرب كبيرة. كان مونك يحكى لى عن ذلك؛ لكنهم استعملوا الأحرف الأبجدية أيضًا".

"هل كان هذا هو ما يتحدث عنه مع العجوز؟ عن آلان تورينج وما فعله أثناء الحرب العالمية الثانية؟".

"أحياناً".

كانت ميشيل قد وصلت إلى درجة من التشويق نفد معها صبرها، وهى غير صبورة بطبعها؛ فوجدت صعوبة فى ألا تصرخ فى وجهها قائلة: "توقفى عن التلاعب بِى وأخبرينى بالحقيقة، أيتها المعتوهة الصغيرة!"...إلا أنها بدلا من ذلك قالت بهدوء:

"ما الذى كانا يتحدثان عنه عادة؟".

لكن فيجى نهضت وهى تقول: "سأسبقك إلى البيت" ثم دارت على عقبيها وانطلقت تركض، لكن ميشيل لحقت بها فى خطوات، لكنها تركتها تسبقها قليلاً وكأن التعب قد لحق بها.

قالت وهى تتظاهر بأن أنفاسها قد تقطعت: "اسمعى يا فيجى، لو استطعت أن أسبقك إلى المنزل فعليكِ أنت تخبرينى عن تلك الشفرات والدماء. أما إذا سبقتنى أنتِ، فأعدك بألا أسألك أبداً هذا السؤال... اتفقنا؟".

"اتفقنا!"، وما إن نطقتها حتى انطلقت فيجى بأقصى سرعة نحو كوخ أليسيا، تاركةً ميشيل خلفها.

اجتازت المنعطف الأخير حيث بدا الكوخ أمامها فى نهاية الطريق. ازدادت بهجتها وهى تزيد من سرعتها، وحينما صارت على بعد عشر أقدام من عتبات الكوخ نظرت لترى ـ وقد غمرتها الدهشة ـ ميشيل أمامها، وكانت ميشيل قد تعمدت أن تتركها

تسبقها بعض الشىء، لكنها فى النهاية وصلت أولاً وها هى ذى تسرع الخطى فوق عتبات الكوخ لتجلس عند العتبة العليا.

توقفت فيجى وهى تحدق فى دهشة: "لقد غششت".

"كيف لى أن أفعل ذلك؟ أنتِ ركضت وأنا ركضت. أنا ربحت. وجاء دورك لتفى بوعدك".

"أنا أحبك يا ميشيل".

فقالت ميشيل بحذر: "لا بأس يا فيجى، ولكن ماذا عن اتفاقنا؟".

عندها تجاوزتها فيجى مسرعةً إلى داخل البيت؛ فتبعتها ميشيل بسرعة، وما إن وصلت إليها حتى وجدت فيجى جالسة إلى البيانو، وقد بدأت تعزف وكأنما أصابها الهوس، وهى تضرب على المفاتيح بأطراف أصابعها. زادت من سرعتها إلى حد جنونى عجزت معه ميشيل عن تتبع ما تعزفه البنت.

"فيجى، أرجوك، توقفى، توقفى...توقفى! فيجى!".

وتوقفت فيجى بعد لحظة، ثم نهضت فى سرعة لتهرول صاعدة فوق الدرج، ثم توقفت والتفتت إلى ميشيل وهى تصرخ! "شفرات ودماء! "، ثم سرعان ما توارت عن أنظارها فى الطابق العلوى. وبعد لحظة سمعت ميشيل صوت باب غرفة نومها وهو ينغلق فى عنف.

وبعد ثوان قليلة كانت أليسيا تشادويك تهرع عبر الدرج وهى بساق واحدة، وتصيح: "يا إلهى، ما الذى يجرى؟".

أبعدت ميشيل يديها عن أذنيها واتجهت إليها قائلة: "لا أعرف بحق الله. لقد أصابها الهوس بغتة وهى تعزف على البيانو".

"إنها لا تصاب بهذه الحالة عادةً ما لم يحدث شىء أو يقم شخص ما بإزعاجها".

كانت أليسيا تتحدث إليها بنبرة اتهام واضحة.

"حسناً، لقد فعلتها هذه المرة من دون أن يمسسها أحد بسوء".

ثم ربتت ميشيل على كتف أليسيا وهى تردف: "لقد يئست، تصرفى أنتِ معها منذ الآن؛ فأنا بحاجة إلى الابتعاد عنها قليلا"، ثم أسرعت الخطى نحو الخارج، مغلقة الباب وراءها فى عنف.

أخبرت ميشيل شين لاحقاً بأن فيجى لم تعد سوى طريق مسدود.

فقال لها: "سيزيد هذا من أهمية ذهابنا إلى داخل كامب بيرى".

"ستصل المعدات التى طلبتها بحلول الغد".

"جيد. سأرتب الأمر معك لاحقاً".

"إلى أين أنتِ ذاهبة؟".

"لقد فشلت مع فيجى، وسأرى إن كان حظى سيكون أفضل مع شامب، ولكن علىَّ أن أرتدى لهذه المحاولة الملابس التى تليق بها، كما تعلم".

"تبهرنى يا ميشيل عزيمتك على كشف الحقيقة".

"وستزداد انبهاراً حينما أسد فمك الساخر هذا بقدمى".

"بينما تعملين أنت على إغواء أكثر الرجال عبقرية فى هذا العالم، سأتابع أنا جولتى فى بابيج تاون لعلى أعثر على شخص شاهد أى شىء عند منزل ريفيست ليلة مقتله. بعدها سأحاول العثور على أية غرفة سرية".

"قلت لك بأنى حاولت ومن دون جدوى".

"لا ضير من أن تبحث عنها عين أخرى".

وبعد ساعتين كان شين قد انتهى من تحريه. لا أحد أبلغ عن رؤية أى شخص مريب، وكأن أحداً فى تلك الليلة لم يكن فى مكان لا يفترض أن يكون فيه. توجه شين وهو مشوش الفكر إلى القصر للغداء فى غرفة الطعام، وهناك رأى فيجى تتناول طعامها

مع بعض الأطفال الآخرين، كما كانت أليسيا تجلس وحدها فى الطرف الآخر للغرفة بينما يطوف المضيفون منهمكين فى خدمة كل هؤلاء العباقرة الجياع.

التحق بأليسيا، وطلب غداءه ثم قال: "هل قمت بتحليل أية أعداد مؤخرا؟".

إلا أن أليسيا قالت له وهى عابسة: "أنا مسرورة لرؤيتك وأنت صافى البال. أين رفيقتك؟ لقد تركت فيجى فى حالة هياج هذا الصباح. ما كانت هذه هى نيتى عندما طلبت خدماتكما".

مال للأمام وهو يرد: "اسمعى، لابد أن تعرفى أنك لم تستأجرينا يا أليسيا، وأننا نعمل لحساب شركة طلب مالك بابيج تاون خدماتها، وأنا لا علم لى بهوية هؤلاء الملاك، ولكننى هنا لكشف النقاب عن قاتل مونك تورينج".

"وهى المهمة التى فشلت فيها تماماً حتى الآن".

"عادة ما يتوارى القتلة عن الأنظار للتأكد من أحداً لن ينتبه إليهم".

"كلامك يبعث الطمأنينة فى النفس جداً".

"عرفت بأن جلسة فيجى مع هوراشيو قد نجحت".

"هذا إذا كنت تسمى خروج فيجى فى منتصف الجلسة نجاحاً".

"وماذا عن الشفرات والدماء التى كانت تتحدث عنها فيجى؟".

داعبت أليسيا كوب الشاى بإصبعها بعصبية وقالت: "لم أسمعها تستعملها من قبل، لكننى أشعر بالخوف لمجرد نطقها بهذه الكلمات".

"وليس لديك فكرة عما يمكن أن تعنيه؟".

"كلا. لقد أخبرت بارنز بنفس الشئ".

"ساعدينى يا أليسيا. إنك تتمتعين بعقلية تحليلية، فاستعمليها".

فتنهدت بعمق وقالت: "هناك الكثير من الشفرات. فهل علم مونك ابنته كيفية وضع الشفرة؟ ربما. هل كانا يتواصلان عن طريقها؟ محتمل. كيف لك أن تفك شفرة من دون أن تعرف ماهية هذه الشفرة؟ لو وجدت لى عينة من هذه الشفرة، فربما أمكننى أن أساعدك".

"وماذا عن كلمة دماء؟".

"إنها دامية بما يكفى لأن يلقى مونك مصرعه".

"صحيح، لكن من المفترض أن مونك كان حياً وقت أن تحدث معها حولها".

"إن فيجى فتاة عاطفية حساسة وعاطفتها غير مستقرة على الإطلاق بالنظر إلى ما تعانيه من مزاج حاد، فإذا كنت تعول قضيتك بأكملها على هذا الذى قالته... حسناً... لا أرى أن هذا بالتصرف الحكيم".

"لو كانت لديك خيارات أخرى... فكلى آذان صاغية".

" تعلم أن لدى ما يكفينى من المهام هنا".

"هل لدى شامب دراية بمن هو صاحب بابيج تاون؟".

"لا أدرى. إلا أننى أعلم أنه يسافر كل شهر فى رحلة تستغرق بضعة أيام. ربما ليلتقى شخصاً ما".

"هذه ملحوظة لافتة. هل يغادر بالسيارة أم بالطائرة؟".

"يستخدم طائرته الخاصة".

"حقاً؟ وأين يحتفظ بها؟".

"عند مدرج طائرات خاص على بعد خمسة أميال من هنا. لقد كنت معه ذات مرة".

"من الجميل أن يمتلك المرء طائرة خاصة".

سكت شين، وبينما كان يرمق إحدى المضيفات التى كانت تحمل صينية طعام خطر له خاطر عجيب. لقد كان يطرح السؤال الخطأ طيلة الوقت؛ فنهض من فوره وسارع الخطى إلى الخارج... تاركاً أليسيا تحدق فيه بكل دهشة.

الفصل

٥٨

اختارت ميشيل سروالاً من الجينز الأسود، وحذاء خفيفًا مفتوحًا، وجونلة بيضاء. وجدت شامب فى مكتبه، وسقط الرجل تقريباً من على كرسيه عندما دلفت ميشيل إلى المكتب بغتة. وتلبيةً لطلبها، صاحبها فى جولة داخل الكوخ رقم اثنين ولم تتوان هى عن توزيع التعليقات، والمبالغة فى إظهار التقدير لكل هذا العمل "المهم" القائم بالمكان. وبينما كان يريها نموذج ماكينة تورينج، مالت منحنية إلى الأمام لتنظر عن قرب أكثر ومع هذه الحركة وضعت يدها على ظهره، متظاهرة بأنها تحاول المحافظة على اتزانها. تكاد الآن تشعر بتلك الكهرباء التى سرت داخل الرجل المسكين. وأدركت أن كل الرجال سواء، فمهما بلغت عبقريتهم إلا أنهم أمام النساء واحد... يكونون سهلى القياد... وأغبياء.

تناولا الغداء داخل غرفة طعام خاصة وصغيرة فى القصر والتى تحجز فيما يبدو لرئيس بابيج تاون .

قالت له ميشيل: "ياله من مشروع هذا الذى تعملون على تنفيذه هنا. كيف صرت مديرا له؟".

قال وهو يتأملها: "أشك فى أنكِ ستهتمين لسماع ذلك".

"إذا كنت كذلك ما كنت لأسألك".

"لقد قمت ببعض الأعمال الرائدة فى هذا الحقل، أولاً فى ستانفورد، وبعد ذلك لاحقاً فى إم آى تى، ونجم عنها إصدار براءات اختراع عديدة، وأطروحتى لنيل الدكتوراه كانت حول ميكانيكا الكم، وقد اعتبرت رائدة فى هذا المجال، وأعتقد أن كل هذا كان له دور فى تعيينى".

"أخبرنى شين بأن ملكية بابيج تاون تعد سراً لا يعرفه أحد".

"بالتأكيد. وهم يدفعون جيداً مقابل تلك السرية".

"الكرم وسيلة فعالة لزرع الولاء".

"كانوا أكثر من مجرد كرماء. لقد منحونى طائرتى الخاصة".

"حقاً؟ إننى لا أجيد قيادة الطائرات لكنى قد طرت كثيراً بالتأكيد، وأنا أحب الطيران".

"يمكننى أن أرافقك فى رحلة جوية فى وقت ما. هناك مناظر رائعة للمنطقة من أعلى".

"سيكون ذلك عظيماً. طالما تتفادى المجال الجوى فوق كامب بيرى، فيما أفترض".

"لا تقلقى؛ فالطيار الآلى فى طائرتى مبرمج على تفادى المجال الجوى لمعسكر كامب بيرى". سكت ثم قال: "يبدو لى أنك مهتمة بى بعض الشىء".

"أنت شخص مثير للاهتمام".

"ربما أحد المشتبه بهم أيضاً".

"أعرف أن لديك حجة غياب خلال توقيت مصرع لين ريفيست".

"كنت أعمل، بلى".

"وكيف حال سير العمل؟".

"لو حالفنا الحظ فسيكون لدينا نموذج أولى جاهز فى وقت مبكر من السنة القادمة".

"وبعدها ينتهى العالم، هذا على الأقل ما أخبرنى شين به".

"كلا. هذا غير محتمل؛ فذلك الحاسوب لن يكون قادراً سوى على القيام بالحسابات الأساسية فحسب. ما زال أمامنا عدة سنوات قبل أن نصدم العالم بما لدينا".

"ذلك وقت طويل للانتظار".

"بل هو قصير جداً فى عالم الفيزياء". قالها وهو ينتهى من شرابه.

سألها هو: "وماذا عن فيجى؟".

"إنها صبية لطيفة، وأنا أحبها، وأتعاطف مع حالتها وظروفها أيضاً؛ فلا يمكن أن أصف ما تعانيه بأنه سهل".

"لم يكن من السهل علىَّ فهم مونك، وكما يقول البريطانيون، فإنه كان يقضى الكثير من الوقت بصحبة نفسه".

"بمناسبة الكلام عن البريطانيين، عرفت أنه سافر إلى إنجلترا مؤخراً".

"هذا صحيح. قال بأنه يحتاج لمعالجة بعض الأمور العائلية".

"هل قال أى شىء لك عندما عاد؟ حول الأماكن الأخرى التى ربما زارها؟".

"ليس الكثير. أعتقد أن بوسعكم أن تعرفوا من خلال جواز سفره - إن كان لديكم". إلا أنه طرقع بإصبعيه وهو يردف فى سرعة: "مهلاً. لا أتخيل أننى قد نسيت هذا الأمر من قبل. لقد أحضر لى هدية. كانت لفتة ذكية منه؛ لأن أحداً لم يكن مرتاحاً لتركه العمل فى ذلك التوقيت للسفر".

"هدية. من أين؟ إنجلترا؟".

"كلا، كانت زجاجة مشروب من ألمانيا".

"ألمانيا؟ هل أنت متأكد؟".

"إنها لدى فى كوخى... إذا كنتِ تودين رؤيتها بنفسك".

لم يكن كوخ شامب على غرار مكتبه؛ فقد كان منظمًا، لكنه لم يكن ليضاهى ذوق شين. وجدت نفسها تحسد هذا الفيزيائى على إتقانه عدم الترتيب.

قادها إلى حجرة مكتب صغيرة تصطف على جدرانها الكتب، وفوق أحد الأرفف كانت هناك زجاجة مشروب. ناولها إياها.

وقال: "هذه هي. لطيفة جدا.

تفحصت ميشيل الزجاجة عن قرب. كانت ذات فوهة مميزة، وعلى جانبها وبنقش بارز تصوير للأماكن المشهورة من المدن الألمانية الرئيسية. قلبتها لتنظر فى قعرها وقالت: "ليس عليها ما يبين المكان الذى اشتراها منه؛ ولكنها مصنوعة فى ألمانيا وحسب".

"هذا صحيح. أعتقد أن من الممكن أن يكون قد أتى بها من أى مكان".

"هل بالإمكان أن أحتفظ بهذه؟".

"كما تشائين، إذا كان هذا سيقربنا إلى الحقيقة أكثر؛ فأنا أتمنى أن أساعدكم بأية طريقة".

"هناك شيء يمكنك القيام به". بدا عليه الترقب، قبل أن تردف قائلة: "يمكنك أن تدع هوراشيو بارنز يبقى فى بابيج تاون".

بدا شامب مندهشاً من هذا، إلا أن ميشيل أضافت فى سرعة: "مجرد غرفة ووجبات الطعام، فسيعنى هذا الكثير بالنسبة لى".

"حسنا، أعتقد أن لا ضير من هذا"، قالها ببطء.

"شكراً يا شامب، أقدر لك هذا. وبالمناسبة، فلقد رأيت زى فنون الدفاع عن النفس على باب مكتبك، فأى فن منها هو الذى تمارس؟".

"التايكوندو. أحمل الحزام الأسود. وأنتِ؟".

"لا أجيدها"، كانت تكذب.

وبينما سارا إلى الخارج حيث أشعة الشمس، قال لها شامب: "يمكننى أن أصحبك بعد غدٍ فى حوالى الساعة التاسعة...إذا كان الطقس جيداً". عدل من وضع نظارته، قبل أن يردف: "أوه، وفى طريق عودتنا سنقصد مطعماً صغيراً لطيفاً أعرفه...لديهم هناك قائمة أطعمة ممتازة".

تأملت ميشيل الرجل النحيف، طويل القامة. بدا لها أنه يمتلك القوة الطبيعية التى تمكنه من قتل ريفيست باستعمال ذراع المحبس فى إبقاء الرجل تحت سطح الماء حتى غرق؛ ولكن وكما قال شين، كانت لدى شامب حجة غياب وقت وقوع جريمة القتل.

أم أن حجته هذه مزيفة؟

الفصل

٥٩

قال هوراشيو: "يبدو لى أنك الخبير المقيم فى كامب بيرى هنا؟". كان يجلس قبالة فريمان داخل مكتب هذا الأخير.

فقال ساوث فى مرارة: "أجل، لكن لا أحد هذه الأيام يريد سماع أحد...دع وكالة المخابرات المركزية تفعل ما تريد بحق الله. أحاول أن أبقى على صمتى هذه الأيام؛ فالأجواء متوترة".

"الحقيقة أن أكثر الأمريكان يرغبون فى الأمان بكل الوسائل الممكنة".

"ماذا؟...لا تجعلنى أساير ذلك المنطق؛ فلن يكون هذا بالأمر الجميل".

سرد عليه هوراشيو سريعاً ما أخبره به شين حينما كان هو وميشيل فى زيارة ساوث فريمان ثم أردف: "وهو الآن يريد معرفة تاريخ ذلك المكان من الجوانب التى قد لا تكون معروفة لأحد".

"أليس صاحبنا مهتماً بمصرع مونك تورينج؟" فأومأ هوراشيو برأسه، فقال ساوث: "حسناً، وأنا أيضاً. ولو أن أية معلومة أدلى بها ستساعد على حل هذه القضي؛ فأنا أريد انفراداً حصرياً، وأنا أعنى حصرياً بمعنى الكلمة، فهذا كفيل بأن يعيد لصحيفتى الأسبوعية مكانتها الضائعة، هذا شرطى يا رجل".

"لست متأكداً من أن بوسعى الحديث نيابةً عن شين فى هذا الصدد".

فتجهم وجه فريمان على الفور وقال: "اخرج من هنا إذن. فأنا لا أسدى الجميل دون مقابل؛ ليست هذه هى مبادئى".

تردد هوراشيو للحظة ثم قال: "حسناً، قرارى هو أننا لو توصلنا إلى حل القضية عن طريق معلومات أعطيتنا إياها فإنك ستحصل على القصة حصرياً، ويمكننى أن أدون هذا الاتفاق كتابةً لو أردت".

"كتابةً كهذه لا تساوى شيئاً مع وجود كل هؤلاء المحامين البارعين". ومد يده إلى هوراشيو يصافحه قائلاً: "أحب أن أنظر للرجل فى عينيه وأحمله مسئولية عهوده، ولو حنثت بعهدك فيما بعد فسأعرف كيف أقتص لنفسى منك".

رد هوراشيو ممازحاً: "أنت رجل عذب اللسان بالفعل".

قال له ساوث: "فما الذى تهتم به حقاً؟".

"حسناً، ما رأيك فى أن نتتبع التاريخ بتسلسل زمنى؟ إننى أعرف بعض المعلومات عن وكالة المخابرات المركزية وكامب بيرى، لكن ماذا عن الفترة التى سبقت هذا؟ أعلم أن البحرية قد دربت أفرادها هناك خلال الحرب العالمية الثانية. لكن هل كانت هناك أمور أخرى تجرى هناك؟".

"أوه، أجل، هناك الكثير مما جرى. ومثلما أخبرت رفيقيك، فقد كانت هناك بلدتان، ماجرودر وبيجلر ميلر، ولقد سميت ماجرودر على اسم أحد جنرالات الاتحاد الفيدرالى؛ ويبدو أنه قد كان اتجاهاً سائداً وقتها"، ثم قال متهكماً: "ربما كان منطق أبوىَّ مختلفاً حينما أسمونى ساوث (جنوب)".

"ساوث فريمان (رجل الجنوب الحر) يا للذكاء!".

"أجل. على أية حال، فقد بنيت بيجلر ميلر فى موقع مستشفى أنشئ فى أثناء الحرب الأهلية؛ لذا فقد كان المسرح مهيئاً عندما جاءت البحرية".

"أتساءل عن السبب الذى دفع الجيش إلى اختيار تلك المنطقة بالذات؟".

"أتعنى سبباً خلاف أنها أرض يشغلها أناس ملونون لا يعتد برأيهم؟ حسناً، الأرض رخيصة، والمياه قريبة ـ لا تنس أننا نتحدث عن القوات البحرية ـ كما أن شركة السكك الحديدية قد أقامت خط سكك حديدية يمتد حتى ويليامسبرج وأقاموا محطة فى ماجرودر".

"وما الداعى إلى ذلك؟ لجلب البحارة والتجهيزات إلى هناك؟".

"نعم. أكثر الناس لا يدرك أن السكك الحديدية وقتها كانت أهم وسيلة مواصلات فى البلاد؛ ولكن كان هناك سبب آخر".

"ما هو؟".

"عندما أدارت البحرية المكان أقامت كذلك معسكر اعتقال".

"معسكر اعتقال؟ أتعنى سجناً للجنود الأمريكان ممن ارتكبوا الجرائم؟".

"كلا. بل كان لأسرى الحرب الألمان".

"ألمان؟".

"كانوا بحارة فى الغالب. جاءوا بهم من الغواصات والسفن التى كانت تغرق عند الساحل الشرقى، وكان المجنون هتلر يعتقد أنهم قد قتلوا بالطبع، ومن هنا جاءت بداية سرية المكان، فلم ترغب الحكومة فى أن يعرف أى شخص أن أولئك الألمان محتجزون هناك".

فقال هوراشيو: "لماذا؟ ما هى أهمية ذلك؟".

فأشار إليه ساوث وهو يبتسم ابتسامة عريضة: "ها قد وصلنا إلى السؤال الأهم، أليس كذلك؟".

"من الواضح أنك قد فكرت فى هذا الموضوع. فما هو رأيك؟".

"حسناً، هناك سبب واضح. فإذا كنا نحصل من أولئك الأولاد على اعترافات، كأن يفشوا أسراراً، أو أن نحرز كتب فك شفرة

إنيجما التى كانت البحرية الألمانية تستعملها. فإن هتلر وأزلامه سيبذلون المستحيل لقتلهم، ولم يكونوا يجدون صعوبةً فى ذلك؛ فقد هناك الكثير من الجواسيس والقناصة الألمان وقتها. ويبدو لى وعلى أقل تقدير أن مسار الحرب الأطلسية قد تغير منذ أن ظهر أولئك الأسرى فى كامب بيرى؛ فأنا أراهن بأن هؤلاء الأسرى قد أجبروا على كشف أسرار شفرة إنيجما".

"وماذا حدث لهؤلاء الأسرى بعد انتهاء الحرب؟".

"أحسب أن البعض منهم عاد إلى ألمانيا. أعنى أنه لم تكن هناك جدوى بعد الحرب من الاحتفاظ بهم، لكننى لا أعتقد أن كلهم عادوا إلى ألمانيا. لم يكن هناك وقتها سوى الغبار والأنقاض والفوضى، كما أن الناس قد اعتقدوا بأنهم موتى على أية حال، لذا أعتقد أن البعض منهم قد قرر البقاء فى أمريكا".

واصل ساوث استرساله بينما كان هوراشيو يستوعب ويختزن هذه المعلومات: "الحرب انتهت، وغادرت البحرية المكان، الذى تحولت أراضيه إلى محمية تابعة للدولة، ثم عادت البحرية مرة أخرى فى العام ١٩٥١، وأغلقته، وبقى مغلقاً أمام الجمهور منذ ذلك الوقت".

"استولت وكالة المخابرات المركزية على المكان فى يونيو من العام ١٩٦١ بالرغم من أنه ما زال يدرج رسمياً كقاعدة عسكرية. تجد مفارقات عديدة حينما تفكر فى ذلك التاريخ".

عندها تحفزت أعصاب هوراشيو؛ فقد أخبره شين بأن مونك تورينج قد استخدم هذه الكلمة أيضاً بينما كان بصحبة لين ريفيست يمران على كامب بيرى وهما بالنهر يصطادان السمك.

"مفارقات؟ وكيف ذلك؟".

"كان هذا بعد شهرين من مهزلة وكالة المخابرات المركزية فى خليج بيجس فى كوبا، وفى ذلك الوقت كانت البحرية قد أعلنت عن الافتتاح الرسمى لمرفق جديد ليحل محل ما أسموها قاعدة (سيمستر)، وحولوا بعض تدريباتهم إلى هناك من قبيل

المتفجرات والأسلحة غير التقليدية، إلى منطقة أخرى؛ لكن ذلك كله كان كلامًا فارغًا؛ فأنا متيقن من أن يونيو ١٩٦١ هو التاريخ الذى شهد تحول كامب بيرى إلى مدرسة رئيسية لتخريج جواسيس وكالة المخابرات المركزية. كانوا محرجين بالطبع بعد فشلهم فى خليج بيجس، وأحسب أنهم قد احتاجوا لمكان لتدريب أفرادهم على أداء عملهم على الوجه المطلوب. أجل، بعد تلك الأزمة مباشرةً، لكن هذه لم تكن المفارقة الوحيدة".

"وهل هناك أخرى؟".

"أخبرتك بأن البلدة قد سميت على اسمٍ جنرال من الجيش الاتحادى قديماً؟ الحقيقة أنه كان أميراً يدعى " الأمير جون ماجرودر" ، كان واحداً من أمراء الدهاء الحقيقيين فى أثناء الحرب. وصارت البلدة التى تحمل هذا الاسم مأوىً لأناس يكسبون لقمة عيشهم من الكذب".

"الآن أرى ما تقصده. تلك هى المفارقة بالفعل". كان هوراشيو يظهر فهمه لها بالرغم من أنه لم يستطع أن يتبين الرابط بين كل هذا الكلام وبين ما قاله مونك لريفيست ذلك اليوم، ثم قال: "هل هناك أمر آخر؟".

تلفت ساوث فريمان حوله بالرغم من أنهما كانا وحدهما، وقال: "كدت أهم بإخبار أصدقائك بهذا، لكننى غيرت رأيى، ولكننى الآن لم أعد آبه لشىءٍ. هناك جزء فى كامب بيرى لا يعرف عنه أكثر الناس شيئاً، بل ربما بعض العاملين هناك أنفسهم".

"فكيف تعرفه أنت إذن؟".

"ألا يحتاج هؤلاء إلى من يعمل على إعداد الطعام وتنظيف المكان لهم؟ حسنا...أنا أعرف عددًا من الطهاة وعمال النظافة هناك. أغلبهم من بنى جلدتى...فما رأيكم فى هذا؟".

شجعه هوراشيو على الاسترسال فى حديثه قائلاً: "جميل... تابع كلامك".

"يوجد فى المعسكر بقعة سوداء، وأنا هنا لا أقصد سواد لون الجلد، بل الغموض. هناك يكمن الجانب السرى من الدبلوماسية الأمريكية".

"دبلوماسية سرية؟".

"أجل...هذا ما يدور طيلة الوقت. زعماء الدول الأخرى، والعملاء، والمتمردون، والطغاة، بل وحتى الإرهابيون الذين يعملون لصالحنا - حتى الآن على الأقل - يتم إحضارهم على متن طائرات لا تأتى إلا بعد منتصف الليل، وهم لا يمرون على جهات الجمارك أو ما شابه. ونحن قبل أن نحتل العراق أتينا بعصبة من قادة الأكراد إلى تلك (المزرعة) وعقدنا معهم اجتماعات حول سبل القيام بقلب نظام حكم صدام من الداخل".

قال له هوراشيو فى دهشة: "ومن أين لك بهذه المعلومات يا ساوث؟".

بدا الضيق على محيا ساوث وهو يقول: "أنسيت أنى صحفى أيها الرجل؟".

تراجع هوراشيو للوراء محرجاً.

إلا أن فريمان نظر إليه فى خبث وهو يردف سريعاً: "الأمر يبعث الخوف فى النفس يا صاح".

ولم يجد هوراشيو بداً من أن يوافقه الرأى قائلاً: "معك حق...إنه لأمر يبث الرعب فى النفس".

الفصل

٦٠

عندما التقى شين بميشيل لاحقاً قال لها: "لم تحن لى الفرصة لكي أبحث عن الغرفة السرية؛ فهل تريدين أن نجرب حظنا معاً؟".

وبعد دقائق قليلة كانا داخل القاعة الرئيسية بالقصر. انتظرا حتى يخلو المكان، ثم بدآ جولتهما، وكانا قد انتهيا من قرابة عشر غرف، وانتهيا للتو من تفتيش المكتبة، عندما باغتهما صوت وهما فى طريقهما إلى الخارج.

فالتفتا ليجدا أنها فيجى، وهى تحدق فيهما جداً بينما جثمت على أريكة مزخرفة عند أحد جدران القاعة الرئيسية.

سألتها ميشيل: "ألا يفترض بكِ أن تكونى فى المدرسة؟".

"أنا مريضة".

"لا يبدو عليكِ المرض".

"لقد أنهيت كل فروضى، بما فى ذلك فروضى المنزلية، ورأيتكما تتلصصان فى أرجاء المكان".

صاح فيها شين معترضاً: "نحن لا نتلصص فى أرجاء المكان".

"تبحثان عن تلك الغرفة السرية التى سألتمانى عنها، لكنكما لا تبحثان بشكل صحيح".

"حسناً، فكيف كنت تبحثين عنها؟"، هكذا بادرها شين.

جاوبته فيجى بأن رفعت عدة أوراق مملوءة بالأعداد والمعادلات وقالت: "لقد حللت اللغز بالفعل. ما إن سألتنى عنه حتى قضيت وقتاً فى قياس كل أبعاد المخارج والداخل لهذا المكان وقارنتها بالتوصيفات المادية الحقيقية".

فقال لها شين مذهولاً: "أنت فعلتِ هذا...إنكِ لا تزالين فى الحادية عشرة من عمرك".

تجاهلت فيجى تعليقه قائلة: "وتوصلت إلى اكتشاف مثير".

سألتها ميشيل: "وما هو؟".

"هناك اثنتا عشرة قدماً مربعة غير محسوبة". قالتها وهى تريها ما دونته على الورق، والذى كان أعقد من أن يفهمه شين أو ميشيل.

فقال لها شين: "حسناً، آنسة آينشتاين الصغيرة...أين هى؟".

"فى الطابق الثالث، الممر الغربى، بجانب غرفة النوم الأخيرة على اليمين".

فكر شين فى هذا، ثم قال: "إنها تقع مباشرة بجانب غرفة النوم التى أقيم بها".

وضعت فيجى يديها فى حجرها وهى تحدجه بنظراتها، ثم قالت: "هكذا...وهل تعتقد أنك كنت ستلحظها من تلقاء نفسك يا سيد آينشتاين".

توجه شين سريعاً نحو الدرج، وتبعته ميشيل وفيجى بسرعة.

وبعد دقيقة كانوا يقفون فى الطابق الثالث يحدقون فى الجدار الخاوى.

قال لهما شين وهو يمسح المكان بعينيه: "راقبا المكان" ثم بدأ بتحسس الحائط بأصابعه، محاولاً إيجاد فجوة فى الخشب أو مزلاج خفى مثل الذى كان فى القصر الآخر.

إلا أنه وبعد عشر دقائق من البحث استسلم قائلاً: "لا أستطيع العثور على أى شىء، أتودين التجربة؟" وكان قد سأل ميشيل.

وبدورها وبعد عشر دقائق أخرى قالت: "لا شىء".

سألها شين: "فيجى، هل أنت متأكدة من أنها هنا؟".

"بالتأكيد، "، قالتها بشكل مقتضب.

"حسناً، إما أنه فراغ عادى وليس هناك غرفة سرية أو أن هناك طريقة أخرى لفتح بابها".

فقالت له ميشيل: "شين، لقد قلت بأنها إلى جوار غرفة نومك.. فدعنا نحاول من هناك".

"صحيح!". سبقهما إلى داخل غرفة النوم وبدأ بالنقر على الحائط قائلا: "يبدو مجوّفاً". تقصّى الحائط بحثاً عن عتلة من نوع ما لكنه لم يجد شيئاً، فذهبوا إلى الغرفة التى على الجانب الآخر من الجدار، لكن بابها كان مثبتاً جداً.

فقالت ميشيل: "حسنا، ماذا نفعل الآن؟ لا نستطيع بالقطع أن نحدث فتحة فى الحائط من دون أن يلاحظها أحد... ثم ماذا لو كان هنا بالفعل غرفة سرية. ربما كانت بدورها فارغة مثل تلك التى فى ذلك القصر القديم".

"ميشيل، لقد تحدّثنا عن هذه، فإذا كان ريفيست محقاً وكان هناك جواسيس بالمنطقة، فيمكن أن يستعملوا تلك الغرفة لسبب ما".

عندها صاحت فيجى فى دهشة: "جواسيس!".

فحذرها شين بسرعة: "أبقى الأمر سراً".

بينما سألته ميشيل: "ولماذا يستعمل الجواسيس هذه الغرفة السرية؟".

فأجابها شين بصبر فارغ: "لو كنت أعلم لما حاولت البحث عنها من الأصل".

"ولا يبدو لى أننا سنستطيع العثور عليها الآن".

ثم التفتت إلى فيجى قائلة: "نشكرك على هذه المساعدة. لم يكن من الممكن أن نتوصل إلى ما توصلت أنتِ إليه".

تهللت أسارير فيجى وهى تنظر إليها.

الفصل

٦١

شكر هوراشيو فريمان وعاد إلى المصحة، وعندما وصل إلى هناك تفحص هوراشيو الرسائل الصوتية التى وصلت إلى مكتبه. كان هناك عدد كبير منها نسبياً، لكن واحدة فقط هى التى استرعت انتباهه، فسارع بالاتصال بها.

"مرحبا؟".

"السّيدة روز؟ هيزل روز؟".

"لحظة واحدة، هى فى الفراش المجاور".

انتظر هوراشيو بضع لحظات وهو يسمع صوت تبادل سماعة الهاتف، ثم أتاه صوت جنوبى عميق عبر الخط.

"مرحبًا؟ من معى؟".

"سيدة روز. أنا هوراشيو بارنز. لقد تلقيت رسالتك للتو".

"أوه، نعم، سيد بارنز. أردت أن أشكرك لأجل ما قمت به. لقد نقلونى إلى تلك الدار التى حدثتنى عنها. حقاً لا أستطيع تصديق ذلك. لديهم هنا مكتبة بها كتب حقيقية وليس مجرد مجلات".

تضاءل حماس هوراشيو؛ فقد كان يعتقد أن الأمر يتعلق بطفولة ميشيل، ثم قال: "حقًا. بالتأكيد. أنا مسرور لأجلك. أعرف بأنك ستكونين أسعد كثيراً هناك. شكراً لاتصالك".

"تمهل؛ فلم يكن هذا هو السبب الوحيد الذى دعانى للاتصال بك".

تحفزت حواس هوراشيو على الفور وقال: "ما الأمر؟".

"لقد تذكرت شيئاً آخر. لا أعرف إن كان سيساعدك، ولكننى رأيت أن أخبرك به".

"أخبرينى الآن يا سيدة روز؛ فأنا أنتظر منكِ أى شىء".

خفت صوت هيزل روز حتى صار همساً، ربما حتى لا تسمعها شريكة غرفتها: "تذكر بأننى قلت لك إن فرانك ماكسويل قد التحق بالكلية ليدرس بها دراسة ليلية تمكنه من نيل درجة الماجستير ليلتحق بقوة شرطة أعلى؟".

"أتذكر هذا. ومع رحيل إخوة ميشيل عنها، صارت تعانى من الوحدة".

"حسناً... لا أعتقد أن ميشيل كانت الوحيدة التى عانت من الوحدة فى ذلك البيت".

"ماذا تعنين؟".

"أرجو أن يكون سرًّا".

"أقسم لك إنه سيبقى سراً، والآن رجاءً أخبرينى".

سمع صوت تنهيدة طويلة وبعدها قالت: "فى تلك الفترة التى حدثتك عنها، كنت - وعلى الأقل لمرة واحدة كل أسبوع - أرى سيارة تتوقف عند نهاية الطريق المفضى إلى منزل آل ماكسويل".

"سيارة؟".

"الحقيقة أن هذا الأمر لم يسترعِ انتباهي، كما أنها لم تكن تتواجد فى الصباح وقت توجه زوجى إلى العمل. أعرف هذا لأننى أكون مستيقظة لأعد له فطوره".

"ألم تكتشفى أبدًا هوية صاحب السيارة؟".

"كلا. لكننى رأيت السيارة فى مكان آخر ذات مرة. كانت متوقفة خارج متجر دايرى كوين".

"وهل رأيتِ من كان يقودها؟".

"نعم. كان رجلاً وسيماً، يرتدى زياً رسمياً".

"أى فئة من الأزياء الرسمية؟".

"الجيش".

"وهل كانت هناك قاعدة عسكرية فى مكان قريب منكم؟".

"كلا، لكن كان هناك مركز تجنيد فى البلدة".

"تعتقدين إذن أنه كان يعمل بالجيش؟".

"ربما. أنا لم أقم بتتبع أخباره؛ فلم يكن هذا من شأنى".

"ولكن...ما الذى دفعك إلى الاعتقاد بوجود علاقة بين تلك السيارة ومنزل آل ماكسويل؟".

"لم يكن هناك وقتها سوى منزلهم ومنزلنا فى الشارع. كانت هناك منازل صغيرة أخرى ولكنها كانت لزوجات لا يعود أزواجهن من العمل إلا ليلاً".

"ألم يكن فرانك ماكسويل يعود ليلاً بدوره؟".

"هذا صحيح. ولكن السيارة لم تكن موجودة فى الليالى التى يكون متواجداً أثناءها بالمنزل".

"هل أنتِ متيقنة من ذلك؟".

"كل يقين".

فقال لها فى شك: "ولكنكِ لم تتذكرى هذا إلا الآن؟".

"بل كنت متذكرة إياه وأنت لدى، ولكننى لم أرغب فى فتح تلك الصفحة، فما هى الفائدة من وراء ذلك؟".

"وما الذى غيَّر رأيك إذن؟".

"كلما فكرت فى الأمر ملياً، رأيت أن الحقيقة – مهما كانت – كفيلة بمساعدة ميشيل. كانت طفلة صغيرة وقتئذ. وأياً كان ما حدث أيامها فمن المؤكد أنه لم يكن خطأها".

"وماذا يمكن أن يكون قد حدث؟...فى اعتقادك أنتِ يا روز".

"هذا ما لا يمكننى التصريح بظنونى بشأنه، سيد بارنز. عليك أن تعرفه بنفسك، وأتمنى أن تساعدك هذه المعلومة. هل نقلت لميشيل تحياتى؟".

"نعم، وهى تتذكركِ جيداً".

تهدج صوتها قليلاً وهى تقول: "إننى لا أتمنى لهذه الفتاة إلا كل خير".

شكرها هوراشيو، وأغلق الخط ثم أراح ظهره للوراء فى المقعد. فما عرفه للتو هو آخر شىء يود أى إخصائى نفسى التعامل معه...آخر شىء على الإطلاق!

الفصل

٦٢

لاحقاً فى تلك الأمسية انتقل هوراشيو إلى غرفة خاوية بالقصر فى بابيج تاون بعدما أخبرتـه ميشيل بـأن شامب قد سمح لـه بالإقامة فيه.

قال لها: "إنها مفاجأة".

علقت قائلة: "حتى العباقرة يغيرون رأيهم".

"كلا، إنها مفاجأة أنكِ قد طلبت منه ذلك".

"وكيف علمت بأنى قد طلبت منه ذلك؟".

وبعدما أفرغ حقائبه طلب هوراشيو من شين موافاته بغرفته. وهناك أخبره بما تم مع ساوث وما أخبره بـه من معلومات عن كامب بيرى والأسرى الألمان أثناء الحرب، وكذلك عن محادثته الهاتفية مع هازيل روز. فكر شين فى هذه الجزئية الأخيرة، ثم قال: "وما رأيك أنت؟".

"رأيى؟ رأيى هو أن والدة ميشيل كانت تقيم علاقة غير شرعية مع ذلك الضابط".

"هذا ما أتصوره بدورى، ولكنى قصدت علاقة هذه المعلومة بالتغير الذى طرأ على شخصية ميشيل؟".

أقر هوراشيو قائلا: "لست متيقنا من طبيعة هذه العلاقة".

"ألم تخبرك هازيل عن الفترة التى توقف عندها ذلك الضابط عن الحضور؟".

"كلا، ولكنى لم أسألها".

نظر الرجلان إلى بعضهما البعض وقال شين: "هل تعتقد أن ميشيل قد رأت شيئاً؟"، فأومأ هوراشيو برأسه إيجاباً، فقال شين: "مثل ماذا؟".

"إنه مجرد تخمين، ولكن لابد أنه أمر... سيئ. ربما شاهدت أمها فى الفراش مع ذلك الرجل؛ ولكن ما أفكر فيه حقاً أسوأ من ذلك. لم يصدق أخوها بيل أن تلك هى الحالة، ولكننى أعتقد أن هذا الرجل قد تعدى عليها جنسياً".

فنظر شين إليه فى شك: "وهل كانت أمها ستسمح بحدوث ذلك؟ كن منطقياً!".

"صدقنى، لقد صادفت هذا من قبل؛ وربما لم تكن الأم تعرف بهذا، أو أنها لم ترد أن تعرف طالما أن الرجل لم ينقطع عن زيارتها".

"ما مدى تأثير ذلك على طفلة فى السادسة من عمرها؟".

"وهى ترى أمها فى الفراش مع رجل آخر؟ ربما فى تلك السن لن تفهم أكثر من أن هذا الرجل هو غريب مع أمها، ولو كانت أمها سريعة البديهة وسارعت بتفسير وجوده بطريقة ما؟ ولكن بالنسبة للتعدى الجنسى؟ هذا يمكن أن يكون مدمراً فى تأثيره، وخاصةً لو كانت أمها متواطئة فى هذا".

"لا يمكننى أن أصدق هذا يا هوراشيو. لقد كانت ميشيل ناجحة جداً فى حياتها؛ فهل كان يمكنها أن تحقق هذا وهى تحمل مثل هذه المأساة على كاهلها؟".

"أحياناً ما يدفع مثل هذا التعدى الإنسان إلى أن يكون طموحاً ويعمل على تحقيق إنجاز كبير، إلا أن هذا النجاح قناع يخفى صورة مغايرة تماما؛ فهو يمثل اختلالاً كبيراً فى الحياة، ويمكن لهذا الاختلال فى وقت ما أن يدمر كل شيء".

فعلق شين قائلاً: "هذا أشبه بما حدث لميشيل".

"أعلم هذا".

نظر شين عبر النافذة وهو يقول: "ماذا لو أن ميشيل كانت قد رأت والدتها مع رجل آخر، أو أنها قد تعرضت لاعتداء من قبل هذا الرجل، ومن ثم أخبرت والدها عما حدث؟".

تنهد هوراشيو تنهيدة قلقة طويلة، ثم قال: "عندها نكون بصدد اختلال عقلى خطير. قالت هازيل إن ذلك الضابط قد توقف عن المجىء، فربما كان هذا الذى منعه عن المجىء هو الموت".

فبادر شين قائلاً: "مهلاً. ضابط عسكرى! أتذكر ذلك الرجل الذى اعتدت عليه فى المقهى. لقد كان يرتدى زياً عسكرياً حينما رأته".

فقال هوراشيو بحذر: "هذه معلومة لها مغزاها".

"ما الذى تقصده بالمغزى؟".

"لقد تحدثت مع أناس عملوا مع ميشيل على مدار سنوات، وكذلك مع أصدقائها، وزملائها الرياضيين، وبعضهم تحدث عن مشاجرات كانت هى طرفاً فيها".

"دعنى أخمن. كان جميع من تشاجرت معهم من العسكريين؟".

"نعم، على قدر ما علمت".

"علينا يا هوراشيو أن نتبين ما حل بذلك الضابط".

فقال هوراشيو: "لست متأكداً من أن هذه بالفكرة الجيدة".

"منذ متى كانت الحقيقة فكرة ليست جيدة؟".

"هذه ليست واحدة من تحقيقاتك يا شين. نحن نتحدث عن عقلية إنسان، وأحياناً ما تضر الحقيقة أكثر مما تنفع".

"أعتقد أننا نحتاج على الأقل إلى أن نعرف حتى يمكنك أن تقرر خطوتك التالية معها؛ فقد أخبرتنى بأنك تنتوى تنويمها مغناطيسياً، فلو قمت بهذا وبدأت تطرح عليها الأسئلة فربما

انتهى بك المطاف عند بقعة لا تود أن تكون عندها؛ فمن الأفضل أن تعرف كل الحقائق قبل القيام بهذه الخطوة".

فقال هوراشيو: "أنت محق فى الواقع، ولكن كيف يمكن أن أصل إلى هذا الذى تطلبه؟".

"أراهن على أن لدى ساوث فريمان من الصلات ما يمكنه من إرشادك إلى شخص فى تينيسى بوسعه مساعدتك".

"سأهاتفه".

قاطعهما طرق على الباب. كانت ميشيل، والتى سرعان ما لاحظت ذلك التجهم البادى على وجهيهما.

فقالت: "أنتما أشبه بشخصين يرتبان لجنازة وللذهاب إلى الحرب فى الوقت ذاته".

رد شين بسرعة: "لقد كان هوراشيو يسرد على تفاصيل لقائه مع ساوث فريمان، ويبدو أن تلك الطائرات السرية تجلب أناساً لا يود أحد أن يفصح عن وجودهم من الناحية الرسمية. لديهم منطقة سرية هناك خاصة بما يسمونه بالدبلوماسية السرية".

فعلقت ميشيل قائلة: "ومن المفترض أنه سر تسبب فى موت مونك تورينج حينما صار شاهداً عليه".

إلا أن شين تابع كلامه قائلاً: "ليس هذا كل شىء؛ فمن قبل إنشاء كامب بيرى كانت القوات البحرية تحتجز هناك أسرى حرب من الألمان".

فقالت ميشيل: "أسرى من الألمان؟ هذا أمر مدهش؛ فلقد أرانى شامب زجاجة مشروب من ألمانيا، وأخبرنى أن مونك قد أهداها إليه".

جلس شين إلى مقعده وهو يقول: "إذن فقد ذهب مونك تورينج إلى ألمانيا؟".

"الحقيقة أن من غير الممكن أن أكون متيقنة تماماً من هذا، إلا أنه أحضر الزجاجة معه وهو عائد من رحلته إلى الخارج أثناء عمله هنا. بوسعى أن أجرب وأتبين ما إذا كان مونك قد توجه إلى

ألمانيا من خلال التحدث مع المأمور هايز، فربما يقنع فينتريس بأن نلقى نظرة على جواز سفر مونك".

فقال شين وهو غارق فى أفكاره: "ألمان فى كامب بيرى، بينما يزور مونك ألمانيا".

أما هوراشيو فسألها: "ما الذى أخبرك به شامب عدا ذلك؟".

أخبرته ببقية ما عرفت ثم أردفت: "ومن الواضح أنه قد صار متيماً بى".

فقال لها شين فى صرامة وهو ينظر إلى هوراشيو نظرة ذات مغزى: "حطمى وجهه لو حاول معكِ أى شىء".

فقال هوراشيو "ربما لا تكون المهمة بهذه السهولة؛ فهو حاصل على الحزام الأسود فى التايكوندو".

ثم أضاف: "كما أن الرجل يقود طائرته الخاصة بنفسه، كما أخبرتنى أليسيا".

"الحقيقة أنها ليست ملكه، بل هى ملك بابيج تاون، والجديد هو أننى سأطير على متنها معه بعد الغد".

"لست مرتاحاً لفكرة أن تكونى وحدك مع هذا الرجل على ارتفاع خمسة عشر ألف قدم".

"لست مهتمة بذلك مثل اهتمامك أنت به".

"أعلم أن بجعبته حجة غياب وقت مقتل ريفيست ولكن...".

"كلا...قد لا يكون لديه تلك الحجة".

فقال شين: "ما الذى تقولينه. لقد تحققت من سجل الحاسوب. كان بالكوخ رقم اثنين حتى الثالثة صباحاً".

"ربما امتلك شامب صلاحيات فيما يتعلق بمنظومة الأمن، كما أنه عبقرى. هل تقول لى بأن شخصاً بمثل هذه الصفات لا يمكنه التلاعب بسجل حاسوب بسيط؟".

بدا الضيق عليه وهو يقول: "لم أفكر فى هذا".

"هل تحدثت مع شخص كان موجوداً تلك الليلة حتى يؤكد ما دونه سجل الحاسوب؟".

"كلا، ولكننى سأعمل على تصحيح هذا الخطأ من فورى. صيد طيب يا ميشيل".

"يوم لك ويوم عليك".

"الحقيقة أننى غير مرتاح لوجودك فى الطائرة مع هذا الشخص".

"أعلم هذا، ولكنك ستتغلب على هذا الأمر".

فقال: "عليكِ أن تتبينى أية معلومة يرد ذكرها، وتذكرى بأنى قد سألت الناس عما إذا كانوا قد رأوا أى شىء غير عادى خلال الليلة التى لقى فيها ريفيست مصرعه".

فقالت ميشيل، "ولم ير أحد شيئاً".

"فى الحقيقة، لقد عدت وطرحت عليهم سؤالاً مختلفاً قليلاً. سألتهم عما إذا كانوا قد رأوا أى شخص يحوم حول كوخ ريفيست، بما فى ذلك الأشخاص الذين من المعتاد أن يكونوا هناك".

فقال هوراشيو: "لم أفهم مقصدك".

وعندها قالت ميشيل: "يقصد علماء آخرين، حراساً، وأشخاصاً من هذا القبيل"

فأردف شين: "وعمال النظافة...لقد رأى أحد الحراس عامل نظافة فى زيه الرسمى وهو يدفع عربة مغسلة فى الطريق نحو الكوخ عند حوالى الساعة الواحدة صباحاً".

نظر كلاهما إليه دون تعليق.

"ألم تتبينا ما أعنيه بعد؟ هل هناك وسيلة أفضل من هذه لنقل المناشف المبتلة، ودواسة الحمام ومقبض محبس المياه...أتوجد وسيلة أفضل من عربة المغسلة؟".

كانت ميشيل أول من تكلم: "ليست هناك وسيلة أفضل. كانت فكرة جيدة بالفعل".

بينما تحدث هوراشيو بهدوء قائلاً: "إذن فمن قتل ريفيست هو واحد من عمال النظافة".

"كلا، فهو على الأرجح شخص متنكر في زيه، وقد تفحصت وحدة المغسلة، فلم أجد أية مناشف مبتلة أو دواسات حمام أو مقابض هناك".

فقال هوراشيو: "لكن إذا كان هذا هو الحال فلابد أن قاتل ريفيست امرأة...أعنى أنه سيكون من الأسهل جداً لامرأة أن تتنكر في زى إمرأة أخرى، ما رأيكم؟".

عندها هز شين رأسه نفياً وقال: "أنا لم أقل إنها كانت امرأة. في الحقيقة إن ذلك الشخص قال لى بأنه كان رجلاً. وقد سألت مشرف التنظيف، وعندهم عدد كبير من الرجال والنساء على قدر سواء ممن يعملون في التنظيف هنا؛ لكن أية امرأة قادرة على أن ترتدى سروالاً وتتظاهر بأنها رجل؟!".

قالت ميشيل: "لذا نحتاج أن نكتشف الأفراد الذين كانوا مناوبين في تلك الليلة".

"نعم ولا"، قالها شين، قبل أن يردف: "سنحصل بالتأكيد على القائمة ونراجعها، لكننى أعتقد بأنه رجل غريب عن المكان تنكر في زى عامل النظافة؛ فلو أنك ظهرت في زى رسمى ومعك بطاقة تعريف شبه حقيقية، فمن ذا الذى سيستجوبك؟".

"أو يمكن أن يكون شخص ممن يعملون في بابيج تاون"، هكذا أضافت ميشيل.

"وهو ما يعنى المزيد من المتاعب".

هم شين بأن ينصرف، إلا أن ميشيل سألته:

"إلى أين تذهب؟".

"لأتبين ما إذا كان صاحبنا العبقرى شامب بوليون في الحقيقة في الكوخ رقم اثنين أم أنه كان يدفع عربة المغسلة المتلئة بالأدلة بعدما أغرق لين ريفيست".

الفصل

٦٣

لم يستطع شين أن يجد أى شخص رأى شامب عند الكوخ رقم اثنين حتى الساعة الثالثة صباحاً، في الليلة التى لقى فيها ريفيست مصرعه، وهو ما أدى إلى أن يكون شامب بوليون من جديد واحداً من بين المشتبه بهم في مقتل لين ريفيست. وبينما كان يمشى عائداً إلى كوخ أليسيا تلقى مكالمة من جوان.

"لقد تلقينا اتصالاً من أصحاب بابيج تاون".

سارع شين بسؤالها: "من هم؟".

"لا أعرف".

"فمن أين عرفت إذن أنهم أصحاب بابيج تاون بالفعل؟".

"خط الاتصال مؤمن بكلمات سر. إنهم هم. وعلى أية حال، فإنهم ومنذ مصرع ريفيست يعيدون النظر في مسألة تواجدنا في موقع الأحداث. والآن، إذا ما كنت قد حققت أى تقدم...".

فقاطعها شين صائحا: "جوان، إننى أبذل قصارى جهدى لتحقيق ذلك. إنك لم تر في حياتك أبدا ما رأيته أنا هنا وما يفرضونه علىَّ، ويحاصروننى به من جدران الكتمان الصخرية من كل جهة...إننا لا نعرف حتى من هم عملاؤنا".

"وما الذى توصلت إليه؟".

تردد شين قبل أن يعرفها بأمر أسرى الحرب الألمان.

"هل تعتقد حقاً أن لتلك الحكاية صلة بمصرع مونك تورينج؟".

"محتمل. هذا إذا أمكنكِ أن تحصلى على قائمة بأسماء أسرى الحرب الذين قد تم اقتيادهم إلى كامب بيرى أثناء الحرب، وعما حدث لهم؛ فذلك سيساعدنا جداً، وأنت قد تعقبت من قبل سفره إلى إنجلترا، فهل يمكنك أن تفعلى الشىء ذاته بخصوص رحلته إلى ألمانيا؟ سأعمل من جانبى على أن ألقى نظرة على جواز سفره، إن كان لى أن أنجح فى اصطياده من بين أيدى رجال المباحث الفيدرالية".

"سأرى ما يمكننى أن أفعله. هل لديك أية فكرة عن مقصده داخل ألمانيا؟".

"كلا".

"أرى أنك قد طلبت أموالاً لشراء بعض الأجهزة هناك".

"ذلك صحيح".

"إلا أنك وعلى أية حال قد نسيت تحديد ماهية هذه الأجهزة".

"أطمئنك بأنه لا يوجد أى شىء استثنائى".

"فلا مشكلة إذن من أن تخبرنى عما هى".

"جوان، لو كنتِ ترفضين التمويل أخبرينى بهذا وحسب. لقد حددت كل شىء وبسعر جيد، وبعضها مؤجر فقط".

"أنا لم أتحدث عن التكلفة".

"فما هو الشىء الأهم؟".

"أود ألا أشعر بأن هناك أموراً تجرى ولا أعلم بها".

"عندما يكون لدى ما يستحق الذكر فسأعرفك به".

"وكيف حال صاحبتك التى تعانى من عقلها؟".

فسألها فى صرامة: "ما الذى تعنينه بهذا؟".

فقالت له جوان فى غموض: "لدى مصادرى".

"إنها بخير".

"أنا متأكدة من هذا؛ لكنك لو أردت نصيحتى، فإننى لست بحاجة إلى أن يكون من يغطى ظهرك وقت الخطر شخصاً هشاً".

"ظهرى فى خير حال".

"لا شك لدىّ فى ذلك؛ ولكننى أتحدث بجدية يا شين؛ فالصداقة شىء والعمل شىء آخر. هل يمكنك أن تراهن بحياتك عليها؟ هنالك ثلاثة أشخاص لقوا مصرعهم ولا أريدك أن تكون الرابع".

وسرعان ما أغلقت الخط تاركةً شين وهو يكره نفسه لكون الشكوك قد تملكته للحظة تجاه ميشيل. لكن الشكوك ما تزال كما هى. ماذا لو أن أعصابها انهارت وهما داخل أراضى المخابرات المركزية؟ ماذا لو أنها ارتكبت شيئاً تسبب فى مقتلهما؟

الفصل

٦٤

فى عصر اليوم التالى كانت ميشيل تحاول أن تعثر على فيجى، إلا أن أحداً لم يكن يعرف أين هى. كانت أليسيا فى كوخها تعمل، والحارس الموكل إليه حراسة فيجى فقد أثرها. على أن ميشيل تذكرت شيئا قد قالته فيجى وعندها هرعت نحو النهر.

بعد خمس دقائق كانت قد وصلت إلى المرفأ لتلاحظ من فورها أن أحد قوارب الكاياك لم يكن فى مكانه، فمسحت بعينيها صفحة النهر. كانت هناك بوادر عاصفة، والريح تتسارع وتيار النهر سريع. سمعت هزيم الرعد واشتمت رائحة المطر قوية.

أما ثانى ما سمعته من أصوات فهو الذى جمد الدم فى عروق ميشيل.

"النجدة! النجدة!".

أمسكت ميشيل بقارب كاياك يتسع لشخصين ومجداف من الحامل الموجود بجانب المرسى، ثم صنعت أنشوطة من الحبال وألقتها داخل القارب، وانطلقت تعدو حتى نهاية حوض السفن. وبعد لحظات قليلة كانت فى القارب وهى تجدف بكل قوتها.

"النجدة!".

رأت نقطة حمراء على البعد. ولما اقتربت ميشيل رأت أن قارب فيجى كان مقلوباً، وكانت البنت متعلقة به، لكن التيار النهرى السريع كان يجتذبها، بسرعة، فضاعفت ميشيل جهدها حتى كاد القارب يطير فوق صفحة الماء. لم تكن ميشيل قد جدفت بهذه القوة منذ شهور، فكان هذا الإيقاع قاسيا حتى بالنسبة لها، وما هى إلا لحظة حتى أتتها مساعدة من السماء؛ حيث ضربت إحدى الصواعق الجانب الآخر للنهر بقوة رجت الأرض رجا، ثم تلاها هزيم الرعد الذى أصم الآذان.

صارت صرخات فيجى أعلى الآن، بينما أبقت ميشيل نظراتها ثابتة على البنت، وتركت بقية المهمة لعضلات ذراعيها وظهرها وساقيها. وبعد خمس دقائق، ووسط البرق والرعد المتتاليين فى قسوة، نجحت ميشيل فى الوصول إلى البنت، وبينما مدت مجدافها إليها انفتحت أبواب السماء عن وابل من المطر يسقط وكأنه سياط تلسع الوجه والجسد.

لم تحاول فيجى القبض على المجداف، بل بقيت متشبثة بعناد إلى حافة قاربها المقلوب.

فقالت لها ميشيل بأكبر قدر ممكن من الهدوء: "فيجى. لقد وصلت إليك، وسوف تكونين بخير. هل تفهمين؟".

هزت البنت رأسها فى عناد يائس وقالت بصوت متهدج: "سأغرق...لست أرتدى سترة نجاة".

"لن تغرقى. أمسكى المجداف بيدك الأخرى".

"لا أستطيع".

"بل تستطيعين يا فيجى".

ضرب البرق قريباً منهما، حتى إن ميشيل قد جفلت فى قوة.

"اقبضى على المجداف يا فيجى... الآن!".

إلا أن فيجى لم تحرك ساكنا، وكان التيار هو ما تحرك؛ فقد ضرب القارب ليبتعد عنها فلم تعد تتشبث بشىء، فأخذت تصرخ

وهى تقاوم الغرق، فربطت ميشيل أنشوطة الحبل الذى كان بجعبتها فى مفصل قدمها بينما ربطت الطرف الآخر بالقارب.

كانت فيجى تصرخ وجسدها يغوص فى المياه: "النجدة!".

ألقت ميشيل بنفسها فى المياه وهى تغوص بقوة أسفل السطح. كانت المياه معكرة وميشيل تبحث بيديها أكثر من بحثها بعينيها، إلى أن شعرت بجسد فيجى فى النهاية، فأمسكت البنت من شعرها، وجذبتها نحو سطح الماء. كانت فيجى تركل المياه بساقيها وهى تصرخ وتسعل مخرجة مياه النهر العكرة من فمها.

تلفتت ميشيل حولها. كان قاربها على مسافة عشرين ياردة وهو يزداد ابتعاداً عنهما، وبالكاد يربط بينهما وبينه الحبل.

أجبرت فيجى على أن تستلقى على ظهرها، وهى تضع ذراعها على صدر البنت وهى تقول بكل هدوء ممكن: "لقد أنقذتك يا صغيرتى. أنتِ بخير، وسوف أصل بك إلى القارب ومن بعدها ينتهى كل شىء. كل ما عليك هو أن تسترخى. فلو قاومتنى سيزداد الأمر صعوبة بالنسبة لى. فاسترخى؛ فأنت معى الآن".

بعدما أدركت فيجى أنها لن تغرق، صارت أشد هدوءاً عن ذى قبل، مع أن الخطر لا يزال محدقاً بهما؛ فالقارب يبتعد بسرعة وهو يجتذبهما معه. كان أمام ميشيل خياران. أن تقطع الحبل وتسبح نحو الشاطئ حاملةً فيجى، أو أن تجذب القارب نحوها بذراعها وتحاول أن تعتليه ومعها فيجى. لم يكن أى من الخيارين هيناً؛ فالعاصفة تزداد قوة كلما مر الوقت.

كانت ميشيل سباحة ماهرة وقوية، إلا أنها شعرت بالإنهاك ينال منها، والمسافة حتى الشاطئ طويلة. بوسعها أن تترك نفسها مع التيار، ولكنها ستضطر عند نقطة معينة إلى أن تقاومه حتى تصل إلى الشاطئ، وربما عندها تكون قواها قد خارت، وهى لن تسمح بأن تضعها الظروف فى موقف يحتم عليها الاختيار

بين حياتها أو حياة فيجى؛ فهى ومنذ أن ألقت بنفسها فى المياه كانت قد قررت إما أن يعودا معًا أو يلقيا حتفهما معاً.

كان الحبل المقيد إلى ساقها يجذبها بقوة خشيت معها أن تفلت فيجى؛ فقررت أن تفك هذا الحبل وتركت القارب يبتعد عنهما فى سرعة صارت أشد الآن. نظرت ميشيل خلفها. كان عليها أن تصل إلى البر، وبسرعة. فزادت من قوة إمساكها بفيجى بذراع واحدة، وهى تقاوم التيار بساقيها وتسبح بالذراع الأخرى. إلا أنها كانت تعرف أنه لا جدوى من ذلك؛ فمن المحال أن تسبح ضد التيار وهى تمسك بفيجى فى نفس الوقت. كانت العاصفة فوقهما الآن، ولم تكن تسمع سوى صوت الرعد، ودوامةً الهواء الضخمة وسط حفيف الأشجار القوى وهى تتمايل مقاومة الريح. بدأت فيجى تجزع، ربما وهى ترى التوتر بادياً على وجه ميشيل.

لم تسمع صوت ذلك المحرك إلا حينما صار بالقرب منهما. وتشعر الآن بيدين قويتين تمتدان نحوهما، فتلتقط فيجى، ثم تجتذبها نحو السطح، وبينما قبعت ترتجف فوق واحد من المقاعد، وذراعها تحيط بفيجى التى ترتجف بدورها، نظرت ميشيل نحو شامب بوليون، والذى كان منشغلاً الآن بقيادة دفة القارب. كان يتجه مباشرة نحو المرفأ.

وبعدما اطمأنت على حالة فيجى، نهضت لتقف إلى جواره قائلة: "أشكرك...فقد كدنا نفقد الأمل هناك".

"كنت أتريض حينما رأيت قارب فيجى وهو ينقلب بها، ثم رأيتكِ وأنتِ تهرعين لإنقاذها. عندها ركضت لأستقل هذا القارب. كان على أن أنتشلكما بأقصى سرعة ممكنة".

رسا بالقارب فى سلاسة ثم ساعد شامب ميشيل على إنزال فيجى. كان الخوف لا يزال بادياً على البنت.

فسألها شامب فى قلق: "هل ستكون بخير؟".

"نعم. هى خائفة فقط".

"معها كل الحق فى ذلك".

وضعت ميشيل يديها على كتفى فيجى فى رقة وهى تساعدها على النهوض والسير نحو بابيج تاون، وسار معهما شامب حتى كوخ أليسيا.

فقالت ميشيل: "لو أنك تقود الطائرة بنفس المهارة التى قدت بها ذلك القارب، فسيكون من الجميل أن نستقلها فى الغد".

"أوه...هل لديكِ مانع فى أن نؤخر هذه الرحلة ليوم واحد فقط؟ فقد استجد أمر ما".

"لا بأس يا شامب. وقتما يحلو لك".

ابتسم شامب فى خجل، وهو يتمتم بكلمات غير مسموعة بينما يبتعد فى سرعة.

قالت لها فيجى بعدما بدلا بملابسهما المبتلة أخرى جافة: "لقد أنقذت حياتى يا ميك".

فقالت لها بنبرة تحمل الكثير من التوبيخ: "بل الفضل فى أكثره يعود إلى السيد شامب...وما الذى كنتِ تفعلينه داخل النهر وحدك؟".

فنظرت فيجى إلى كفيها، ووجهها ينكسر لأسفل وكأنه زهرة ملأتها قطرات المطر ثم قالت: "كنت...كنت أود أن...أكون وحدى".

"أعتقد أن هناك الكثير من الطرق التى يمكن للمرء بها أن يكون وحده من دون أن يعرض نفسه للخطر".

"أشكرك لإنقاذك حياتى".

"أسعدنى الحظ فكنت هناك بالقرب".

نهضت فيجى، وتوجهت صوب البيانو وبدأت تعزف. كانت تعزف فى نعومة، وليس ذلك العزف الهيستيرى الذى قامت به من قبل. كانت النغمات هادئة، تكاد تكون حزينة. رفعت عينيها نحو ميشيل وهى تعزف، فبدت ملامحها وكأنها الغموض ذاته.

وبعدما انتهت من عزفها، قالت لها ميشيل: "شكراً يا فيج، كان هذا جميلاً. أى مقطوعة تلك؟".

لم تجبها فيجى، بل دارت على عقبيها وصعدت الدرج، وأغلقت باب غرفتها وراءها.

وعلى صفحة نهر يورك، كان هناك قارب من قوارب فرق الإنقاذ السريعة العسكرية يجوب المياه، يقوده آيان وايتفيلد. بدا وكأن العاصفة التى تضرب من حوله لا تمثل له أى شاغل، وعلى متن ذلك القارب قبع قارب الكاياك الذى كانت ميشيل تستقله والحبل ما زال مربوطاً به. ضغط أزرار المحركات فانطلق القارب نحو شاطئ بابيج تاون. أرسى القارب، وخرج منه وهو يشد الكاياك فوق الرصيف العائم. تجهم قليلاً بينما قفز عائداً إلى قاربه. ارتدى معطف مطر أصفر وسروالاً قصيراً كاكى اللون. بدت ساقاه مفتولتى العضلات وقد لفحتهما السمرة. على أن ساقه اليمنى كانت تحوى جرحاً قديماً غائراً تأثرت ندبته بشدة تحت هذا المطر البارد. ضغط زر التشغيل فانطلق القارب بقفزة كبيرة نحو الأمام؛ ثم انعطف به بزاوية قدرها خمس وأربعون درجة، فابتعد به القارب، وسرعان ما صار قائد كامب بيرى مجرد بقعة فوق النهر ووسط عاصفة لم تتوقف لحظة عن ضرب المنطقة بأسرها.

الفصل

٦٥

كان الطقس السيئ قد انتهى فى وقت مبكر من الصباح التالى حينما التقى شين وميشيل فى ذات البقعة المنعزلة على بعد ميل من بابيج تاون، وحينما كانا قد تحدثا بالأمس أخبرته ميشيل بما حدث فى النهر، وبدوره عرفها بأن هناك احتمالاً بأن تكون حجة غياب شامب منعدمة. قررا الالتقاء هذا الصباح لاستعراض الأحداث بتفصيل أكبر بعيدا عن الأعين فى بابيج تاون.

قال: "هلا أعدت علىَّ ما كانت فيجى تفعله داخل المياه فى الكاياك وحدها؟".

"قالت بأنها كانت تريد أن تكون وحدها".

"أو ربما كانت ترغب فى أن تلقى نظرة أقرب على كامب بيرى؟".

سألته: "وما السبب؟".

"لا أدرى".

"هل وجدت شيئاً من ناحيتك أنت؟".

أومأ شين برأسه قائلاً: "لقد تحدثت مع هايز؛ فقد فحص جواز سفر مونك والذى أظهر له أنه قد سافر بالفعل إلى ألمانيا".

"أتعرف تاريخ تلك الرحلة؟".

"لقد دخل عن طريق فرانكفورت. هذا كل ما تمكن هايز من التوصل إليه. وقد هاتفت جوان وهى تحاول أن تتوصل إلى المزيد من التفاصيل"، ثم فرد ورقة كبيرة فوق غطاء محرك سيارة ميشيل وأردف: "التقطت صورة لخريطة القمر الصناعى الخاصة بكامب بيرى والتى يحتفظ بها فريمان فى مكتبه، وقمت بتكبيرها".

أشار إلى بقاع متعددة وهو يقول لها: "لقد سمعت العديد من الأرقام، لكننى أعتقد أن مساحة المكان تصل إلى عشرة آلاف هيكتار، ومعظمها غير مشغول. وكما نعرف بالفعل، فإن ممر الطائرات قريب بعض الشىء من الموضع الذى عثروا فيه على جثة مونك. وإلى الجنوب قليلاً يوجد ما يبدو كسلسلة من المستودعات، ومن بعده مرفأ". ثم تتبع بإصبعه قسماً آخر فوقه أسماء مطبوعة. "يبدو لى أن هذه بعض الأبنية السكنية التى ذكرها فريمان. وهنا توجد بلدة بيجلر ميلر، أما منزل بورتو بيللو فهناك، وخلفه بحيرة كوينز وماجرودر هناك. والمجمع الرئيسى يحده من الغرب الطريق رقم ٦٤ ومن الجنوب شارع الحديقة الوطنية التاريخية"، ثم أضاف وهو يشير بإصبع السبابة إلى نقطة على الورقة: "وملحق شيتهام لمؤن القوات البحرية هناك".

فعلقت ميشيل قائلة: "هناك خليج صغير يخرج من نهر يورك جنوب مدرج الطائرات يوصلك إلى داخل عمق هذه الأراضى".

فقال: "من المؤكد أن عليه حراسة مشددة. هذا أكيد فوق الأرض، أما الخليج نفسه فأعلم أنه مزروع بالألغام".

"سنذهب من خلال السور إذن؟ هل وصلت المعدات؟".

فأومأ شين برأسه: "نعم، جميعها هنا". إلا أن جسده توتر بغتة وهو يستند على السيارة قائلاً لها: "ميشيل، أنا لا أريد أن نقتحم من خلال السور؛ فهذا جنون، فحتى لو لم نلق مصرعنا

فإن من المؤكد أننا سنقبع فى السجن بقية حياتنا، وأنا لن أسمح بهذا".

"لكنك لو ذهبت فلن تذهب وحدك".

"ربما لن يكون علينا القيام بهذا لو أن جوان نجحت فى التوصل إلى المكان الذى ذهب إليه مونك فى ألمانيا".

"وهو أمر قد لا يكون ذا صلة بكل ما نحن فيه".

"وماذا عن فيجى؟ الشفرات والدماء؟".

فهزت ميشيل رأسها قائلة: "لا جديد. من الطبيعى أن تكون منهارة الأعصاب بعد عودتنا من النهر؛ فقد عزفت على البيانو فى اقتضاب وهو أمر غير معتاد. وعادةً ما تقول (ميشيل، أحبك)، ومن ثم تعزف بكل حماس، ثم تصرخ (شفرات ودماء)، ثم تهرع إلى غرفة نومها، وقد اكتفت بشكرى لإنقاذى حياتها ثم جلست تعزف ببطء وإن كانت المقطوعة جميلة، وكأنما تشكرنى من خلال الموسيقى. كان هذا مؤثراً. و...".

اضطرب صوت ميشيل وهى تنظر إلى شين؛ فقد تنبهت للتو إلى أمر لم يخطر لها من قبل ببال.

أردفت بصوت لا يكاد يسمعه: "هل تفكر فيما أفكر فيه؟".

"نعم، كما أننى أجدنى على قدر كبير من الغباء منعنى من أن أتبين هذا من قبل".

ثم نظر إلى ساعته وهو يسألها: "ماذا عن رحلة الطائرة مع شامب؟".

"لقد أجلها إلى الغد".

"جميل، ربما عندها تكونين قد غيرت رأيك. اتصلى بهوراشيو واطلبى منه أن يلتقينا فى كوخ أليسيا".

"لماذا؟".

"لقد كان عازف بيانو...هذا هو السبب".

الفصل

٦٦

قالت ميشيل وهى تتقدم هوراشيو وشين فى طريقهم إلى كوخ أليسيا: "بعدما حدث عند النهر فإنهم قد أعطوا فيجى إجازة من المدرسة اليوم...لكننى أعتقد أنها ستعزف لى أنا وحدى".

فأوضح لها شين قائلاً: "لقد أحضر هوراشيو مسجلاً صوتياً. وسنبقى متوارين عن الأنظار، ولكن فى مكان يمكننا من سماع العزف".

فسألته ميشيل: "وبعد ذلك؟".

"لو أنها شفرات فسيكون بوسعنا أن نطلب مساعدة خبير فى فك الشفرات، وأنا أعرف شخصاً واحداً على الأقل فى هذا التخصص بهذا المكان".

وضع هوراشيو مسجله الصوتى قرب البيانو، ولكنه أخفاه وراء بعض الكتب، وبعدها اختفى هو وشين عند السقيفة الأمامية، وأمكنهما سماع الموسيقى من خلال نافذة مفتوحة.

صعدت ميشيل الدرج، وأحضرت فيجى وهى تطلب منها أن تعزف الأغنية لها من جديد، فقامت البنت بذلك ومن ثم عادت أدراجها إلى أعلى من جديد. بعدها استعادت ميشيل المسجل وانضمت إلى مكان هوراشيو وشين.

قال شين: "لقد اتصلت بأليسيا في العمل، وستوافينا قريباً. وبوسع هوراشيو الآن أن يدون النوتة الموسيقية لهذه الأغنية التي كانت تعزفها بمجرد الاستماع إليها؟".

قال هوراشيو: "لن تكون هذه مشكلة".

"مهلاً، ألم تتعرف على اسم الأغنية؟ لو أمكنك هذا فلن يكون علينا سوى أن نبحث عن النوتة المدونة الخاصة بها. ربما تكون موجودة في مكان ما".

ولكن هوراشيو قال آسفاً: "معذرةً، ولكنني غير قادر على تدوين هذه المقطوعة الخفيفة؛ فأنا ميال لسماع أغاني الروك الكلاسيكية".

ومع وصول أليسيا كان هوراشيو قد دون النوتة، فعرضها شين عليها.

سألتهم: "تعتقدون إذن أن هذه شفرة من نوع ما؟".

فقال شين: "هذا صحيح".

"المشكلة هي أن التعامل مع النوتة الموسيقية يقيد احتمالات التعامل معها".

فوافقها هوراشيو قائلاً: "أ...ب...ت...ث...ج...ح...بالطبع يمكن تفكيكها إلى نغمات حادة وأخرى مرتفعة...إلخ".

فقال شين متلهفاً: "هل يكفيكِ هذا للتعامل معها يا أليسيا؟".

فقالت: "لن أعرف حتى أعرف. هل لديكم فكرة عن موضوع الشفرة؟".

نظر شين إلى ميشيل إلا أنه لم يعقب.

فصاحت فيهما أليسيا بعدما لمحت نظراتهما: "تباً لكما. لو أنكما لا تثقان في بما يكفي لأن تخبراني بما تبحثان عنه، فعليكما بالبحث عن شخص غيري".

فأخذ شين نفساً عميقاً قبل أن يقول: "حسناً حسناً...ربما عليكِ أن تفكري في أمور من قبيل كامب بيري، وأسرى حرب ألمان ورحلات طيران سرية".

عندها اتسعت عينا أليسيا في دهشة، ثم قالت: "أود أن أنبهكما فقط إلى أنني إخصائية لغويات ورياضيات، ولست محللة شفرة".

فنبهها شين قائلاً: "لكن بعض أفضل محللي الشفرات كانوا من علماء اللغة والرياضيات".

"على أي حال، فمن الجيد أن يكون لدى سياق أعمل من خلاله؛ فقد كان مونك تورينج رجلاً بالغ الذكاء، وأشك في أن الأمر سيكون هيناً".

عندها صاح شين بغتة: "تورينج! شفرات ودماء. لابد أن يكون كذلك".

فسألته ميشيل وهي تحدق فيه في دهشة: "ما الذي تعنيه؟".

"لقد كان مونك تورينج من أقارب آلان تورينج، أي إنها علاقة دم، وقد زار إنجلترا مؤخراً وتتبع المواقع الجغرافية التي عاش فيها تورينج، ولقد نجح آلان تورينج وحده في فك شفرة واحدة من شفرات ماكينة إنيجما الألمانية، ولابد أن للأمر علاقة بذلك".

نظرت أليسيا إلى ما بيديها من أوراق، وقالت: "قد يساعدني هذا. فلدي بعض الكتب عن آلان تورينج وأعماله. ما هو الوقت المتاح أمامي؟".

"سيكون من الممتاز أن تعرفينا بأي شيء خلال هذه اللحظة".

الفصل
٦٧

قررت ميشيل ـ والتي كانت ميالة بطبعها إلى أن تكون وسط المياه ـ أن تستقل أحد قوارب الكاياك لتجدف داخل النهر. كان هذا يساعدها على التفكير، كما أنها رغبت فى أن تلقى نظرة أخرى على شاطئ كامب بيرى. فلو كانا سيحاولان اقتحام المكان من نقطة ما، فلا بأس من إلقاء نظرة إضافية عليه. وحينما وصلت إلى المرفأ رأت قارب الكاياك الذى كانت تستقله وهو على رصيف المرفأ.

فتساءلت فى عجب... *كيف أتى القارب إلى هنا؟*

وبعد نصف ساعة فى المياه كانت قد أمعنت النظر فى المعسكر من زوايا مختلفة. لن يكون من الصعب اجتياز السياج السلكى، ولكن ماذا بعد؟ وخطر لها لأول مرة ما قد يحدث لهما إذا ما تم إلقاء القبض عليهما، وما الذى يمكن أن يتوقعا أن يجداه وسط آلاف الهكتارات من أراضى الغابات غير المشغولة؟ فهل هذا يكفى لأن تضحى بحياتها من أجله؟ ومع أنه قد يبدو أن شين قد بدأ يعاود النظر فى قراره، ولكن ماذا لو صمم على تنفيذ هذه المهمة؟ هل سترافقه أم تفعل الشيء المنطقى وتتخلى عنه؟ ولو أنه ذهب وحده ليلقى مصرعه، فهل سيصنع وجودها معه الفارق؟ وهل ستتمكن من الحياة وحدها؟

تقطعت حبال هذه الأفكار حينما سمعت صوت نفير أحد القوارب بالقرب منها. فالتفتت نحوه. كان ذلك القارب العسكرى يقترب من قاربها من الخلف. عند مقدمته آيان وايتفيلد وهو يرتدى سروالاً عسكرياً مموهاً وقميصاً قطنياً خفيفاً يبرز عضلاته المفتولة. كان يضع على رأسه قبعة فريق اليانكى، وعلى محياه ارتسم تعبير ودود.

اقترب بخبرة بموازاة الكاياك، ومن ثم قام بتحييد سرعة المحرك ليبطئ من حركته، بينما أسندت هى مجدافها على الحافة العليا من جانب القارب حتى يتزن قاربها.

قال لها وهو يمد يده مصافحاً: "آيان وايتفيلد".

فحاولت ميشيل أن تخفى دهشتها.

بينما أردف هو فى جذل: "الجو مناسب للخروج اليوم مقارنة بالأمس".

"كنت بالخارج وقت العاصفة إذن؟".

"لبعض الوقت؛ فقد وجدت هذا الكاياك طافياً فوق الماء. هل حدث خطب ما؟".

"كادت صديقة لى أن تغرق هنا، ونجحنا بصعوبة فى إنقاذها"

"جميل؛ فأحياناً ما يكون التيار فى هذا النهر صعباً يا آنسة...؟".

"ميشيل ماكسويل. نادنى ميشيل". كانت تنظر إلى المياه الممتدة أمام عينيها، وأردفت: "كيف تجرى الأمور على الجانب الآخر من يورك؟".

"لا أتذكر أننى قد ذكرت لك بأنى من أى جانب من جانبى النهر".

"إنها أشياء نسمعها، وأنا أسمع الكثير؛ فقد كنت أعمل من قبل فى الخدمة السرية؛ ولكننى متأكدة من أنك تعرف هذا بالفعل".

واصل النظر إلى المياه وهو يقول: "كان حلمى أن ألعب لفريق اليانكى، إلا أن الموهبة لم تكن على قدر ذلك الحلم، ووجدت أن العمل فى خدمة البلاد لم يكن بالبديل السيئ".

كانت ميشيل مأخوذة قليلا بهذا الصراحة الخفية فى حديث الرجل عن حياته المهنية، فقالت: "أن يستقل المرء طائرة الرئاسة ليكون فى حماية الرئيس فهو أمر يشرف حياة أى إنسان". سكتت لحظات قبل أن تردف: "أعرف بعض الزملاء الذين عملوا فى قوة دلتا فى فيتنام". نظر إليها نظرة متفحصة، وهى تردف: "كما قلت لك...فأنا أسمع الكثير".

فهز كتفيه قائلاً: "كان هذا منذ أمد بعيد".

"لكنك لم تنسه".

أشار نحو بابيج تاون وقال: "البعض ينسى؛ إلا أننى لم أنس. كيف تجرى الأمور إذن فى جانبكم أنتم من النهر؟".

"ببطء".

"كثيراً ما تساءلت عن سبب إقامتهم لذلك المكان هناك".

"تقصد فى الجهة المقابلة لكم؟".

سألها هو متجاهلاً سؤالها: "لديك شريك هنا؟".

"نعم".

"كان من المؤسف أن يلقى مونك تورينج مصرعه، ولكننى لا أجد سبباً لفتح الباب لتحقيق جنائى فى وفاته".

"سمعت أنك قد أخبرت زميلى بأن الأمر انتحار؟".

"كلا، ولكننى أخبرته بأن هناك أربع حالات انتحار أخرى حدثت من قبل سواءً داخل كامب بيرى أو من حولها، كما أخبرته بأن المباحث الفيدرالية قد خلصت إلى أن مونك تورينج قد انتحر".

"لا أظن أن هذه هى قناعتهم الآن، كما أن لدينا جريمة مقتل لين ريفيست".

"قالت الصحيفة المحلية بأنه قد أفرط فى الشراب ووجدوه غارقاً داخل حوض الاستحمام، وهذا سوء حظ فى الحقيقة".

"حالتا وفاة لا يفصل بينهما سوى فاصل زمنى قصير؟".

"تعددت الأسباب والموت واحد يا ميشيل".

خطر لميشيل أن الرجل بدا عارفاً لكل كلمة يقولها.

فقالت: "لا أدرى لماذا أجد فى هذه الحكمة لغة تهديد؟!".

"لا يد لى فى تأويلك لكلماتى"، وأشاح بيده ناحية الضفة الأخرى من النهر وهو يعقب: "هناك تواجد فيدرالى مكثف هنا ويشمل ذلك رجال البحرية. هناك أناس يعملون لأجل بلادهم، ويقومون بمهام خطرة، يخاطرون خلالها بحياتهم، ويجب أن تفهمى ذلك؛ فأنتِ نفسكِ قد خاطرت بحياتك لأجل بلادك من قبل".

"أنا أفهم ذلك. إلى أين سينتهى بنا هذا الحوار؟".

"ضعى فى الاعتبار أن هذه البقعة من نهر يورك بالغة الخطورة. وأيا كان ما ستفعلانه، فعليكما ألا تنسيا ذلك. طاب يومك".

أزاحت ميشيل مجدافها عن حافة القارب بينما أعاد وايتفيلد تشغيل صمام المحرك، ثم استدار بالقارب وابتعد. ناورت ميشيل بقاربها الكاياك بحيث تتمكن من متابعته بعينيها وهو يتجه نحو مرفأ كامب بيرى، إلا أن الرجل لم يلتفت لينظر إليها ولو لمرة.

حينما ابتعد عن ناظريها استدارت بالقارب وجدفت ببطء مبتعدة. لقد ترك لها آيان وايتفيلد الكثير مما تفكر فيه - والكثير مما تخشاه.

الفصل

٦٨

تحدثت ميشيل مع شين وهما يتناولان القهوة فى غرفة الطعام بالقصر وأخبرته عن حديثها مع آيان وايتفيلد.

فقال: "يبدو لى أنه رجل لا يلقى بالتهديدات الفارغة".

"لقد كان جلدى يقشعر طيلة الوقت الذى كان يتحدث معى خلاله".

"هذا يجعلنى أقل تصميماً على اجتياز السور".

فقالت له: "لذا علينا أن نبحث عن بدائل أخرى؛ لكننى لست متأكدة من نوعية هذه البدائل".

"لنستعرض ما نعرفه؛ فقد ذهب مونك إلى ألمانيا ولقى مصرعه فى كامب بيرى، وكان هناك أسرى حرب ألمان احتجزوا فى كامب بيرى خلال الحرب. وأراد لين ريفيست أن يتحدث معى عن بابيج تاون ولقى مصرعه هو الآخر، وقد كان يعتقد أن هناك جواسيس. كما أن أليسيا تشادويك كانت على علاقة مع ريفيست وهى الوصية على فيجى. وليس لدى شامب حجة غياب بالنسبة للوقت الذى لقى فيه ريفيست مصرعه، ولكننا لا نمتلك الدليل على أن له علاقة بالجريمة. وقد حذرنى آيان وايتفيلد من قبل ومن ثم هددك، أما زوجته فطريق مسدود، وهناك المشرحة

التى انفجرت لأجل إفساد الدليل على أن ريفيست قد مات مقتولاً!".

فقالت ميشيل: "مهلاً. لقد كنت تشك فى أن ريفيست قد مات مقتولاً بسبب غياب المناشف، ودواسة الحمام ومقبض المحبس".

"صحيح. لقد أخبرت هايز وطلب من خبير التشريح أن يتفحص الجثة بحثاً عن أية آثار لضغط ذلك المقبض على جسده".

"وماذا وجد؟".

"لم نعرف شيئاً ولقى خبير التشريح مصرعه".

"لو أن المشرحة قد انفجرت لأن أحدهم يعرف بأنك تشك فى وجود جريمة قتل، فكيف علموا بأن لديك هذه الشكوك؟".

"ربما أخبر هايز أحدهم بذلك عن غير قصد".

فبادرته ميشيل: "أو ربما باح بهذه المعلومات عن قصد".

"وما الذى يدفعه إلى ذلك؟".

"ربما يريد أن يلعب دور محامى الشيطان. فما الذى تعرفه حقاً عن هذا الرجل؟".

"إنه مأمور هذه المقاطعة".

"ولكننا لا نعرف شيئاً عن ولائه".

"هل ستظهر عليك أعراض جنون الارتياب الآن أم ماذا؟".

"مع وجودنا هنا فى بابيج تاون وأمام كامب بيرى يكون من الغباء ألا يصاب المرء بجنون الارتياب".

فأومأ شين قائلاً: "ليس أمامنا سوى أن نواصل التنقيب. ونرى إن كانت أليسيا ستتوصل إلى أمر ما. من خلال تلك الشفرة التى تحللها؛ فأنا لا أرى بديلاً سوى ذلك حتى الآن".

فقالت: "وربما لا يتبقى فى النهاية سوى اجتياز السور".

أخرج شين ورقة بعدما تركته ميشيل وانصرفت... كان مدوناً بها رقم هاتف. ضغط أزرار هاتفه المحمول، وسرعان ما أتاه رد

الطرف الآخر، فقال: "فاليرى، أنا شين كارتر. هل يمكننى أن ألتقيك؟".

بينما كانت ميشيل فى طريقها إلى الكوخ، رأت أمامها ما دفعها إلى أن تركض بأقصى سرعتها.

ثم صرخت: "ما الذى تفعلينه ؟".

توقفت فيجى وهى تحدق فيها، وقد تبخرت الابتسامة العريضة على وجهها وهى تسقط كيس القمامة الذى كانت تمسك به.

نظرت ميشيل فى داخل سيارتها، فوجدتها نظيفة تماماً، فالتفتت نحو الفتاة وهى تسألها بغضب: "كيف تجرؤين على العبث بحاجياتى؟ هذه سيارتى أنا. من سمح لكِ بأن تدخلى إلى سيارتى تعبثين بها؟ من!".

تراجعت فيجى خطوة وهى تقول فى ذعر: "أنا... أوه... كنت قد قلت لى بأنكِ عجزت عن تنظيفها مهما حاولت، فظننت أنه سيسعدكِ أن أفعل هذا".

أمسكت ميشيل بكيس القمامة وبدأت تفرغ ما بداخله وتعيده إلى داخل سيارتها من جديد وهى تقول: "هذه ليست قمامة. وابتعدى عن هذه السيارة الآن!".

فدارت فيجى على عقبيها وهرعت نحو المنزل باكية. لم يبد أن ميشيل قد تنبهت لها؛ فقد كانت منشغلة فى إعادة الأشياء من كيس القمامة إلى أرضية عربتها.

"هل صادفت الفتاة وأنت فى مزاج سيئ؟".

استدارت فى سرعة لترى هوراشيو وهو يحدق فيها، فكتمت غيظها.

وقالت فى سرعة: "مجرد سوء فهم".

"كلا، بل كان الفهم واضحاً".

"هلا ابتعدت عنى؟!".

"هل سنترك فيجى بالمنزل تبكى وتنتحب؟".

فنظرت ميشيل ناحية المنزل؛ كانت تسمع صوت نحيب فيجى بسهولة. فاستندت ميشيل بجسدها على السيارة فى يأس وهى تسقط من يدها حذاء تنس وقشرة موز. بدت دمعة على وجهها. جلست إلى حافة سيارتها وهى تحدق فى العشب.

قالت بصوت خفيض: "أنا آسفة، ولكنها كانت تعبث بحاجاتى، وليس من حقها أن تفعل ذلك".

اقترب هوراشيو ليقف إلى جوار السيارة: "معكِ حق نوعاً ما. فليس من حق أحد أن يعبث بمتعلقات أحد، ولكننى أرى أن فيجى كانت تحاول أن تساعدك، أو ربما ظنت أنها بذلك تساعدك. ألا يمكنك أن تتبينى هذا؟".

أطرقت ميشيل برأسها فى إقرار.

فقال هوراشيو: "هل فكرت فى أمر التنويم المغناطيسى؟".

"قلت لك بأننا لو عدنا أحياء فسـ ...".

قاطعها قائلاً: "صحيح، ولكننا سنتوقف عن هذا التكلف فى الكلام؛ فليس لدينا كل هذا الوقت".

رفعت رأسها ببطء وهى تنظر إليه فى تساؤل: "وما الذى يعنيه هذا بالضبط؟".

"أعنى بالضبط ما بدا لكِ أننى أعنيه".

نهضت وهى تلقى بكيس القمامة إلى داخل سيارتها وتقول: "وما الفائدة من كل هذا؟ فمن الواضح أن حالتى قد خرجت عن نطاق السيطرة!".

الفصل

٦٩

كانا يتمشيان على الشاطئ. وفاليرى تحمل حذاءها الخفيف بيدها بينما كان شين يخطو بتؤدة وهو مطرق الرأس يشعر بالذنب، وسرعان ما امتلأ حذاؤه الخفيف بالرمال. كان قد هاتف فاليرى لأنه عجز عن التوصل إلى مسار جديد فى تحرياته، وكذلك بسبب حوار زوجها مع ميشيل. وعلى أية حال، فقد أمطرته بالأسئلة عندما رأته يترجل من سيارته. وعلم منها أنها عرفت كل شىء عن شين كارتر، بما فى ذلك أن اسمه الحقيقى كان شين كينج.

قال شين: "أفهم من ذلك أنك قد تحدثت مع زوجك؟".

"أوه بالفعل! إن آيان العجوز لا يبرع إلا فى تقصى المعلومات، وقد علمت منه أنك رجل خدمة سرية سابق، وأنك أتيت إلى هنا للتحقيق فى جريمتى القتل ببابينج تاون، وأنا لا أصدق أنك قد كذبت على بهذه الصورة. لا أصدق هذا أبداً".

"لم يكن الأمر على هذه الصورة تماماً، فاليرى".

فصاحت فيه: "هل تنكر أنك حاولت استغلالى فى الحصول على معلومات عن زوجى؟ هل تنكر أنك لم تقم بتتبعى حتى ذلك المقهى بعدما طردك آيان من مكتبه؟".

"كلا. لا أنكر ذلك، ولكن...".

"لا توجد لكن إذن".

"لقد كنت أبحث عن معلومات. هذا هو عملى".

"لا يمكنني أن أغفر لك ما فعلته معى".

"فاليرى. أنا آسف لو كان هذا قد أساء إليكِ. ولكنك عندما تحاولين كشف النقاب عن جريمتى قتل غامضتين ... صدقينى، لو أن هناك طريقاً آخر، لكنت قد سلكته".

كانت تنظر إليه، وذراعاها معقودتان أمام صدرها، وحذاؤها ملقى على الرمال، وشيئاً فشيئاً، تلاشت نظرة الغضب وهى تقول: "أعتقد أننى لم أتصور أن يحدث لى شىء كهذا. لم أتوقع أن أكون ضحية خداع ـ ليس بعد ارتباطى بآيان على أية حال".

"ما الذى تقصدينه؟".

"أقصد أننى قد ظننته تزوجنى لكونه يحبنى، ومن الواضح أننى كنت مخطئة فى هذا الظن".

"لماذا؟".

"من يدرى؟ وهأنتذا تدخل حياتى فأعتقد ولأول مرة منذ زواجى أن أحدًا يحبنى. أنت! أنت أيها الوغد!".

نظر إليها شين وهو لا يجد ما يقول، وأخيرًا قال: "لا يمكننى سوى أن أقول لكِ يا فاليرى، إننى قد وجدت صعوبة معكِ فى الفصل بين عملى ومشاعرى الشخصية".

"عملك ومشاعرك! أوه، هل يفترض أن يشعرنى هذا بأننى محبوبة". كانت الدموع تنساب على وجنتيها فمسحتها بيدها بحركة غاضبة.

"أنا آسف يا فاليرى، آسف بالفعل".

"وفر عليك أكاذيبك لتسمعها لشخص غيرى؛ فلم أعد أود سماعها".

سكتت وهى تنحنىَ لتلتقط واحدة من أصداف البحر لتلقى بها، وبكل غضب، تجاه الأمواج، ثم استدارت إليه فى عصبية وهى تجذبه من سترته قائلة: "أتود أن تعلم ما آلمنى حقا؟".

كانت تعبيرات وجهه تشي عن عدم رغبته في ذلك، إلا أنه قال: "أخبريني؛ فأنا أستحق ذلك".

"ربما كنت لا تستحقه".

"فاليري، لو كان بيدي أن أعيد الزمن للوراء لفعلتها، ولكنني أعلم أن هذا محال، فأخبريني".

أشاحت بعينيها عن وجهه للحظة، قبل أن تقول له: "لا يمكنني أن أصارحك بأنني أحببتك. حتى بعد كل هذا الخداع. وبعد كل الذى فعلته معي، وخيانتك لى. أى امرأة حمقاء أكون إذن؟ يا لى من مغفلة! لأننى أحبك".

بدأت تبكي، ثم أخرجت منديلاً من جيبها لتمسح به عينيها وتقول: "من المنطق أن أكرهك، إلا أننى لا أكرهك؛ ففى تلك الليلة الأولى بالمقهى وحينما زجرتك، بقيت فى مكانى وأنا أعتبر نفسى أكبر مغفلة فى العالم، لأننى أحسست ساعتها بأننى منجذبة إليك".

فقال لها: "حقًا؟"، ثم تناول يدها وهو يقول: "لكن من غير الممكن أن تتطور بنا العلاقة إلى ما هو أقوى من ذلك. أعلم أن قولى هذا سيغضبك، ولكننى لا أعتقد أن من الأفضل لعلاقتنا أن تصل إلى ما هو أكثر من ذلك".

"لماذا؟".

"لأننى أعتقد أنكِ ما زلت تحبين زوجكِ".

عندها باغتهما صوت من خلفهما قائلاً: "يا للروعة...ويا للجمال!".

التفت كلاهما نحو الرجل الذى كان يقترب نحوهما.

فهمست فاليرى فى خوف: "رباه!".

كان آيان وايتفيلد يعرج نحوهما بسرعة عبر الرمال.

فوقف شين بينه وبين فاليرى قائلاً: "ليس الأمر كما تتخيل يا وايتفيلد".

إلا أن آيان وايتفيلد توقف أمام شين مباشرةً وهو يقول: "لا أعتقد أنك تود أن تمارس معي ما اعتدته من ألاعيب؟ لأن الكذب يصيبنى بغضب أشد مما أنا عليه، وأنا أحذرك من هذا".

فقالت له فاليرى وقد اهتاجت أعصابها: "آيان، كف عن هذا".

لم يلق لها بالاً وهو يتابع كلامه: "تناولت الشراب مع زوجتى من قبل، ثم تناولتما العشاء معاً، وها أنت ذا تسير معها على الشاطئ، متشابكى الأيدى. فهل أنت جرىء إلى هذا الحد...أم مجنون؟".

"بما أنك تعرف كل هذا، فلماذا أقف أمامك الآن؟ لماذا لم تأمرهم بقتلى منذ أن جرؤت على الجلوس معها بالمقهى؟". ثم تراجع شين خطوة للوراء فى تحفز حينما لاحظ أن الرجل قد توتر بدوره.

"لست همجياً، يا كينج. ولا أستخدم القتلة المأجورين. ما أنا إلا موظف يعمل لصالح الشعب الأمريكى".

"أنصحك إذن، سيدى الموظف، أن تعمل بجهد أقل، وأن تخصص المزيد من وقتك لزوجتك. وسيتفهم الشعب هذا".

عندها رمق وايتفيلد زوجته، التى كانت منكمشة فى خوف، وقال: "أأنت خبير فى العلاقات الزوجية أيضاً؟ ظننت أنك مجرد رجل تحرٍ غير كفء وحسب".

"أحاول أن أقوم بعملى".

"وهل يشمل عملك إغواء زوجتى أيضاً؟".

"لم أغوها، وإن كانت قد صدت تقربى منها أكثر من مرة لأننى أظن أنها تحبك ـ مع أني لا أدرى سبب هذا الحب. فربما كان من الأفضل أن تتركنى وشأنى، وتصطحب زوجتك إلى مكان يليق فيه أن تصارحا بعضكما البعض بكل شىء. الأمر يعود إليك، أيها الموظف الكبير".

تراجع وايتفيلد خطوة إلى الخلف، ونظر شين إلى فاليرى قائلاً: "هل ترغبين فى أن أبقى؟".

فهزت رأسها برفض وهى تتفوه بكلمة "لا".

بينما قال شين لزوجها: "لا تفسد زواجك بيدك".

ثم تركهما وانصرف، بينما كانا ينظران إلى بعضهما البعض والأمواج تضرب الشاطئ من حولهما...من كل جانب.

الفصل

٧٠

جلست ميشيل إلى عتبات الشرفة الأمامية لكوخ أليسيا؛ فقد تركها هوراشيو بينما كان بكاء فيجى لا يزال مسموعاً من داخل المنزل. وفى النهاية نهضت، لتدلف إلى المنزل، وبقيت دقيقة تلعب بأصابعها فوق مفاتيح البيانو من دون اتساق، إلا أنها شعرت بأن البكاء قد توقف، فتنهدت وهى تتجه صوب الدرج.

لم تعبأ بقرع باب غرفة فيجى قبل أن تدلف إليها. كانت فيجى راقدة على بطنها فوق الفراش، تخفى رأسها تحت وسادة. وجسدها لا يزال يرتجف من أثر البكاء والنحيب. فرفعت ميشيل الوسادة بلطف. عندها أمكن لميشيل أن تسمعها وهى تتلفظ بأرقام، أرقام كبيرة جداً.

فكرت ميشيل: *لقد فقدت البنت أباها وقد تعاملت معها بغباء، ولم أهتم بتبين قدر الألم الذى تعانيه.*

فجلست على الفراش، ووضعت يدها برفق فوق ظهر فيجى، فجفلت البنت من فورها.

"فيجى، أعتذر لك عن كل ما فعلته. لم يكن معى حق فى فعل هذا، وأتمنى أن تغفرى لى. لقد...حسناً...لقد كنت عصبية مؤخراً. لدى بعض المشاكل، من قبيل ما تحدثنا عنه قبل ذلك. هناك بعض الأيام التى تكون أفضل من غيرها، وأعتقد أن هذا كان

يوماً سيئاً. لكنى ما كان يجب أن أسيء إليك بدون ذنب، وأعرف أنك كنتِ فقط تحاولين مساعدتى".

كانت ميشيل تنظر إلى الحائط ولم تلحظ أن فيجى قد اعتدلت وكانت تحدق فيها، وعندما رأتها ميشيل مالت إليها وأخذت البنت بين ذراعيها، كانت هى نفسها تبكى بنفس القوة التى كانت فيجى تبكى بها من قبل، والآن جاء دور فيجى كى تهدئها.

"لا بأس يا ميك. مررت أنا أيضاً بأيام عصيبة. وأحياناً... أحياناً ما يطير عقلى. أحياناً لا أفهم أى شيء... وهو ما يصيبنى بالجنون".

زاد بكاء ميشيل فزادت معه قوة احتضان فيجى لها وهى تقول: "لا بأس. لست غاضبة منك. بل... أحبك. فأنتِ صديقتى".

احتضنت ميشيل فيجى وهى تهمس لها وسط نحيبها: "وأنتِ صديقتى أيضاً يا فيجى. لن أتوانى عن فعل أى شيء لأجلك، ولن أفعل ما يسيء إليك أبداً. أعدك بهذا... أعدك".

حينما عاد شين وجد ميشيل، التى بدت عليها آثار البكاء، جالسة فى حجرة المعيشة بالكوخ.

فبادرها متسائلا: "أأنتِ بخير؟ هل حدث شيء مع فيجى؟".

"إنها بخير، وأنا بخير".

عاد يسألها فى شك: "متأكدة؟".

أومأت برأسها فحسب، كما لو أن الكلام يتطلب منها طاقة لم تعد تمتلكها.

فجلس إلى جوارها وقال: "أما أنا فلست بخير". حكى لها ما حدث عند الشاطئ.

"رباه، كان بوسعه أن يقتلك يا شين".

"وما زال يسعه ذلك".

"وما الذى سنفعله الآن؟".

"أن نذهب إلى النوم. حدسى يقول لى إن أمامنا يوماً طويلاً وشاقاً فى الغد وسيفيدنا أن ننام ونعمق".

على أنه لم يكن مقدراً لأى منهما أن يحصل على هذا القسط من النوم.

لم تكن ميشيل ممن يغطون فى نوم عميق، لذلك فسرعان ما امتدت يدها إلى أسفل وسادتها لتسحب المسدس؛ وذلك عندما أحست بأحدهم يفتح باب غرفة نومها ببطء. فتحت عينيها رويداً رويداً حتى أمكنها أن تتبين ذلك الشخص الذى يستعد لمباغتتها، لم يكن سوى فيجى التى كانت ترتدى قميصاً قطنياً طويلاً يغطيها حتى أسفل ركبتيها وكانت تمسك فى يديها بشيء ما.

وقفت إلى جوار الفراش للحظات ثم وضعت ذلك الشيء فى هدوء فوق الفراش. وبعد ثوان سمعت ميشيل صوت الباب وهو ينغلق من جديد، ولحظات أخرى مضت قبل أن تسمع صوت باب غرفة فيجى وهو ينغلق بدوره.

اعتدلت من فورها فى الفراش وأضاءت مصباح الفراش. والتقطت ذلك الشيء الذى تركته فيجى لها، فوجدته مظروفاً كبيراً أصفر اللون. كان بداخله شيئان: خطاب داخل مظروف عادى وصورة. كانت ميشيل فى غاية اللهفة حتى إنها خرجت إلى الردهة بسرعة؛ طرقت باب غرفة نوم شين بهدوء. إلا أنه لم يجبها. فطرقته مجدداً، ولكن بقوة أشد، ثم ألصقت فمها بالباب وهى تناديه هامسة: "شين؟ شين؟".

بعدها سمعت بعض الزمجرة الساخطة، وبعض التمتمة التى تلتها حركة فى الفراش. ثم أضيئت الأنوار، واقتربت خطواته من الباب الذى سرعان ما انفتح.

كان شين لا يزال عليه أثر النوم.

انسلت إلى داخل غرفته، وجلست إلى الفراش وهى تشير إليه بأن يلحق بها: "أسرع. لدى شيء أود أن تراه".

تنهد فى خيبة أمل مصطنعة، وهو يلقى بجسده فوق الفراش قائلا: "وما هو؟".

أخبرته بزيارة فيجى لغرفتها خلسة وهى تريه ما تركته لها.

الآن فقط ذهب عنه كل نعاس، وهو يتأمل الرسالة ومن بعدها الصورة.

"من أين حصلت فيجى على هذا؟".

"من المحتمل أنهما من والدها. أليس كذلك؟".

"أعطتها فيجى لكِ؛ وعزفت لك الموسيقى من قبل. فما السبب؟".

"إنها تحبنى. وتثق بى لأنى أنقذت حياتها".

نظر شين إليها فى فضول وقال: "لقد أصبت يا ميشيل. إنها تثق بكِ". أعاد الصورة والرسالة إلى داخل المظروف، وهو يضيف: "عليكِ بالذهاب والتحدث إلى فيجى، الآن. فهذه الرسالة تبوح بشيء مغاير، معلومة أخرى، وعلينا أن نتوصل إلى ما يعنيه كل هذا. فبما أنها قد منحتك هذا القدر من المعلومات، فمن المنطق أن تمنحك بقية المعلومات".

"سأحاول".

عادت ميشيل إلى غرفتها، وارتدت مئزرًا وبعدها ذهبت إلى غرفة نوم فيجى. وبعد عشر دقائق كانت فى غرفة شين وعلى محياها خيبة أمل.

"إنها لم ترفض فقط أن تمنحنى أى شيء، بل وتنكر من الأصل أنها قد أعطتنى شيئًا".

قضيا نصف الساعة التالية يحاولان سبر أغوار الرسالة والصورة.

إلى أن قال لها شين: "لقد أيقظتني، وعلينا الآن أن نوقظ هوراشيو؛ فأنا أريد أن أعرف رأيه فى أمر ما".

بينما نهضت وغادرت الغرفة، كان شين ينظر إلى المظروف. ربما توصلوا الآن إلى الخيط الذى يبحثون عنه. كان هذا أمله، فلم تعد هناك أية خيارات أخرى، كما أنه لم يعد راغبًا فى خوض غمار الخيار الوحيد الباقي... وأن يضطر إلى اجتياز أسوار كامب بيرى.

الفصل

٧١

بدأت الشمس تبزغ فى الأفق بينما كان شين وميشيل فى طريقهما إلى هوراشيو فى غرفته بالقصر. مرا على مكتب الأمن قبل أن يصعدا الدرج لأعلى.

فتح لهما هوراشيو الباب على الفور. كان الإخصائى النفسى يرتدى ملابسه بالكامل على أنه لم يهتم بتصفيف شعره فى ذيل حصان كالمعتاد؛ مما جعل شعره أشعث أشبه بموجة فى طريقها للاصطدام بالشاطئ.

هم بأن يقول شيئاً ما، لكن شين بادره: "ليس هنا...هيا بنا نخرج".

بعد ذلك بعشرين دقيقة كانوا يقفون إلى جوار سيارة ميشيل الواقفة عند بعض الأشجار بالقرب من ضفاف النهر. تسللت أشعة الشمس فوق سطح المياه بينما كان شين وميشيل يراقبان هوراشيو وهو يتفحص الصورة والرسالة.

"حسنا... العنوان المدون فى الرسالة هو فايسبادن، ألمانيا. ولحسن الحظ أن الرسالة بالإنجليزية على الرغم من أنها تشير إلى أن كاتبها شخص عجوز لغته الأولى ليست الإنجليزية. وهى موجهة إلى مونك تورينج من...". توقف هوراشيو ليلقى نظرة أقرب على التوقيع وعدل من وضع نظارته.

إلا أن ميشيل أنقذته من حيرته قائلةً: "هنرى فوكس".

فأوضح له شين قائلاً: "موضوع الرسالة هو أن فوكس يشكر مونك لمساعدته إياه على العودة إلى ألمانيا".

نظر هوراشيو إلى أعلى الرسالة. "تاريخ الرسالة يعود إلى قرابة العام. أى قبل أن يتوجه مونك إلى إنجلترا وألمانيا".

فقال شين: "على الأقل قبل آخر رحلة ذهب فيها إلى هناك. تفحص الآن آخر سطرين فى الرسالة".

قرأ هوراشيو السطرين: "الآن وبعد أن ساعدتنى، فإنى - وحسب اتفاقنا - سأرد لك الجميل. إنها معى. وستصبح ملكك حينما تأتى للزيارة". نظر هوراشيو إليهما متسائلا: "لدى فوكس شىء ما يرغب أن يعطيه لمونك تورينج مقابل مساعدته له فى العودة إلى دياره؟".

فقالت ميشيل: "يبدو لى هذا. ومونك ذهب إلى ألمانيا للحصول عليه، وفى ذات الرحلة قرر أن يتتبع تاريخ عائلته مع آلان تورينج فى إنجلترا".

"ما الذى حصل عليه مونك من فوكس إذن؟".

ردت ميشيل: "نحن نجهل هذا حتى الآن".

فقال هوراشيو: "وهكذا ساعد مونك صاحبنا هنرى فوكس على العودة لوطنه، ولكن هنرى فوكس ليس أشبه بالأسماء الألمانية".

فقال شين بنبرة غامضة: "لدى نظرية حول هذا الأمر. ولكن علىَّ التثبت منها أولاً". ثم التقط الصورة. كانت تظهر ثلاثة أشخاص فوق عتبات مقدمة بناية كبيرة. من بينهم مونك تورينج؛ وفيجى، وهى فى سن أصغر، تجلس إلى جواره. أما الشخص الثالث فهو عجوز ضئيل الجسد ذو لحية بيضاء فوقها عينان زرقاوان ينظر من خلالهما فى حدة. كانت الصورة مذيلة بتاريخ.

فقالت ميشيل: "هذه الصورة مأخوذة منذ ثلاث سنوات؛ فقد أخبرتنى فيجى بأنها وأباها كانا يعيشان فى شقة فى مدينة نيويورك وقتئذ، وقالت بأنهما لم يتعرفا على أحد سوى رجل عجوز كان يتحدث مع والدها حول أمور قديمة. كما قالت بأن لهجته كانت مضحكة".

فتابع شين: "ربما كانت تقصد اللكنة...اللكنة الألمانية".

"لذا يفترض أن هذا العجوز الذى فى الصورة هو هنرى فوكس؟".

فقال شين: "صحيح. وهو ما يفسر الكثير، ولكنه لا يكشف لنا عما منحه فوكس لمونك".

أضافت ميشيل: "قالت فيجى إن العجوز كان يكتب أحرفاً على ورقة ثم يتحدى مونك تورينج أن يفك شفرتها...فيما يبدو".

فتدخل هوراشيو قائلاً: "مهلا. لقد قال لى ساوث فريمان إن من بين الأسباب التى دفعت الجيش إلى إخفاء أمر هؤلاء السجناء الألمان هو أن بعضهم كان يمتلك معلومات عن شفرة إنيجما. وقد رجعت إلى بعض المراجع التاريخية بعد حديثى مع فريمان، وعرفت أن كل وحدة من وحدات الجيش الألمانى كانت تمتلك شبكات مختلفة لشفرات إنيجما التى كانوا يستخدمونها. أما الشفرة البحرية فكانت هى أقوى تلك الشفرات جميعاً، وقد استعصت على خبراء الشفرة فى بليتشلى بارك، بمن فيهم الآن تورينج، بينما كان الألمان وغواصاتهم يقتلون الحلفاء فى معركة الأطلسى. هذا إلى أن نجح الحلفاء فى أسر بعض خبراء فك الشفرة الألمان، ومن خلال ما تحصلوا عليه من معلومات منهم؛ نجح خبراء بليتشلى بارك فى التغلب على شفرات إنيجما، وتغير مسار الحرب".

فتساءلت ميشيل: "وفيمَ يفيدنا هذا؟".

"لقد أخبرنى ساوث أيضًا بأن الحرب فى الأطلسى بدأت تنقلب لصالح الحلفاء بعد أن تم اقتياد أسرى الحرب الألمان إلى كامب بيرى، وقد كان أولئك الأسرى من أطقم السفن والغواصات التى غرقت، وهو ما يعنى أن أسرى الحرب فى كامب بيرى كان بحوزتهم كتب فك شفرات أنيجما، وغيرها مما يصب فى صالح الحلفاء".

"تقول بأن من الممكن أن يكون هنرى فوكس هذا أحد أسرى الحرب؟"، قالتها ميشيل بنبرة بطيئة.

"سنه مناسبة للوقائع التاريخية، وهو يتكلم بلكنة ألمانية، كما يكتب شفرات على الورق ويتحدث عن الحرب. نعم، أعتقد أن الأمر يصب فى ذلك الاتجاه".

فقال شين: "ولهذا أردت الكلام معك؛ لأننا نحتاج لاكتشاف ما الذى أعطاه فوكس لمونك تورينج؛ ذلك الشىء الذى أشار إليه فى الرسالة".

بدت الحيرة على هوراشيو وهو يقول. "أنا؟ ومن أين لى أن أعرف ما أعطاه له فوكس؟".

"لقد أعطت فيجى هذه الرسالة والصورة لميشيل خفيةً بينما كانت تنام؛ فأعتقد أنها قد فعلتها لكونها تثق فى ميشيل".

"حسنا، لكن ما دورى أنا؟".

"ربما ترك تورينج كل هذه الأفكار مع ابنته وأخبرها ألا تعطيها إلا لشخص تأتمنه؟".

فأومأ هوراشيو برأسه: "ذلك معقول تماماً. كما أن فيجى ذكية جداً، ولكن من الممكن تماماً أن يتم استغلالها. وستعطيك أحياناً أية إجابة يمكنك أن تضعها فى رأسها. وقد رأيت ذلك تماماً وبشكل واضح خلال كلامى معها".

"لكن ميشيل تكلمت مع فيجى بعد أن أعطتها هذه الأشياء إلا أن البنت بدت فى حيرة، بل هى لا تعترف حتى بأنها قد أعطت ميشيل أى شىء. فما الذى دفعها إلى ذلك؟".

لم يعلق هوراشيو بشيء، ولكنه حينما تكلم كانت نبرته بطيئة وهو يقول: "يبدو لى أن هذا أمر مضحك، وأعتقد بأن مونك تورينج لم يعالج ابنته...بل قام وببساطة ببرمجتها".

"برمجها؟"، هكذا صاحت ميشيل فى دهشة.

"لقد شككت فى هذا من قبل، لكن ما تقوله الآن يدفعنى إلى الاعتقاد بأننى أقرب إلى الحقيقة من ذى قبل، وأعتقد أن ذلك الأب الرائع قد عرف ابنته، التى يجمع عقلها بين العبقرية والسذاجة بهذه المعلومات، ودربها بحيث لا تنشر تلك المعلومات إلا وفق ظروف بعينها. وقد عزفت فيجى أغنية لميشيل لكونها كانت لطيفة معها، وشعرت فيجى بأنها موضع ثقة، ثم خاطرت ميشيل بحياتها كى تنقذ فيجى، لذا بادرت فيجى بأن تعطيها معلومات أكثر"، ثم نظر هوراشيو إلى ميشيل وهو يضيف: "على أن الغريب هو إقدامها على فعل هذا بالرغم مما فعلته معها عند السيارة".

فسأله شين: "سيارة، عم تتحدث؟".

فسارعت ميشيل بأن قالت وهى تتفادى نظرات شين المتسائلة: "لقد سويت الموضوع مع فيجى، ولكننى أشك فى أن أحاول إنقاذ حياتها ثانية، وأتمنى ألا أضطر لذلك. ما الذى على أن أفعله حتى أستخلص منها بقية المعلومات؟".

"ليس لدى إجابة عن هذا السؤال".

بينما قال شين وهو غارق فى أفكاره: "وصلنا إذن إلى طريق مسدود ولو مؤقتاً، إلى أن توافينا جوان بمعلومات، أو أن تنجح أليسيا فى فك شفرة اللحن". وضع الرسالة والصورة داخل جيبه، ثم تثاءب وهو يضيف: "بما أننا قد استيقظنا مبكراً، فمن الأفضل أن نذهب لتناول الإفطار".

فنظرت ميشيل إلى ساعتها: "لنعجل بهذا إذن؛ فسوف يلاقينى شامب عند التاسعة لأجل رحلة الطائرة".

فسألها شين فى حدة: "هل مازلت مصرة على الذهاب معه؟".

"بالفعل".

"لكنه لم ينجح فى إثبات حجة غيابه عن موقع الجريمة ساعة مقتل ريفيست".

"أشك فى أن من الممكن أن يحصل المرء على أية معلومات من أشخاص أبرياء، ومن المنطقى أن نسعى وراء من نعتقد أنهم مذنبون".

"حدسى ينبئنى بأن ندع هذا الرجل وشأنه".

فقالت ميشيل: "إلا أن عقلى يقول لى إننا لا نستطيع أن ندعه وشأنه".

هنا سارع هوراشيو يقول لشين: "دورك الآن... هذا ما لم تكن قد سلمت بانتصار هذه السيدة عليك".

فصاح فيه شين ساخطاً وهو يستقل العربة بدوره: "اخرس ".

فالتفت هوراشيو إلى ميشيل قائلاً: " رباه، هل يحتاج الرجل إلى أن يوضح لكِ أكثر من هذا؟".

فسألته فى دهشة: "يوضح لى ماذا؟".

فقلب هوراشيو عينيه وهو يتنهد فى عمق بينما لحق بهما داخل السيارة.

الفصل

٧٢

هاتف هوراشيو ساوث فريمان لاحقاً في ذلك الصباح لسببين: أولاً ليتبين ما إذا كان لدى الرجل قائمة بأسماء أى من الأسرى الألمان الذين قد تم احتجازهم فى كامب بيرى خلال الحرب العالمية الثانية، لكن الرجل غرق فى الضحك حينما سمع هذا الطلب وقال ساخرًا: "أوه، بالطبع، إنها أمامى هنا فوق مكتبى. رفض البنتاجون أن يعطينى إياها فقررت أن أتسلل داخل الـسى آى إيه حيث سلمونى نسخة مطبوعة منها، وبعدها سألونى عما إذا كنت سأتفضل بطلب أسرار أخرى منهم".

تجاهل هوراشيو هذه السخرية وهو يقول بهدوء: "سأعتبر أن الإجابة هى لا"، ثم سأله عما إذا كان يعرف أحدًا من الصحفيين فى تينيسى حيث تربت ميشيل، إلا أن حظ هوراشيو هذه المرة كان أفضل بكثير.

حيث قال ساوث: "هناك رجل يدعى توبى روكر... يدير صحيفة أسبوعية فى بلدة صغيرة على بعد ساعة جنوباً من ناشفيل". وحينما ذكر له اسم البلدة، كاد هوراشيو يقفز من فوق مقعده؛ فقد كانت هى نفس البلدة التى عاشت بها ميشيل.

سأله فريمان: "لماذا تريد أن تعرف هذا؟".

"لدى بعض الأسئلة حول حالة اختفاء شخص هناك، لنقل إنها حدثت منذ قرابة الثلاثين عاماً".

"إن توبى يعيش هناك منذ أربعين عاماً، فلو أن ذلك الحادث قد مثل مصدر اهتمام صحفى، فمن المؤكد أنه قد سمع به".

أملى فريمان رقم الهاتف على هوراشيو ثم قال: "سأهاتفه الآن وأخبره بأنك ستتصل به".

"شكرًا جزيلاً يا ساوث".

"الأفضل ألا تنسى اتفاقنا... انفراد حصرى ... وإلا قتلتك بيدىّ!".

"اتفقنا". أغلق هوراشيو الخط، ثم انتظر لعشرين دقيقة قبل أن يتصل بذلك الرقم.

جاوبه بعد الجرس الثانى رجل عرفه بنفسه على أنه توبى روكر. كان ساوث فريمان قد أنهى محادثته معه للتو، كما أخبره روكر. فذكر له هوراشيو طلبه ووافق روكر على أن يتحقق من الأمر.

حينما أغلق هوراشيو الخط سمع صوتًا بالخارج؛ فتطلع عبر نافذة غرفة نومه. كانت طائرة تحوم فوق بابيج تاون، وبينما كانت تحلق ذهبت أفكار هوراشيو إلى حيث ميشيل وهى على بعد آلاف الأقدام فى الجو بصحبة رجل لا يثق فيه شين كينج مطلقًا. لدرجة أنه كان قد طلب من هوراشيو طلباً لم يسع الأخير سوى أن يوافق عليه.

فتمتم قائلاً: "أرجو أن تعودى سالمةً يا ميشيل؛ فلدى الكثير مما أود التحدث عنه".

كان إقلاع الطائرة غاية فى السلاسة، وكانت الطائرة التى من طراز (سيسنا جراند كارافان) رحبة وفخمة من الداخل، بها ممر وحيد بين المقاعد التى يبلغ عددها أربعة عشر مقعداً، بما

فى ذلك مقعدا قائد الطائرة ومساعده، كما كانت تحوى منظومة ملاحة واتصال حديثة جداً، كما أكد شامب لميشيل.

"هل تطير بالعديد من الأشخاص؟".

إلا أنه بادرها قائلاً: "بل أفضل أن أطير بمفردى. أحب أن أختلى بأفكارى هنا".

فعادت بنظراتها إلى كل المقاعد وراءها وقالت: "يبدو لى إذن أن كل هذه المساحة قد ذهبت سدى".

"من يدرى، ربما تساعدنى الظروف على أن أشترى طائرتى الخاصة".

"لا تبدو كشخصٍ مهتم بالماديات".

فهز كتفيه قائلاً: "لست من هذه النوعية من البشر، وقد اهتممت بالعلم لأننى أحب اكتشاف حقيقة الأشياء. إلا أن الأمور ازدادت تعقيداً، وأنا هنا لا أقصد العلم".

إلا أنه سكت ولم يتابع كلامه.

"ما بك يا شامب؟ تحدث إلى".

حدق فى السماء عبر نافذة الطائرة وقال: "تتمتع حاسبات الكوانتوم بالكثير القادر على أن يعود بالنفع على العالم...أو قد يعود بالخراب عليه".

فقالت: "أنا متيقنة من أن الرجل الذى ابتكر القنبلة الذرية قد راودته نفس الأفكار".

عندها اضطرب صوت شامب وهو يرجوها: "لنغير الموضوع من فضلك!".

"حسناً...بين لى إذن ما تمتلكه هذه الطائرة الصغيرة العتيقة من قدرات".

عندها ارتفع بالطائرة صاعداً فى السماء، وكان صعود الطائرة فى سلاسة شديدة. بعدها قام بعدة مناورات ماهرة، بل لقد أخذ يتمايل بها ويدور. لم تكن ميشيل مهتمة بأى من هذا؛ فكثيراً ما استقلت طائرات أسوأ من هذه بكثير.

أشار إلى النافذة قائلاً: "هذه هى منطقة كامب بيرى. لن يمكننا الدخول أكثر من هذا، وإلا أطلقوا علينا الصواريخ".

"ألا يمكننا أن نهبط بالطائرة إلى مستوى أقل؟".

"هذا يعتمد على مدى كراهيتك للمخاطرة".

"ليس كثيراً. أفهم من هذا أنك تكره المخاطرة".

حرك عجلة القيادة إلى اليسار ثم قلل من سرعة الطائرة، فحلقت الطائرة فى مسار مستقيم متتبعة حدود نهر يورك.

"هذه أقصى مسافة يمكننا الوصول إليها من دون مخاطرة". أمكن لميشيل أن ترى حوض القوارب الذى خرج منه آيان وايتفيلد بقاربه العسكرى الضخم، وإلى جواره بدت المستودعات التى أراها شين إياها على خارطة القمر الصناعى، وإلى الشمال من هذه ذلك اللسان الذى يخرج من نهر يورك ويبدو أنه يشطر كامب بيرى إلى شطرين، وإلى الشمال أكثر رأت مدرج الطائرات، ومرت بعينيها على المنطقة السكنية التى وصفها ساوث فريمان، ثم منزل حجرى عتيق، وبركة صغيرة. وإلى الجنوب من كامب بيرى كان هناك مركز إمدادات تابع للقوات البحرية ومستودع للأسلحة والذخيرة.

قالت: "لقد أغلقت المباحث الفيدرالية هذه المنطقة".

"أجل بالفعل". مال بالطائرة إلى اليمين؛ ليحلق شرقاً فوق النهر، مبقياً الطائرة على ارتفاع ألفى قدم، ليمر فوق بعض المناطق الريفية جميلة المنظر، والتى كانت ميشيل قد رأتها من قبل.

"منظر جميل".

فقال شامب وهو يتأملها هى: "بالفعل". إلا أنه سرعان ما أشاح عينيه عنها فى اضطراب.

"ما بك يا شامب، يفترض أن يكون الخجل شعورى أنا، وليس شعورك أنت".

قال وهو ينظر عبر النافذة من جديد: "لقد حلقت بصحبة مونك من قبل".

"حقا؟ وهل كان يود أن يرى شيئاً على وجه التحديد؟".

"ليس تحديدا. على الرغم من أنه كان يود منى أن أحلق على ارتفاع منخفض فوق النهر".

فكرت ميشيل: *حتى يمكنه أن يتفحص كامب بيرى عن قرب. كما أريد أنا الآن.*

"هممم... هل تودين أن تقودى أنتِ الطائرة؟".

سحبت عجلة القيادة ناحيتها وهى تميل بالطائرة إلى اليسار فى هدوء، ثم إلى اليمين قائلة: "هل يمكن أن أرتفع بها قليلا؟".

"يمكنك الارتفاع بها حتى ثمانية آلاف قدم، ولكن وجهيها ببطء ويسر"، فارتفعت بمقدمة الطائرة رويدا رويدا وهى ترتفع بها حتى مستوى ثمانية آلاف قدم.

قالت: "وماذا عن المناورة بها انخفاضا؟ كما فعلت أنت؟".

فحدق فيها وهو يقول ببعض التوتر: "أوه؟ بالتأكيد... بالتأكيد".

مالت بعجلة القيادة للأمام لتنخفض بمقدمة الطائرة، ثم زادت من مستوى انخفاض مقدمة الطائرة، ورأت ميشيل الأرض أمامهما وهى تقترب وتقترب بسرعة كبيرة جدا، إلا أنها أبقت السرعة على ما هى عليه.

باغتتها خواطر وكوابيس كانت تمزقها على مدى ثلاثة عقود من الزمان. طفلة شلها الخوف، ولكن أية طفلة؟ هى؟ لم تستطع التيقن من هذا حتى بمخيلتها. ومع هذا فقد كان شعور الرعب الذى يراودها الآن حقيقيا... حقيقيا جدا.

كانت الطائرة تتجه للأسفل مباشرة ومع هذا فلم تلحظ ميشيل أن مؤشر مقياس الارتفاع ينخفض فى سرعة كبيرة أو حتى بوق التحذير الذى انطلق داخل قمرة القيادة. كما أنها لم تر أن شامب كان يجذب عجلة القيادة ناحيته فى رعب، وهو يصرخ

فيها أن تدعها؛ وإلا فسوف تتسبب فى تحطم الطائرة بهما. ومع هذا فقد عجزت عن أن تترك عجلة القيادة. بدا الأمر كما لو أنها قد أصيبت بمس كهربائى. وللمرة الثانية سمعت نفسها وهى تقول: "وداعا يا شين".

لكنها سمعته من خلال ضباب عقلها: "اتركيها!".

لمحت وجه شامب الشاحب وهو يجذب عجلة القيادة بكل قوته؛ وليحررها من حلزونة الموت التى أدخلها فيها، فتركت ميشيل عجلة القيادة فى سرعة. نجح شامب فى الارتفاع بالطائرة لتكون فى مستوى أفقى ومن ثم نجح فى الهبوط بها فوق الممر لترتطم العجلات بالأرض مرتين قبل أن تستعيد توازنها تماما.

توقفت الطائرة، وبقيا لبضع دقائق وكل منهما لا يسمع سوى أنفاث الآخر اللاهثة. وفى النهاية نظر إليها شامب متسائلا: "هل أنتِ بخير؟".

شعرت بغصة فى حلقها فقالت: "بالنسبة لكونى كدت أتسبب فى أن نلقى مصرعنا...فأنا بخير".

"هناك طيارون كثيرون يحدث معهم هذا، وأنا آسف، فلم يكن ينبغى أن أتركك تقودينها".

" أنت لم ترتكب خطأ يا شامب، أنا فى غاية الأسف".

كانا يسيران من الطائرة حتى سيارة شامب المرسيديس حينما اقتربت دراجة بخارية منهما. كانت دراجة هوراشيو بارنز الهارلى. خلع قائدها عنه الخوذة، فوجدا أنه شين كينج، الذى قال لهما:

"يوم جميل للطيران، أليس كذلك؟".

فسألته ميشيل: "ما الذى تفعله هنا؟".

إلا أنه لم يجبها، بل ألقى إليها بالخوذة الأخرى وهو يقول: "هيا بنا".

قالت ميشيل "أشكرك على درس الطيران هذا يا شامب. أخشى أننى فى غير شهية لتناول الغداء الآن"، واستقلت الدراجة خلف شين.

بعدما غادرا مدرج الطائرات الخاص وانطلقا على الطريق لعدة دقائق، طلبت ميشيل من شين أن يتوقف.

"ما الذى جرى؟".

"توقف وحسب".

فأوقف الدراجة، وعندها هرعت ميشيل إلى بعض الأشجار على جانب الطريق حيث تقيأت.

عادت بعد لحظات، تمسح فمها وقد شحب وجهها، واستقلت الدراجة ببطء.

"هل أصابك التعب بسبب التحليق بالطائرة؟".

فقالت فى هدوء: "كلا، لنعتبر هذا نتيجة لخطأ الطيار ـ كما يقولون. قل لى، ما الذى تفعله وأنت على متن تحفة هوراشيو الثمينة هذه؟".

"خطر لى أن أتجول بها قليلاً".

"وتصادف أن وجدت نفسك عند مدرج الطائرات وقت هبوطنا؟".

فالتفت إليها وهو يقول غاضباً: "هل تسمين هذا الهبوط الذى رأيته هبوطا بطائرة؟ لقد كانت الطائرة تهبط نحو الأرض فى سرعة شديدة، حتى إننى ظننت أن المحركات معطلة. فزدت من سرعة الدراجة إلى أقصى حد حتى أصل إلى مدرج الهبوط حتى ولو كان هذا لجمع ما تبقى من أشلائكما! فما الذى حدث بحق الله؟".

"كانت هناك بعض المشكلات فى المحرك، وقد أصلحها شامب". شعرت بحرج وهى تكذب عليه، ولكن الحقيقة كانت ستزيد الطين بلة، ولكن ما هى الحقيقة فى الأساس؟ الحقيقة

أنها قد أصابها مس جمد أطرافها حتى كادت تقتل نفسها وشخصاً ليس له ذنب؟".

"ظننتك قلتِ إنه خطأ طيار؟".

"الأمر لا يستحق، والمهم أننا قد هبطنا على الأرض أحياء".

"آسف على إظهارى كل هذا القلق عليك".

"إذن فقد كنت تجوب الأنحاء بهذه الدراجة البخارية تراقبنا ونحن فى السماء؟".

"أخبرتك من قبل بأنى لا أرغب أن ترافقى هذا الرجل فى رحلته".

"ألا تعتقد أنى قادرة على حماية نفسى؟".

"تباً، لا تكررى هذا الكلام معى. بل كنت...".

نقرت على خوذته وهى تقول: "شين؟".

"ماذا؟".

"أشكرك".

"على الرحب والسعة".

وانطلقا بالدراجة البخارية.

تشبثت ميشيل بسترة شين فى قوة. لم يكن هناك شىء ليبعدها عنه؛ فهى لم تشعر بكل هذا الخوف من قبل طيلة حياتها؛ فالخوف هذه المرة لم يكن نابعاً سوى من...نفسها.

الفصل

٧٣

وصلا إلى ذلك الفندق الذى كان هوراشيو يقيم فيه من قبل. قال شين مفسراً مقصده إلى هناك: "أنتظر رسالة فاكس من جوان".

وبالفعل تحصلا على الرسالة، ثم استقلا الدراجة البخارية إلى مطعم قريب. كانت معدة ميشيل قد هدأت بما يكفى لأن يطلبا الشطائر والقهوة، وهناك أخبرت شين عن أن مونك قد استقل تلك الطائرة من قبل.

تناولا الطعام وهما يتفحصان الصفحات التى أرسلتها جوان. قال شين: "لقد زار مونك تورينج فايسبادين بالفعل".

"كيف توصلوا إلى ذلك بهذه السرعة؟".

"لدى شركة جوان شركة تابعة هناك فى فرانكفورت. فتمكنوا من تتبعه من خلال فواتير بطاقته الائتمانية. وقد اشترى بها زجاجة المشروب التى أهداها لشامب من بين أشياء أخرى اشتراها". بعدها نظر شين فى بعض صفحات أخرى، ثم قال: "هذه هى قائمة بأسماء أسرى الحرب الذين تم احتجازهم فى كامب بيرى خلال الحرب العالمية... كنت قد طلبتها منها".

"للمرة الثانية أتساءل... من أين لجوان بهذه المعلومات وبهذه السرعة؟".

"أحد موظفيها الكبار كان يشغل رتبة أدميرال وسبق له أن ترأس وكالة الأمن الوطنى، وقد تمكن باتصالاته من الوصول إلى هذه المعلومات. كما يبدو لى أن هذه المعلومات لم تعد سرية من الأصل، بل هى من فئة المعلومات التى لم يعد أحد يهتم بها فى البنتاجون".

تفحصا القائمة، ووجدا أن أمام كل اسم التاريخ الذى تم فيه اعتقال صاحبه، ورتبته العسكرية، وما جرى معه.

فقال شين: "يمكنك تبين أن أغلبهم صار مطلق السراح مع نهاية الحرب، والبعض منهم مات فى الأسر؛ لكننى لم أجد أثراً لهنرى فوكس".

إلا أن ميشيل قالت وهى تشير بإصبعها إلى مساحة خاوية فى إحدى الأوراق: "مهلاً...انظر لهذا الرجل. لا يوجد أمام اسمه ما يشير إلى ما حدث معه أو له، وهو الوحيد الذى لم ترد عنه هنا أية معلومات سوى اسمه".

ثم تلت اسم الرجل بصوت عال: "هينريش فوش".

فكرر شين ببطء: "هينريش فوش...أقرب بالإنجليزية إلى هنرى فوكس".

فحدقت فيه ميشيل: "أعتقد أنك على صواب، والسبب وجيه".

"وما هو؟".

"لأننى أراهن وبكل ما أملك - هذا إن كنت أملك شيئاً - على أن هينريش فوش هذا هو فى الأصل واحد من مشغلى راديو البحرية الألمانية، كما كان الوحيد الذى تمكن من الهرب من معتقل البحرية والذى صار الآن كامب بيرى التابع للسى آى إيه. ولهذا لا نجد معلومات تبين ما تم معه؛ فلن تقر البحرية أن أحد أسراها قد هرب".

فالتقط شين نفساً عميقاً، قبل أن يعقب: "فر ثم غير اسمه إلى هنرى فوكس؟".

"وبعدها انتقل إلى نيويورك، وبدأ حياةً جديدة؛ حيث كبر في السن، وانتهى به المطاف داخل نفس البناية السكنية التى عاش فيه مونك وفيجى من قبل..."، عندها قفز من مقعده وهو يصيح فيها بغتة: "هيا بنا. علينا أن نلتقى فيجى وبسرعة".

"لماذا؟".

"قال لى هوراشيو إنها أشبه بشخص مبرمج. فربما كان اسم هينريش فوش هو كلمة السر التى نحتاجها معها. بل ربما كان هو مفتاح السر لكل هذا الغموض".

وهكذا استقلا الدراجة البخارية عائدين إلى بابيج تاون؛ حيث أسرعا إلى الفصل الدراسى، إلا أنهما لم يجدا فيجى هناك.

قالت لهما المعلمة: "أخبرتنى أنها متعبة".

فسألها شين: "هل أخبرتكِ بذلك شخصياً؟".

"كلا، بل أرسلت لى رسالة وجدتها فوق مكتبى حينما أتيت صباحاً".

فما هى إلا دقائق حتى كان شين وميشيل يهرعان فوق الدرج المفضى إلى كوخ أليسيا. اندفعا عبر الباب وهما يناديان، "فيجى؟... فيجى؟".

اندفعت ميشيل صعوداً فى الدرج لتفتح باب غرفة نوم فيجى فى قوة. كانت الغرفة خالية، فعادت أدراجها سريعاً إلى الأسفل. وبحثا عنها فى بقية أرجاء الكوخ.

بعدها قال شين فى توتر: "لا أثر لها".

"أين حارسها بحق الله؟".

عندها انفتح باب الكوخ وشاهدا أليسيا تدلف إلى الداخل. كانت تحمل رزمة من الأوراق وبدا عليها الإنهاك الشديد، ورغم أنها تفاجأت حينما رأتهما بالمكان، إلا أنها قالت بنبرة تقريع: "حسناً... لقد جربت مع تلك النوتة الموسيقية كل الحيل الممكنة ومن خلال أقوى برامج الحاسوب، إلا أننى لم أتوصل إلى أى

شيء، فإما أن هذه الشفرة معقدة بما يتعدى قدراتنا على فكها، أو أنها ليست بشفرة من الأصل، وهو الأمر الذى خلصت إليه. لقد وجدت بالفعل اسم الأغنية. وهى (شيناندواه)، وتعود إلى القرن التاسع عشر، على أننى قد وجدت أن لها كلمات، وهى ليست بالكثيرة أو الجميلة، إلا أنها كلمات فى نهاية الأمر. فخطر لى أن تكون هذه الكلمات هى المفتاح لفك الشفرة. فجربت معها كل شيء، ومن خلال كل منطق ممكن. ومع هذا فلم أتوصل إلى شيء سوى هراء غير منطقى".

لم ينبس أى منهما ببنت شفة وهما يحدقان فيها.

فسألتهما فى ريبة: "ما الأمر؟".

سألتها ميشيل بهدوء: "أين فيجى؟".

فنظرت أليسيا إلى ساعتها قائلة: "هى بالمدرسة. هى هناك منذ الساعة الثامنة صباحاً".

فقال شين: "بل هى ليست هناك. أخبرتنا المعلمة بأنها قد تركت لها رسالة تخبرها فيها بأنها مريضة".

فنظرت إليهما ملياً، قبل أن تقول: "لقد بقيت مستيقظة طيلة الليل فى محاولة سبر أغوار هذا الهراء. فكان من المفترض بكما أن ترعياها".

فقالت ميشيل: "كانت بخير هذا الصباح. وأتت إلى غرفتى لبعض الوقت قبيل الفجر، ثم عادت إلى غرفتها".

"ثم ماذا؟".

نظر شين وميشيل إلى بعضهما البعض، فلم يسع شين سوى أن يقول فى عدم ارتياح: "بعدها ذهبنا للقيام ببعض التحريات".

"وتركتماها وحدها؟!... تركتما فيجى وحدها؟ ثانيةً!".

حاولت ميشيل أن تدافع عن نفسها قائلة: "ظننا أنكِ هنا".

تضاعفت ثورة أليسيا وهى تلقى بالأوراق فى الهواء وتصيح: "ظننتما أنى هنا؟ كيف بحق الله أكون هنا وأنتما من أعطانى هذا كى أتعامل معه؟"، ثم التقطت أنفاساً عميقة قبل أن تردف:

"يفترض أن حارسها قد رافقها إلى المدرسة، وقد طلبت حارساً جديداً بعدما تركها ذلك الأحمق تتجول وحدها حتى كادت تغرق".

فنظر شين إليها في لهفة: "من هو الشخص الذى طلبت منه هذا الطلب؟".

"شامب".

فقالت ميشيل: "لقد التقاني شامب في التاسعة لنستقل الطائرة معاً".

فسألتها أليسيا وقد زاد غضبها: "ما الذى تتحدثين عنه... أية طائرة؟".

فقال لها شين: "هدئى من روعك يا أليسيا؛ فربما رأت فيجى أن تتجول وحدها".

"ألا تعلم ما حدث لها في آخر مرة قررت فيها القيام بذلك؟".

"إنها على حق يا شين. عليّ أن أذهب لأبحث عنها عند النهر".

فقال: "أما أنا فسأطلب من فريق الأمن البدء في البحث عنها في المنطقة بأسرها".

انطلقا معاً كل في اتجاهه، بينما بقيت أليسيا تشادويك تحدق في يأس في كومة الأوراق التي تناثرت فوق الأرض.

الفصل

٧٤

لم تكن فيجى عند النهر. وقد تم تفتيش جميع القوارب النهرية. لم ينجم عن البحث في أرجاء بابيج تاون أى شيء، كما أن الرسالة التى كانت مع المعلمة مكتوبة عن طريق الحاسوب، ولم ير أحد من سلم هذه الرسالة.

أما الحارس الموكل إليه رعاية فيجى فقال بأنه قد ذهب إلى الكوخ في ذلك الصباح قبيل الثامنة ببضع دقائق، ولكنه وجد رسالة على الباب الداخلى تقول بأن فيجى كانت مريضة ولن تذهب إلى المدرسة، لذا فقد انصرف. وقدم لهم الرسالة، والتى كانت مثل سابقتها مكتوبة على الحاسوب ولا يمكن تتبع صاحبها.

قال شين: "وبالتالى فبوسع أى أحد أن يكون هو الفاعل".

كانت ميشيل تقف مع هوراشيو خارج أراضى بابيج تاون؛ حيث كان الإخصائى النفسى قد شاركهم البحث عن فيجى، وكانوا قد مسحوا المنطقة مع المأمور هايز ومجموعة من المتطوعين إلا أنهم لم يتوصلوا لأى شيء قد يدلهم على ما حدث للبنت.

وبينما هم وقوف اقتربت منهم سيارة سوداء، فصاح شين عندما رآها ساخطاً: "أوه... تباً... لا ينقصنا هذا... لا ينقصنا الآن".

كان العميل الخاص فينتريس يترجل من السيارة ويقترب منهم.

"أرى أنكم قد فقدتم البنت ثانيةً!".

فسأله شين: "ما الذى تريد يا فينتريس؟".

"أريدكم أن تخرجوا من هنا؛ فلا جدوى ولا فائدة من وجودكم هنا".

"وما الذى أفدت به أنت، سوى إرباكنا؟".

فوضعت ميشيل يدها على كتف شين تهدئه قائلة: "اهدأ... فهو عميل فيدرالى".

فقال فينتريس بعدما سمعها: "من الأفضل أن تستمع إلى زميلتك لو أن هذه البنت قد اختطفت فسوف نعثر عليها، فهذا اختصاص المباحث الفيدرالية".

فسأله شين فى سخرية مريرة: "حيةً أم ميتة؟".

عاد فينتريس إلى سيارته وابتعد بها فى سرعة بينما تتبعه نظرات شين، ثم صاح فى غضب: "يا لك من وغدٍ".

فقال هوراشيو: "حسناً... أرى أن علينا أن نهدأ قليلاً".

فبادره شين: "أنا لا أريد أن أهدأ، بل أريد أن ألقن هذا الوغد درساً لا ينساه".

"لا بأس... فمن المفيد أحياناً أن تنفس عن أفكارك العنيفة".

التفت ثلاثتهم نحو الطريق بينما كانت قافلة من حافلات الركاب تمر؛ لتتوقف عند البوابة الأمامية ومن ثم تجتازها.

فأسرع شين وميشيل إلى الحرس المتمركزين هناك متسائلين: "ما الذى يجرى؟".

"نحن نخلى بابيج تاون ـ فى هذه الآونة على الأقل".

فسألتهم ميشيل: "لماذا؟".

"هناك حالتا وفاة غامضتان، والآن هناك بنت مفقودة، فانتاب العاملين وأسرهم الهلع، ويتم نقلهم الآن إلى ويليامسبرج حتى تنجلى هذه الأحداث".

فسأل شين: "ومن الذى أمر بذلك؟".

فأتاه صوت من خلفه يقول: "أنا من أمر بهذا". التفتوا جميعاً نحوٍ صاحب الصوت ـ شامب بوليون ـ الذى كان يقترب منهم قائلا: "وهل ألام على هذا؟".

فسأله شين: "ألا يمكننا أن نبقى؟".

"كلا! لن أكون مسئولاً عن إصابة أى أحد هنا بالأذى".

ثم استدار لينصرف.

إلا أن شين لاحقه بسؤاله: "وإلى أين ستذهب؟".

"سأغادر بدورى؛ فلا شىء يستحق أن أغامر بحياتى من أجله... حتى اكتشاف حاسبات الكوانتوم".

الفصل

٧٥

بعد ساعتين كانت بابيج تاون قد صارت خاوية إلا من بضعة حراس، بينما تابع شين وميشيل بحثهما عبر أراضيها عن أى شىء يمكن أن يدلهما على مكان فيجى، وذهب هوراشيو إلى غرفته ليجمع متعلقاته.

بينما كانا فى كوخ أليسيا يجمعان متعلقاتهما. اتصل هايز المأمور بشين وأخبره بأمر كان شين يتوقعه: "يبدو لى أن هذه البنت قد اختفت من فوق ظهر الأرض". إلا أن شين تفاجأ عندما قال له هايز: "بل إن السى آى إيه قد فشلت فى العثور عليها بدورها".

"المخابرات المركزية؟!".

"نعم. قال لى آيان وايتفيلد بأنه قد سمع باختفاء فيجى وعرض أن يرسل إلىّ بمدد يساعدنى فى البحث عنها، إلا أنهم لم يجدوا شيئاً".

"أوه... صار لدى المخابرات المركزية قلب عطوف". أغلق الخط وألقى بهاتفه على الفراش فى امتعاض، ثم توجه إلى غرفة ميشيل حيث أخبرها بما قاله له هايز.

فنبهته قائلة: "علينا أن نتوجه لنأخذ هوراشيو من غرفته ونخرجِ من هذا المكان". جاوبها شين بأن استدار على عقبيه منصرفاً، فقالت له: "إلى أين أنت ذاهب؟".

"سأذهب إلى حوض القوارب. أريد أن أختلى بنفسى لأفكر. تعالى معى، وسوف نوافى هوراشيو لاحقاً".

سارا عبر ممشى الغابة حتى المرفأ.

تساءلت ميشيل فى حزن: "أين يمكن أن تكون فيجى؟... أين؟".

فتطلع شين عبر النهر. "أعتقد أنها هناك". كان يشير ناحية كامب بيرى. "أعتقد أنها فى نفس المكان الذى قتل فيه والدها".

"وعرض وايتفيلد المساعدة بغرض التضليل؟".

فأومأ شين برأسه.

فقالت: "تعتقد إذن أنها قد لقيت مصرعها؟".

"كل شىء يشير إلى هذا".

"ولكن لماذا يا شين؟ لماذا فيجى؟".

"لأن والدها أخبرها بأسرار يا ميشيل، وهى بدورها قد أخبرتنا بأمور عرف بها أحدهم، وهم لا يرغبون فى أن تخبرنا بأى شىء".

"ومن أين لهم أن يعرفوا؟".

"من الواضح أنه لا توجد أسرار هناك فى بابيج تاون تغيب عن كامب بيرى".

فحدقت ميشيل فى المياه الساكنة، والتى كانت ساكنة الآن على الأقل وقالت: "أعلم أنها المخابرات المركزية يا شين، وأدرك أنهم قساة القلوب، ولكن ليس لدرجة قتل بنت صغيرة".

"من المؤكد أنكِ تمزحين؟ فهم لا يتوانون عن قتل جداتهم إن كان هذا يصب فى صالحَ الأمن القومى".

فقالت: "ما الذى يمكن أن يكون مونك تورينج قد توصل إليه مما يدفع السى آى إيه إلى أن تطيح برأسه؟ ومن بعدها تختطف فيجى؟".

"ليس لدى ما يكفى من المعلومات، كما أن من الواضح أننى لست ذكياً بما يكفى بأن أستنتج هذا من المعلومات القليلة التى لدى. ولكنَّ هناك شيئا أنا متيقن منه: أن مونك قد قتل، وكذلك لين ريفيست. ولا أعرف الدافع وراء ذلك بعد؛ فربما لقيا مصرعهما على يد أناس مختلفين أو منظمات أخرى ولأسباب مغايرة، إلا أن الأسباب تتعدد والموت واحد، وقد تعرف مونك تورينج على رجل عجوز يبدو أن من المحتمل أنه كان واحداً ممن أسروا هناك، وقد أخبره بسر يخص ذلك المكان، وهو أمر دفع مونك إلى الذهاب إلى هناك ليلقى حتفه".

"وكذلك فر هنرى فوكس من المكان، إلا أن مونك لم يفعل ذلك بل ذهب إليه، وتلك هى المفارقة".

فقال شين فى وجوم: "هذا ما حصل".

"والآن فيجى". منعت ميشيل نفسها من البكاء بينما أحاطها شين بذراعه.

"أنا آسف يا ميشيل. يبدو أن هذه القضية قد خرجت عن نطاق سيطرتى عليها".

"كلانا تركها وحدها يا شين... كلانا".

فقال شين فى شرود: "لقد فارقنا الكوخ هذا الصباح حوالى الساعة السادسة، ولم تكن الشمس قد أشرقت بعد. كانت أليسيا فى الكوخ رقم واحد مشغولة فى فك الشفرة، وبالتالى فقد كان بوسع أى شخص أن يتسلل ليختطف فيجى، وعلى متن قارب سريع عبر النهر إلى كامب بيرى فى غضون دقائق". انسابت الدموع على وجنتى ميشيل بينما كان شين يتحدث.

ناولها منديلا جففت به عينيها. سألته: "ماذا سنفعل الآن؟".

فقال وهو ينظر عبر النهر: "لقد قررت أن أجتاز ذلك السور".

فابتعدت عنه وهى تسأله فى دهشة: "ماذا؟".

"هذا هو السبيل الوحيد يا ميشيل؛ فقد أخطأت بترك فيجى من دون حماية، ولا يمكننى أن أجلس فى مكانى عاجزا عن التصرف؛ فعلىَّ أن أعمل على إنقاذها".

"حسناً... متى قررت أن نذهب إلى هناك؟".

"بل لن تذهبى".

"وكذلك أنت".

"لا يمكننى أن أسمح لكِ بمرافقتى يا ميشيل. تباً... فقد تكون كل تصوراتى خطأ. لا يمكن أن أسمح لكِ بأن تخاطرى بحياتك".

"أية حياة يا شين؟ إننى أحيانا ما أشعر بأننى بلا هوية، والحياة الوحيدة التى أهتم لها الآن هى حياة فيجى تورينج، فلو ذهبت عبر ذلك السور اللعين، فلن تذهب بدونى؛ سأذهب معك".

حدق فيها، وجزء منه يشعر بالزهو لأنها ترفض أن تتخلى عنه، والجزء الآخر يخشى من أن تتحقق تحذيرات هوراشيو وجوان.

قالت: "شين، ستصل طائرة السى آى إيه ليلة الغد. فهل تعتقد أنهم سيحاولون نقل فيجى على متنها بعيداً عن المكان؟ وعندها فقد يستبقونها حية حتى ذلك الموعد".

لم يجبها بشىء، بل كان يتطلع عبر النهر. هل يجد فى نفسه الجرأة على تحدى آيان وايتفيلد؟ هل يستطيع ذلك حقا؟ كانت الإجابة هى لا... ونعم فى الآن نفسه.

عندها ومضت فى ذهنه فكرة خاطفة، جعلته يقفز فى مكانه واقفاً ليقول لها بغتة: "هيا بنا!".

الفصل

٧٦

اتصل توبى روكر بهوراشيو بينما كان الأخير يجهز حقائبه، وأخبره بأنه قد نجح فى التوصل إلى ما طلبه منه.

"تم العثور فى تلك الفترة التى تتحدث عنها على سيارة بلا صاحب على مسافة ساعة بالسيارة من هنا، عند جبال سموكى. كنت وقتها مجرد صحفى حر، ولكنى وبعد قراءة الخبر فى الأرشيف صرت أتذكر ما حدث جيدا".

"من هو صاحب هذه السيارة؟".

"شخص يدعى ويليام جوينر، وهو عريف فى الجيش، وكان مسئولاً عن مكتب التجنيد بالمنطقة. كان ذلك فى أواخر السبعينيات".

"وما الذى حدث له؟".

فقال روكر: "لا أحد يدرى. وقد عثروا على السيارة، ولكنهم لم يعثروا عليه، وقد حققت الشرطة المحلية فى القضية، كما أرسل الجيش محققين، إلا أنهم لم يتوصلوا لشىء".

"هل كان جوينر متزوجا؟".

"كلا؛ فقد كان فى أواخر العشرينيات، والتحق بالجيش فى الثامنة عشرة، وشارك فى حرب فيتنام، وبقى عسكرياً وعاد إلى الولايات قبل ست سنوات من تاريخ اختفائه".

فقال هوراشيو متردداً: "هل كانت لديه هناك أية علاقات غرامية؟".

"لا يوجد بالأرشيف ما يشير إلى هذا. هل تعرف أنت معلومة مختلفة؟".

فسارع هوراشيو قائلاً: "كلا".

"هل لى بأن أعرف سبب اهتمامك هذا؟ فلم يخبرنى ساوث بشىء".

"اعتبرنى شخصًا فضوليًّا. معنى هذا أن التحقيقات قد وصلت إلى طريق مسدود".

"يحدث هذا كثيراً طالما لا يتم العثور على أية جثة؛ فربما مل جوينر من الحياة العسكرية وقرر أن ينتهز الفرصة فى مكان آخر؛ فهذا يحدث".

شكر هوراشيو الرجل ثم أغلق الخط. من الواضح أن ويليام جوينر كان على علاقة بزوجة فرانك ماكسويل ومن ثم اختفى. ولم يتم العثور على جثته، هذا بافتراض أنه قد لقى مصرعه، فما الذى رأته ميشيل خلال تلك السنوات وأضر شخصيتها كل هذا الضرر؟ يعلم هوراشيو أن مكمن السر هو ميشيل نفسها، وحتى لو نجح عقلها الواعى فى أن يدفن تلك الأسرار فى طيات الذاكرة، إلا أنه يعلم أن عقلها الباطن لا ينسى أبداً.

التقط شين وميشيل بعض الأدوات من داخل المرآب ودساها فى حقيبة، ثم توجها إلى القصر حيث أخبرا الحارس بأنهما قد حضرا من أجل هوراشيو وقالا له: "نحن نخلى المكان... وفق طلب شامب".

سمح لهم الحارس بالدخول، فسارعا الخطى فوق الدرج حتى الطابق العلوى وعبر الردهة نحو الغرفة التى كان يقيم بها شين من قبل، وحينما دلفا إلى الغرفة توقفا أمام الجدار؛ حيث أخبرتهم فيجى عن مكان الغرفة السرية.

فقال شين: "ينبغى أن يكون هناك باب فى موضع ما، ولكن لا وقت أمامنا حتى نجده". وسرعان ما انخرطا يعملان بأدواتهما فى الجدار، حتى نجحا فى فتح فجوة به، وأسقط شين ضوء مصباحه عليها وهو ينظر عبرها.

"تباً!".

"ما الأمر؟".

"سترين بنفسك... هيا بنا!".

عادا يهاجمان الجدار بعزم أشد من ذى قبل، وسرعان ما صنعا فجوة كبيرة أمكنهما المرور من خلالها، وحدقا فى جدران تمتلئ بالأجهزة الإلكترونية. بدا على الجانب الآخر من الجدار ما يظهر أنه باب؛ فأشار إليه شين قائلاً: "يتم الدخول إليه من الغرفة الأخرى، تلك التى كانت موصدة بالمزلاج".

كان هناك جدار مغطى بشاشات تليفزيونية تبين دواخل جميع الأكواخ.

قال شين وهو يشير إلى إحدى الشاشات: "ذلك هو الكوخ رقم واحد".

بينما أشارت ميشيل إلى شاشة أخرى وهى تقول: "وكوخ شامب رقم اثنين".

ثم أشارت ناحية صف من شاشات الحاسبات على جدار آخر؛ حيث كانت الأرقام تتدفق متتالية.

فصاح شين فى دهشة: "إنهم يسجلون بيانات حاسبات كوخ شامب خلسة".

قالت: "كان لين ريفيست على حق. هناك جاسوس فى بابيج تاون... جاسوس إلكترونى". نظرت إلى مصباح أحمر يومض فوق أحد الأجهزة على أحد الجدران. صاحت: "أوه... تباً، هل هذا ما اعتقده؟".

وسرعان ما عادا أدراجهما عبر الفجوة، وركضا ناحية الدرج بينما كانت قوة إضاءة مصباح الإنذار الأحمر الصامت تزداد.

"ماذا عن هوراشيو؟".

عندها توقف شين فى مكانه، وعاد أدراجه فى سرعة عبر الردهة الأخرى. أخذ يطرق بقوة على باب غرفة هوراشيو، وحينما فتح الأخير الباب جذبه شين بقوة وقاده عبر الردهة.

سألهما هوراشيو وهو يلهث: "لماذا تركضان؟".

صاحت فيه ميشيل: "حتى لا نموت".

عندها زاد الخبير النفسى من سرعة خطاه ولم يعلق بشىء.

سألت ميشيل: "كيف سنخرج من هنا؟ فالبوابة الأمامية محاطة بالحرس".

أجابها شين: "بالقارب... هيا بنا!".

ركضوا جميعاً وبكل سرعة حتى المرفأ، ولم يصادفوا فى طريقهم إلا حارسين، وبدا لهم أن أحداً لم يعرف بعد بأمر اقتحام الغرفة السرية.

فقالت ميشيل: "هل كان من المفترض أن نتبين إن كان ذلك الإنذار يعمل أم لا؟".

فاقترح هوراشيو قائلاً: "هلا أبلغنا المأمور هايز؟".

إلا أن شين أجابه فى صرامة: "لم أعد أثق فى أى شخص".

وصلوا إلى المرفأ حيث فتح شين المستودع بالقوة، وأخذ مفاتيح قارب السباق السريع، وسرعان ما كان ينطلق بهم فى المياه بسرعة محدودة، وقد تعمد أن يطفئ أنواره.

نبههما شين قائلاً: "راقبا ما حولنا".

إلا أن الحيرة كانت بادية على ميشيل.

فسألها شين وهو ينظر إليها من مقعد القائد: "ما الأمر؟".

قالت: "ما الذى دفع فيجى إلى المجىء إلى المرفأ، وإلى أن تستقل قارب كاياك لتجدف به فى الماء؟".

"قلت لى بأنها لم تبح لكِ بالسبب".

"كنا قد أتينا إلى هنا ذات مرة حيث ركبنا الكاياك، وقالت لى بأنها قد كانت واحدة من أسعد الأوقات التى قضتها فى حياتها،

ثم تسابقنا ركضاً عائدتين إلى المنزل: كنا قد تراهنّا، فلو فزت أنا سيكون عليها أن تبوح لى بسر الشفرات والدماء، وبالفعل فزت، فاغتاظت وبدأت تعزف على البيانو بصورة هيستيرية، إلا أنها كانت تعزف بصورة جيدة... نفس النوتة".

"وبعد؟".

"لماذا عادت إلى النهرِ ثانيةً إذن؟".

نبهها هوراشيو قائلا: "من الخطورة أن تحاولى سبر أغوار أفكار فيجى يا ميشيل".

"لماذا أظن أنها كانت تحاول أن تبوح لى بشىء؟ لماذا أظن أنها كانت تحاول أن تدفعنى إلى المجىء إلى المرفأ؟". كانت ميشيل تقف وتنظر نحو كامب بيرى وتقول: "كما أن هناك أمرًا غريبا آخر؛ فقد أخبرتنى فيجى بتلك القصة من دون سؤال منى".

"أية قصة؟".

"إنها تعرف أن آلان تورينج قد انتحر بتناول تفاحة مسممة. وكيف أن هذا ذكرها بقصة سنو وايت؛ حيث تحولت الملكة العجوز إلى عفريتة، واستقلت قاربا عبر النهر وخدعت سنو وايت حتى تناولت تفاحة مسممة كادت تودى بحياتها. تماما كما كادت تموت فيجى غرقاً فى النهر. قالت عبارة تعنى أن أى شخص يمتلك التفاح يكون قد امتلك السلطة، فما الذى دفعها إلى أن تخبرنى بهذا؟".

سألها شين: "لا أعلم... ولكن ما الذى نستفيده من هذا؟".

إلا أن ميشيل صاحت بغتة: "يا إلهى! القارب؟ التفاحة؟".

هرعت نحو حافة القارب، ومالت نحوه وهى تحدق فى الاسم المدون على عارضته: "التفاحة الكبيرة".

فقال شين: "التفاحة الكبيرة... أتقصدين مدينة نيويورك؟".

"كلا... بل هى تفاحة سنو وايت. علينا أن نكشف عما يخبئه هذا القارب".

سألها هوراشيو: "لماذا؟".

"ساعدانى وحسب! ساعدانى".

وبعد ساعة، كان ثلاثتهم يجلسون إلى مقاعد القارب ويحدقون فيها؛ فقد وجدوا الأوراق مخبأة عند مقدمة السفينة، خلف لفات أوراق التواليت بقمرة التخزين.

قالت ميشيل: "لابد أنها قد أتت إلى هنا ذلك اليوم حتى تخبئ هذه المستندات، وربما خططت لأن تترك لى دليلا جديداً أو ربما لكى تسلمنى هذه المستندات كما فعلت معى من قبل لو أننى نطقت بكلمات السر... إلا أنهم لم يعطوها الفرصة".

فقال هوراشيو: "كما أن حقيقة كونها بحاجة إلى مكان لتختبئ به تبين أنها كانت خائفة".

قالت ميشيل فى مرارة: "تبين أن مخاوفها كانت على حق، أليس كذلك؟".

بينما قال شين وهو يمسك بالأوراق: "إنها قديمة. تعود إلى وقت الحرب العالمية الثانية. لابد أن هذه هى ما أعطاه هنرى فوكس أو هينريش فوش لونك تورينج حينما زاره فى ألمانيا".

تأملها هوراشيو قائلا: "إنها خارطة".

وافقته ميشيل قائلة: "خارطة لكامب بيرى أو ما كانت فى السابق منطقة تابعة للقوات البحرية. الطبوغرافية متطابقة مع تلك التى فى خارطة ساوث فريمان".

أشار شين إلى خط يمتد من قرب شاطئ النهر وحتى مركز المنطقة قائلا: "الفارق الوحيد أنه لا يوجد ذلك اللسان النهرى؛ فلابد أن بالخارطة خطأ".

فقالت ميشيل: "بل هى سليمة لو لم يكن هذا الخط يحدد ذلك اللسان".

"فهذا الخط عبارة عن طريق إذن".

قلبت الخارطة، فوجدت فى خلفها حرفين... "هـ... ف...".

فقال هوراشيو: "هينريش فوش".

"كما أن هناك كتابة، لكنها بالألمانية".

بينما قال شين وهو يتأمل كتابة حديثة بخط اليد: "انظرا إلى هذه".

فأضافت ميشيل: "إنها بالإنجليزية. ربما هو خط يد مونك تورينج. انظرا، هناك إشارات بوصلة، واتجاهات، وكل شيء".

"أجل... ولكن، إلى أين؟".

عادت ميشيل تقلب الخارطة وهي تقول: "إلى ذلك الخط أو المسار، لابد أنها كذلك. مهلاً. لو كنت محقاً يا شين، فإن هنريش فوش كان قد نجح في الهرب من كامب بيرى".

"وبماذا يفيدنا ذلك؟".

"كيف فعلها؟".

"لا أدرى. ربما كان أفضل سبيل هو الوصول إلى النهر. فلو أنه حاول الهرب عبر الطريق أو الغابات فكان سيسهل من مهمة الكلاب في تتبع رائحته والعثور عليه، فدوماً ما تكون المياه هي المهرب الآمن، بشرط أن تنجحي في الوصول إليها، ومن المؤكد أنهم كانوا يضعون حراسة مشددة حول النهر فى تلك الأيام".

فقالت: "هذا مؤكد... ولكن فوق الأرض".

"فوق الأرض؟".

"شين، ربما كان هذا الخط يشير إلى قناة مائية سفلية، إلى داخل كامب بيرى مباشرةً، أو - كما هو الحال مع هينريش فوش - إلى خارج كامب بيرى، أى إلى الحرية. فمن المألوف أن تمثل هذه القنوات وسيلة هرب مثالية من السجون".

"ولكن ما الذى دفع مونك إلى أن يخوض كل تلك المتاعب ليحصل على خارطة لقناة تؤدى إلى كامب بيرى؟ بل إنه قد لقى مصرعه بسبب هذا".

"إنهم لم يقتلوه داخل تلك القناة؛ فمن المؤكد أنهم قد قتلوه بعدما خرج منها، بل ربما كانوا لا يعلمون شيئاً عنها".

"هذا لا يجيب عن سؤالى عما دفعه من الأصل إلى المخاطرة بحياته والتسلل عبرها".

عندها تدخل هوراشيو فى الحوار قائلاً: "ربما أخبره فوش عن سرٍ موجود هناك، سر مكمنه كامب بيرى، سر لا أعلم عنه شيئاً... سر ثمين".

"لا يحمل هذا أى منطق يا ميشيل، إلا أن اكتشاف هذه الخارطة يسلحنا بشيء مهم: وسيلة للتسلل إلى داخل كامب بيرى".

"تعتقد حقاً أن فيجى هناك؟".

"وحتى لو لم تكن هناك؛ فقد نتمكن من كشف النقاب عن شيء يستحق، أمر مهم لدرجة أن نستخدمه كورقة نضغط بها لإطلاق سراح فيجى".

"ولكن... ماذا لو أننى مخطئة وكانوا يعرفون بأمر تلك القناة المائية؟".

عندها نظر شين إليهما واجماً وهو يعاود طى الخارطة قائلاً: "أخشى أننا سنكون وقتئذٍ فى عداد... الأموات".

الفصل

٧٧

قرروا أن يستقلوا القارب عبر النهر حتى ينقلوا المعدات التى كان شين قد طلبها من أجل التسلل إلى كامب بيرى. بعدها قادهما شين فى جولة ذهبوا خلالها إلى ساوث فريمان. لم تكن آرك فيرجينيا، تطل على النهر، لذا كان عليهم أن يرسوا بالقارب ثم يسيروا لمسافة تقارب نصف الميل. استعمل شين هاتف ميشيل المحمول فى الاتصال به مسبقاً، ومع أن الوقت كان متأخراً إلا أنهم وجدوا ساوث جالساً إلى مكتبه يدخن سيجارة كالمعتاد، وأصابعه تضرب بخفة على لوحة مفاتيح الحاسب ويقول: "اختفاء فتاة فى بابيج تاون. لقد ذاع الخبر هنا. خبر مثير. والأكثر إثارة أنها ابنة مونك تورينج. علىّ أن أصدر طبعة خاصة. أرجو أن تطمئنانى بأن لهذه الحادثة علاقة بتلك البقعة الغامضة عبر النهر".

فقالت ميشيل بحدة: "بل له علاقة ببنت صغيرة قد تكون لقيت مصرعها...ألا يمكنكم أيها الصحفيون أن تتمهلوا لتنظروا للأمور من هذا المنظور؟". عندها توقف ساوث عن الكتابة، ودار بمقعده لينظر إليها قائلاً لها بعبوس: "حنانيك...فليس بينى وبين تلك الطفلة أى شىء، بل إننى أدعو الله أن يعثروا عليها

سالمة، وأن يلقوا القبض على من فعل بها ذلك، لكن الخبر يبقى خبراً".

لكن ميشيل أشاحت بوجهها فى امتعاض.

بينما قال شين: "ساوث، هل سمعت بجديد ذى قيمة عن كامب بيرى؟ أقصد فى الفترة التى كانت القوات البحرية تدير فيها المنطقة خلال الحرب العالمية الثانية؟".

"ذو قيمة؟ لا أذكر شيئاً من هذا. إلا ما يتعلق بالأحياء القديمة والمبانى التابعة للسى آى إيه؛ فلم تكن سوى غابات وبعض برك المياه. لماذا تسأل؟".

بدا الإحباط واضحاً على شين وهو يقول: "كنت أتمنى لو أخبرتنا بمكان كنز مدفون هناك... فأنت تعلم كم من السفن تغرق".

ابتسم فريمان معلقاً: "هناك خرافة تتعلق بمثل هذا الكلام ولكن ثق بى... كل هذا هراء".

فقال له هوراشيو: "أخبرنا إياها يا ساوث".

"ولماذا؟ ليس بوسعكم الحصول على ذلك الكنز طالما أنه فى كامب بيرى".

قال له شين: "فقط سايرنا يا رجل".

عاد فريمان بظهره للوراء فى المقعد وهو يسترخى ليبدأ الحكى: "تعود القصة لزمن طويل مضى، وقت استعمار البريطانيين للمنطقة، فى الحقيقة...".

لكن ميشيل قاطعته فى عصبية: "هلا دخلت فى الموضوع مباشرةً؟".

فنهض غاضباً بدوره: "هاى... سيدتى... يمكننى ألا أخبركم بحرف واحد منها!".

فرفع شين يده مهدئاً الطرفين وهو يقول: "خذ وقتك يا ساوث"، وجلس أمامه وهو ينظر إلى ميشيل فى صرامة، فأسندت

جسدها إلى حافة المكتب فى غير اقتناع، وهى تحدق فى الصحفى بكل برود.

ويبدو أن ما حدث قد أرضى ساوث؛ حيث عاد ليجلس وهو يقول: "تذكرون أننى قد أخبرتكم عن شخصية اللورد دانمور؟".

فقال شين: "نعم... آخر حاكم ملكى لفيرجينيا".

"حسناً... هناك أسطورة محلية تقول إن البريطانيين كانوا قد أرسلوا بأطنان من الذهب لغرض تمويل الحرب. كانوا سيعطون منها مكافآت لجواسيسهم، وكذلك للمرتزقة الألمان الذين كانوا يقاتلون فى صف البريطانيين، وأيضاً ليكسبوا بها ود السكان المحليين، وكان من المفترض أن يعمل هذا اللورد على إشعال نار الفتنة بين الهنود الحمر والأمريكان فيضطرون إلى محاربتهم فى نفس الوقت الذى يحاربون فيه البريطانيين. لم يفطن الكثير من الناس فى وقتنا الراهن إلى أن المواطنين وقتها كانوا منقسمين حول كلا الفريقين؛ فقد كان خلافهم مبنياً على من يكسب المعركة الكبرى وعن الجيش الذى كان فى منطقتهم، وهكذا ترون أن ضرر الذهب الذى أشيع أنه بحوزة اللورد دانمور كان أكبر من نفعه".

فعلق شين قائلاً: "ولكن دانمور كان فى ويليامسبرج".

"لقد اضطر إلى الفرار إلى منزله الصيفى، بورتو بيللو، بعد أن تم تضييق الخناق عليه، وهو نفس المنزل المسجل فى سجلات التاريخ الوطنى. ويقع فى قلب كامب بيرى"، ثم نهض ليشير إلى نقطة فوق خارطة قائلاً: "هنا تقريباً". بعدها عاد لمقعده.

سأله شين فى توتر: "لو أن المطاف قد انتهى بالذهب فى بورتو بيللو، فما الذى قد يكون حدث له؟".

"من يدرى؟ إلا أن المطاف لم ينته به هناك؛ فهو لم يوجد من الأصل".

قال شين الذى كان يجول الغرفة فى عصبية: "هل أنت متيقن من هذا؟".

"لنكن واقعيين، فلو كان ذلك الكنز فى كامب بيرى لكان أحدهم قد عثر عليه، ولشاع الخبر، فمثل هذه الأمور لا تبقى سراً".

فسأله شين: "وماذا لو أن أحداً لم يعثر عليه بعد؟".

"أشك فى أن يكون ذكاء دانمور قد مكنه من أن يخفى جبلاً من الذهب بحيث لا يتمكن أحد من العثور عليه".

فقالت ميشيل: "مساحة كامب بيرى تتعدى آلاف الهكتارات، فربما كانت هناك بعض المناطق التى لم يستكشفها أحد حتى يومنا هذا... لا المخابرات المركزية ولا القوات البحرية".

بدا التفكير على محيا فريمان وهو يجيب: "بالفعل... ولكن حتى لو كان هناك، فلم يعد بمقدور أحد أن يتوصل إليه الآن. فما لم يعثروا عليه هم، فإن أحداً لن يتمكن من العثور عليه. صحيح؟". نظر إلىّ شين، والذى كان يحدق فى شىء ما على الحائط، وقال: "هل أنا على صواب؟". قالها فريمان ثانية وبصوت أعلى، إلا أن انتباه شين كان منصباً على قصاصة ورقية مثبتة فى الحائط.

بدا الاهتمام على ميشيل بدورها وهى تسأله: "ما الأمر يا شين؟".

التفت إليهم وهو يقول: "ساوث، هذه قائمة بالأماكن التى لم يعد لها وجود فى فيرجينيا، تلك التى عرضتها علينا فى السابق، هل هى دقيقة؟ هل أنت متأكد من هذا؟".

فنهض فريمان من مكانه متوجهاً إليه وهو يقول: "بكل تأكيد؛ فهذه قائمة أعدها أصحابنا فى ريتشموند، وهى القائمة المعتمدة رسمياً".

فصاح شين فى نبرة انتصار: "تباً... إنها هنا".

فصاح فيه هوراشيو بدوره: "ما هى؟".

سدد شين إصبعه إلى اسم فى القائمة وهو يقول: "كانت هناك مقاطعة فى فيرجينيا تسمى دانمور".

فقال فريمان فى جذل: "بالفعل... ولكنهم، وبعدما طردوا ذلك الجبان منها، أعادوا تسميتها باسم مقاطعة شيناندواه، وهى منطقة جذابة بالفعل".

لم يعلق شين بشيء، بل انطلق من فوره إلى خارج المبنى، ورفيقاه من خلفه؛ فلم يكن الأمر يتعلق بنوتة موسيقية أو حتى بكلمات أغنية، بل هو اسم الأغنية ذاتها. شيناندواه. كانت تلك هى كلمة السر.

أسرع فريمان الخطى وهو فى قمة دهشته، ينادى عليهم من عند الباب: "ما هى أهمية تلك المقاطعة... شيناندواه؟". سكت متعجباً، قبل أن يعود ليهتف بهم: "لا تنسوا اتفاقنا؛ فأنا أريد الحصول على جائزة البوليتزر هذا العام! هل تفهمون؟!".

الفصل

٧٨

فى الليلة التالية كان القارب يبحر بهم إلى جوار شاطئ النهر بسرعة لم تتعد خمس عقدات، أى بما يكفى للإبحار وحسب. كانت الأضواء منارة بينما يقف شخص واحد عند الدفة. كان هوراشيو بارنز يحكم ارتداء معطفه ليحميه من الرياح التى بدأت تهب آتية من منطقة ضغط منخفض، كان التيار قويا بعض الشيء نتيجةً لهذه الرياح؛ مما أسهم فى زيادة سرعة القارب قليلا. كان هوراشيو قد اعتاد أن يستقل القوارب داخل خليج تشيزبيك، فلم يجد أدنى صعوبة الآن داخل نهر يورك؛ حتى وهم يتحركون خلال ساعات الليل.

وبينما كان هوراشيو يرتشف القهوة من الكوب المصنوع من الفوم، فكر هوراشيو فى أن المهمة السهلة هى التى كانت من نصيبه الليلة، مجرد التحرك بالقارب فى النهر، ولكن العيون البشرية والإلكترونية كانت، وبدون شك، تراقبه هو وقاربه؛ ولكنه داخل مياه عامة وطالما أنه لم يضل طريقه حتى يقترب جداً من الشاطئ المقابل، فإنه لا سلطةللمخابرات المركزية عليه.

ثم تذكر هوراشيو أن شخصاً قد أطلق الرصاص على شين بينما كان واقفا على أرض خاصة. عندها جلس فى سرعة فى كرسى القائد ومال بجسده للأمام؛ فلا يوجد ما يدعو لإتاحة الفرصة

لهؤلاء الأوغاد، ثم اتجهت أفكاره إلى مصير شخصين صار يهتم بهما كثيرا، فقال فى مواجهة الرياح الباردة القاسية: "ليحفظكم الله..."، ثم نظر إلى السماء مردفا: "وإذا حدث أن ألقوا القبض علينا، يا إلهى؛ فأدعوك أن تجعل اعتقالنا داخل سجن به الحد الأدنى من الاحتياطات الأمنية".

أما عند الشاطئ المقابل لكامب بيرى، فكان كل من شين وميشيل فى ملابسهما المبتلة وهما يتفحصان معداتهما.

تنفس شين نفسا عميقا، قبل أن يقول: "لا أخطاء، يا ميشيل؛ فأية حركة خطأ لن تعنى سوى مصرعنا".

لكنها لم تعقب على كلامه.

فنظر نحوها، وهو يتساءل: "ميشيل، هل أنتِ مستعدة؟".

فى كل مرة كانت ميشيل تسمع فيها هذا السؤال يكون جوابها الفورى "بالطبع!". أما الآن، فكانت مترددة. الصور التى تتدفق فجأة خلال عقلها صور قوية. لقد أشاروا جميعًا إلى الكارثة المحتملة - إلى عجزها عن التصرف خلال لحظة حاسمة أو معاناتها من رغبة انتحارية عارمة تؤدى إلى موتها، لكن أشد ما يثير فزعها هو تخيلها لشين كينج ميتاً بسبب تصرف فعلته أو أخفقت فى فعله.

"ميشيل؟"، لامس شين ذراعها فجفلت مذعورة، "هل أنتِ على ما يرام؟".

لم تستطع أن تنظر إلى عينيه وقد بدأ جسدها يرتجف.

"ما الأمر يا ميشيل؟".

جاوبته بأنفاس متقطعة: "شين... أنا... لا أستطيع... أنا آسفة ولكنى عاجزة عن أن أرافقك، قد ترى أننى الآن أكبر جبانة فى العالم، لكن الأمر على خلاف ذلك. بل...."، عجزت حتى عن إتمام كلامها.

فقال لها فى صرامة: "توقفى عن هذا. توقفى. أنتِ أشجع شخص رأيته فى حياتى؛ والخطأ خطئى أنا، فلم يكن من الواجب أبداً أن أسمح لكِ بمرافقتى فى المقام الأول. أبداً!".

فتشبثت بكتفه وهى تصيح: "شين... لا تذهب... لا تذهب وحدك، فسوف... سوف يقتلونك".

إلا أن شين جلس القرفصاء وهو يتظاهر بالانشغال بالقناع الذى سيرتديه؛ حتى لا ينظر إلى عينيها.

"بل علىّ الذهاب يا ميشيل، والأسباب عديدة".

"الخطر كبير".

"هذا هو كل شىء ذى قيمة فى هذه الحياة"، ثم أردف وهو ينظر عبر النهر: "هناك أمر شرير يجرى هناك، وعلى أن أسبر أغواره - وأن أوقفه".

قالت متوسلة: "أرجوك... شين".

ارتدى قناعه وأعد معداته قائلاً: "إذا لم أعد بحلول الصباح يكون عليكِ مهاتفة هايز وتعريفه بما حدث"، ثم أبعد يديها عنه فى رقة وهو يردف: "سيجرى كل شىء على ما يرام يا ميشيل. وسأراكِ قريباً".

بعدها انسل داخل مياه النهر وابتعد، بينما قبعت ميشيل فى مكانها فوق رمال الشاطئ الحمراء، تحدق فى تموجات المياه حتى عاد السطح إلى هدوئه. لم يسبق أن راودها من قبل هذا الشعور بالوحدة، ولم يسبق لها أن شعرت بهذا الخجل من نفسها. استلقت ميشيل ببطء على الأرض الرطبة، تحدق فى السماء الغائمة وهى تحس بالدموع تقطر على وجهها.

فى الغيوم، رأت ميشيل أشياءً، أشياء مفزعة تعود إلى سنوات مضت. تأخذ شكل مخلوقات تنبع من كوابيس كانت تراودها لسنوات، وما تمكنت أبداً من فهمها أو حتى حاولت أن تبحث عن تفسير لها. فى تلك الأشكال رأت بنتاً صغيرة، خائفة لدرجة لا تصدق، تمد يدها لشخص ما تطلب نجدته، لكن يدها

ردت خائبة. كانت وحيدة طيلة حياتها؛ لأنها عجزت في الغالب عن أن تثق في أي أحد، ليست تلك الثقة الكاملة، ورغم ذلك فقد كان هناك شخص واحد هو الذي كسب احترامها، وثقتها المطلقة خلاف كل الآخرين، شخص واحد هو الذي أثبت لميشيل أنه لن يخذلها، وهو الذي ضحي بكل شيء حتى يساعدها، وها هي تتركه ينزل إلى مياه يورك المظلمة وحده، في مهمة انتحارية، قد لا يعود منها.

لا يمكن أن تسمح بحدوث هذا. ليذهب كل ما يدور برأسها إلى الجحيم، فلن يواجه شين ما ينتظره من دونها، فإذا كانت هذه هي النهاية... فلتكن نهايتهما معا.

عندها تلاشت كل الصور التي صنعتها الغيوم، وعادت مجرد تكوينات بيضاء هلامية لا تضر أحداً؛ ذلك لأن ميشيل كانت قد عقدت العزم على اللحاق به... والتقطت معداتها وانسلت بدورها إلى داخل المياه.

الفصل

٧٩

على مسافة بضع أقدام تحت سطح نهر يورك، تحرك شين خلال المياه بسلاسة بواسطة وحدة دفع الغواص، بينما كانت الزعانف التي يرتديها تضرب الماء بكفاءة. كان يستمد الأكسجين من خزان هواء صغير لفه حول الجزء السفلي من وجهه، كما حمل أيضًا حقيبة قماشها مضاد للماء ربطها إلى كاحله. إن الهجوم الليلة على كامب بيرى هو عمل ارتجالي من الطراز الأول، وهناك مليون احتمال لأن يفشل، وقليلة جداً هي احتمالات نجاحه.

كان تَوَصُّل شين إلى حل لغز أغنية "شيناندواه " هو ما أشعره بأنه كان على المسار الصحيح، فمقاطعة شيناندواه هي نفسها مقاطعة دانمور. كان الدليل مراوغا لكنه ما إن كشف عنه حتى وجده لا يشير سوى إلى اتجاه واحد فقط: منزل دانمور الريفي فوق أراضي كامب بيرى، بورتو بيللو. لابد أن ذلك هو المكان الذي قصده مونك تورينج، أما السبيل الوحيد لتبين سر تلك الزيارة فهو أن يتتبع نفس طريق الرجل ـ الطريق الذي أدى إلى مصرعه.

وصل إلى الشاطئ، على بعد مسافة قليلة من البقعة التي خرج عندها مونك تورينج من الماء، وحتى مع استخدامه لهوراشيو في

لفت انتباه الأمن بقاربه الذى يجوب النهر فى هذا الوقت المتأخر من الليل، وعلى الرغم من ضعف هذا الاحتمال، إلا أن شين كان يعول على فكرة أن القائمين على معسكر بيرى لا يعتقدون أن هناك شخصاً آخر سيكون من الغباء بحيث يحاول تكرار اختراق أمنهم، وبهذه السرعة بعدما لقى تورينج مصرعه.

كان من المستبعد أن يستخدم أى مصباح كاشف، لذا سحب نظارة الرؤية الليلية من حقيبته، وشغل منظومتها ثم ارتداها. صار يرى كل شىء من حوله بلون أخضر فسفورى، لكنه يبصر على الأقل فى ظل غياب أى ضوء طبيعى.

زحف شين للأمام على بطنه بعدما أخفى وحدة الغوص أسفل بعض الشجيرات. كان السياج، نقطة اللاعودة، أمامه مباشرة. أخرج شين أداة صغيرة لا تقوم سوى بشىء واحد... واحد فقط: تسجل أية طاقة موجودة فى المكان ومن أى نوع. وجهها نحو السياج وانتظر ظهور ضوء أخضر، وبالفعل ظهر، لم يكن السياج مكهرباً، كما لم يكن مغطى بأجهزة مراقبة واستشعار.

كان شين يعلم أن الحدود الخارجية لكامب بيرى منيعة جداً لدرجة أن وكالة المخابرات المركزية لم تهدر وقتاً أو مالاً فى وضع منظومة أمن متقنة هناك؛ أما تلك الدفاعات الداخلية التى تغطى كل بوصة مربعة من البنايات ومناطق العمليات والتدريب فكانت قصة أخرى؛ فمناعتها يضرب بها المثل، لهذا كان شين يعتمد على هينريش فوش، والذى كان على ما يبدو الشخص الوحيد الذى نجح فى أن يهرب مما افترض شين أنه حصن عسكرى اتحادى آمن جدا.

وعلى أية حال، فقد بدا له فى هذه اللحظة أن من السخافة أن يرهن حريته، وعلى الأرجح حياته، على أمر حدث قبل أكثر من ستين سنة. عندها غمره إحساس عارم بالفزع بينما هو قابع فى الطين الأحمر الرطب لشاطئ يورك استعداداً لاقتحام أحد أقوى حصون الولايات المتحدة الأمريكية. لا يرغب شين الآن فى

شىء أكثر من أن يعود أدراجه إلى مياه النهر التى يشعر كأنها تناديه، ومن ثم يذهب بعيداً عن كل شىء؛ ومع هذا فهو لا يستطيع أن يلبى النداء... لا يستطيع.

كاد يصرخ فزعاً حينما أحس بتلك اليد على كتفه، لكنه سرعان ما سمع صوتها تهمس فى أذنه بكلمات تحمل طمأنينة الدنيا: "لا بأس... لا بأس يا شين. يمكننا أن نفعلها".

استدار ليجدها جاثية على ركبتيها بجواره، وعلى محياها نظرة أخبرته بكل ما كان يحتاج لأن يعرفه. أمسك ذراعها فى رفق وهو يومئ. كم كان غبياً لأن يتصور ولو للحظة أنها ليست أهلا لتلك المهمة. تباً، إنها أهل لما يفوق قدرته هو نفسه على القيام به. لقد ذهب كل ما شعر به من رعب وفزع؛ فسحب شين نفساً عميقاً وبعد ذلك تقدم بسرعة، وخلفه ميشيل. كانا الآن أمام السياج مباشرةً، وبينما ميشيل تراقب قام شين بقطع قسم صغير من السلك الشائك. انسلا خلال تلك الفتحة بمعداتهما، ثم أعاد شين ذلك القسم من السياج إلى مكانه وأسرعا الخطى إلى الغابة.

بعد دقيقة، جثيا على ركبتيهما بينما أخرج شين الورق الذى أعطاه هينريش فوش لمونك تورينج. كانت الورقة مليئة بالكتابات والحسابات الجديدة التى كان شين وميشيل قد نفذاها، وكانا ينتهزان فرصة أى ضوء حتى ينظرا فى الخريطة.

لم يترك هينريش فوش أية علامات مساعدة على الأشجار أو علامات X على الأرض لتميز المدخل إلى النفق، لم يترك علامات من النوع الذى كان سيبقى على مر السنين على أية حال. على أنه لم يكن لزاماً عليهما أن يعتمدا على ذلك بفضل مونك تورينج؛ فقد دون مونك على ورقة فوش الاتجاهات بعناية، والمعالم، ونقاط البوصلة، مستعيناً بابنته؛ ليترك لهما مفتاحاً مهماً نحو هدفهما، كما عرفا أيضاً أن مونك تورينج لم يكن ليواجه الموت لمجرد أن يتتبع من جديد طريق هروب أسير حرب ألمانى، فلابد أن تورينج كان لديه سبب آخر... سبب وجيه.

تتبعا اتجاهات تورينج نحو الشمال الغربى حتى وصلا إلى بقعة صغيرة خالية محاطة من كل ناحية بأشجار البتولا، كانت تلك هى البقعة المنشودة. هم شين بأن يضع علامات تميز المسافات إلا أن ميشيل أوقفته.

سألته: "كم كان طول تورينج؟".

"خمس أقدام وخمس بوصات".

فقالت له هامسة: "أنت أطول منه بسبع بوصات... دعنى أقس الطول بالخطوات"، خطت خطوات أقصر مما اعتادت أن تخطوها. فكر شين أن مونك تورينج كان يتمتع بعقلية دقيقة للغاية؛ فعندما توقفت ميشيل عن التجول حول الأشجار، وخلال الشجيرات أدرك أنهما قد وجدا ما يبحثان عنه. كانا فى بقعة من الغابة بدت خاوية تماما ولم يطرقها بشر لعقود، إن لم يكن لقرون؛ ورغم ذلك فإذا ما كنت تعرف ما عرفه شين، فستدرك أن هناك من سار فى هذا المكان من وقت ليس ببعيد.

جثا شين على ركبتيه وهو يتحسس الحرف بيده، لقد كان مكتوباً باستخدام غصن تم جذبه من إحدى الأشجار وألقى على الأرض.

لم يؤشر مونك على هذه البقعة بحرف X؛ بل كان الحرف هو V وذلك لأنه يشير إلى أول حروف اسم فيجى، عرف شين ذلك؛ لأن مونك قد دون ذلك على الورقة أيضاً. بدأ الاثنان فى الحفر بأيديهم تحت ما بدت أنها الأرضية الطبيعية للغابة العميقة، ومع هذا فقد وجدت أصابعهما حافة اللوحة الحديدية، فقاما بسحبها؛ ليظهر لهم مربع خشبى كاشفا عن المدخل إلى النفق.

هبطا شيئاً فشيئاً خلال الفتحة، وبعد ذلك تركا حافة الفتحة؛ ليسقطا عبر ارتفاع يبلغ بضع أقدام ويهبطا على أرضية النفق المتربة. صعدت ميشيل فوق كتفى شين؛ حتى تعيد غطاء الفتحة ليسدها من جديد خلفهما.

وبينما كانت تقوم بذلك، رأت ميشيل طرف حبل يطوق اللوحة الداعمة والتى تسند غطاء النفق.

قالت ـ وهى تشير إلى الحبل: "لابد أن مونك قد وضع حبلاً هنا قبل أن يدخل النفق كان سيستخدمه عند خروجه؛ فالفتحة عالية جداً عن الأرض".

"لقد جلبت حبلا معى... وعند خروجنا سأرفعك ويمكنك أن تربطى الحبل هناك، ثم سأستعمله بدورى للخروج".

بعدما أغلقا الفتحة، خاطرا بإنارة الكشافات، وبينما تقدما للأمام كان حائط النفق ينحدر للأسفل؛ ليجبر أى شخص طويل القامة على الانحناء كلما تقدم. كانت الحوائط طينية حمراء صلبة، جافة وقوية. كان هناك مع كل قدمين دعائم من قطع خشبية صارت نخرة فى السقف وفى الحوائط.

قالت ميشيل ببعض القلق: "لا يبدو أن هذه ستجتاز اختبارات أمان المناجم... هل تعتقد أن هينريش قد بنى هذا وحده؟ أعنى أن هناك الكثير من العمل بالنسبة لرجل واحد".

"أعتقد أن سجناء آخرين قد ساعدوه، لكنه كان الوحيد الذى استعمله".

"لماذا؟".

"أعتقد أنه قد تم إطلاق سراح السجناء الآخرين بعد انتهاء الحرب فى أوروبا، وربما تصادف هذا مع انتهاء صنع هذا النفق، ولكن فوش ما كان سيطلق سراحه".

"ولم لا؟".

"لقد رجعت ـ مثلما فعل هوراشيو ـ إلى التاريخ، فأدركت أنه لو كان هينريش فوش يعمل بمفرده فكان من اللازم عليه أن يكون على دراية بشفرات إنيجما. وكان الحلفاء وقتها لا يطلقون سراح أى سجين على دراية بتلك الشفرات، ولهذا احتجزوهم لاستغلال تلك المعلومات، وأيضاً لمنعهم من العودة إلى ألمانيا".

"لكن ألمانيا كانت قد انهزمت".

"هذا صحيح، لكن كان هناك بقايا جيوب من عتاة النازيين وكبار قادة الجيش منتشرين في جميع أنحاء العالم، وآخر ما يمكن أن يسمح به الحلفاء هو أن يتيحوا لهم التواصل مع خبراء الشفرة الذين كان بوسعهم أن يساعدوا النازيين على تكوين شبكة اتصالاتهم الخاصة".

"وهكذا نرى أن للاهتمام بالتاريخ فوائده التى تظهر من آن لآخر"، قالتها ميشيل متهكمة.

"كان هذا رأيى على الدوام... حسناً... لنمض قدماً".

الفصل

٨٠

تتمتع الطائرة طراز بوينج ٧٦٧ بمحركات فائقة القوة وإمكانيات متقدمة أخرى تمكنها من قطع رحلات عبر المحيطات، وهكذا وصلت الطائرة الضخمة إلى الولايات المتحدة، قاطعةً أجواءها لتمر فوق نورفولك، فرجينيا، وتواصل الهبوط التدريجى حتى نقطة نهاية الرحلة. لم تكن الـ٧٦٧ تابعة لأية شركة طيران تجارية محلية أو أجنبية، ولم تمتلكها أية شركة خاصة أو فرد، كما أنها لم تكن خاصة بالجيش الأمريكى، وقد جرت العادة على أنه لو مرت طائرة بهذه الصفات المريبة فى المجال الجوى الأمريكى وفوق أحد أهم المواقع العسكرية الأمريكية، فإن هذا التصرف سيكون كفيلاً بأن يسارع باعتراضها سرب من الطائرات المقاتلة التى ستقلع سريعاً من نورفولك. على أن أحداً لم يسمع أياً من أصوات صفارات الإنذار ولم يهرع أى من طيارى القوات البحرية إلى طائراتهم؛ هذا لأن هذه الطائرة كانت تحمل رخصة من القيادة العليا بأن تطير إلى أية نقطة تشاء داخل الولايات المتحدة. واصلت الطائرة طراز ٧٦٧ تحليقها، كما اعتادت كل يوم سبت في هذا الوقت، خلال السنتين الأخيرتين على الأقل، وفي أقل من ثلاثين دقيقة كان الطياران يشغلان أجهزة الهبوط بعد وضع أجنحة الطائرة فى وضع الهبوط النهائى

على مدرج تم إنشاؤه بالكامل بأموال دافعى الضرائب الأمريكيين، شريط طويل من الخرسانة لا يسمح لأى مواطن أمريكى أبداً بأن يضع قدمه على أرضه.

وصل شين وميشيل إلى نهاية النفق وأنصتا السمع ليتيقنا من عدم وجود أى صوت على الجانب الآخر من الجدار الذى كانا ينظران إليه بالكاد على مسافة ست بوصات فوق رءوسهم. لقد اجتازا للتو إحدى أكثر منظومات دفاعات الأمن تعقيداً فى أمريكا. ولو كانا فوق سطح الأرض، لكان مصيرهما المحتوم هو القتل أو الاعتقال.

وضعا أيديهما على السقف، وأخذا يضغطان بثبات، وتوتر جسداهما وهما يصغيان إلى أية أصوات تنم عن وجود أحد بالأعلى. إلا أن الصمت ظل كما هو، وانزاح السقف جانباً فتسلقا حتى وصلا إلى غرفة، وأنارا المكان حولهما بالكشافات. كانت الجدران من الطوب الأحمر، والهواء رطباً، والرائحة كريهة.

"وكأن الزمن عاد بنا إلى الوراء"، هكذا قالت ميشيل بصوت خافت وهى تحدق فى الأخشاب النتنة والطوب القديم والأرضية المتربة جزئياً.

"أهلاً بكِ فى بورتو بيللو... لابد أن القوات البحرية قد استعملته لاحتجاز فوش وأسرى الحرب الآخرين، ونجح الألمان فى حفر نفق إلى الخارج تحت أنف البحرية".

كانت بعض الأحجار قد سقطت عند أحد أركان أساس المكان وصنعت كومة كبيرة.

فقالت ميشيل وهى تتأمل تلك الأحجار: "ليس هذا بالمطمئن أبداً؛ فقد ينهار هذا المكان بالكامل على رءوسنا خلال أية ثانية"

فالتقط شين أحد الأحجار قائلاً: "لقد صمد على مدى مائتى سنة؛ فمن المنطق أن يحتمل ولو لساعة أخرى".

صوب شين الضوء على الأرضية، كانت آثار أقدام واضحة فوق الأتربة: "مونك تورينج، أو هذا ما أتمناه على الأقل".

سألته ميشيل: "أين الذهب؟".

فذكرها شين قائلاً: "لم نفتش المكان حتى الآن".

"أنا أشد اهتماماً بالعثور على فيجى وليس الكنز".

نظر إلى ساعته قائلاً: "يجب أن نسرع؛ فالطائرة ستهبط قريباً".

بعدما تفحصا القبو، شقا طريقهما إلى الطابق العلوى. كانت الأرضية الرئيسية شاغرة من أى أثاث، ورغم ذلك فقد شاهدا، هنا وهناك، لمسات عتيقة تنم عن ذوق رفيع فى الأعمال الخشبية، وتصميم المدفأة، ورف موقد مصنوعاً بزخرفة عالية، وقمة التاج البريطانى معلقة إلى الحائط فوق الباب الأمامى. مرور القرون جعل كل هذا باهت التأثير. ورغم ذلك فقد كانا ينظران حولهما فى دهشة بينما تدوس أقدامهما على ألواح أرضية داست عليها أقدام واشنطن وجيفرسون وأدامز وقتما كانوا يكافحون من أجل استقلال أمريكا.

كان من الواضح أن هذا المكان الخرب ليس مستعملاً من قبل وكالة المخابرات المركزية، وحالما استطلعا الخارج عبر إحدى النوافذ المهشمة عرفا السبب. لم يكن هناك الكثير هنا؛ فالشىء الوحيد القريب كان رافداً صغيراً.

فأشار شين إليه قائلاً: "هذا هو امتداد يورك". من الواضح أن هينريش فوش وزملاءه السجناء قد تتبعوا هذا الامتداد عند حفر النفق؛ ظناً منهم، وقد كانوا على حق كما ظهر، أنه الطريق الذى سيأخذهم إلى نهر يورك والحرية.

وفيما يتعلق بخطة شين وميشيل، فقد كانت هذه الفتحة مهمة أيضاً لأنها تمتد تقريباً من نهاية المدرج.

فتشا البيت ليتأكدا من أن فيجى ليست هناك، كما لم يجدا أى كنز من أى نوع، وبعدها انسلا خارج هذا المنتجع القديم

وتوجها إلى ناحية المياه. نظرت ميشيل للوراء نحو البيت المظلم. كان مبنياً على رقعة أرض ممهدة تتصدره شجرتان هائلتا الحجم. سقفه مستو بينما تغطى الألواح الثلث العلوى منه؛ حيث يوجد صف من النوافذ البارزة، وكانت هناك مدخنة وحيدة بالقرب من منتصف المنتجع. كان مبنياً بالكامل من الطوب عدا شرفة أمامية خشبية صغيرة تميل فى زاوية غير ثابتة.

قالت: "رأيت هذا المكان وأنا فى الطائرة مع شامب".

فأومأ شين قائلاً: "أنا متيقن من أن هذا هو السبب الذى دفع مونك إلى القيام بتلك الرحلة مع شامب. كان يريد أن يتبين ما إذا كانت بورتو بيللو مأهولة أم لا، وكذلك إن كان هناك ما يحيط بها".

بعدها بدقيقة كانا داخل الفتحة يسيران نحو الشرق، فى اتجاه معاكس للمسار الذى اتخذاه داخل النفق، ورغم أنهما لم يشاهدا حتى الآن أى أثر لبشر، إلا أنهما متيقنان من أن هذه الحقيقة ستتغير فى لحظة، وأن أول بشرى سيقابلانه سيكون مسلحاً بمسدس آلى... وبرغبة عارمة فى أن يقتلهما.

الفصل

٨١

مرت الطائرة، مطفأة الأضواء، على صف الأشجار عند أطراف بابيج تاون، عبرت نهر يورك، وتجاوزت سياج الأمن إلى أن لامست السطح المدعوم للمدرج الذى يبلغ طوله عشرة آلاف قدم. توقفت تماماً قبل انتهاء المدرج بمسافة محسوبة بفعل المحركات العكسية والكابحات.

استدار الطيارن بالطائرة عبر الامتداد العريض للسطح المسفلت. كان بانتظارهما حافلة، وسيارة من طراز عسكرى وعربة شحن. توقفت المحركات وانفتح باب الطائرة الخلفى، تم تركيب السلالم النقالة وبدأ الركاب فى الهبوط. وانفتح باب الشحن فى مؤخرة الطائرة ودخلت الشاحنة من خلاله.

زحف شين وميشيل للأمام فوق الأرض حتى سياج من الأسلاك يحيط بمنطقة المدرج. كانت نظارات الرؤية الليلية تبين لهما كل ما يجرى. كما كان شين يسجله أيضا باستعمال آلة تصوير فيديو مراقبة خاصة قادرة على عرض صور واضحة ومذهلة بغض النظر عن غياب الإنارة. شعرت ميشيل بقشعريرة خفيفة حينما رأت الرجل الأول الذى يرتدى حلة رسمية ويضع على رأسه غطاء الرأس العربى التقليدى وهو يخرج من الطائرة. تلاه قرابة عشرة أشخاص، جميعهم يرتدى زيا مماثلا.

أشارت ميشيل ناحية الطائرة، فتحفز شين وهو يرى عربة الشحن تبتعد، وإلى جانب الأمتعة، كانت هناك أكوام البالات البلاستيكية السوداء.

نظر إلى ميشيل وقال فى همس عصبى: "تباً...هل هذا ما أعتقد أنه هو بالفعل؟".

بينما تابعا المراقبة، توقفت عربة من طراز رينج روفر بالقرب من حافلة الركاب الصغيرة وترجل منها أحدهم.

وما إن رآه شين حتى تسمر فى مكانه.

كانت فاليرى ميسالين...ترتدى حلة بنية فاتحة اللون. مشت نحو العرب وبدأت تتحدث معهم. ميز شين بطاقة أمنية بيضاء معلقة حول رقبتها. إذن فهى واحدة من أفراد السى آى إيه إذن، وكذلك ممثلة بارعة أيضًا ؛ فلقد أقنعته بتصديق كل كلمة من حكايتها الحزينة.

لمحت ميشيل مدى الصدمة التى ارتسمت على محياه، فقالت له فى رقة: "فاليرى؟".

فأطرق برأسه وكأنما يقر بأنه قد انخدع.

تابعت فاليرى حديثها مع العربى لبضع دقائق بينما تم اصطحاب الباقين إلى داخل الحافلة ومعهم أمتعتهم. كانت هى والعربى ينظران بين الحين والآخر إلى عربة الشحن التى يتم تفريغها فى مؤخرة الطائرة، كما اقتربت هى والعربى من إحدى البالات وتلمساها وهما يضحكان على عبارة نطق بها الرجل.

بعد دقيقة عادت فاليرى لتستقل عربتها مع العربى وانطلقت خلف حافلة الركاب، ربما نحو المجمع القريب الذى شاهداه فى خارطة الأقمار الصناعية.

مع تفريغ الشحنة استقل كل الرجال، عدا اثنين، العربة الهامر العسكرية التى سرعان ما انطلقت بهم، أما الرجال الباقون فقفزوا إلى داخل الشاحنة التى انطلقت بدورها، وبينما تبعت الهامر نفس مسار الحافلة التى أقلت العرب، فإن

الشاحنة انطلقت فى الاتجاه المعاكس ومباشرة نحو المنطقة التى كان شين وميشيل يكمنان بها قرب بوابة الأسلاك.

همس فيها بسرعة: "تراجعى".

انبطحا أرضا، وهما يلصقان جسديهما بالأرض.

توقفت الشاحنة عند البوابة وترجل منها أحد الرجال، وقام بفتح البوابة، وعبرت الشاحنة يتبعها الرجل، ثم أغلق البوابة وعاد إلى داخل الشاحنة.

خلعت ميشيل حقيبة ظهرها والتفتت إلى شين. "عد إلى بابيج تاون واعرض شريط الفيديو على ميركل هايز، ثم انتظر اتصالى بك".

حدق فيها بدهشة قائلاً: "أنتظر اتصالك بى؟ إلى أين تذهبين؟".

"الفيديو لا يكفى...نحتاج للتأكد من حقيقة هذه الشحنة".

وقبل أن يتمكن من أن يقول أى شىء أو حتى أن يحاول أن يمسك بذراعها انطلقت تركض؛ لتقترب من الشاحنة من الخلف، وتلقى بنفسها أسفلها، وسرعان ما تشبثت بذراعيها وساقيها فى معدن باطن الشاحنة التى انطلقت على الطريق.

كانت دهشة شين عارمة لدرجة أنه وجد نفسه عاجزاً عن التحرك؛ فلم يستطع أن يصدق ما قامت به أمام عينيه للتو.

مع اختفاء رفيقته وسط الليل أسفل الشاحنة، وجد شين نفسه وحيدا وسط أكثر أماكن السى آى إيه سريةً وهو يشعر وكأنما يعانى من نوبة قلبية. عاد إليه هدوؤه فى نهاية المطاف، وإن كان لا يعرف من أين يستمد هذا الهدوء. وضع حقيبة ميشيل على ظهره، وبدأ يزحف نحو بورتو بيللو القديمة، ومن مكانه جوار الماء كانت تبعد أقل من خمسمائة ياردة....إلا أنها بدت له وكأنها خمسمائة ميل.

لم يكن شين وحده هو من يتساءل عما دفع ميشيل إلى القيام بما قامت به؛ فهى نفسها كانت متعجبة مما أقدمت عليه وفكرت أكثر من مرة فى أن تدع الشاحنة وتسقط أرضاً لتراقب الشاحنة ثم تركض عائدة إلى شين. ومع هذا فقد زادت من تشبثها بها.

سمعت أصواتًا خلاف زمجرة محرك الشاحنة. لابد أنهم يقتربون من البوابة الرئيسية، فكرت، بينما تتباطأ سرعة الشاحنة قبل أن تتوقف تماماً، فاضطربت للحظة. هل سيفتشون الشاحنة قبل أن تغادر كامب بيرى؟ ثم أدركت أن أحداً لن يفتش هذه العربة بالذات. وكانت على حق؛ فقد سمعت صوت صرير بوابة الأمن المتحركة والشاحنة تتحرك ثانيةً لتغادر أراضى كامب بيرى.

انطلقت الشاحنة عبر شارع مسفلت. كانت ذراعا وساقا ميشيل تصرخان ألماً، ورغم ذلك فلم يكن لديها خيار سوى أن تبقى متعلقة بالشاحنة. فلو تركتها الآن وهى تسير بهذه السرعة فإن هذا سيؤدى وعلى أقل تقدير إلى كسر فى الجمجمة، وبعد دقيقة كانت ترى إطارات السيارات الأخرى التى تمرق إلى جوارها.

وبعد فترة، خرجت الشاحنة عن الطريق الرئيسى المسفلت ودخلت فى طريق ممهد بالحصباء، وبعدها بخمس دقائق توقفت الشاحنة، ثم فتحت الأبواب ورأت ميشيل من يترجل من الشاحنة، وعندما لم تعد تسمع خطواتهم، تركت جسدها يسقط فى هدوء على الأرض ثم تقلبت بجسدها نحو الجانب المعاكس للجهة التى غادر منها الرجال.

نظرت حولها. لم تعرف لماذا بدت لها المنطقة مألوفة، مع أن المكان مظلم جداً وأغلب ما كانت تراه مبهم.

سمعتهم يعودون، فركضت فى خفة محتمية بالشاحنة حتى اختبأت خلف بناية صغيرة لمحتها للتو، ثم انعطفت عند زاوية

البناية، ثم توقفت، وقررت أن تخاطر بإلقاء نظرة على المكان، وما إن تطلعت من وراء حافة البناية حتى شعرت بغصة فى حلقها.

فالآن أدركت تحديداً إلى أين قادتها الشاحنة!

الفصل

٨٢

وصل شين إلى الأرض أمام بورتو بيللو دون أن يراه أحد، وتسلل عبر العتبات الأمامية المتهالكة، إلا أن أحد الألواح الخشبية تهشم بغتةً تحت قدمه. شعر شين بجسده يهوى؛ وارتطمت ساقه بشىء حاد فصرخ رغماً عنه من شدة الألم. تسمر فى مكانه حينما انتبه إلى أن أصداء صرخته تتردد بقوة عبر المكان، وكأنها مطر الصيف يهطل كالوابل على المكان.

هل كانت تلك صافرة إنذار؟ هل تلك أقدام تركض؟ هل سمع صوت كلاب صيد تنبح وراء رائحة طريدتها؟ كلا، ليس كل هذا سوى نتاج خوفه هو. كافح من أجل تحرير نفسه من حطام الشرفة الأمامية، وهو يلعن فى صمت ذلك الحاكم الملكى لاختياره الخشب بدلاً من الطوب القوى. انحنى وتلمس الدم الذى يتدفق من جرح بليغ عميق فى ردفه.

أخذ يعرج حتى المنزل، وعجل نحو القبو بالأسفل، وهناك تعثر فى بعض الحطام وارتطم بالحائط، فأسقط أحد الأحجار مع سقوطه. نهض على ركبتيه وهو يفرك يديه اللتين امتلأتا بالسجحات. نظر، ومستوى بصره يتوازى مع الحائط الرئيسى، عبر الفجوة الصغيرة التى ظهرت مكان الحجر الذى سقط. أنار كشافه عبر الفجوة فلفت شىء انتباهه؛ فقد كان الحائط

الرئيسى، كما يمكنه أن يرى، سميكاً جداً، وكان هناك شىء ما خلفه...

"سحقاً!".

أمسك شين بقطعة خشب مكسورة وأقحمها فى الفتحة، وأخذ يديرها بقوة حتى حرك قطعة الملاط، ثم مد يده وحرره، وأصيبت يداه بسجحات أخرى وهو يفعل ذلك.

كانت عملة معدنية ذهبية صلبة؛ فأخذ يحفر أكثر فخرج معه حجر صلد صغير. نظف التراب عنه وسلط كشافه عليه. تبين أن الحجر زمرد براق، وحينما حفر أكثر رأى ما بدا أنه أقرب إلى سبيكة ذهبية صلدة، وكذلك المزيد من العملات المعدنية الذهبية. إنه كنز اللورد دانمور وقد كان يحوى ما هو أكثر من الذهب. لقد وجده، وكذلك وجده من قبله مونك تورينج، هذا ما بدا واضحاً من كل هذا العبث بالمكان.

هذا الذى أخبر به هينريش فوش مونك فى مقابل مساعدة الأمريكى له فى العودة إلى ألمانيا، وأدرك شين أن ما هو مخبأ هنا أكثر من مجرد فدية ملك. لقد كان ساوث فريمان مخطئاً. فقد كان دانمور ذكياً بما فيه الكفاية لأن يخفى الكنز كل هذه السنوات مستفيداً من حائط رئيسى زائف، إلى أن كشف النقاب عنه أسير حرب ألمانى جرىء يحاول أن يحفر طريقه نحو الحرية.

وبينما كان شين ينظر إلى يديه، تكشف له لغز آخر. لغز له علاقة أيضاً بمونك تورينج. عندها ابتسم فى زهو وانتصار، إلا أنه كان شعوراً مؤقتاً سرعان ما بدده صوت.

كانت هناك أقدام تركض. أقدام تركض نحو المنزل. لم يكن خيالاً هذه المرة... بل حقيقة.

فأمسك حجرين وسد بهما الفجوة فى الحائط ليخفى الكنز، ودس العملة المعدنية الذهبية والزمردة داخل حقيبته، ثم سارع نحو ذلك الجزء من الأرضية فوق النفق وأزاله. كوم بعض

الأحجار على قمة الغطاء الخشبى، ثم فتحه جزئياً على الفتحة، وأسقط نفسه من خلاله، بعدها قفز لأعلى ليسحب الغطاء الثقيل مغلقاً مدخل النفق.

ثم بدأ يركض، متجاهلاً ساقه الدامية.

عندما وصل شين إلى الطرف الآخر من النفق أدرك أنه قد صار حبيس النفق. حدق فى مخرج النفق الذى كان أعلى منه بثلاث أقدام. فحتى لو أمكنه أن يقفز إلى ذلك المستوى العالى رغم ساقه الدامية، فلم يكن هناك شيء يمكن الإمساك به؛ فقد كان من المفترض أن تكون ميشيل معه حتى تصعد على كتفيه لتزيح الغطاء. فقد كانت خطة الخروج تقوم على أن تسقط ميشيل الحبل له حتى يتسلقه للخارج.

ولكن مهلاً... فلو كان على حق، وأن هينريش فوش هرب وحده، فكيف فعلها؟ جلس شين على ركبتيه بجانب إحدى الأخشاب الساقطة والتى مرا عليها فى طريقهما للداخل. استطاع أن يبعد لوح الخشب عن الطريق وأخذ ينبش بشكل هيستيرى حتى كشف عن سلم خشبى. لابد أنه قد بقى على حاله منذ أن هرب فوش قبل سنوات بعيدة؛ حتى غطاه لوح خشب مع عقود من الأتربة والغبار.

رفع السلم ووضعه عند أعلى مدخل النفق. مثله مثل مونك تورينج، كان هينريش فوش بدوره رجلا دقيقاً؛ فقد توافق أعلى السلم بشكل مثالى مع حافة الخشب تحت غطاء النفق مباشرة. ارتدى حقيبته على ظهره، ثم أمسك السلم وتسلقه بأسرع ما أمكنه هذا. أزاح الغطاء، ثم صعد وبعد ذلك سحب السلم معه، ثم توقف وهو يفكر، فلو أن ميشيل لم تغادر كامب بيرى مع الشاحنة فربما قد تحتاج السلم للهروب خلال النفق. تبددت هذه الفكرة من عقل شين فى اللحظة التالية، لما سمع تلك الأصوات. كان هناك أناس آخرون فى النفق الآن. لذا فلن تخرج ميشيل من هذا الطريق، وسرعان ما ألقى بالسلم نحو الغابة.

أعاد شين غطاء النفق إلى مكانه، ثم دار على عقبيه وبدأ بحساب الخطوات حتى البقعة المفتوحة بينما بدأ مطر خفيف بالسقوط. هاجمته ضوضاء مزعجة جداً من كل الاتجاهات. بددت أضواء الكشافات القوية ظلام الليل الأسود كأنها سكين حادة. أوه تبا! لقد سقط على الأرض، فتحسست يده داخل حقيبته.

بعد ثوان قليلة كاد رجل أن يخطو فوقه. رأى شين سلاحًا آليًا، ووجهًا مصبوغاً بالسواد، وعينين بدأتا تتلفتان فى كل اتجاه. أطلق الرصاص فتسمر الرجل فى مكانه قبل أن يسقط أرضاً. أعاد شين بندقية التخدير إلى حقيبته، ثم أخذ حزام الرجل وتفحصه. مسدس، أصفاد، عصا وشيء يمكن لشين أن يستفيد منه: قنبلتان. وضع الحزام فى حقيبته لكنه أبقى إحدى القنبلتين فى يده، بعدها جثم على الأرض فى الغابة.

كان سيتوجه إلى اليمين ليستعيد أدواته، ولكن ولسوء الحظ كانت الأصوات التى يسمعها تجيء من ذلك الاتجاه. رفع شين إحدى القنابل، وسحب صمام الأمان وألقاها بكل قوة نحو اليسار. ثم انبطح أرضاً وهو يسد أذنيه. وما هى إلا خمس ثوان حتى ارتجت كامب بيرى بفعل انفجار دوى وسط الليل الحالك.

كان شين يسمع الصياح والأقدام تركض. إلا أنه مكث فى مكانه عشر ثوان، عشرين ثانية. دقيقة. عندها هب واقفاً وركض بأسرع ما يمكن.

وبعد دقيقتين، كان يجتاز السياج ويحدد مكان وحدات الغطس. ترك وحدة الغطس الخاصة بميشيل تحسباً لأن تكون قد عادت إلى الداخل.

سمع شين صوت قارب، يقترب صوت محركاته، يأتى من ناحية الجنوب. لم ينتظر ليتبين ما هو؛ فقد أدخل خرطوم أنبوبة الأكسجين فى فمه وغطس تحت سطح الماء. غاص بما يكفى لتفادى دعامة القارب، ثم أدار وحدة الدفع وانطلق فى مسار مباشر عبر يورك، إلى أن ظهر على الجانب الآخر على بعد

حوالى مائتى ياردة أسفل المرفأ. كانت رحلة العودة منهكة لكن وقت الراحة أمامه معدوم. انسل إلى داخل الغابة، والتقط كيساً كانا قد دساه هناك فى وقت سابق، نزع عنه رداءه المبتل وارتدى ملابس عادية. أخفى أغلب أشيائه فى الحقيبة ثم أخفاها أسفل شجيرة. كانت بآلة التصوير بالفيديو خاصية النسخ فانتظر بضع لحظات لنسخ شريط الفيديو الذى التقطه على حافظة رقمية أخرى، ثم أسرع شين عبر الغابة حتى وصل إلى بابيج تاون. فمن المحتم عليه الآن، رغم أنه لا يعرف السبيل إلى ذلك، أن يعثر على ميشيل... قبل فوات الأوان.

الفصل

٨٣

كانت الطائرة الصغيرة محملة بالشحنة التى كانت بالشاحنة. كان هناك متسع بداخلها بعدما أزيلت المقاعد. دخل شامب بوليون إلى قمرة القيادة وهو يستعد للإقلاع بطائرته الخاصة. وحتى مع ازدياد غزارة المطر واشتداد سرعة الرياح فإنه لم يجد أن هناك أية مشكلة يمكن أن تعطل جدول رحلته. أنهى الرجال تحميل الشحنة على الطائرة، ولكنهم ـ مستغلين عدم مراقبة شامب لهم ـ أبقوا عددًا من البالات البلاستيكية الكبيرة فى الشاحنة، وسرعان ما انطلقوا بها ليختفوا وسط الظلام.

مر شامب على مفردات قائمة الفحص قبل الطيران ثم ضغط أحد المفاتيح؛ فشغل محرك الطائرة. وما إن وضع شامب سماعة الأذن حتى انفتح باب قمرة القيادة فى عنف لتطل منه ميشيل برأسها.

"مرحى، شامب، هل هناك متسع لى؟".

حدق فيها لبضع ثوان، كما لو أنها لا يمكن أن تكون بشراً. وبعد لحظة كانت يده تسارع إلى جانب حزامه، إلا أن قبضة ميشيل كانت أسرع. ترنح شامب فى مقعده من تأثير اللكمة، وتدفق الدم من أنفه.

انقلب على مقعد مساعد الطيار، وبعد ذلك سقط عبر الباب الآخر، فقفزت ميشيل فوق المقعد لتلحق به.

سقط شامب على الأرض وصارت ميشيل فوقه. ولما حاول النهوض ركلت جانب وجهه فى وحشية فأسقطته أرضاً من جديد. إلا أنه نجح فى تسديد ركلة إلى جسدها. فترنحت متراجعة نحو الطائرة. كانت الطائرة تهتز، ومحركها يتوق إلى الإقلاع بالطائرة.

استطاع شامب سحب مسدسه، لكن ركلة سددتها ميشيل بدقة أطارته من يده. إلا أنه وجه لكمة بقبضته إلى جانبها فصرخت من آلام أضلاعها. أتبع اللكمة بركلة، وأدركت ميشيل وهى تسقط أرضاً أنها صارت تخوض معركة حقيقية، فاستعادت توازنها بسرعة.

تواجها وسط زئير محركات الطائرة.

صاح فيها شامب: "ما الذى تفعلينه هنا بحق الله؟".

" أستخدم حقى كمواطنة فى إلقاء القبض على أحد المجرمين" ، هتفت ميشيل ونظراتها ثابتة عليه، تبحث عن أية نقطة ضعف.

"ليس لديك فكرة عما تقومين به هنا".

"أنا! منذ متى صار الفيزيائى المحترم مهرب مخدرات لصالح السى آى إيه؟ أليس هذا هو ما تحويه تلك البالات؟ مخدرات؟".

"ميشيل، أنتِ لا تفهمين ما يجرى هنا".

"اشرح لى الأمر إذن".

"لا أستطيع، ولا أريد إيذاءك".

"إيذائى! وماذا عن مونك تورينج؟ ولين ريفيست؟".

"إننى أحاول هنا أن أؤدى عملى وحسب. عليكِ أن تصدقى هذا".

"معذرةً يا شامب، ولكننى لم أعد أصدق أحداً". كانت تقترب شيئاً فشيئاً منه دون أن ينتبه لذلك، وبسرعة البرق قفزت وهى تدور حول نفسها لتسدد إلى رأسه ركلة لتطيح به. لكنه سرعان ما نهض ليسدد ركلة إلى كتفها أسقطتها أرضاً. قفزت بسرعة لتتفادى لكمة أخرى، لتتنسل إلى جواره وهى تركل جانب جسده، لكنه لم يسقط رغم أن الضربة أصابت كليته. تراجع قليلاً وهو يلهث بشدة، لكنه بدا قادراً على الدفاع عن نفسه.

صاحت بصوت حاولت أن يعلو على صوت محرك الطائرة:

"أنت بارع".

"ربما لست على نفس درجة براعتك"، قالها فى إقرار وهو يتلمس كتفه. "ميشيل، يجب أن ترحلى عن هنا".

"لماذا، حتى تطير بالمخدرات؟".

"إننى لا أقوم بأى عمل إجرامى. يجب أن تصدقينى".

"أخبرتك من قبل، لم أعد أصدق أحداً". قفزت نحوه وهى تركل صدره بقدمها. فتراجع وسقط ـ لسوء الحظ ـ بجانب مسدسه. فسارع بالإمساك بمسدسه، وصوب، ثم...

لم تصب الرصاصة هدفها؛ فقد قفزت ميشيل لتتفاداها وتدخل فى الوقت نفسه إلى داخل قمرة القيادة وتغلق الباب خلفها فى قوة، بينما أصابت رصاصة شامب الزجاج. تفحصت ميشيل فى عصبية بالغة أزرار التحكم. كانت من قبل شاهدت شامب وهو يتفحص قائمة فحص الرحلة حينما استقلا الطائرة معاً، وقد عاد عليها هذا الاهتمام بالنفع؛ فقد نجحت فى رفع مكابح القدم، وضغطت زر التشغيل أمامها، وسرعان ما صارت الطائرة تنطلق فوق المدرج.

اخترقت رصاصة جديدة قمرة القيادة ولم تستطع ميشيل هذه المرة تفاديها. أخذت تتألم بشدة وهى تضغط على موضع الرصاصة بذراعها، قبل أن تخرج الرصاصة مخترقة النافذة. شغلت زر زيادة السرعة، فزادت الطائرة من سرعة انطلاقها فوق الأسفلت

نحو المدرج الرئيسي. اندفع شامب يركض خلفها، وهو يلوح بالمسدس في يده. ثم أطلق رصاصة أخرى على ذيل الطائرة، لكنها طاشت.

أخذ يصرخ فيها: "توقفي. أنتِ لا تدرين ما تقومين به... توقفي!".

لم تكن ميشيل تنتوي الارتفاع بالطائرة عن سطح الأرض؛ فزادت من السرعة بعض الشيء وفي ذات الوقت وقفت على دواسة القدمِ اليمنى لتجبر الطائرة الصغيرة على الدوران حول نفسها. توقّف شامب من فوره وهو يرى الطائرة تتجه نحوه مباشرةً. رفع مسدسه ليطلق النار، لكنه سرعان ما أدرك استحالة ذلك فدار على عقبيه وأخذ يركض، حاولت ميشيل إبطاء السرعة بكل قوتها حتى لا تدهسه، وبينما انقضت الطائرة عليه صرخ وهو يلقي بنفسه جانباً، فتدحرج نحو حاجز وارتطم في مجموعة من براميل الجازولين.

ضغطت ميشيل الصمام، وشغلت المكابح، ثم قفزت إلى الخارج وهي تركض بطول الحاجز. لم تنتظر حتى يتمكن شامب من النهوض؛ فطارت في الهواء لتلقي بنفسها فوقه، موجهة مرفقها ليصطدم بمؤخرة رأسه، فأطلق شامب آهة وحيدة قبل أن يسقط فاقداً الوعي.

"لن تموت على يديّ يا شامب"، قالتها بشراسة وهي تقلب جسده وتتحسس نبضه وتردف "فالسجن يدعوك، أيها العبقري المعتوه". كان يتنفس بانتظام وكان نبضه جيدًا ومن المؤكد أنه سيستعيد وعيه سريعاً مع صداع قوي ورغبة قاهرة في أن يستدعي محاميه. نظرت حولها، فوجدت بعض الكابلات المعلقة على الحائط الخارجي لشرفة المستودع، فاستخدمتها في تقييده.

فتشت جيوبه، فوجدت هاتفه الخلوي ومفاتيح سيارة، ثم عادت مسرعة إلى الطائرة. فتحت الباب بقوة ودلفت إلى الداخل، أوقفت المحرك، واستخدمت أحد المفاتيح في صنع فتحة في

البالة الأقرب إليها وتفحصتها. كانت متيقنة من أنه هيروين. وضعت بعضا منه في كيس سحبته من مقصورة التخزين بالطائرة، وبينما كانت تهم بالمغادرة سمعت صوتا عند مؤخرة الطائرة، وراء البالات، ثم رأت إحدى البالات تتحرك.

بدأت تزيح البالات. رأت عند أقصى المؤخرة شيئاً ملفوفاً في بطانية، وكان ذلك الشيء يتلوى.

جذبت ميشيل البطانية وبعد جهد جهيد كشفت لها عن فيجي... مقيدة ومكممة الفم.

حررتها ميشيل بسرعة وأسرعا بالخروج من الطائرة.

همت فيجي بأن تصيح: "ميك...".

إلا أن ميشيل قاطعتها قائلة بسرعة: "أخبريني لاحقاً. أما الآن فلا تتوقفي عن الركض".

وصلا إلى سيارة شامب المرسيدس، فاستقلتاها على الفور. هاتفت ميشيل ميركيل هايز في منزله، استيقظ الرجل فأخبرته بخلاصة الذي حدث وقالت له صارخة: "تحرك إلى بابيج تاون مع أكبر عدد من رجال الشرطة".

"سحقاً"، كان هذا كل ما استطاع الرجل المنوط به تنفيذ القانون قوله كرد فعل على ما سمعه.

انطلقت ميشيل بالسيارة وبأقصى سرعة ممكنة، بينما تشبثت فيجي بمقعدها بذعر من هذه السرعة المخيفة، كان صرير الإطارات عالياً والسيارة تجتاز موقف السيارات وتنطلق داخل الطريق، تاركةً خلفها عبقرياً فاقد الوعي ينتظره حكم بإقامة ستطول داخل السجن، وطائرة من طراز سيسنا مملوءة بالهيروين الذي تهربه السي آي إيه. وصلتِ بسرعة السيارة إلى مائة ميل في الساعة، ورغم هذا... لم تكن لترفع قدمها عن دواسة الوقود.

الفصل

٨٤

جثم شين وراء سياج منخفض. إن ما رآه قد حطم أمل النجاة الضعيف هذه الليلة؛ فأمامه رجال فى زى مدرع أسود مع أسلحة من طراز إم بى ه - من الواضح أنه الطراز المفضل لدى الحكومة هنا عبر النهر - كانوا يتحدثون مع اثنين من حراس الأمن فى بلدة بابيج تاون.

انتشرت هذه المجموعة وبدأت تتجه نحو شين. فحاذى جسده على الفور بصف الأشجار واندس داخل الغابة حيث تمنى بأن يكون بعيدا إلى اليمين من هذه المجموعة. وظهر بعد دقائق قليلة فى بقعة خالية وراء كوخ الراحل لين ريفيست. وعلى الجانب الآخر من الطريق المقابل لكوخ ريفيست كانت مؤخرة الكوخ رقم ثلاثة. زحف من شجرة إلى شجرة؛ حتى لا يلفت النظر إليه. كان يسمع صيحات وأصوات أقدام تركض بينما يشق طريقه ببطء.

استعمل صخرة فى كسر قفل الباب المفضى إلى المغسلة ثم اندس إلى الداخل. صدمته رائحة المنظفات والمبيضات وهو ينظر حوله وسط الماكينات التجارية الكبيرة، وسرعان ما وقع نظره على ما كان يبحث عنه؛ فالتقط الملابس وعاد إلى الخارج.

نظر للأمام، ورأى مقصده: كوخ أليسيا تشادويك. كان مظلماً بالداخل. تحسس طريقه حتى مقبض الباب الخلفى وحرك المقبض، فانفتح الباب. تحرك إلى الداخل، ثم توقف وأصغى السمع. بدت الأشياء تتضح له. اندس فى سرعة بينما لمح ظلالا تركض عبر الشارع.

صعد الدرج، ووجد باب غرفة نومه فانسل للداخل. كان يريد الوصول إلى هاتفه المحمول، والذى كان قد نسيه بغباء وهم يهربون من بابيج تاون، ورغم ذلك فقد أدرك على الفور أن أحدهم قد فتش غرفته وأخذ كل شىء. فغادر الغرفة نحو باب غرفة أليسيا، وفتحه وتسلل وهو ينتوى البحث عن هاتف فى غرفتها.

باغتته لكمة فى كتفه.

"ابتعد عنى. ابتعد!"، كان الصوت يصرخ.

أمسك يدها قبل أن تتمكن من أن تضربه ثانيةً وقال: "أليسيا، أنا شين".

كانت تقف وراء الباب وتهاجمه، دون كل الأشياء، بساقها البديلة.

فقالت بدهشة: "شين!".

أحاط بها بقوة، وهو يحاول ألا تسقط على الأرض وهى بساق واحدة.

"ما الذى تفعلينه هنا؟ لقد اعتقدت أنك قد غادرت المكان".

"وأنا أيضًا اعتقدت بأنكم قد غادرتم ولقد عدت إلى هنا تحسباً لاحتمال ظهور فيجى، ثم أحسست بشخص يتسلل داخل البيت".

"أليسيا، لابد أن نخرج من هنا".

"لماذا، ماذا يحدث؟".

"ليس لدى وقت لتوضيح ذلك الآن، لكن الأمر يتعلق بوكالة المخابرات المركزية، وربما تعلق الأمر بالمخدرات وجرائم القتل. كما أن هناك جواسيس في المنطقة كلها، لكن لدى خطة".

فارتدت ساقها بسرعة.

سألته: "أين ميشيل؟".

"أتمنى لو كنت أعرف. لقد ذهبت تقتفى أثر المخدرات. أنا... أتمنى أن تكون بخير. هل معك هاتف محمول؟ فأحتاج لاستدعاء الشرطة".

"لقد تركته في سيارتي".

"هل لديك هاتف أرضى هنا؟".

"كلا، بل الهاتف المحمول فقط".

"تباً!"، ثم نظر حوله قبل أن يردف: "حسناً، إليكِ ما ننوى القيام به. ستذهبين إلى سيارتك. أفترض أنها تقف أمام الكوخ؟".

"نعم".

أخرج الملابس التى أخذها من داخل المغسلة. كانت زيًا رسمياً لحارس أمن. وسرعان ما استبدل ملابسه، وحينما رأت أليسيا الجرح على ساقه صرخت قائلة، "يا إلهى، شين، أنت مصاب".

"لا تقلقِى، ولكن حالتى ستسوء أكثر بكثير إذا لم نخرج من هنا. ولو أوقفك أحد، أخبريه فقط بأنك خائفة، وأنكِ فى طريقك إلى الرحيل. أما أنا فسأغطيكِ".

"أنت ترتدى الزى الرسمى. فلماذا لا تدعى بأنك مرافقى؟".

"سيتعرف على الحراس إذا ما نظروا إلى وجهى. ولكن رجال وكالة المخابرات المركزية لن يروا على البعد سوى رجل يرتدى زياً رسمياً. سألتحق بكِ عند المقدمة حتى نلاقى رجال الشرطة".

بدت مضطربة: "شين، ماذا لو أنهم لم يتركونى أرحل؟ قد يعتقدون بأننى أعرف شيئاً".

"كل ما عليكِ هو أن تتظاهرى بالخوف يا أليسيا".

ابتسمت ابتسامة واهنة وقالت: "لن يكون ذلك صعباً؛ فأنا خائفة بالفعل". انسابت الدموع على وجنتيها وهى تردف: "هل تعتقد أن هؤلاء الرجال هم من اختطفوا فيجى؟".

لم يجبها على الفور، لكنه قال أخيرًا: "نعم، إنهم هم".

نظر حوله عبر أرجاء الغرفة وناولها حافظة ورق ثقيلة الوزن كانت فوق منضدة الفراش وقال: "ليست بالسلاح الكفء، لكنه أفضل المتاح حاليًا".

كان هناك صخب يتزايد بالخارج. فقال: "أليسيا، عليك فقط أن تتجهى عبر الطريق الرئيسى والكوخ رقم ثلاثة والبركة ومن ثم إلى الفناء الأمامى"، أمسك بكتفها وهو يردف: "يمكنك أن تفعليها. يمكنك ذلك!".

فأومأت أخيراً، وهى تتنهد بعمق وهدوء وتبعته إلى الطابق السفلى.

بعد دقيقة كان كل شىء يسير على ما يرام. مر عليهما حارسان، لكنهما لم يوقفاها، إلا أنها ما كادت تصل إلى البركة حتى وقعت الكارثة؛ فقد هرع نحوها فريق من الرجال ذوى الزى المدرع. رفع قائدهم يده أمامه يأمرها بالوقوف.

"سحقا!"، تمتم شين ساخطاً من مخبئه. نظر حوله بحثاً عن أى شىء يمكن أن يستعمله لإخراجها من هذه الورطة، وعندها رآه. مد يده إلى داخل حقيبته وأخرج القنبلة التى كان قد أخذها من الحارس فى كامب بيرى، فنزع فتيل الأمان ثم ألقاها نحو السياج المحيط بالكوخ رقم اثنين. ارتطمت بالمستودع المعدنى وسقطت على الأرض. عندها كان شين قد انطلق يعدو بالفعل بعيداً ليتسلق إحدى الأشجار، ويندس وسط أغصانها.

مرت خمس ثوان، قبل أن يحدث الانفجار فتحة كبيرة فى قاعدة المستودع لتتدفق أطنان من المياه إلى الخارج. تدفقت فى كل اتجاه وكأنها مياه نهر فاض على ضفتيه. سمع شين الصيحات

ونظر من مكمنه في الوقت المناسب ليرى أليسيا والرجال المدرعين والمياه تجرفهم.

حملت المياه أليسيا جانباً لتستقر بها عند الطرف الآخر من بركة السباحة. أما الرجال المسلحون الثلاثة ففقدوا الوعى عندما اصطدموا بالموقد الحجرى.

وعندما فرغ المستودع من مياهه، هبط شين ليخوض فى المياه التى وصلت إلى ركبتيه، رغم أنها بدأت تنحسر بسرعة، كان يسرع نحو أليسيا، وهو يصيح: "آسف على التسبب فى هذه التسونامى... كانت الشيء الوحيد الذى أمكننى أن أفكر فيه".

إلا أنه حينما اقترب منها أدرك أن هناك خطباً ما.

كانت أليسيا تقبض على ساقها البديلة، وهى تتلوى ألماً.

فركض نحوها وجثا على ركبتيه بجانبها: "أليسيا، ما الذى حدث؟".

قالت متألمة: "عندما جرفنى الماء. شعرت وكأن هذه الساق قطعة فولاذ تخترق قمة فخذى. لا أستطيع المشى".

"أوه...تباً!"، هم شين بفحص الساق. إلا أنه وجد نفسه يغوص فى مياه البركة. ظل مشدوهاً وكأن الضربة قد شجت جمجمته. إستقر عند أسفل الناحية الضحلة وبعد ذلك دفع نفسه ليعود إلى السطح. عندما فعل ذلك شعر بشيء يتشبث برقبته ويسحب بشدة. حاول بصورة غريزية أن يعرف ماهية ذلك الشيء، لكنه كان مطموراً بإحكام فى رقبته حتى إن أصابعه لا تستطيع أن تصله. فنظر خلفه.

كانت أليسيا... كانت تخنقه.

لم يستطع أن يتنفس؛ وجحظت عيناه. حاول أن يبعدها عنه، لكنها لفت ساقها السليمة حول جذعه، وجذبت الحبل بكل قوتها. تملك منه الرعب. فأخذ يطوح بقبضته خلفه، يحاول أن يضربها، لكنه فشل. سدد لكمة إلى الساق الملفوفة حوله، لكنها ركلته فى الظهر بساقها الأخرى؛ فشعر بأنه غير

قادر على التنفس. تعثر للأمام فى الماء، وهو يحملها على ظهره، ورغم ذلك وعلى نقيض حالته هو، كانت أليسيا قادرة على التنفس بعمق؛ فقد كان دماغه على وشك أن ينفجر والحبل الملعون يستمر فى خنقه، كان عليه أن يلتقط أنفاسه، لكنه شعر بالفشل. كان جسده ينهار.

النجدة يا ميشيل، النجدة، إننى أموت، لكن ميشيل لم تكن هنا.

إلا أن المعجزة تحققت... وذهب الضغط من حول رقبته.

وكذلك ثقل وزن أليسيا فوقه؛ فسارع بالخروج من بركة السباحة، وهو يلتقط أنفاسه فى سرعة وعمق وهو فى الماء.

"تعال!".

بالكاد استطاع دماغه الذى كاد ينفجر أن يفهم الكلمات.

أجل، كانت ميشيل؛ لقد وصلت فى الوقت المناسب كى تنقذه. إنها فى أمان، فى أمان!

"الآن!"، أمسكته اليد بقوة.

نظر إلى الوجه. فوجئ بأن آيان وايتفيلد هو من ينظر إليه. بينما كانت أليسيا مسجاة فاقدة الوعى على حافة البركة الخرسانية.

حثه قائد كامب بيرى صائحاً: "علينا أن نسارع بالخروج من هنا".

إلا أن شين قال له، وهو يسعل المياه ويتحسس موضع الحبل حول عنقه: "ما الذى تفعله هنا بحق الله؟".

"لا وقت للكلام. هيا بنا؛ فالمكان يعج بالبشر".

"نعم... لأنهم رجالك أيها الوغد".

"لا... ليس الليلة... إنهم ليسوا رجالى. بل هم فرقتان ممن يتدربون داخل المعسكر، وليس لى سلطة عليهم. هيا بنا!".

وسرعان ما ركض وايتفيلد وهو يعرج نحو المسافة بين الكوخ رقم ثلاثة والمرآب الرئيسى.

تردد شين للحظة، ونظر إلى أليسيا وحافظة الورق التى ضربته بها ملقاة إلى جوارها. لقد حاولت أن تقتله. ولكن لماذا؟

إلا أنه سمع فى اللحظة التالية صرخات تأتيه من خلفه، فهرع من فوره ليلتحق بوايتفيلد، والذى كان جاثماً بالقرب من شجرة.

سأله شين بصوت واهن مبحوح: "ألن تخبرنى بما يجرى؟".

فبادره وايتفيلد قائلاً: "ليس الآن"، ثم أخرج مسدسه من حزامه وناوله لشين في حين التقط هو سلاحه طراز إم بى ه والذى كان من الواضح أنه قد خبَّأه خلف شجيرة، ثم قال له: "إذا كان عليك أن تستخدمه، فصوب على الرأس، فجميعهم يرتدى ملابس واقية من الرصاص".

"وما الذى نحاول أن نتوصل إليه؟".

"لدى قارب يرسو على بعد مائتى ياردة من حوض القوارب".

"ألا يضعون حراسة عند مياه النهر؟".

"نعم، ولكننا ما إن نصل إلى القارب حتى أخبئك أسفل قماش القارب. وحينما يروننى فلن يجرؤوا على الاقتراب منا".

"هيا بنا إذن".

أوقفه وايتفيلد قائلاً: "ليس بهذه السرعة، فلقد لاحظت أنهم يبحثون بطريقة الشبكة، فما إن يقوموا بإخلاء منطقة سندخلها نحن. حتى نصل إلى النهر".

"وأين ميشيل؟".

"لا أدرى".

"كانت أسفل الشاحنة حينما غادرت كامب بيرى".

بدت المفاجأة واضحة على وجه وايتفيلد للحظات، قبل أن تكتسب ملامحه الجدية من جديد. "تبا".

"هل يقومون بنقل الهيروين على متن تلك الطائرة؟ وماذا عن العرب؟ من هم؟".

لوح وايتفيلد بمسدسه منبهاً: "اسمع، كينج. أنا لا أدين لك أو لأحد بتفسير لما يجرى هنا. أنا هنا لإنقاذ حياتك وربما لتصحيح بعض الأخطاء؛ فلا تجعلنى أفكر فى الرجوع فى قرارى هذا".

الفصل

٨٥

تخلت ميشيل عن السيارة المرسيدس قبل أن تدخل الطريق الرئيسى المفضى إلى بابيج تاون وأسرعت خلال الغابة إلى النهر وهى تمسك بيد فيجى، وفى طريقهما إلى هناك حكت لها فيجى كيف أن أحدهم قد اقتحم عليها غرفتها وضغط بشىء على وجهها ففقدت الوعى، ولم تفق إلا حينما وجدت نفسها مقيدة ومكممة فى مؤخرة الطائرة.

قبل أن يدخلا فى الغابة رأت ميشيل حشداً من عربات الشرطة السوداء يندفع عبر الطريق إلى بابيج تاون؛ تتقدمهم سيارة هايز فى مقدمة الموكب. ها قد أتت النجدة على الأقل.

حاذت ميشيل وفيجى ضفاف نهر يورك، وهى تحاول ألا يراهما أحد بعدما لاحظت أن هناك نشاطاً غير معتاد فوق مياه النهر.

كان الاثنان يتعثران فى أثناء سيرهما فى ضفة النهر الموحلة، إلا أنهما وصلا أخيرا إلى أراضى بابيج تاون. نظرت ميشيل إلى السماء بينما كانت تحلق فوقهما طائرة. سرعان ما توارت عن الأنظار فعادت تنتبه إلى الأعداء الذين تواجههم على الأرض. كانت قد حاولت مهاتفة شين عبر هاتفه المحمول إلا أنها تذكرت أنه قد غادر بابيج تاون، ثم خطر لها خاطر. قررت

أن تهاتف هوراشيو. أجاب مكالمتها مع أول جرس فأوضحت له باختصار ما حدث بما فى ذلك أن فيجى معها.

سعدت لأنه لم يسألها أى سؤال عدا: "أين يمكن أن أجدك الآن؟".

وصلا إلى النهر وبعد دقائق قليلة كان هوراشيو يتوقف بقاربه الفورميولا عند الشاطئ.

قال لها: "لقد رسوت عند خليج صغير قريب من هنا. كنت أتمنى أن يهاتفنى أحدكما. أين شين؟".

"لا أعـ..."، إلا أنها وقبل أن تتم الكلمة لمحته فى الغابة. "شين!".

تنفست الصعداء حينما ظهر شين كينج من بين الأشجار، إلا أن هذا الارتياح قد تبدد بعد لحظات وحل محله الخوف حينما رأت آيان وايتفيلد ومدفعه الرشاش، فصوبت مسدسها نحو رأسه صائحة: "اتركه!".

فصاح شين: "لا بأس يا ميشيل... إنه يساعدنى".

"إنه كذاب".

"ولكنه أنقذ حياتى".

فقال وايتفيلد: "سمعت أنك تجيدين التصويب يا ماكسويل". ثم خطا للأمام وألقى نحوها بالمدفع الرشاش وهو يردف: "من الأفضل أن تكونى كذلك".

التقطت ميشيل السلاح بيد، وهى تبقى مسدسها مصوباً نحو الرجل، إلا أن نظرة الشك المرتسمة على وجهها تبددت، وقالت لشين: "ما الذى يجرى؟".

" بابيج تاون تغص برجال كامب بيرى المسلحين وقد حاولت أليسيا قتلى".

فقالت ميشيل: "لقد اتصلت بالشرطة وهم الآن فى بابيج تاون".

لمح شين البنت، فصاح: "فيجى؟".

فلوحت البنت تحييه باستحياء.

نظر وايتفيلد إلى هوراشيو والقارب الفورميولا وقال: "من هذا؟".

فأجابه شين: "إنه صديق لنا... هيا بنا". قالها وهو يصعد إلى المركب.

فصاح وايتفيلد: "كلا... لا يمكن لذلك القارب أن يؤدى المهمة...اتبعونى".

شقوا جميعاً طريقهم على طول الشاطئ واستقلوا القارب العسكرى الذى كان وايتفيلد قد ربطه إلى دعامة تبرز من المياه. تأكد وايتفيلد من أن الأربعة على متن القارب ثم خبأهم.

أخرج شين رأسه وهو يلوح بمسدسه: "حسب معلوماتك؛ فأنت لو حاولت أن تخدعنا فلن يكون الرد إلا برصاصة فى رأسك".

تنامت قوة العاصفة؛ وبدأ النهر يموج بينما وابل من المطر ينصب من السماء المظلمة. اختلست ميشيل نظرة من أسفل الغطاء الذى يختبئون تحته، والتقطت سترة نجاة وناولتها لفيجى.

لم يبتعدوا كثيراً قبل أن يقترب منهم قارب آخر. سمع شين من أسفل الغطاء وايتفيلد وهو يتمتم بالسباب؛ فشعر بالقلق، وأحكم قبضته على المسدس.

كان القارب الآخر أكبر بكثير من ذلك الذى يقوده وايتفيلد، وكان هناك عشرة رجال مسلحين على متنه، بالإضافة إلى شخص آخر.

جفل شين حينما سمع صوت هذا الشخص: "أين كنت يا آيان؟"... كانت فاليرى ميسالين هى صاحبة الصوت.

"فى بابيج تاون، ويبدو لى أن أحدهم قد استدعى الشرطة".

قالت المرأة فى برود: "من فعل ذلك؟".

"سأعمل أنا على اكتشاف هوية الشخص الذى اقتحم كامب بيرى... ولكن لا يهم من فعلها؛ فقد سبق السيف العذل، ويجب أن تنسحبى الآن".

"لا أعتقد ذلك، لماذا لا تصطحب بعض الرجال وتنطلق فى النهر بقاربك؟ فأياً كان من تسلل فهو يحاول الهرب فى ذلك الاتجاه".

بينما كان يرد عليها كانت فاليرى تمعن النظر فى قاربه. وسرعان ما ارتسمت على وجهها ابتسامة نصر، ثم قالت: "إن قاربك على مستوى منخفض فى الماء بصورة تفوق وجود مجرد شخص واحد على متنه يا آيان".

عندها قرر وايتفيلد أن ينطلق بقاربه بكل سرعة محطماً جانب القارب الآخر؛ فسقط رجلان من فوق ظهر القارب بينما اختل توازن فاليرى وسقطت.

وضع وايتفيلد المحرك فى الوضع العكسى، والدعائم تتسارع ونصفها خارج الماء، انطلق القارب للخلف، ثم ضغط زر السرعة فاندفع القارب للأمام. أطلق رجال فاليرى الرصاص نحو القارب ليستقر فى هيكل القارب.

صاح وايتفيلد: "أريد مساعدةً هنا".

فأزاح شين وميشيل الغطاء عنهما فى سرعة وصعدا، بينما بقى هوراشيو مختبئاً فى مكانه وهو يحيط فيجى بذراعيه، محاولاً حمايتها. كان القارب الأكبر يطاردهم. وبينما الرصاص يئز حولهم، احتمى شين وميشيل وراء ساتر ثم ردا على إطلاق النار. قصفت ميشيل مقدمة القارب الآخر بمدفعها الآلى.

صاح وايتفيلد: "احتفظا بذخيرتكما، فليس لدى سوى مشطى ذخيرة إضافيين لهذا الرشاش ومشط واحد لكل مسدس"، ثم ألقى بمشط رشاش آخر إلى ميشيل.

كانوا ينطلقون بسرعة تفوق مائة كيلومتر فى الساعة، والقارب يتقافز قفزات مجنونة عبر النهر بينما ازدادت الريح قوة.

صوب شين بدقة نحو أحد الأهداف ثم أطلق أربع طلقات، إلا أنه قد تأكد من أن المسدس لن يكون فعالاً من هذه المسافة وخاصة مع إطلاق النار من فوق القارب الذى صار يتقافز إلى أعلى كأنه لاعب سيرك.

نادى شين على وايتفيلد: "هل يمكننى أن أسألك سؤالاً غبياً؟".

"اسأل ما يحلو لك".

"هل بالإمكان أن تخبرنا عن سبب إصرار زوجتك الشابة على قتلك وقتلنا؟".

اجتاز وايتفيلد موجة قوية وهو يصيح بكل قوة: "إنها ليست زوجتى، بل رئيستى".

نظر شين إليه فى دهشة بالغة وقال: "رئيستك! ما الذى تقوله بحق الله؟ ظننت أنك أنت رئيس كامب بيرى؟".

بادره وايتفيلد فى سرعة: "بوسعك أن تظن ما تريد".

"وهل جميعكم متورطون فى تجارة المخدرات؟".

لم يقل وايتفيلد شيئاً.

فقال شين: "وماذا عن أولئك العرب على الطائرة؟".

فهز وايتفيلد رأسه قائلاً: "لن أخوض فى هذا الموضوع".

"وهل قتلت أليسيا لين ريفيست؟".

فاستمر الرجل على صمته.

عندها بادره شين قائلاً: "لقد كادت تلك المرأة أن تقتلنى، وكانت ستنجح لولاك، وهو السبب الوحيد الذى يمنعنى عن إلقاء القبض عليك".

عندها سألت ميشيل: "وشامب؟... هل يعمل لصالح وكالة المخابرات المركزية؟".

فقال وايتفيلد: "دعونا نفكر فقط فى الخطر الذى أمامنا الآن".

"وما الذى تعتقد بحق الله أننا نفعلـ..؟"، لم يتم شين كلامه لأن وايتفيلد قد استطاع وبطريقة ما أن ينعطف بدرجة تسعين فى المائة وهو يقود بأقصى سرعة. كاد توازن شين أن يختل ويسقط على جانب القارب لولا أن ميشيل قد أمسكت به بكل قوة وهو يندفع إلى جانبها، وأحاطت ميشيل فيجى بساقيها تحسبا ألا يستطيع هوراشيو الإمساك بها.

صرخت فيجى: "ميك!".

"أنا ممسكة بكِ، فيجى، ولن أفلتك".

زاد وايتفيلد من السرعة فاندفع القارب نحو الشاطئ المقابل؛ ليتوجه مباشرة نحو اللسان المتد إلى داخل كامب بيرى. انسل القارب عبر قوس من المصابيح التى كانت تومض بقوة على بعد خمسمائة ياردة من الشاطئ لتحذر من خطر كبير ناجم عن اختراقهم للحاجز الأمنى، وأدرك شين أن هذا كان مقصودا. بعدها مر القارب كالسهم إلى جوار قاربين متمركزين عند مدخل اللسان. صوب الرجال على متنهما أسلحتهم عليهم، بما فى ذلك قاذفة قنابل تعمل بالدفع الصاروخى، لكنهم عندما تبينوا هوية من كان على متنها خفضوا مدفعيتهم واكتفوا بالتحديق فى القارب بنظرات حائرة، بل إن وايتفيلد كان من الجرأة لدرجة أنه قد ألقى عليهم التحية العسكرية.

انحرف وايتفيلد بالقارب إلى اليسار ثم إلى اليمين ليتفادى عقبات غير مرئية أسفل المياه بينما بقى يرمق بين حين وآخر شاشة مضيئة فوق لوحة مفاتيحه.

صاحت ميشيل: "ما زالوا فى أعقابنا"، ثم ازداد اضطراب صوتها أكثر وهى تردف صارخة: "سيطلقون علينا صاروخا". كان الرجل عند مقدمة القارب الذى يطاردهم يصوب نحوهم قاذفة صواريخ.

صرخت فيجى فى رعب.

وصاحت ميشيل: "هوراشيو، لا تفلتها!".

بينما كان وايتفيلد يلمح إحدى البقاع وسط الماء وبدا أنه يستعد لخطوة ما. كانت موجة عالية هى التى ينتظرها. صاح فيهم هادراً: "تشبثوا". سقط شين وميشيل على سطح القارب وهما يتشبثان بأى شىء يمكن لأيديهم أن تقع عليه.

الفصل

٨٦

اصطدم القارب العسكرى بالموجة التى قابلتـه فـى سرعة، فطار محلقاً فى الهواء، بينما تعالى زئير مروحتى محركه وكأنه يبحث عن الماء الذى اختفى من حوله، وسرعان مـا عـاد القـارب ليرتطم بسطح الماء فى قوة ليغوص إلى أسفله مسافة قدمين.

صرخت فاليرى ميسالين من على متن قاربها الذى يطاردهم: "احترسوا!"؛ فقد أدركت ما كان يسعى إليه وايتفيلد.

نظرت ميشيل ناحية ذلك القارب فى نفس اللحظة التى رأت فيها فاليرى وهى تقفز من فوق سطح القـارب، هـى وثلـة من أتباعها، أما السائق فقد حاول أن يتفادى تلك البقعة التـى نجح وايتفيلد فى القفز من فوقها بقاربـه، لكـن الأوان كـان قد فـات. واصطدم القارب باللغم... وانفجر.

استدار وايتفيلد بالقارب على الفور وبزاوية حادة جداً ليمرق إلى جوار ميسالين ورجالها وهما يعانون مـن أجـل الـتخلص من ملابسهم المدرعة قبل أن يسحبهم ثقلها إلى الأسفل.

سأله شين بصوت مذهول: "كيف فعلت ذلك بحق الله؟".

ربت وايتفيلد على الشاشة أمامه قائلاً: "كـان الأمـر سـهلاً، طالما تعرف أماكن الألغام. وقد أمرتهم بأن يغيروا موقع أحدهم بالأمس، كنوع من الاستعداد".

كان صوت محرك القارب يهدر والقارب يندفع فـوق صـفحة نهر يورك، إلا أن أحداً منهم لم ير ذلك الصاروخ وهو ينطلق من فوق إحدى زوارق الدورية. لم يصب هدفه ولكنه سقط ليس ببعيد عـنهم؛ فكـاد القـارب ينقلـب بفعـل قـوة الانفجـار حينمـا سـقط الصاروخ فى الماء على بعد عشر يـاردات مـنهم، قبـل أن يـنجح وايتفيلد فى استعادة السيطرة على القارب. كان المطر يهطـل الآن بزاوية مائلة، فيلسع وجوههم بينما شين وميشيل يقفان بـبطه على ساقين ترتعدان.

نظرت ميشيل حولها، ثم سرعان ما أخذت تصيح فـى ذعـر: "فيجى! هوراشيو!".

فنظروا خلفهم؛ ليجدوا فيجى وهى تصارع المياه داخل سـترة النجاة على بعد خمسين يـاردة مـنهم. وعلـى يـسارها هوراشـيو الذى كان يبصق المياه وجسده ينسحب نحو القاع.

لم تتردد ميشيل، فقد التقطت إحـدى الـسترات وقفـزت مـن فوق سطح القارب لتسبح فى سرعة نحو هوراشيو. ولم تـر شـين وهو يغطس من الجانب الآخر ليتجه إلى فيجـى. وصـلت ميـشيل إلى هوراشيو وناولته سترة النجاة وهـى تقـول: "أنـت بخـير يـا هوراشيو، فقط لا تضطرب. هل بإمكانك أن تـسبح حتـى القـارب بينما أذهب لأعيد فيجى؟".

أومأ برأسه بينما أسرعت ميشيل نحو فيجى. إلا أن ما رأتـه حينما اقتربت منها جمد الدم فـى عروقهـا. كـان أحـد القـوارب التابعة لرجال كامب بيرى يسحب البنت نحـوه. وبينمـا كانـت ميشيل تكابد حتى ترى من خلال المطر والظلام من حولها، رأت منظراً مخيفاً آخر؛ فقد رأت رجلين علـى مـتن القـارب يـصوبان سلاحيهما نحو شين، الذى كان يصارع المياه للوصول إلى فيجـى. صاحت بكل قوتها: "لا!"، لكن هذا كان كل ما تستطيع فعله فى تلك اللحظة العسيرة.

بعد لحظة أتاها صوت من خلفها، فالتفتت لتجد قارب وايتفيلد يقترب صوبها بأقصى سرعة. كان هوراشيو على متنه فأدركت أن وايتفيلد قد عاد والتقطته وبينما اقترب القارب أكثر، رأت ميشيل وايتفيلد يسلم الدفة لهوراشيو، ثم رأت قائد كامب بيرى وهو يستند إلى جانب القارب ويلف ساقه خلال أحد الأربطة الداعمة على حافة القارب. مد يده للأمام، وعندها أدركت ميشيل على الفور ما ينتوى القيام به؛ فقد مارست هذه المناورة بالذات خلال دورة تدريبية مشتركة مع رجال المباحث الفيدرالية أثناء عملها بالخدمة السرية، وبينما كان القارب يقترب إلى جانبها فى سرعة رفعت ذراعها لتلتقطها يد وايتفيلد. قبض الرجل على ذراعها بقبضة حديدية واعتمد على قوته وسرعة القارب فى سحب جسدها من الماء وسرعان ما استقر فوق سطح القارب. وبدورها لم تضع وقتاً فى توجيه الشكر. بل سرعان ما نهضت على قدميها، والتقطت مسدساً لتصوبه نحو القارب الآخر الذى صار الآن فى دائرة تصويبها.

كانت ميشيل تعرف أن فيجى فوق سطح القارب لذا هى لا تستطيع أن تطلق النار عليهم مباشرة، لكنها استطاعت أن تطلق خمس طلقات سريعة تجاه الرجال المسلحين لتشتيت انتباههم ومنح شين فرصة للهرب.

"اقترب أكثر وسننتشله"، هكذا صرخت ميشيل فى هوراشيو.

رد عليها هوراشيو من موقعه عند الدفة: "لا أعتقد أن بمقدورى القيام بذلك".

فأسرعت ميشيل نحوه بينما مال وايتفيلد بجسده عبر حافة القارب ثانيةً، وبينما اقترب القارب من شين، مد وايتفيلد ذراعه بسرعة وانتشله إلى القارب بمهارة يحسد عليها.

صاح فيها وايتفيلد: "زيدى من السرعة!".

فصرخت: "وماذا عن فيجى؟!".

"انطلقى بالقارب بأقصى سرعة وإلا هلكنا جميعاً!".

لم يسع ميشيل سوى أن تزيد من سرعة القارب منطلقاً إلى الأمام، حتى كاد توازن هوراشيو وشين يختل ويسقطان من فوق القارب.

صاحت ميشيل وسط عواء العاصفة: "سنحشد جيشاً ونعود عبر ذلك النهر اللعين لنستعيد فيجى".

أوقفت القارب بمحاذاة الشاطئ على الجانب الآخر ليورك. قفزوا منه وهم يهرعون نحو مدخل بابيج تاون. وفى الطريق توقف شين ليسترجع حقيبته التى كان قد أخفاها أسفل الشجيرة.

كانت قافلة سيارات الشرطة متوقفة لدى المدخل فأسرعت ميشيل نحوها، وحالما أفصحوا عن هويتهم حتى أحاط بهم أفراد المكتب الفيدرالى من كل جهة. اقترب هايز منهم. لم يكن يرتدى زى الشرطة الرسمى، بل يرتدى سترة زرقاء عليها الشارة المميزة لمكتب مكافحة المخدرات، وإلى جانبه وقف فينتريس... العميل الفيدرالى.

فحدق شين فيهما بدهشة، قائلاً: "مكافحة المخدرات؟".

فقال له هايز: "هذه قصة يطول شرحها".

فسألته ميشيل: "هل ألقيتم القبض عليهم إذن؟".

رد فينتريس بغضب: "من هم؟... لا أحد هنا عدا بضعة حراس".

فقال شين: "لقد كان المكان يعج برجال وكالة المخابرات المركزية المدرعين".

"حسناً... إنهم ليسوا هنا الآن".

فسألته ميشيل فى عدم تصديق: "لقد نجونا للتو من معركة بالأسلحة النارية داخل النهر، بل إنهم أطلقوا صاروخاً نحونا. هل تريد أن تقنعنى بأنكم لم تسمعوا بأى من هذا؟".

فقال لها هايز: "لقد كانت صافرات الإنذار تدوى طيلة الوقت الذي كنا نحن فيه هنا، ونجحنا للتو في إسكاتها، لذا لم نسمع شيئاً بسببها وبسبب العاصفة".

سألتهما ميشيل: "ألم تعثروا على الأقل على الطائرة المكدسة بالمخدرات؟".

إلا أن هايز هز رأسه قائلاً: "لم يكن هناك أية طائرة ولا أثر لشامب بوليون عندما وصل رجالى إلى هناك".

بينما سألهم فينتريس: "مخدرات...أية مخدرات؟".

لم تجبه ميشيل، إلا أنها أخرجت له من جيبها أحد أكياس المخدرات التى كانت قد احتفظت بها من الطائرة.

"إليك هذه. هناك على الأقل طن منها على متن طائرة شامب. إنه هيروين".

تناول هايز الكيس ونظر إليه قائلاً: "ومن أين يأتون به؟".

فأشار شين عبر النهر: "من هناك. من كامب بيرى".

فى تلك اللحظة شاهدوا جميعاً كرة نار تنطلق نحو كبد السماء. كان من الواضح أنها تتصاعد من الجانب الآخر لنهر يورك.

فالتفتوا جميعاً نحو مصدر كرة اللهب.

صاح فينتريس: "ما هذا بحق الله؟".

بينما صاحت ميشيل فى سخط: "أوه، تباً!...إنها تلك الطائرة التى سمعت بأنها قد أقلعت فى وقت سابق. أراهن أنها طائرة شامب. لابد أنه قد طار بها إلى داخل كامب بيرى وعلى متنها المخدرات، وقد فجروها للتخلص من الدليل".

"أتريدان أن تقولا لى إن تلك المخدرات مصدرها كامب بيرى حقاً؟"، قالها هايز وهو ينظر إلى فينتريس فى عصبية.

فالتفت شين نحو وايتفيلد قائلاً: "أخبرهما أنت يا وايتفيلد".

إلا أن وايتفيلد لم يكن هناك.

فصاح شين فى دهشة: "أين ذهب بحق الله؟".

فقالت ميشيل: "شين، لا أعتقد أنه قد لحق بنا عبر الغابة".

"آيان وايتفيلد كان معنا. لقد أنقذ حياتى".

فقالت ميشيل بينما أومأ هوراشيو برأسه: "هذا صحيح".

فصاح فيهما شين ساخطاً: "اللعنة...ينبغى أن تصدقونا".

فقال هايز بهدوء: "بل نحن نريد ذلك".

إلا أن شين صاح بغتة: "مهلا!"، كان يخرج من حقيبته آلة تصوير الفيديو. "شاهدا هذا" وأدار الشريط لهما، وهو يشير إلى الطائرة، والعرب، وفاليرى ميسالين، والبالات التى يتم تفريغها.

فقال له فينتريس: "هذا الفيلم مصور داخل كامب بيرى. كيف حصلت عليه بحق الله؟".

فقال شين فى عدم ارتياح: "لابد أن نحصل على حصانة قانونية قبل أن أستطرد فى هذا".

بينما تقدمت ميشيل فى عصبية حتى صارت تقف قبالة فينتريس مباشرةً وهى تقول: "اسمعنى. لقد قاموا باختطاف فيجى تورينج. هى الآن فوق أحد قواربهم التى ربما كانت فى طريقها إلى داخل كامب بيرى".

بينما قال له هايز فى سرعة: "أرأيت هذا؟".

فصرخت ميشيل وهى تمسك بسترة فينتريس بقوة: "نعم!... لقد اختطفوها. أليس هذا من صميم اختصاص المباحث الفيدرالية؟ لذا دعنا لا نضيع الوقت".

إلا أن هايز قال لها: "لا نستطيع أن نقتحم كامب بيرى من دون سند قوى بالله عليك. نحتاج إلى تفويض على الأقل".

"احصل عليه إذن. أنت مدير الشرطة المحلية يا هايز!".

فتنهد وقال: "لا، لست كذلك، أنا من قوة مكافحة المخدرات. وطيلة العامين الماضيين كنت أعمل مع مايك فى قوة مشتركة، وتم زرعى هنا لأنتحل صفة مدير الشرطة المحلية".

فسألته ميشيل فى حيرة: "ولماذا هنا بالذات؟".

فتدخل فينتريس قائلاً: "كانت هناك الكثير من حالات تهريب المخدرات إلى داخل الساحل الشرقى. ووصل بنا التحرى إلى هذه المنطقة تحديداً...ظننا أن المصدر هو بابيج تاون، لكننا لم نستطع التوصل إلى الطريقة التى يدخلونها بها إلى داخل البلاد. اعتقدنا أنهم كانوا يجيئون بها عبر الزوارق".

فعلق شين قائلاً: "كان عليك أن تعرف أن شامب يمتلك طائرة".

فقال هايز: "بل علمنا ذلك، لكن تلك الطائرة الخاصة ليست من الطراز الذى يتيح لها جلب الشحنات من خارج البلاد. كنا نبحث عن المصدر".

وعقب فينتريس قائلاً بنبرة المصدوم: "لم يخطر ببالنا أن نتحرى وراء الرحلات الجوية التابعة لوكالة المخابرات المركزية. إنها جهاز حكومى"، بدا فينتريس عصبياً بدرجة كبيرة.

خطفت ميشيل الشريط بسرعة من شين لتضعه فى يد فينتريس قائلة: "هذا هو الدليل الذى كنتم تبحثون عنه. والآن عليكم أن تتوقفوا عن كل هذا الهراء الذى لن يفيد. وعليك التحصل على الأوراق الرسمية التى تتيح لك الانطلاق بقواتك عبر النهر قبل أن يصيب فيجى أى مكروه؛ فأقسم بالله إنهم لو مسوا شعرة منها بينما تضيع أنت الوقت فى هذا الكلام الفارغ، فلسوف ألقنك درساً قاسياً لن تحيا لتتذكره".

عندها قال فينتريس فى تسليم: "هيا بنا إذن".

فصاح فيه هايز وكأنه يذكره: "إنها المخابرات المركزية يا مايك!".

"يمكننا أن نحاول على الأقل".

الفصل

٨٧

تطلب الأمر بعض الوقت للحصول على تفويض فى تلك الساعة، والقاضى الذى منحه لم يبد أى ارتياح بشأن هذا التفويض بتفتيش كامب بيرى، إلا أن شريط الفيديو بالإضافة إلى شهادة شين وميشيل وهوراشيو كان لهما عنصر الحسم فى منح التفويض، وكان الفجر يبزغ حينما توقف رتل السيارات أمام مدخل معسكر المخابرات المركزية، وفينتريس وهايز يتقدمان أربعة وعشرين من رجال تنفيذ القانون الفيدراليين ومعهم شين وميشيل نحو بنايات الحرس.

كان هوراشيو بارنز وبإلحاح من شين، قد عاد إلى شمال فرجينيا بصحبة اثنين من عملاء مكتب مكافحة المخدرات لعلاج ظهره، ورئتيه المتشبعتين بالماء وأعصابه المتوترة. كان شين قد أعطاه نسخة من الفيديو الذى يظهر الطائرة والعرب والمخدرات فى كامب بيرى مع تعليمات له بأن يصنع منها نسخاً إضافية ويضع كلاً منها فى صناديق إيداع منفصلة.

أظهر فينتريس التفويض وأوراق هويته بينما اقترب منه ثلاثة حراس مسلحين من عند البوابة الأمامية.

بينما قال هايز وهو يظهر شارته فى سرعة: "من الأفضل أن تطلبوا حضور أحد رؤسائكم إلى هنا يا رجال".

فقال الحارس بلهجة رسمية محترفة: "الحقيقة يا سيدى، أن رؤساءك أنت هنا".

بينما خرج رجلان آخران من بناية الحراسة، يرتدى أحدهما بزة رسمية؛ بينما ارتدى الآخر زياً كاكى اللون تعلوه سترة زرقاء تزينها شارة مكتب مكافحة المخدرات المميزة.

تجمد الدم فى عروق شين بينما زاد توتر فينتريس وهايز.

أما الرجل صاحب البزة فقال: "أرنى التفويض، أيها العميل فينتريس".

فقال فينتريس: "لكن سيدى، أنا...".

"الآن!".

سلمه فينتريس إياه، فنظر الرجل إليه ثم مزق الورقة تمزيقاً.

بينما قال الرجل الذى يرتدى السترة الزرقاء لهايز: "سلمنى شريط الفيديو الذى صورتموه".

"ومن أين عرفت أن بحوزتنا شيئاً من هذا القبيل؟".

"لقد عرضتموه على القاضى للحصول على التفويض، والآن أعطنى إياه".

فأخرج هايز شريط الفيديو من جيبه وأعطاه لرئيسه، والذى بدوره أعطاه لأحد حراس كامب بيرى.

"والآن أعد رجالك إلى سياراتهم وابتعدوا عن هنا".

هم هايز بالاحتجاج، إلا أن الرجل قال له على الفور:

"إن مصالح الأمن القومى على المحك هنا يا هايز. لا أقول بأننى أحب ما أفعله الآن، لكن هذه هى المصلحة العليا. هيا... ارحلوا من هنا!".

ثم أومأ لفينتريس بدوره: "وأنت كذلك".

فدار الرجلان على أعقابهما متجهين صوب رتل السيارات، وهمت ميشيل وشين باللحاق بهما، إلا أن حراس كامب بيرى أوقفاهما.

قال أحدهم: "أنتما محتجزان".

فصاح فيه شين مندهشاً: "ماذا؟!".

حاول فينتريس وهايز التوسط لهما، إلا أن رؤساءهما صاحوا فيهما:

"ادخلا إلى سيارتكما اللعينة واخرجا من هنا. ليس لنا سلطة قضائية على هذا المكان".

فقال له فينتريس بمرارة: "كان معنا تفويض".

"هل تريد دخول السجن بتهمة تعطيل الإجراءات يا مايك؟"، كان الرجل يتكلم وهو ينظر فى صرامة إلى شين وميشيل ويردف: "أو بتهمة إيواء وتحريض ومساعدة مجرمين؟ والآن، استقلا سيارتكما واعتبرا أن كل ما جرى ليس سوى كابوس ثقيل".

نظر فينتريس وهايز إلى ميشيل وشين نظرات من انعدمت حيلته؛ فأومأ لهما شين قائلاً: "امضيا أيها الرفاق، سنعرف كيف نعتنى بأنفسنا". على أن صوته لم يحمل أية ثقة فيما ينطق به لسانه.

وبينما بدأت السيارات فى الابتعاد، التفت شين وميشيل نحو صوت وقع أقدام خلفهما. كانت فاليرى ميسالين تقف هناك وهى ترتدى زياً عسكرياً مموهاً فاتح اللون، تطوق عنقها شارة المخابرات المركزية المتدلية.

"مرحباً بكما فى كامب بيرى... علمت بأنكما تتحرقان شوقاً لزيارتنا".

الفصل



كانت مساحة غرفة الاحتجاز ست أقدام طولاً ومثلها عرضاً، بلا نوافذ، وكانت رطبة باردة، وخرسانية. كان شين قد جرد من ملابسه وأمر بأن يقف وقفة انتباه عسكرية عند زاوية الغرفة. وبعد ست ساعات، وبعد أن نال منه التعب، جلس القرفصاء على الأرضية. وعلى الفور انفتح باب الغرفة بعنف لتجبره يدان قويتان على الوقوف منتبهاً من جديد. وما هي إلا ساعة أخرى، حتى خذلته ساقاه، فعاد يجلس القرفصاء ثانية، وحدث الأمر نفسه مراراً وتكراراً، وبعد اثنتين وعشرين ساعة سمحوا له بأن يأوي إلى فراشه الخشن، إلا أنهم لم يتركوه لأكثر من دقيقة، وبعدها فوجئ بمن يضرب وجهه بالماء البارد، ثم يجبره على الجلوس على حافة مقعد معدني مثبت إلى الأرضية، وإذا تحرك ولو للليمتر واحد ينفتح الباب على الفور ويتم إجباره على التراجع إلى موضعه الأصلي، وبعد ساعة أخرى أجبروه على الجلوس بطريقة كان بالكاد يلامس فيها المقعد. وبعدها بثلاثين دقيقة أخرى أجبروه على أن يبتعد أكثر عن حافة المقعد المعدني، وفي كل مرة يحركونه يبقى جزء من جلد ردفيه ملامساً المقعد المعدني البارد، وأصيبت جميع عضلاته بالشد بعد خمس ساعات، وبعد عشر ساعات تقيأ كل ما كان في

بطنه، وبعد ست عشرة ساعة سمحوا له بأن يريح جسده على الفراش من دون أن ينظفوا عنه قيئه. أعطوه كوب ماء... أما الطعام فلا.

وما إن استسلم للنوم حتى عاد الباب لينفتح في عنف من جديد؛ ليتلقى ضربات على جانبي جسده بعصي خشبية وهم يأمرونه بأن يبقى مستيقظا، لكنه ما إن بدأ يغفو من جديد حتى تعرض للعقاب ذاته. بقي يومان يتعرض لكل هذا حتى انهار في نهاية المطاف فوق أرضية المكان، وجسمه يرتجف وقد فقد سيطرته عليه.

وبعد ثلاثة أيام من هذه المعاملة استجمع ما تبقى لديه من قوى، وصرخ: "أنا مواطن، تباً لكم، لا يمكن أن تفعلوا هذا بي... لا يمكن أن تفعلوا هذا بي".

ثم قفز ليتشبث بالباب، لكن أيادي قوية دفعته للخلف في قوة، فسقط فوق الأرضية الأسمنتية في عنف، مدمياً ركبتيه ويديه.

إلا أنه صرخ ثانيةً: "لا يمكن أن تفعلوا هذا بي". ثم حاول النهوض، ليواجههم، لكن قواه صارت خائرة، فاكتفى بالصراخ: "لا يمكن أن تفعلوا هذا بي. لا يحق لكم هذا".

وعندها سمع من يقول له: "بل لنا كل الحق"؛ فرفع شين بصره ليجد أمامه فاليري.

"لقد اقتحمت موقعاً تابعاً للمخابرات الأمريكية، كما أقدمت على سرقة أشياء".

"أنتِ مجنونة".

"أنت خائن لبلادك. لدينا دليل على أنك أتيت إلى هنا منتحلاً صفة رجل تحر خاص للتحقيق في جريمة قتل، لكن غرضك الحقيقي كان التجسس على وكالة المخابرات المركزية".

"ذلك كلام فارغ وأنتِ تعرفين هذا! أريد محامياً، الآن!".

إلا أنها أردفت في هدوء: "واستناداً إلى تحقيقاتنا فقد صنفناك أنت وميشيل ماكسويل كأشخاص يقدمون العون لأعداء هذه البلاد من خلال التجسس على وكالة المخابرات المركزية؛ لذا فلم يعد من حقك طلب أي تمثيل قانوني أو إشعار قضائي حتى نقرر نحن التهمة الموجهة إليك ومن ثم محاكمتك".

فانفجر فيها قائلا: "ليس من حقك احتجازي هنا كما يحلو لك".

"أظنك ترى أن القانون مطاط".

صاح فيها: "ما الذي تريدينه مني؟".

"أريد أن أعرف الأشياء التي رأيتها، والأشياء التي سمعتها. بل وحتى ما يدور في مخيلتك، لكني لن أتحدث معك في هذا إلى أن تلين أكثر. لقد أتعبتنا هناك في النهر؛ ونحن الآن نرد لك الجميل".

دارت على عقبيها لتنصرف.

"قتلتم مونك تورينج، ولين ريفيست، وأنتم من فجر المشرحة؟ كل هذا باسم خدمة البلاد؟ هل تعرفين كم من قانون انتهكتم؟".

فقالت له فاليري: "مونك تورينج ارتكب ما ارتكبتماه. اقتحم هذا المكان، فأطلقنا عليه النار، والقانون يخول لنا هذا".

"حقاً. إذا كانت هذه هي الحقيقة فلم كنتم تعمدون إلى أن تجعلوا الأمر يبدو وكأنه انتحار؟ حتى يعتقد الناس أنها حالة كبقية الحالات التي سبقتها، فقد رأى الأشخاص الذين يهبطون من الطائرة، أليس كذلك؟ ورأى المخدرات. لذا كان لابد أن يموت تورينج. لكن ما لم تعرفوه هو أنه كان هنا من قبل وقد صاغ كل ذلك من خلال إحدى الشفرات، وأخذت أليسيا الشفرة وعلى الرغم مما حاولت خداعنا به إلا أني أراهن على أنها قد فكت تلك الشفرة. لذا اختفت فيجي. ألست على صواب؟ هيا... أخبريني يا فال، أخبريني!".

"لست في موقف يتيح لك طلب مثل هذه الأجوبة".

وعلى الرغم من وهنه، إلا أن شين واصل كلامه: "وريفيست. كان سيخبرني بأمور حول بابيج تاون قبل أن يلقى مصرعه. ربما اكتشف أن وكالة المخابرات المركزية تتجسس على المكان، وربما كان يثق بالخطأ في أليسيا، التي كانت تتظاهر بأنها تحبه. لكنه لم يكن يعلم بأنها كانت تعمل لحسابكم. وبغتة... لقي مصرعه، ولاحقاً يتم تفجير المشرحة للتعمية على أدلة الإدانة. ألست محقاً في استنتاجاتي يا فال؟ أجيبيني؟".

"يمكنك أن تخمن ما تشاء".

"مكتب التحقيقات الفيدرالي ومكتب مكافحة المخدرات يعلمان بأنكم تحتجزاننا هنا، ومن المحال أن تفلتوا بفعلتكم هذه".

نظرت فاليري إليه، ثم قالت في شيء من الإقرار: "أنتم لا تفهمون كيف تجري الأمور هنا. فما الفارق الذي سيصنعه موت شخصين في سبيل المخطط الكبير الهادف لإنقاذ حياة الملايين من البشر؟ وأنا أعني كلامي حقاً؟ ما الفارق؟ لستم سوى نقطة في بحر التاريخ، بل إن أحداً لن يتذكركم من الأصل".

ثم نادت على الحارس وقالت بلهجة آمرة: "ليكن عقابه شديدا". قالتها وهي تغلق باب غرفة الاحتجاز من ورائها.

الفصل

٨٩

مر يومان لم يعد شين بعدهما قادراً على تذكر اسمه. كان لا يتوقف عن التوسل إليهم أن يتوقفوا عما يمارسونه معه، على أنه لم يجد أبداً أذناً تصغى إليه.

وبدلا من ذلك عمدوا إلى حمله إلى غرفة أخرى، ووضعوه فى صندوق طويل يشبه التابوت. كان يناسبه بإحكام حتى إنه يتحرك بالكاد. كانت هناك أسلاك موصلة إلى صدره وذراعه. وعندما أغلقوا عليه الغطاء، لم يكن يبتعد عن وجهه سوى بوصتين. كان الشعور بالخوف من الأماكن الضيقة قد بلغ أوجه فى داخله. أما ما لم يره شين فكان الأنابيب التى تم توصيلها بالغرفة، وعلى فترات منتظمة كانت درجة الحرارة فى الغرفة تنخفض وتنخفض حتى صار شين على حافة التجمد. عانى من أجل أن يحبس أنفاسه مع انخفاض مستويات الأكسجين، وبينما صار على وشك أن يفقد الوعى، قاموا بضخ كمية من الهواء داخل الغرفة. دامت تلك العملية لعشر ساعات. فصار أضعف وأضعف. إلى أن ارتاح أخيراً... ففقد وعيه.

عندما استرد وعيه لاحقا داخل الحجز لاحظ أن هناك زائراً آخر.

"مرحبًا يا شين"، قالتها له أليسيا.

أجابها فى وهن: "أأتيت للتشفى؟".

"كلا، فأنا لا أشعر بالسرور لرؤيتك هنا".

"حقا؟ أجد صعوبة فى تصديق ذلك"، انتصب شين واقفاً وأسند ظهره إلى الحائط وهو يردف: "تهريب مخدرات، وقتل، واختطاف، وتعذيب. هل نسيت شيئاً؟".

فقالت فى هدوء: "لست متأكدة من مقصدك بهذا الكلام".

"أعنى أنكِ وفاليرى تقومان بتهريب المخدرات فى الطائرات".

"يمكنك أن تسمى ذلك كما يحلو لك. أما أنا فلا".

"وماذا تسمون قتل مونك تورينج ولين ريفيست؟".

"لقد قتل مونك لأنه تسلل إلى المكان".

"لكنكِ قتلت لين، أليس كذلك؟ وأنا الذى اعتقدت أنك أحببته".

"كل منا لديه مهمة يقوم بها".

"هل هذا اعتراف منكِ بقتله؟".

"هناك حرب قائمة، وكل منا لديه مهمة يقوم بها"، كررت الجملة الأخيرة ببطء أكثر.

"كما كدتم تقتلوننى أيضاً!".

"علمنا أنك أنت الذى اقتحمت المعسكر. وأنك رأيت أشياء. أنت وميشيل، مثلما فعل مونك تورينج. ولهذا صرت هنا".

"لذا تعذبوننا؛ لتعرفوا ما عرفناه، ثم ماذا بعد؟ هل ستطلقون سراحنا؟".

"هذه ليست مسئوليتى".

"أوه، جيد، ستلقى بهذه المهمة الثقيلة على عاتق شخص آخر. فماذا سيكون مصيرنا إذن؟ انفجار غاز؟ انتحار؟ هل سأموت داخل حوض الاستحمام؟ بالمناسبة، هل استعملت مقبض المحبس أم ساقك المعدنية فى قتل لين؟".

"إننى وبكل بساطة أطيع الأوامر".

"الصادرة من فاليرى؟ هل هذا كل ما يتطلبه الأمر لأجل قتل شخص ما؟ أوامر من شخص مضطرب عقلياً؟ وماذا عن طبيب تلك المشرحة؟ أى ذنب جناه بحق الله حتى يستحق أن تفجروا المكان به؟".

"هناك دوماً ضحايا. هذه هى طبيعة عملنا. لا أحب هذا، لكن ليس بيدى شيء أفعله حيال ذلك".

"بل هناك ما يمكنك القيام به. بوسعك أن تتوقفى عن ممارسة هذا العمل".

"أنا لا أعلم صورة العالم الذى تود العيش فيه، لكن من الواضح أنه ليس ذلك العالم الذى أتصوره".

"هل يتضمن ذلك العالم قتل فيجى؟".

ارتبكت أليسيا بسرعة وخفضت نظراتها لأسفل: "ستكون فيجى بخير".

صاح فيها هادراً: "كلا...هى لن تكون بخير، أليسيا. بل ستصبح فى عداد الضحايا الإضافيين أيضاً، بل من المحتمل أنها صارت كذلك. أنتِ تعلمين أننى أعلم هذا".

عندها استدارت أليسيا لتنصرف.

"ماذا، هل أتيتِ فقط لرؤيتى قبل أن يحين أجلى؟ أليس كذلك؟ تودعين ضحية أخرى؟ أنا متيقن من أن لين قد قدر لكِ هذه البادرة. هل عرف أنكِ كنتِ الجانى؟ هل اعتقد بأنك قد جئت لقتله؟ أم ظن أنه سيحظى ببعض المرح داخل الحوض؟".

فقالت بحدة: "اخرس!".

"كلا، لن أخرس. بل أنتِ من سيسمعنى، أيتها السيدة".

وبينما فارقت أليسيا غرفة الحجز فى سرعة، لاحقتها صيحاته الغاضبة: "هل ستصوبين مسدسك نحو فيجى؟ هل ستفعلينها؟".

بدأت أليسيا تركض خارج المكان، لكنها لم تستطع أن تتهرب من الصيحات. كانت الأرضية مصقولة فتعثرت، وبينما

سقطت، اصطدمت ساقها البديلة بساقها السليمة، لتجرح جلدها، فرقدت على الأرضية وهى تنشج بهدوء بينما يدوى صياح شين كالرعد عبر القاعة الكئيبة.

تمتمت: "أنا آسفة جداً يا فيجى... آسفة جداً".

الفصل

٩٠

لثلاثة أيام أخرى أجبر شين على أن يقف وقفة الانتباه العسكرية أو أن يجلس القرفصاء. كان لا يأكل سوى الفتات مع كوب ماء وحيد يومياً... هذه هى حصته الوحيدة، لتبقيه بالكاد على قيد الحياة، وقد وضعوه فى التابوت ثلاث مرات حتى الآن.

وكان جزاؤه دفقة ماء بارد ترتطم بوجهه لو فكر مجرد تفكير فى أن ينام، وتصدح الموسيقى الصاخبة عبر أرجاء الغرفة بدون سابق إنذار لتستمر لساعات، وقد جهزوا غرفته بتوصيلات كهرباء قادرة على أن تصيبه بصدمة خفيفة ما إن يمس جسده الفراش أو الحائط، أو بقاعاً بعينها على الأرضية؛ فوصل به الحال إلى أن يتقوقع فى أحد الأركان وهو يخشى أن يتحرك. كان يتضور جوعاً، لا يكاد يشعر ببشرته؛ كما أن روحه المعنوية بدأت تنهار.

بعد المرة الأخيرة التى تم وضعه فيها داخل التابوت استيقظ بعد ساعتين داخل غرفة الحجز وأخذ ينظر حوله. لم يدر كم مر عليه وهو هنا. يمكن أن تكون أياماً أو أسابيع أو سنوات. لقد غاب عقله عنه... هكذا ببساطة، وحينما انفتح باب الغرفة، بدأ ينتحب، وهو فزع مما سيفعلونه به فى اللحظة التالية.

إلا أنه سمع صوت فاليرى تسأله: "مرحبًا يا شين، هل أنت على استعداد لأن تكون ولداً مطيعاً الآن؟".

عجز حتى عن أن يرفع رأسه.

"إن عزيمة صديقتك من فولاذ. لم ننجح حتى الآن فى أن نجعلها تبكى... كما تفعل أنت الآن".

عندها كان لابد أن ينظر نحوها قائلاً: "أين ميشيل؟".

"ذلك حقاً ليس من شأنك، أليس كذلك يا صغيرى؟".

بينما كان شين يحدق فى فاليرى ميسالين، وفى الملامح المتغطرسة على وجهها، وفى الثقة البادية عليها، حل الغضب محل خوفه، فاعتمد بيده على الحائط لينهض ويثبت جسده. وفى لحظات وقبل أن ينتبه أى شخص استند إلى الحائط ثم طار بجسده وبكل ما تبقى لديه من قوى خائرة ليستقر بجسده فوقها، ويداه تعتصران رقبتها. كان يريد قتلها، ويريد أن يعتصر كل ذرة من ذرات هذا التبجح، ومن ذرات هذا الكيان القذر القبيح.

لكن الحراس هرولوا نحوه وسحبوه عنها ليلقوا به عند ركن الغرفة، وحينما وقف شين نظر إليها. كانت فاليرى تقف عند الحائط البعيد وهى تحاول أن تظهر رباطة جأشها، إلا أنه كان يرى الخوف واضحاً فى عينيها. كان هذا النصر الصغير كل ما يحتاج إليه الآن.

وقف على ساقين ترتجفان، يستند إلى الحائط، وقال: "تلك كدمة سيئة يا فال، ربما كان من الضرورى أن تقضى جلسة فى ذلك التابوت. يقولون إن الحرمان من الأكسجين يستطيع إخفاء علامات الخنق، هذا إذا لم تختنقى داخله".

أجابته بصوت كالفحيح: "تعتقد بأنك قد واجهت الأسوأ إلى الآن...انتظر إذن".

"أين ميشيل؟".

"مثلما قلت لك من قبل... اهتم بنفسك وحسب".

"إنها زميلتى، لكنى أعلم أنكِ لا تفهمين تلك المشاعر". رمق أحد الحراس، كان شابا أشقر الشعر مفتول العضلات. وجه إليه كلامه قائلا: "أنت أيها الصبى، أفضل لك أن تتمنى الجحيم قبل أن تفكر فى الإقدام على أى شىء يسىء إلى هذه السيدة؛ فهى لن تتردد عن اتهامك بأنك جاسوس، وتعذبك أشد العذاب، ولن يكون بمقدورك عندئذ فعل أى شىء".

لم يتفوه الحارس بشىء، لكن شين أدرك أنه قد زرع بذرة شك صغيرة داخله؛ مما جعل الحارس ينظر ناحية رئيسته فى تردد.

عاد ليلتفت إلى فاليرى وهو يصرخ بقوة لم يعلم أن رئتيه تمتلكانها حتى الآن: "أين ميشيل؟".

"أرى أنه ما يزال أمامنا المزيد مما نقوم به معك".

"لدى أصدقاء يعملون فى وكالة المخابرات المركزية، ولا يمكن بأى حال أن تكون الوكالة قد خوّلت ما تفعلونه هنا. سيلقون بك فى السجن إلى الأبد".

إلا أنها حدقت فيه ببرود، قائلة: "إننى أقوم بما هو موكل إلى من مهام، وأنت شخص يحاول أن يضر هذه البلاد. أنت العدو، وأنت من اقتحم هذا المكان. أنت جاسوس. أنت خائن".

"وأنتِ حثالة".

"كما أن لدينا الدليل على ضلوعك فى مخطط لتهريب المخدرات".

"أوه، ها قد رأيت أخيراً خدعة بارعة".

"وحينما نفرغ منك ستكون على استعداد لأن تخبرنا بكل شىء نريد معرفته".

"بوسعكم أن تعذبونى حتى أدلى بما تريدون سماعه، لكن هذا لن يغير الحقيقة".

"وما هى تلك الحقيقة؟".

"أنك مجنونة".

التفتت إلى الحارس قائلة: "انتقلوا به إلى المستوى التالى، وبقسوة".

وقبل أن يبدى الحارس أى رد فعل انفتح باب الغرفة ليدلف رجل آخر يرتدى بزة مدنية ويتبعه مسلحان آخران.

بادرته فاليرى قائلة بسخط: "ما الذى جاء بك إلى هنا؟".

إلا أن الرجل قال لها: "لقد أرسلنى آيان وايتفيلد لتبليغك بأوامره".

"أوامر من وايتفيلد؟ لا سلطة له علىّ".

"ربما، لكن هذا الشخص له سلطة عليك". قالها وهو يناول فاليرى ورقة، وبينما أخذت تقرأ محتوياتها فى سرعة كان شين يدرك، وهو يراقبها بإمعان، ما يحدث أمامه الآن: لقد وقعت هذه المرأة ضحية لانقلاب كلاسيكى فى مفردات قوى السلطة هناك بواشنطن أثرت بدورها على مفردات السلطة هنا فى كامب بيرى... فصارت هى كبش الفداء.

طوت فاليرى الورقة ووضعتها فى جيبها.

بينما تقدم أحد الحراس وأدار جسد فاليرى قبل أن يضع الأصفاد فى يدها، وبينما كان يقودها إلى الخارج رمقت فاليرى شين، فما بين غمضة عين وانتباهتها انقلبت الأمور رأساً على عقب، ومثله لا ينوى أن يفوت فرصة كهذه. فقال لها فى صوت صارم واضح: "من الأفضل أن يكون إلى جوارك الآن محام بارع، سيدتى... فكم أنت بحاجة إلى مثله الآن".

الفصل

٩١

في اليوم التالي تم نقل شين وميشيل بالطائرة، كل على حدة، إلى مستشفى خاص حيث بدا أنهم المرضى الوحيدون. لم تكن لديهم أية فكرة عن مكان المستشفى ولم يكن هناك من يجيب عن أسئلتهما، ولكنهما وعلى أية حال، قد تلقيا عناية صحية بالغة، وبعد عدة أيام من الرعاية الطبية المركزة، وفترات طويلة ومستمرة من النوم، تلاها أسبوعان من الوجبات المشبعة والتدريبات البدنية المحدودة، صارا أقرب إلى حالتهما العادية.

أبقى الأطباء كلاً من شين وميشيل بمعزل عن بعضهما البعض، وكانوا يرفضون الإفصاح عن أى شىء حول حالة الآخر. إلا أن شين وجد أن صبره قد فرغ. فألقى بأحد الكراسى نحو ممرضتين أصابهما الهلع من حالته العصبية، وهو يطلب رؤية ميشيل صارخا: "الآن!".

وعندما دخل شين إلى غرفتها، كانت تجلس عند النافذة تنظر إلى سماء رمادية تلبدت بالغيوم، وكأنها أحست بوجوده، فقد التفتت إليه، ثم سرعان ما ركضت نحوه وهى تهتف: "شين!".

"إنهم... إنهم لم يخبرونى بأى شىء عنك"، هكذا همست له بينما الدموع تتدفق من عينيها.

"لم أكن متيقناً حتى مما إذا كنتِ على قيد الحياة أم لا"، ثم تلعثم وهو يردف: "لكن لا بأس... لقد انتهى كل شىء يا ميشيل... نحن فى أمان، وقد اعتقلوا فاليرى".

"هل كانوا يضعونك داخل التابوت؟".

"أكثر من مرة، وقالوا بأنكِ لم تبك أبداً".

"بل بكيت يا شين. صدقنى. بكيت كثيراً". وجهت نظرها نحو النافذة. كان أسفل نافذتها مفروشًا بزهور ذابلة متدلية السيقان. أضافت ميشيل: "كثيراً".

"سامحينى يا ميشيل".

"وما ذنبك أنت؟ لقد نالك من الأذى ما نالنى".

"كنت أنا من فكر فى اجتياز ذلك السياج".

ردت بنبرة هادئة: "أنا امرأة ناضجة يا شين، وكان بمقدورى أن أتركك تذهب وحدك".

بعدما تعافى شين وميشيل بما فيه الكفاية تم نقلهما على متن طائرة نفاثة خاصة إلى موقع آخر، ثم نقلوهما بسيارة معتمة النوافذ إلى مرآب تحت الأرض، ومنها، وعبر مصعد مؤمن، إلى مكتب هائل الحجم لا يوجد به عدا ثلاثة مقاعد. بينما كان يجلس رجلان مفتولا العضلات يدسان أسلحتهما داخل معطفى بزاتهما قبالة رجل نحيف ضئيل الجسد، يرتدى ملابس فاخرة، يعلو رأسه شعر أبيض كثيف وتستقر فوق أنفه نظارة غير سميكة. ضم الرجل أطراف أصابعه معاً وحدق فيهما وقد ارتسم على وجهه تعبير متعاطف.

"أولاً، أود أن أتقدم لكما باعتذار رسمى من الحكومة على ما حدث لكما".

فتكلم شين بغضب: "أمر مضحك، كنت أعتقد أن حكومتنا هى التى كانت تحاول قتلنا".

أجابه الرجل بهدوء: "قد يساء إلى الحكومة أحياناً يا سيد كينج، حينما يحاول بعض ممثليها تجاوز حدود سلطاتهم من وقت لآخر... وهذا لا يعنى أن البقية من الأشرار. وأنتما على أية حال من بدأ باقتحام أراض تابعة لوكالة المخابرات المركزية".

لم يكن شين فى مزاج تصالحي، فقال: "عليكم إثبات هذا!".

ولكن ميشيل بادرت الرجل قبل أن يجيبه قائلة: "هل تعرف بما كان يجرى هناك؟ هل تلومنا على محاولتنا القيام بما قمنا به؟".

فقال لها الرجل فى استهجان: "ليس من شأنى لوم الآخرين يا آنسة ماكسويل، بل مهمتى هى أن نسوى هذا الأمر بطريقة تعود بالفائدة على الكل".

مال الرجل للأمام قائلاً: "إليكم ما سنقوم بفعله، لقد شاهدنا الفيديو الذى كان سند استصدار أمر تفتيش كامب بيرى، وكما تعلمان فإنه يظهر ... نوعاً من النشاط المشبوه. وقد أخبرنا التقنيون بأنه قد تم عمل نسخة من شريط الفيديو".

"أتريد شريط الفيديو الذى يبين خرق حكومتنا لعشرات القوانين".

"لم تكن الحكومة من فعل ذلك يا سيد كينج... وكما قلت، أحياناً ما يتجاوز البعض حدود سلطاته".

"لكنهم فى حالتنا هذا لم يتجاوزوها فقط، بل داسوا عليها".

ثم سكت شين وهو ينظر إلى الرجل، قبل أن يردف: "ولهذا أرسلوك لكونك تتمتع بهذه الأساليب اللطيفة وشعرك الأشيب ونظراتك التى تجعلك أقرب إلى مظهر محارب قديم من زمن الحرب الباردة خرج للتو من إحدى روايات جون لوكار لاستمالتنا".

قال الرجل فى هدوء: "أنا مسرور لكونك قد فهمت واقع الحال، الحقيقة أننا نريد كل وجميع نسخ ذلك الفيديو يا سيد كينج".

"كنت متيقنًا من هذا؛ لكننى محام وأحتاج إلى التعرف على مقدار التعويض القانونى... والأفضل أنْ يكون ذلك المبلغ أكبر بعشر مرات من أى مبلغ تفكرون فيه الآن إذا كنتم تريدون حقا عقد هذه الصفقة".

"لدى سلطة القيام ببعض التنازلات".

"تباً لهذا. إليك شروطنا: أولاً، نريد استعادة فيجى بخير وسلام ولو أخبرتنى بأن ذلك ليس ممكناً فسوف نقوم بتسليم الشريط مباشرة إلى صحفى صديق لى سيأخذه لينال به جائزة بوليتزر التى يحلم بها. ثانياً، فاليرى ميسالين، أياً كان اسمها الحقيقى بحق الله، يجب أن تنال ما تستحقه من عقاب وأن ينفذ هذا. ثالثاً، أليسيا تشادويك ذات الساق الواحدة بدورها تنال ما تستحق، وأن يتم إيقاف أى نشاط لهما فى كامب بيرى. إيقاف فعلى لا شكلى. لا مزيد من المخدرات. لا تعذيب. وعندها ستعتبرون أنفسكم من المحظوظين".

عاد الرجل بظهره إلى الوراء وهو يعقل هذا الكلام، قبل أن يقول: "لقد تولينا أمر هاتين المرأتين بالفعل، ولابد أن تثقا فى كلامى هذا".

"لا يعنى لى كلامك أى شىء. أريد برهانًا حقيقيًا!".

"حسنًا".

فقالت ميشيل: "وماذا عن فيجى؟...هل هى بخير؟".

أومأ الرجل باقتضاب قائلاً: "لكن بالنسبة للأنشطة التى تتحدث عنها فى كامب بيرى؛ فبعضها سيتوقف يا سيد كينج، وفى الحقيقة فإن البعض منها قد توقف بالفعل، ولكننى لا أستطيع أن أعد بأن تتوقف جميعها. على أن أؤكد لكما بأن هذه الأنشطة ضرورية جدا للحفاظ على أمن هذه الدولة".

"أليس ذلك ما تتحججون بـه حينما تريدون التعدى على حقوق الغير؟".

سـألته ميـشيل: "كيـف تكـون المخـدرات ضـرورية لأمـن دولتنا؟".

فقال الرجل بنفاد صبر: "نحن لا نبيعها... بل ندمرها".

فصاح فيه شين هادراً: "يا له من لغو فارغ!".

بينما علقت ميشيل فى سخط: "هنـاك ثلاثـة أشخاص لقوا مصرعهم... مقتولين".

"هذه حقيقة مؤسفة جداً. لكنها تضحية بثلاثة أرواح مقابل إنقاذ الآلاف، إن لم يكن الملايين".

فقال له شين محتجاً: "يحق لك أن تقول هذا طالما أن شخصاً عزيزاً عليك ليس من بين هؤلاء الضحايا".

"على الرغم من هذا، فأنا لا أستطيع أن أعدكما بأن النشاطات التى شهدتماها فى كامب بيرى ستتوقف".

فقال شين: "أمامنـا مشكلة إذن. وإذا كنـت تفكر فـى محـو المشكلتين القائمتين أمامك، فعليك أن تفكر فـى هـذا. كـان لـدى خمس نسخ من ذلك الفيديو. وهى كلها فى أماكن آمنة تماماً. وما لم نمت أنا وميشيل ميتة طبيعية، فإن هناك نسخة ستسلَّم إلى صديقى الباحـث عـن جـائزة بـوليتزر حتـى يمكنـه أن يكتب التحقيق الصحفى الذى يحلم به، أما النسخ الأخرى فستذهب إلى النيويورك تايمز، والواشنطن بوست والتايمز اللندنية".

"تلك أربع. فماذا عن النسخة الخامسة؟".

"ستذهب إلى الرئيس، وأنا متيقن من رد فعله حينها".

"نحن إلى الآن فى نهاية طريقٍ مسدود".

فنهض شين واقترب منه قائلاً: "يفكر المحـامون المحنكـون فى المساومة. لذا فهأنذا أعرض عليك واحدة... هناك كنز مخفى داخل كامب بيرى".

بوغت الرجل، فقال فى دهشة: "ماذا قلت؟".

"اصمت وأنصت إلى. إنه مخفى داخل أساسات منـزل بورتـو بيللو الذى بناه اللورد دانمور. ذهب وفضة ومجوهرات. لن تقل قيمته عن ملايين الدولارات".

فصاح الرجل مشدوهاً: "يا إلهى!".

"أجل، وقبل أن تفكر فى أى شىء أقول لك بـأننى أشترط أن يتم استخراج الكنز وبيعه فى مزاد علنى، ولا يهمنـى إن كانـت الحكومة ترغب فى شرائه أم لا، ولكن قيمتـه ستقسم إلى ثلاثـة أقسام متساوية".

فأخرج الرجل من جيبه قلماً وورقة: "حسناً. لنفرض أن كـلاً منكما سيحصل على قسم".

فبادره شين قائلاً: "كلا!... هنـاك قسم سيذهب إلى فيجـى تورينج، وهو لن يعوضها عـن فقدانها لأبيهـا الـذى قتلتمـوه، ولكنها بداية على الأقل، أما القسم الثانى فسيذهب إلى ولدى لين ريفيست. إنهما بالجامعة وسيحتاجان إلى المال، أما القسم الثالث فسيذهب لعائلة خبير التشريح الذى لقى مصرعه حينما فجرتم المشرحة وادعيتم أنه انفجار غاز. هل فهمت؟".

كتب الرجل ما سمعه ثم أومأ قائلاً: "فهمت".

"جميـل، وسـيكون علـىّ أن أتحقـق مـن المبـالغ التـى سيتم تسليمها إليهم؛ فلا تحاولوا خداعى، ولا يهمنى حتى ولو تطلب الأمر قراراً من الكونجرس، ولكن الأموال ستذهب إلـيهم معفاة من الضرائب".

فقال الرجل: "لن تكون هذه مشكلة".

"أعتقد هذا".

بينما قالت ميشيل: "كما نريد أن نلتقى فيجى؛ حتى نطمئن أنها بخير حال".

"يمكن ترتيب هذا".

فقال شين: "اعملِ على ترتيبه إذن... عاجلاً وليس آجلاً".

"أمهلانى أسبوعاً وبعدها تتحقق كل هذه الشروط".

"من الأفضل أن يتم هذا".

فسألهما الرجل: "تعداننى بألا تبوحا بأى شىء؟".

"بالفعل؛ فليس لدى نية الذهاب إلى السجن".

فعقبت ميشيل قائلة: "ومن هو الذى سيصدقنا على أية حال؟".

فسألهما الرجل: "ونحصل نحن على النسخ؟".

"وتحصلون على النسخ".

"ويمكننا أن نثق بكما؟".

عندها قال له شين: "بقدر ما نثق نحن بكم".

الفصل

٩٢

بعد أسبوع التقى شين وميشيل بجوان ديلينجر فى مكتبها، وكان برفقتها رجل آخر لم يعرفهما لا باسمه أو منصبه، ولم يقل سوى أن ملاك بابيج تاون ممتنون لما قاما به من عمل ثم قدم لهما شيكاً بنكياً. لمح شين أن قيمته ستكون كافية لحل مشاكلهما المالية خلال المستقبل المنظور، كما يكفى الباقى لتمضية عطلة ممتعة أيضاً، وهما يحتاجان إلى ذلك بالتأكيد.

"نتمنى أن تعثرا على من يحل محل شامب وأليسيا. فمن المؤسف أنكم قد فقدتموهما".

فقال الرجل: "أوه، لدينا البديل، ولكن وبفضلكما لن تلاحق الأعين الإلكترونية تحرياتنا بعد الآن".

لم يستطع شين أن يمنع نفسه من أن يسأل الرجل وهو يهم بالانصراف قائلاً: "لماذا تنفقون كل هذا القدر من الوقت والمال على صنع شىء سيقلب العالم رأساً على عقب؟".

فنظر الرجل إليه يتساؤل: "من أخبرك بأن هذا ما تقوم به بابيج تاون؟".

"اثنان من العباقرة".

فرفع الرجل حاجبه فى دهشة وقال: "حسناً، دعنا فقط نقل بأنه حتى ولو كان ما وصفته احتمالاً لا يمكن استبعاده، فإن الأمر أكثر تعقيداً من ذلك".

فصاح شين فى دهشة: "وهل أنتم مستعدون للمخاطرة بوضع العالم على المحك؟".

"لو لم نفعل نحن ذلك فسيفعله غيرنا".

وبعدما انصرف، أضافت ميشيل فى وجوم: "لقد سئمت العباقرة".

فابتسمت جوان: "عمل جيد يا شين"، ثم صمتت وهى ترمق ميشيل.

وأخيراً قالت: "وأنتِ أيضاً يا ماكسويل. فمن الذى سمعته لا أعتقد أن شين كان لينجح فى مهمته من دونك".

لم تكن تعرف شيئاً عن محنتهما على يد فاليرى ميسالين أو عن اتفاقهما مع الحكومة، وهى لن تعرف على أية حال.

تصافحت يدا المرأتين، وإن ظل ما فى القلب فى القلب.

عندما وصلا إلى شقتهما، وقبل أن يترجلا من السيارة، فى المرآب تحت الأرض توقفت أمامهما سيارة أجرة فاخرة، ومنها خرج آيان وايتفيلد وهو يقول فى اقتضاب: "ادخلا".

فجلسا قبالة وايتفيلد، الذى قال: "أنا آسف لأننى قد استغرقت وقتاً طويلاً قبل أن أنجح فى تخليصكما".

فسأله شين: "وكيف بالضبط استطعت أن تقلب الطاولة على تلك الساحرة الشريرة؟".

أما ما أدهشه فهو أن ميشيل كانت هى من أجابه: "لقد اكتشف أنها كانت تقتطع نصيباً لها من شحنات المخدرات وتبيعها لحسابها، وقد نال منها بتلك التهمة، أليس كذلك؟".

فقال وايتفيلد: "وكيف استنتجت هذا يا ماكسويل؟".

"وقتما كنت فى المطار وكانوا يحملون المخدرات على متن طائرة شامب، لاحظت أنهم قد جنبوا بعض البالات. ذلك كان

نصيب فاليرى. لقد أخبرنا ذلك العجوز مبعوث الحكومة بأن وكالة المخابرات المركزية كانت تدمر المخدرات، ولكن هايز وفينتريس قالا بأن المنطقة غارقة فى المخدرات".

فقال وايتفيلد بصرامة: "لم تنفع فاليرى أية اتصالات لإخراجها من هذه الورطة التى وقعت فيها".

طرقع شين أصابعه قائلاً: "هذا يفسر ارتيادها ذلك المقهى وتظاهرها بأنها تتعرض لمضايقات، بينما هى فى الحقيقة تروج لشحنات المخدرات".

فأومأ وايتفيلد قائلاً: "لقد نجحت فى أن أستميل أحد أفراد فريقها، واستفدت مما لديه من معلومات لإحداث ثغرة فى خطتها، فنجحت فى إنقاذكما والإيقاع بها فى الوقت نفسه".

سألته ميشيل: "لكن لماذا يتحملون مخاطرة شامب بنقل المخدرات جواً؟ لم لا تتخلصون منها داخل كامب بيرى؟".

"ليس لدينا التجهيزات اللازمة لذلك. ولكن عندما رأته ميشيل متلبساً، لم يصبح لدينا أى وقت لأى شىء آخر".

فقال شين: "حسناً، ما هو مصير صاحبتنا فاليرى والقاتلة المهووسة أليسيا؟".

رد وايتفيلد بأن رفع أمام أنظارهما نسخة من صحيفة الواشنطن بوست، وعلى العمود الأول من الصفحة السادسة كان هناك خبر عن مصرع مؤسف لامرأتين من العاملات بوزارة الخارجية فى حادث سيارة بالقرب من بكين، ومع الخبر صورتان باسمتان للضحيتين.

فنظر شين إلى ميشيل، وبعدها إلى وايتفيلد، وقال: "اللعنة، أنا لم أكن أقصد أن يقتلوهما".

"وما الذى توقعت أن يتم معهما؟ أن نحاكمهما قضائياً كى يبوحا بأسرارنا؟ هل كان من الممكن أن نخاطر بكشف النقاب عن البرامج بالغة الحساسية والتى اشتركتا فيها؟"، ثم نظر إلى صورة أليسيا وقال: "كنت زميلها داخل السيارة العسكرية فى

العراق عندما اصطدمنا بتلك القذيفة، وكنت أنا من سحبها إلى خارج العربة، وهو ما تسبب فى إصابة ساقى بشىء من العرج. لقد كانت عميلة مثالية، إلا أن شيئًا ما خطأ قد حل بها".

فقال شين: "فماذا عن الكنز؟".

فأخرج وايتفيلد بعض الوثائق وناولها لشين.

وقال مردفا: "تم تقسيم إيرادات المزاد بالكامل إلى ثلاثة أقسام، معفاة من الضرائب، كما طلبت، وكانت بادرة طيبة... لم يكن أكثر الناس على نفس قدر شهامتك".

فسألته ميشيل: "وماذا عن فيجى؟".

"نحن فى طريقنا إلى هناك الآن. وهى بكل خير. من حسن الحظ أن فاليرى كانت مشغولة بكما وعلقت مصير فيجى إلى وقت لاحق".

فمال شين للأمام قائلاً: "آيان، لقد وقفت إلى جانبنا ضد وكالتك؛ فلماذا لم يكن مصيرك الموت أو السجن؟".

تجهم وجه الرجل وهو يقول: "كنت الرئيس الشكلى والرسمى لكامب بيرى؛ لكن فاليرى كانت هى من يدير المكان حقا، وقد أبلت بلاءً حسنًا وكان صعودها فى السلم الإدارى سلسًا لدرجة مدهشة، وأنا لم أكن أعرف بواقع الأمر حينما تسلمت العمل، ولكن كان لزاماً على أن أتعايش معه إذا أردت مواصلة حياتى المهنية.

وسرعان ما تبين لى أن قرارى هذا كان خاطئًا للغاية؛ لأنها بدأت تقوم بأمور تتعدى حدود سلطاتها بكثير، وكسبت فى صفها عددا من الأفراد والفرق شبه العسكرية والمتمركزة داخل المعسكر، ولم يكن يسعنى سوى انتظار فرصة للنيل منها، وهو الأمر الذى بدا بعيد المنال"، ثم رمق شين وهو يردف: "اعلم أن فاليرى قد حاولت اجتذابك إلى صفها بكل الأساليب".

فقال شين بنبرة صدق: "لم تكن عندى مشكلة كبيرة فى أن أقاومها".

"هذا جيد. فما كنت ستخرج من هناك حياً. ولهذا ظهرت عند الشاطئ، عرفت بأنها كانت قلقة بشأن ما كنت تقترب من التوصل إليه. فتبعتها وتظاهرت بأنى الزوج المخدوع، وقد كانت غاضبة منى لأنى تركتك تمضى لحالك".

بدا شين مذهولا وهو يقول: "شكراً... لإنقاذك حياتى... ثانية".

"عملى يحتم على حماية المواطنين، حتى من أعمال وكالتى".

"يفاجئنى أن فاليرى لم تعمد إلى قتلنا مباشرة".

"أعتقد أنها كانت تريد الانتقام منك؛ لأنك أنت من أفسد عليها خططها. ولكنها كانت تريد كذلك استخلاص كل المعلومات التى تعرفها".

"من قتل لين ريفيست إذن؟"، سأله شين.

"ما يمكننى أن أخبرك به هو أن اهتمام أليسيا بريفيست لم يكن اهتماماً رومانسياً".

فقال شين: "وهكذا فإن وجودها وشامب فى بابيج تاون لم يكن من قبيل المصادفة؟".

"كانت المخابرات المركزية هى من جنّد شامب وأليسيا منذ أمد بعيد. زرعتهما فى بابيج تاون عندما بدأت عملها أول مرة. وبالمناسبة، فهم علماء حقيقيون".

فقالت له ميشيل: "هل تم زرعهم فى بابيج تاون لسرقة أية تقنية تظهر فيما يتعلق بحاسبات الكوانتوم؟".

"لنقل إنهم كانوا مراقبين مهتمين جداً؛ لكن ما كانوا يهدفون إليه حقاً فى بابيج تاون هو التوصل إلى ابتكار يوقف حاسبات الكوانتوم عند حدها ويبطل فعاليتها".

عقبت ميشيل فى استغراب: "يوقفها عند حدها؟".

"من البديهيات أن حاسوب الكوانتوم سيصل إلى مرحلة الاستخدام الشائع والتجارى يوماً ما، والعاملون فى بابيج تاون

كانوا يحاولون التوصل إلى حاسوب الكوانتوم، ومن ثم التوصل إلى ابتكار آخر يبطل فعاليته".

فعلق شين قائلاً: "وهكذا فإن مالكى بابيج تاون هم أول من سيلحق به الأذى من حاسبات الكوانتوم".

فقالت ميشيل: "مثل البنوك والشركات متعددة الجنسيات... أصحاب الإمكانيات المالية الكبيرة جداً".

فأمن وايتفيلد على كلامهما قائلاً: "كان لا بد أن يجربوها على نطاق سرى أولاً؛ فلو أن هذه الحقيقة وصلت إلى الشعب، لحدثت حالة من الهلع لا يمكن السيطرة عليها، لكن وكالة المخابرات المركزية ما كانت ستقف ساكنة وتترك أمراً مثل ذلك يتحقق ويمر من دون تدخلها، على أنى لا أستطيع القول بأننا كنا مهتمين بالتوصل إلى جهاز مضاد، فنحن فى نهاية الأمر مجرد جواسيس".

"كيف يمكنهم قلب العالم رأساً على عقب؟".

فهز وايتفيلد كتفيه قائلاً: "يكفى أن أقول لكما إن العالم لن يستخدم سوى النقود وسيلة للتعامل... والورق والقلم وسيلة للتراسل".

سأله شين: "لكن هل كان من قبيل المصادفة أن تتخذ بابيج تاون مكانها إلى جوار كامب بيرى؟".

فهز وايتفيلد رأسه مجيباً إياه: "تمتلك وكالة المخابرات المركزية هذه المنطقة من خلال شركة عقارات وهمية، ولقد اشترى ملاك بابيج تاون تلك المساحة من الأرض لأنها بالفعل قبالة كامب بيرى، وأقنع شامب الأهالى القاطنين بالقرب من بابيج تاون بتأجير ممتلكاتهم".

فعقبت ميشيل: "وهل كان شامب هو الطيار الذى يمكنه أن ينقل المخدرات لكم عن طريق الجو؟".

"دعينى أوضح أمراً هنا: إن شامب عميل جيد. ينفذ ما يناط به من مهام؛ وذلك كل شىء، فلم يكن يعمل لحساب فاليرى أو

أليسيا... وقد طلب منى أن أبلغك أسفه على ما وصلت إليه الأمور".

"أسفه! لقد أطلق الوغد نيرانه على ذراعى!".

"لو كان يريد قتلك، لكنت فى عداد الأموات الآن".

"كانت فيجى على متن طائرته. هل كان ينتوى قتلها؟".

"كلا. بل كنا نبعد البنت عن فاليرى، وأنت التى منعتنا عن هذا".

فصاحت ميشيل متكدرة: "أوه...".

"كما طلب منى شامب أيضاً أن أبلغك أن لديك الكثير مما تعيشين لأجله، وأن تتوقفى عن محاولة قيادة الطائرات، ولم أفهم مغزاه من هذا الكلام".

كانت ميشيل تنظر إلى يديها وهى تقول: "هل شامب بخير؟".

"نعم. كما تم تجديد الثقة به، مثلى أنا".

سألته ميشيل: "ولماذا اختطفوا فيجى؟".

فقال وايتفيلد: "كانت هناك أيضاً شفرة فى النوتة الموسيقية للأغنية التى استطاعت أليسيا فكها باستخدام حاسبات بابيج تاون، كانت فى الحقيقة تستند إلى شفرة إنيجما التى تعود لعهد الحرب العالمية الثانية".

فقال شين: "كنت أعرف هذا! لقد اعتمدت على فكرتى حول شفرة إنيجما حتى تفك الشفرة وبعد ذلك كذبت علينا، كما أن فيجى نفسها كانت شفرة بدورها، شفرة حية".

فأضافت ميشيل: "وكان عنوان الأغنية هو المفتاح الرئيسى: شيناندواه"، فوافقها شين قائلاً: "هذا صحيح".

سألته ميشيل: "وما الذى كانت تقوله الأغنية التى تم فك شفرتها؟".

"تصف بعضاً مما رآه مونك تورينج فى كامب بيرى، وكان فيها ما يكفى لأن تصدر فاليرى أمراً لأليسيا باختطاف فيجى".

فصاحت ميشيل فى دهشة: "هل كانت أليسيا هى التى اختطفتها؟".

أومأ برأسه قائلاً: "أعلم أن هذا لا يعنى الكثير الآن بعد كل ما فعلته، لكن أليسيا هى التى ساعدتنى أنا وشامب على إدخال فيجى إلى تلك الطائرة، وأعتقد أنها كانت تهتم حقاً بأمر البنت لأنها كانت مخاطرة كبيرة، أعنى القيام بما يهدد فاليرى".

فاعترف شين: "لهذا معناه على أية حال".

بينما قالت ميشيل فى استغراب: "آيان، كيف يمكنك أن تواصل العمل لصالح مكان يروج المخدرات؟!".

فقال وايتفيلد ببساطة: "تحتاج إلى بذور الخشخاش لزرع الأفيون وتحتاج الأفيون لصنع الهيروين، ونجد الآن فى أفغانستان أن محصول الخشخاش هو الشىء الوحيد الذى يدعم استمرارية اقتصادهم. وإذا لم نشتره فإنه قد يستعمل ويستفاد منه أرباح تجارة المخدرات الهائلة فى إعداد العدة لمهاجمتنا، وهكذا تريان أننا نختار ما بين شرين؛ وهو الاختيار الوحيد أمامنا".

فقالت ميشيل فى إصرار: "لكن هذا لا يزال خطأً...وما ارتكبته فاليرى كان عملاً إجرامياً".

"لقد كانت فاليرى شريرة، هكذا بكل وضوح وبساطة. ومجنونة أيضاً؛ لأنه قد بدا لى أنها كانت ستقتلكما بعد انتهاء مرحلة التعذيب، وكانت تعتقد أنها ستفلت بفعلتها، فكان لديها تصور للدور المتوجب أن تقوم به وكالة المخابرات المركزية يختلف عن تصورى له، وأعتقد أن هذا لن يتغير".

"آيان، عليك أن تخبرنا بشىء واحد: كيف نجح مونك تورينج فى التسلل عبر النهر؟"، هكذا سأله شين.

فقال وايتفيلد متردداً: "أعتقد أنى مدين لكما بالإفصاح عن هذا الأمر. لقد تبين لنا أنه استخدم أداة دفع تحت الماء".

فنظر شين إلى ميشيل؛ ثم قال: "كلا؛ فقد كان هذا...".

فقاطعه وايتفيلد بسرعة: "بل وجدنا اثنين منهما، وجدنا واحدة ليلة أن شاعت الفوضى بالمكان كله"، راقب رد الفعل قبل أن يردف: "هل لديكم معلومات عن أمر كهذا؟".

فابتسم شين قائلاً: "العقول العظيمة تفكر بالطريقة نفسها". تباطأت سرعة السيارة قبل أن تتوقف تماماً.

فقال وايتفيلد وهو يفتح الباب: "لقد وصلنا... خذا وقتكما، وسأنتظركما بالخارج".

الفصل

٩٣

عندما فتحت المرأة الباب، رأت ميشيل أن فيجى تورينج كانت شديدة الشبه بأمها.

كانت تنتظرهما، هذا ما أخبرتهما به المرأة، وهى تقودهما إلى الداخل.

سألتها ميشيل: "هل أنتِ والدة فيجى؟".

"كلا، أنا خالتها. فلقد ماتت أختى المسكينة قبل سنوات. لكن الناس يقولون دائماً إننا صورة طبق الأصل من بعضنا البعض". أجلستهما فى غرفة المعيشة. وحالما رأت فيجى ميشيل بدأت تعزف على البيانو؛ فراحت ميشيل وجلست بجانب فيجى وعانقتها.

قالت خالة فيجى، واسمها هيلين: "لم أكن أعرف حتى بأنهم كانوا فى فرجينيا، وبالتأكيد لم أعرف أى شيء مما حدث لمونك، ولم أر فيجى سوى ذلك اليوم. فكدت أغيب عن الوعى من شدة الفرح".

"كان مونك هو الوصى عليها؟".

فخفضت هيلين صوتها حتى لا تسمعها فيجى: "كانت حياة أختى مضطربة. مخدرات، مرض عقلى؛ بل كنا نعتقد بأنها كانت تعاقب فيجى جسدياً. وفى النهاية نجح مونك فى إبعادها

وربما كان علىَّ أن أحاول التدخل أكثر، لكن علىَّ أن أعوضها الآن عن هذا. ولسوف أتبنى فيجى".

فهمست لها ميشيل: "ذلك عظيم يا هيلين؛ فهى بنت مميزة جداً".

"أعرف أنها تحتاج إلى رعاية خاصة. كنت فى بادئ الأمر قلقة لأن المساعدة التى تحتاج إليها مكلفة جداً، لكننى علمت مؤخراً أن مونك قد مات غنياً، وسيكون لدى فيجى مال وفير يغطى أية تكاليف".

فقال شين: "إذا كنتِ تحتاجين إلى عالم نفسى جيد، فعندى شخص أعرفه، وهو قد رأى فيجى بالفعل".

أخذت فيجى ميشيل إلى النافذة وأشارت إلى الخارج نحو بحيرة قريبة: "هل بالإمكان أن نذهب إلى الماء ثانيةً؟".

"هل تعتقدين أنك مستعدة لذلك؟ ألا تذكرين آخر مرة".

"كان هذا لأنى ذهبت وحدى. أما إذا ذهبت معك فإن كل شيء سيكون بخير، أليس كذلك؟".

"هو كذلك".

وبينما كانا فى طريق عودتهما إلى السيارة الليموزين، قالت له ميشيل: "لقد كان حقاً كرمًا منك أن تهب الكنز، باعتبار أنك من وجده".

"لقد نجح هينريش فوش فى التوصل إلى مكانه؛ لكن العثور على الكنز وضح لى شيئاً آخر كان يقلقنى".

فسألته: "وما هو؟".

"هل تذكرين تلك اللطخات الحمراء التى كانت على يدى مونك؟".

"صحيح، لطخات صدأ ناجمة عن تسلق السياج السلكى".

"كلا؛ فقد كان ذلك السلك الشائك جديداً، وليس صدئاً. رأيت ذلك حينما كنت أقطع السياج؛ فقد تلطخت يدا مونك بسبب حفره فى الأحجار للوصول إلى الكنز، مثلما فعلت أنا". ثم هز

شين رأسه وهو يردف: "شفرات ودماء. لقد كنت مخطئاً، فلم يكن للأمر علاقة بآلان تورينج والبحث عن شجرة النسب؛ فقد كان مونك يقصد المعنى الحرفى. فقد بدت يداه داميتين بسبب الحفر بيديه خلال الأحجار للوصول للكنز".

فسألته: "كم مرة تعتقد أن مونك قد اخترق كامب بيرى؟".

"لو فعلها مرة لكان أمراً كافياً جداً، ومن الواضح أنه قد شاهد ما رأيناه أيضاً، إلا أن الفارق هو أنه لم يفلت بحياته؛ فحقيقة أنه قد ترك رسالة مشفرة فى تلك النوتة الموسيقية حول ما رآه تجعلنى أعتقد أنه قد بدأ كصياد كنوز وانتهى بمحاولة لفت الانتباه إلى ما رأى أنه نشاط غير شرعى فى كامب بيرى".

"ولكن كيف كان سيخرج بهذا الكنز؟ فليس من السهل نقل الذهب".

"ربما فعلها مونك لأجل تحدى العثور على الكنز. لكن الرجل كان عبقرياً، ربما كان يخطط فقط لأخذ الجواهر فقط؛ فهى سهلة الحمل نسبياً".

بدأت ميشيل تقول: "وعندما قال مونك للين ريفيست بأنها كانت مفارقة...".

"حقاً، فقد كانت مفارقة أن أعظم مؤسسة سرية فى العالم كانت تجهل أمر وجود كنز سرى بالقرب منها".

عندما عادا إلى الليموزين، قال لهما وايتفيلد: "نحتاج إلى أن ننهى الصفقة".

سأله شين: "نسخ الفيديو؟" فأومأ وايتفيلد برأسه.

طلب شين من السائق أن ينطلق بهم. كان شين قد حصل على النسخ من هوراشيو وأخفاها فى أماكن آمنة أخرى، وبعد أن جمعا النسخ، تم تسليمها إلى وايتفيلد، فنظر الرجل إليها وأعاد نسخة واحدة إلى شين.

قال شين: "آيان، إنهم ينتظرون الحصول على خمس نسخ، ولو سلمتهم أربعاً فقط فقد يدبرون لك حادثاً من ذلك النوع (الصيني) الذى أعرفه؛ هذا فضلا عما قد يحدث لنا".

"سأصنع نسخة أخرى من إحدى هذه الأربع. أنصحك دوماً بأن تتعامل مع المخابرات المركزية ولديك دوماً ما يدعم موقفك، فلا تكشف أوراقك كلها، أما أنا فسأؤكد لهم بأنه ليس هناك من سبيل لمعرفة إذا ما كنتما قد صنعتما نسخاً أخرى أم لا؛ فهذا كفيل بتأمين موقفكما".

أعادتهما الليموزين إلى شقتهما وترجلا من السيارة؛ فالتفت شين إليه قائلاً: "مهلاً، أعرف أننا قد لا نراك ثانية، لكنك إذا احتجت إلى أية مساعدة من أى نوع، فاعلم أن لديك صديقين فى فرجينيا".

صافحهما وايتفيلد وهو يقول: "من الصعب أن يحصل المرء على أصدقاء حقيقيين.. هذا ما خرجت به من عملى فى المخابرات المركزية.. إن كنت قد خرجت منه بشىء!".

الفصل

٩٤

كان يوماً بارداً فى أوائل نوفمبر عندما أوصل شين ميشيل إلى مكتب هوراشيو.

"أنا لا أريد أن أفعل هذا يا شين. حقاً لا أريد".

"ما بكِ؟ لقد رجعت من كامب بيرى حية، وإذا كانت هناك صفة أنا متيقن منها فيكِ، فهى أنكِ لا تتراجعين أبداً عن قرار".

فقالت ميشيل بمرارة: "شكراً لهذه المساندة".

كان هوراشيو ينتظرهما.

هم شين بالانصراف إلا أن ميشيل تمسكت بيده قائلة: "رجاءً... ابق معى".

فنظر شين إلى هوراشيو الذى قال لها: "ليست هذه بالفكرة الجيدة".

"لكننى أريده أن يبقى".

"ثقى بى يا ميشيل. لا يمكن لشين أن يبقى".

بعد أن ترك شين المكان لم يستغرق الأمر مدة طويلة لأداء التنويم المغناطيسى.

أمضى هوراشيو بضع دقائق فى إعادة ميشيل إلى سن السادسة، وأخذ بضع دقائق أخرى ليضعها فى أجواء تلك الليلة فى تينيسى... عندما تغيرت حياتها إلى الأبد. كانت عينا ميشيل

مفتوحتين، بالرغم من أن عقلها الواعى لم يعد حاضراً. راقبها هوراشيو بنظرات حملت مزيجاً من اهتمام المحترف المحنك وقلق يتنامى كلما استرسلت فى تذكر ما حدث. تكلمت أحياناً كطفلة، وفى أوقات أخرى بتأمل ومفردات شخص بالغ يكافح عقله اللاشعوري لأجل سبر أغوار تلك الليلة.

أتى الرجل تلك الليلة فى زيه الرسمى. لا تذكر ميشيل أنها قد رأته من قبل. لابد أنها كانت دائماً فى نومها عندما يجىء. لكن أمها فى تلك الليلة كانت عصبية جدا وأبقت ميشيل إلى جوارها. أخبرت أمها الرجل بأنها لم تكن تريد رؤيته؛ وأن عليه أن يغادر. ظن فى بادئ الأمر أنها تمزح، ولما تيقن من أنها جادة استشاط غضباً، وبدأ ينزع عنه ملابسه، وعندما مد يده إلى أمها، طلبت الأم من ميشيل أن تهرب، ثم بدأ الرجل ينزع عن أمها ملابسها عنوة. كانت أمها تحاول إيقافه لكنه كان قويا جداً. كان يحاول إسقاطها أرضاً بالقوة على الأرضية.

لم تستغرق ميشيل سوى ثانية للوصول إليه. كانت أحياناً ما تحمل مسدس أبيها طالما لم يكن محشواً بالذخيرة بالطبع. سحبت مسدس ذلك العسكرى من غمده الذى كان ملقى فوق الأريكة مع ملابسه التى خلعها، وصوبت نحو ظهره وأطلقت الرصاصة، وسرعان ما ظهرت تلك البقعة الحمراء الكبيرة فوق ظهر الرجل، بقعة الموت. مات فى هدوء، تهاوى جسده فوق جسد والدتها. كانت المرأة مصدومة لدرجة أنها فقدت الوعى.

"لقد قتلته. قتلت رجلاً". انسابت الدموع على وجه ميشيل وهى تتذكر ذلك الحادث الذى كان مطوياً فى غياهب عقلها طيلة حياتها.

كانت تقف هناك وفى يدها المسدس عندما انفتح الباب ليظهر أبوها. لم تعرف ميشيل لماذا أتى إلى البيت مبكراً... لكنه أتى. رأى ما حدث؛ فأخذ المسدس من يد ميشيل وسحب جثة الرجل عن زوجته. حاول إفاقتها، لكنها بقيت فاقدة الوعى؛ فحملها

إلى الفراش، وعاد بسرعة إلى الأسفل وأخذ ميشيل من يدها، وهو يهمس فى أذنها بلطف.

قالت ميشيل بصوت خفيض: "أمسكنى من يدى... قال بأن عليه أن يخرج لفترة، لكنه سيعود. بدأت أصرخ، أصرخ وأنا أتوسل إليه ألا يتركنى. تشبثت بساقه، لم أكن لأتركه. لم أكن. ثم قال بأنه سيأخذنى معه، وأننا سنخرج فى جولة بالسيارة. أجلسنى فى المقعد الأمامى فى سيارته، ثم عاد إلى الداخل وهو يحمل جثة الرجل ووضعها على الأرضية فى الخلف".

فقال هوراشيو: "ولماذا لم يضعها فى حقيبة السيارة؟".

أجابته ميشيل على الفور: "كانت مليئة بالخردة...لذا وضعها أبى فى الخلف. رأيت وجهه. كانت عيناه لا تزالان مفتوحتين. كان ميتاً. عرفت أنه ميت لأننى أنا من أطلق عليه النار. وكنت أعرف ما يحدث عندما يطلق عليك النار... تموت... دائماً ما تموت".

فسألها هوراشيو بهدوء: "وماذا فعل أبوك بعدها؟".

"فرش أوراق صحيفة فوق جثة الرجل، ومعطفاً قديماً وبعض الصناديق، وكل شىء كانت تطوله يداه، لكنى ما زلت أستطيع أن أرى عينىّ الرجل تنظران إلىّ. بدأت بالبكاء وقلت لأبى: أبى، ما زلت أرى عينى الرجل، إنه ينظر إلىّ. اجعله يتوقف عن النظر إلىّ".

"وماذا فعل أبوك؟".

"وضع المزيد من الأشياء فوقه، الكثير منها حتى لم أعد أراه. لم تعد هناك عينان تحدقان فىّ".

"وإلى أين قاد أبوك السيارة؟".

"فوق... حيث الجبال. أوقف السيارة وابتعد قليلاً، لكنه وعدنى بأنه سيعود، وقد فعل. لقد عاد".

"من دون الرجل؟".

اختنقت أنفاس ميشيل وبعد ذلك قالت منتحبة: "لقد أبعد جثة الرجل، لكنى لم أكن أستطيع أن أنظر إلى أسفل الأرضية. قد يكون هناك. قد ينظر إلى من هناك"، ثم انحنت ميشيل للأمام فى ألم.

أمرها هوراشيو قائلاً: "استريحى، ميشيل... استريحى لمدة بضع لحظات، لا بأس. لا شىء من هذا يمكن أن يؤذيك. فلن يعود الرجل. لا يمكن أن تريه ثانية".

اعتدلت فى جلستها وفى النهاية توقفت عن البكاء.

قال لها هوراشيو: "هل أنت على استعداد للاستمرار؟".

استعادت رباطة جأشها، ثم أومأت وقالت: "وبعد ذلك ذهبنا إلى البيت بالسيارة... إلى أمى. أوصلنى أبى إلى البيت بالسيارة".

"هل كانت قد استعادت وعيها حينئذ؟".

أومأت ميشيل قائلة: "كانت تبكى. تحدثت هى مع أبى. جن والدى غضباً. أكثر غضباً من أى وقت مضى. لم يظنا أننى أسمع حوارهما، لكنى كنت أسمع كل شىء، ثم أتانى والدى وتكلم معى، قال بأنه وأمى يحباننى، قال بأن كل ما حدث كان مجرد حلم سيئ، أو كابوس حسب تعبيره هو. طلب منى أن أنسى، وألا أتحدث أبداً عما حدث". عادت للبكاء ثانية وهى تردف: "وبالفعل لم أبح بشىء. أعدك يا أبى، أنا لم أخبر أى شخص. أقسم لك"، ثم انتحبت ميشيل بقوة وهى تصرخ: "لقد قتلته. قتلت ذلك الرجل".

قال هوراشيو بسرعة: "استريحى مرة أخرى، ميشيل". استراحت فى كرسيها والدموع تبلل وجهها.

أدرك هوراشيو أن ما كان يحطم ميشيل هو كل هذا الذى احتفظت به داخلها. كان كجرح لم يسبق تنظيفه؛ فتصاعدت العدوى حتى أصبحت قاتلة؛ فقد احتفظت بسر خيانة أمها وإخفاء أبيها آثار جريمتها... كل هذا الزمن، ورغم ذلك أدرك

هوراشيو أن هذا لا يمثل شيئاً بالمقارنة بالذنب الذى تشعر به لقتلها إنساناً.

تذكر شيئاً قالته حينما كانوا فى بابيج تاون، وأنه ربما تكون مشكلتها قد نجمت عن قتلها شخصًا ما بقسوة حينما كانت فى السادسة من عمرها. كان ظن هوراشيو هو أنها تتذاكى عليه، لكن اللاشعور لديها هو من كان يتكلم. لم يمكنه أن يلحظ ذلك فى حينه.

لم يصدق هوراشيو أن ميشيل رأت ذلك الوجه يحدق فيها من أرضية شاحنتها أو غرفة نومها. لم يعتقد أنها رأت أى شىء. كان يرجح أنها أحست بشىء فظيع، لكنها لم تعرف ماهيته. وكان رد فعلها هو أن تغطيه، فتفعل مادياً ما تحاول أن تفعله نفسياً.

انتظر هوراشيو بضع ثوان، وبعد ذلك قال: "حسناً... ميشيل، هل بالإمكان أن تخبرينى عن أمر ذلك السياج الوردى؟".

"لقد قام أبى بتخريبه ذات ليلة. شاهدته من نافذتى".

عاد هوراشيو إلى مقعده وتذكر أن فرانك ماكسويل كان قد زرع السياج كهدية عيد زواج لزوجته، فعلى ما يبدو أن عائلة ماكسويل قد تخطت هذا الكابوس بأن دفنت آثاره هكذا بكل بساطة، ورغم ذلك ففى مكان ما هناك عائلة بقيت تتساءل لقرابة الثلاثين سنة عما يكون قد حدث لذلك الرجل الميت. وكل هذه السنوات قد مرت وعظامه ملقاة فى مكان ما فوق تلال تينيسى. وذات يوم سيكون على آل ماكسويل أن يواجهوا صنيع أيديهم، حتى وإن كان هذا على الأقل داخل طيات عقولهم، إن لم يكن سيحدث هذا داخل قاعة المحكمة. عاد لينظر إلى ميشيل قائلاً: "ارتاحى الآن. ارتاحى وحسب".

ترك الغرفة وهاتف شين، لكن لم يخبره بأى شىء مما باحت به ميشيل وأردف: "ولا يمكننى أن أخبرها بذلك أيضاً".

"فما الذى سيفيدنا به هذا إذن؟".

"إن كشف عقلها الباطن عن كل هذا قد يخفف من الضغط على عقلها الواعى، ويمكننى أن أضع أسلوب العلاج الذى سيساعدها بصورة أفضل مما كان قبل هذه الجلسة. يمكننى ومن خلال جلسة تنويم مغناطيسى أخرى أن أزرع بعض الاقتراحات فى عقلها الباطن بما يكفى لاستئصال المشكلة من جذورها".

"لماذا لا تفعل ذلك الآن؟".

"عمل هذا الآن يمكن أن يجهد اللاشعور وهو ما قد يضرها".

"وما الذى بوسعى أن أساعد به؟".

"يمكنك أن تكون أكثر تفهماً لنزواتها الصغيرة. هذه هى بداية العلاج".

عاد هوراشيو إلى مكتبه وببطء أخرج ميشيل من حالة التنويم المغناطيسى.

قالت بقلق: "حسناً... ما الذى بحت به؟".

فقال هوراشيو: "أتعرفين، أعتقد أننا قد حققنا بالفعل تقدماً حقيقياً اليوم".

فبادرته ميشيل قائلة: "لن تخبرنى إذن، أيها القمىء؟!".

فقال فى جذل: "هذه هى ميشيل... التى صرت أحبها وأخافها فى الآن نفسه".

بعد أن فارقت هوراشيو، قالت ميشيل لشين: "هل ستخبرنى بما حدث أم لا؟".

"لا يمكننى لأننى بدورى لا أعلم شيئاً".

"هل تعتقد أننى سأصدق هذا الهراء الذى تقول؟".

"بل هى الحقيقة".

"ألا يمكنك أن تخبرنى بشىء؟".

"بلى، فأنا ومن الآن فصاعداً لن أسخر من نزواتك ثانية".

"هل هذا هو كل شىء؟ هل بحت بكل ما بداخلى لأجل هذه النتيجة فحسب".

"هذا كل ما أستطيع أن أفعله".

"لا أدرى لماذا أنا عاجزة عن تصديقك".

فأحاطها بذراعه وهو يقول: "لا بأس، بوسعى أن أخبرك بأمر آخر، لكن على أن أعطيك شيئاً أولاً". قالها وهو يمد يده إلى جيبه ليخرج الزمردة التى كان قد أخذها من كنز منزل دانمور. صارت الآن تزين عقداً صنع خصيصاً لأجلها.

قال لها بخبث بينما اتسعت عيناها عند مرأى العقد: "أوه... كنت سأندم لو أنكِ لم تحصلى على شيء من ذلك الكنز". كان يساعدها على ارتدائه.

"إنه جميل يا شين. ولكن... ما هو الشيء الذى تود أن تخبرنى إياه؟".

فقال لها بشيء من التوتر: "بل هو رجاء".

سألته بحذر، وهى تنظر إلى عينيه: "ما هو؟".

سكت، وهو يتناول يدها فى يديه ويقول: "عدينى... ألا تفكرى مجرد تفكير فى أن تفترقى عنى ثانية يا ميشيل".

كلمة المؤلف

تحذير:

لا تُقْدِمْ على قراءة هذه الكلمة قبل أن تكون قد قرأت الرواية.

عزيزى القارئ

إن بابيج تاون محض خيال لكننى استلهمتها جزئيًا من متنزه بليتشلى خارج لندن؛ حيث تم فك شفرات الجيش الألمانى على يد الحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانية، وقد نقلت بعض التفاصيل الجغرافية والحقائق الأخرى حول موقع بابيج تاون، واختلقت أماكن من الخيال، واصطنعت تاريخًا كاملًا لتلك المنطقة فى فرجينيا، بما فى ذلك القصور المهجورة، فشطح بى الخيال الأدبى كما يقولون. وعلى أية حال، فإن القارئ واسع الاطلاع حول تاريخ فرجينيا سيدرك أن فى القصة تأثيرات من خلال بعض أراضى تايد ووتر "الحقيقية" على طول نهر جيمس (مقابل نهر يورك) ذات الأهمية التاريخية، من قبيل ويست أوفر، وكارتر جروف، وشيرلى بلانتاشن. ولحسن الحظ أن هذه المناطق الثلاث لم تتعرض للتدمير.

وبعد أن قلت هذا، أعود لأقول إن "تجميل" وتحريف الحقائق من الأدوات الشرعية فى يد الروائى؛ لذا أرجو أن تغض الطرف عن الكتابة لى لتشير إلى غلطات واقعية وتاريخية مختلفة؛ فأنا لست فقط مدركًا لها، بل وأجد متعة فى التلاعب بها.

والآن أقول بأن الجزئية الخاصة بحاسبات الكوانتوم حقيقية كلها، أو على الأقل حقيقية بالنسبة لفهم القارئ العادى لمثل هذه المفاهيم المحيِّرة، ومن بعد ذلك صياغتها للقارئ فى شكل سردى مشوق ومثير؛ فهناك حقًا كليات وشركات وبلدان فى سباق للوصول إلى هذه النوعية من الحواسب أولًا، ولو فعلها أحدهم

فسوف يتغير العالم إلى الأبد. أما إلى أية درجة وسواء كان التغيير إيجابياً أو سلبياً فهذا يعتمد، في رأيي، على هوية من سيربح ذلك السباق، أما الكتاب الذى وجدته معيناً لى فى الكتابة عن فيزياء الكوانتوم فكان *A Shortcut Through Time* لصاحبه جورج جونسن.

وبما أن الشفرات السرية وتاريخ تحليل الشفرات الحقيقى أمران متوازيان فى هذه الرواية؛ فقد استلهمت من ذلك المجال أسماء بعض الشخصيات، وهذه هى القائمة:

١. (شامب بوليون) مشتق من جين فرانسوا شامبوليون...لغوى فرنسى رائع، كان ذا دور فعال فى فك رموز الكتابات التى رافقت الرسوم الفرعونية لبطليموس وكليوباترا. ومكن عمله العلماء أيضا من قراءة تاريخ الفراعنة كما دونوه فى نصوصهم وبلغتهم.

٢. (مايكل فينتريس) كان اسم الرجل الذى اكتشف ما يسمى بالأقراص الخطية فى جزيرة كريت والتى كتبت باليونانية.

٣. لقب (أليسيا تشادويك) جاء من (جون تشادويك) الذى كان لمعرفته الشاملة بالإغريقية القديمة دور فعّال حيث قام هو وفينتريس بفك شفرة تلك الأقراص، وكملاحظة جانبية مثيرة أقول بأنه قد تم الإعلان عن نتائجهما فى ذات الوقت الذى تمكن فيه السيد إيفيرست من قهر تلك القمة الجبلية، فسمى اكتشافهما "إيفيرست آثار الإغريق".

٤. لقب (آيان وايتفيلد) جاء من وايتفيلد ديفى، الذى جاء بنوع جديد رائد من الشفرات الذى استعمل مفتاحًا لا متناظر، بدلاً من مفتاح متماثل، والمتماثل يعنى أن طريقة حل الشفرة هى نفس طريقة صنعها.

٥. اسم ميركل هايز الأول جاء من رالف ميركل، الذى عمل مع ديفى وأستاذ جامعة ستانفورد مارتن هيلمان، فى عملهما

الذى غير العالم مع كتابة تصور المشفرة العامة بطريقة حلت مشكلة التوزيع الرئيسية.

٦. الاسم الأخير للين ريفيست جاء من رون ريفيست، الذى اتفق مع أدى شامير وليونارد أديلمان على وضع منظومة آر إس أى، وهى منظومة الكتابة المشفرة الرئيسية العامة واللا متناظرة وهى المنظومة المهيمنة فى عالمنا اليوم.

٧. جاء اسم مونك تورينج بالطبع من اسم آلان تورينج، الذى عرضت تاريخه الفعلى فى هذه الرواية، وكان تشارلز بابيج وبليز دى فيجينيرى أناساً حقيقيين أيضا، وقد أرخت لاكتشافاتهم فى الرواية.

٨. أما مصدر لقب فاليرى ميسالين (مع تغيير طفيف فى التهجئة) فلم يجئ من عالم تحليل الشفرات. وعلى أية حال، فقد يتبين طالب التاريخ الأهمية، وأنا هنا أساعد بتقديم طرف خيط: فعلى نقيض منظومة آر إس آى، والتى هى منظومة لا متماثلة بشكل مبدع، فإن اسم فاليرى وشخصيتها متماثلان بشكل جميل.

وكما يقولون، ما الذى يشير إليه الاسم؟ حسناً، فى هذه الرواية ... الاسم يشير إلى الكثير!

إن تاريخ كامب بيرى الذى تحدثت عنه الرواية يستند إلى بحث تمكنت من تنفيذه، وهو دقيق بشكل واقعى أيضاً. وعلى أية حال، فإن توصيفات ما يجرى هناك والتى وردت فى هذه الرواية هى من نتاج الخيال، وقد كان هذا ضروريا حيث إن من المشكوك فيه أن يتم السماح لأى روائى بإجراء مثل هذا البحث، وعلى نفس هذا المنوال، فإن أى شخص يعمل فى كامب بيرى ويقرأ الرواية عليه أن يتذكر أننى اختلقت ما يحدث فى المكان؛

وأن الشخصيات والحوار وأى شىء آخر فى القصة يمثل تصويراً لك أو للعمل الذى تقوم به من أجل بلادك؛ فتلك العميلة الشريرة محض خيال. وهل ما يعرف بـ"المكان السرى" حسب تعبير السكان المحليين يستحق الزيارة عند كامب بيرى؟ كلا، لا تستطيع التجول فى المكان؛ حيث إن وكالة المخابرات المركزية لن تقر حتى بأنه موجود.

لقد واتتنى فكرة الرواية، أو جزء منها على الأقل، بعد قراءتى عما يسمى بشفرة بيل **Beale Cipher**؛ فهى واحدة من تلك الظواهر التى تعتمد على التناقض – كما أنها سر مشهور. تتعلق بشفرة هائلة التعقيد، ثلاث صفحات من الأرقام، وكنز مزعوم يساوى عشرات الملايين من الدولارات أخفاه السيد توماس جيفيرسن بيل فى أوائل القرن التاسع عشر. واحدة من الصفحات الثلاث تم حلها كما هو مزعوم منذ عهد بعيد على يد صديق لأحد أصدقاء السيد بيل. تم فك شفرة الصفحة باستعمال وثيقة إعلان الاستقلال الأمريكية كمصدر لأحرف تتماشى مع تلك الأرقام فى الشفرة. فعلى سبيل المثال، العدد الثالث فى الشفرة هو ٢٤، وهو ما يعنى، أن تبحث عن الكلمة الرابعة والعشرين فى الإعلان. تلك الكلمة هى "أخرى"، لذا تأخذ الحرف الأول فى تلك الكلمة، أى "أ"، وتدونه فى نص فك الشفرة إلى أن تشكل الكلمات.

تبوح الصفحة التى تم فك شفرتها بمكان الكنز ـ فى مكان ما فى مقاطعة بيدفورد، فرجينيا ـ بالإضافة إلى نوع وكمية هذا الكنز ـ وهو عبارة عن ذهب وفضة وبعض الجواهر ـ وبأنه مدفون فى كهوف مخططة بالحجارة ومخزن فى قدور حديدية. ووفق أسعار المعادن الثمينة اليوم فإن هذا الكنز سيساوى أكثر بكثير من ٢٠ مليون دولار. على أن من المستحيل حساب قيمة الجواهر، حقاً. وعلى أية حال، فإن هذه الرسالة المحلولة تقول بأنه كان

يساوى ١٣ ألف دولار فى سنة ١٨٢١؛ لذا فمن المفترض أنه يساوى أكثر بكثير اليوم.

ربما تقول بأن الأمر سهل، فصفحة واحدة تم فك شفرتها، وبقيت صفحتان. حسناً...إليك هذه المعلومة. على ما يبدو فإن كل شخص يعمل فى مجال الشفرات قد حاول حل الصفحتين الأخريين باستعمال تقنية حديثة وحواسب عملاقة، ومع هذا فقد باءوا بالفشل، والحقيقة أن إحصائية تقول بأن واحداً من كل عشرة خبراء تشفير فى العالم قد حاول فك هذه الشفرة إلا أن أحداً لم ينجح؛ فمكمن الصعوبة هو أن هذا النص المشفر متصل بوثيقة بعينها من قبيل إعلان استقلال مثلاً؛ فتحتاج لمعرفة أى وثيقة هى الوثيقة الصحيحة والمطلوبة، وحتى فى سنة ١٨٢٠ كان هناك الكثير من الاحتمالات. أما الوثائق الأكثر وضوحًا، مثل الدستور الأمريكى والميثاق الأعظم، فقد جرت تجربتها.

وعلى أية حال، فإن هناك أحد المواقع على شبكة الإنترنت يدعى بأنه قد حل الشفرة ويتضمن صوراً لمدفن الكنز المزعوم وجوده فى ذلك الموقع، كما يدعى أصحاب الموقع أيضاً بأن مدفن الكنز كان فارغاً عندما وصلوا إليه. حسناً... ربما كان كلامهم صحيحاً، وربما لم يكن كذلك.

لقد صار لشفرة بيل هذه المكانة الخرافية حتى إنها جعلت موقعًا آخر على الإنترنت يعلن عن برنامج حاسب يمكن استخدامه فى فك الشفرة واكتشاف موقع الكنز، وهو الأمر الذى يجعلك تتساءل لماذا لا يستعملون هم هذا البرنامج لفك هذه الشفرة ويجدون الكنز، ورغم ذلك فمبيعاتهم من هذا البرنامج مربحة إلى حد كبير.

بل إن هناك (جمعية شفرة وكنز بيل) والتى تم إنشاؤها فى الستينيات لتحفيز الاهتمام باللغز، مع أن الناس متحفزون بالفعل ومنذ البداية. ويقال بأنه ليس هناك مزارع أو مالك أراض

في بيدفورد، فرجينيا، لم يقم صيادو الكنوز بالنبش داخل جزء من أرضه، ويتم هذا في أغلب الأحيان دون موافقته.

وأنا أعيد هنا تقديم الصفحات الثلاث المشفرة، بما في ذلك النص العادى للصفحة التى تم فك شفرتها. من المفترض أن صفحة الأرقام الأولى تكشف عن الموقع الدقيق للكنز. أما الصفحة الثالثة فتدرج الأطراف المخول لهم وبشكل شرعي الحق في الكنز. وأنا أتخيل أن جميع صيادى الكنوز المهتمين لن يلقوا بالاً بهذه الصفحة الثالثة!

لاكتشاف المزيد من المعلومات حول السيد الغامض بيل وكيف ولماذا فعل ما يزعمون أنه فعله، اقرأ الكتاب الرائع *The Beale Treasure : New History of a Mystery* لمؤلفه بيتر فايميستر، أو ادخل إلى موقع موسوعة **Wikipedia** على الإنترنت، كما يمكنك الاطلاع على كتاب سيمون سينج *The Code Book*.

هل الأمر برمته خدعة كاملة كما يعتقد الكثيرون؟ ربما يكون هذا صحيحاً. وإذا كان الأمر كذلك، فإن صاحبها يكون قد بذل جهداً خرافياً، وكما تعلم؛ فقد حاولت عدة مرات أن أفك الشفرة لكنى لست خبيراً بأى حال من الأحوال؛ فالأمر يتطلب خبير شفرات بارعاً، هذا إن لم تكن خدعة. والنصيحة التى أوجهها إلى متعطشى الثراء السريع هى: لا تترك عملك لأجل مطاردة هذا الحلم؛ فإن احتمالات كسر شفرة بيل والعثور على الكنز، هذا إن كان موجوداً، تضاهى أو تقل عن احتمال الفوز بيانصيب باوربول. النصيحة الأخرى: لا تذهب أبداً للحفر في أرض أى شخص بدون موافقته؛ فربما تعرضت للمساءلة القانونية أو لقيت مصرعك رمياً بالرصاص، وأى من الاحتمالين ليس من المنطق السليم في شيء.

ولأولئك الذين، بغض النظر عن هذه الاحتمالات الضعيفة جداً جداً، ما زالوا يريدون تحدى ذكائهم ضد لغز ربما هو

الأكثر غموضاً واستعصاءً في التاريخ، فإنى أتمنى لهم كل حظ سعيد.

كما أتمنى أن تكون قد استمتعت بعودة شين كينج وميشيل ماكسويل في هذه الرواية.

اعتن بنفسك واستمر في القراءة.

المخلص،

ديفيد بالدتشي

شفرة بيل
The Beale Cipher

#١ موقع سرداب الكنز

71, 194, 38, 1701, 89, 76, 11, 83, 1629, 48, 94, 63, 132,
16, 111, 95, 84, 341, 975, 14, 40, 64, 27, 81, 139, 213,
63, 90, 1120, 8, 15, 3, 126, 2018, 40, 74, 758, 485, 604,
230, 436, 664, 582, 150, 251, 284, 308, 231, 124, 211,
486, 225, 401, 370, 11, 101, 305, 139, 189, 17, 33, 88,
208, 193, 145, 1, 94, 73, 416, 918, 263, 28, 500, 538,
356, 117, 136, 219, 27, 176, 130, 10, 460, 25, 485, 18,
436, 65, 84, 200, 283, 118, 320, 138, 36, 416, 280, 15,
71, 224, 961, 44, 16, 401, 39, 88, 61, 304, 12, 21, 24,
283, 134, 92, 63, 246, 486, 682, 7, 219, 184, 360, 780,
18, 64, 463, 474, 131, 160, 79, 73, 440, 95, 18, 64, 581,
34, 69, 128, 367, 460, 17, 81, 12, 103, 820, 62, 116, 97,
103, 862, 70, 60, 1317, 471, 540, 208, 121, 890, 346, 36,
150, 59, 568, 614, 13, 120, 63, 219, 812, 2160, 1780, 99,
35, 18, 21, 136, 872, 15, 28, 170, 88, 4, 30, 44, 112, 18,
147, 436, 195, 320, 37, 122, 113, 6, 140, 8, 120, 305, 42,
58, 461, 44, 106, 301, 13, 408, 680, 93, 86, 116, 530, 82,
568, 9, 102, 38, 416, 89, 71, 216, 728, 965, 818, 2, 38,
121, 195, 14, 326, 148, 234, 18, 55, 131, 234, 361, 824,
5, 81, 623, 48, 961, 19, 26, 33, 10, 1101, 365, 92, 88,
181, 275, 346, 201, 206, 86, 36, 219, 324, 829, 840, 64,
326, 19, 48, 122, 85, 216, 284, 919, 861, 326, 985, 233,
64, 68, 232, 431, 960, 50, 29, 81, 216, 321, 603, 14, 612,

81, 360, 36, 51, 62, 194, 78, 60, 200, 314, 676, 112, 4,
28, 18, 61, 136, 247, 819, 921, 1060, 464, 895, 10, 6, 66,
119, 38, 41, 49, 602, 423, 962, 302, 294, 875, 78, 14, 23,
111, 109, 62, 31, 501, 823, 216, 280, 34, 24, 150, 1000,
162, 286, 19, 21, 17, 340, 19, 242, 31, 86, 234, 140, 607,
115, 33, 191, 67, 104, 86, 52, 88, 16, 80, 121, 67, 95,
122, 216, 548, 96, 11, 201, 77, 364, 218, 65, 667, 890,
236, 154, 211, 10, 98, 34, 119, 56, 216, 119, 71, 218,
1164, 1496, 1817, 51, 39, 210, 36, 3, 19, 540, 232, 22,
141, 617, 84, 290, 80, 46, 207, 411, 150, 29, 38, 46, 172,
85, 194, 39, 261, 543, 897, 624, 18, 212, 416, 127, 931,
19, 4, 63, 96, 12, 101, 418, 16, 140, 230, 460, 538, 19,
27, 88, 612, 1431, 90, 716, 275, 74, 83, 11, 426, 89, 72,
84, 1300, 1706, 814, 221, 132, 40, 102, 34, 868, 975,
1101, 84, 16, 79, 23, 16, 81, 122, 324, 403, 912, 227,
936, 447, 55, 86, 34, 43, 212, 107, 96, 314, 264, 1065,
323, 428, 601, 203, 124, 95, 216, 814, 2906, 654, 820, 2,
301, 112, 176, 213, 71, 87, 96, 202, 35, 10, 2, 41, 17, 84,
221, 736, 820, 214, 11, 60, 760

#٣ أسماء ومحال إقامة أقرباء وورثة بيل

317, 8, 92, 73, 112, 89, 67, 318, 28, 96, 107, 41, 631, 78,
146, 397, 118, 98, 114, 246, 348, 116, 74, 88, 12, 65, 32,
14, 81, 19, 76, 121, 216, 85, 33, 66, 15, 108, 68, 77, 43,
24, 122, 96, 117, 36, 211, 301, 15, 44, 11, 46, 89, 18,
136, 68, 317, 28, 90, 82, 304, 71, 43, 221, 198, 176, 310,

319, 81, 99, 264, 380, 56, 37, 319, 2, 44, 53, 28, 44, 75,
98, 102, 37, 85, 107, 117, 64, 88, 136, 48, 154, 99, 175,
89, 315, 326, 78, 96, 214, 218, 311, 43, 89, 51, 90, 75,
128, 96, 33, 28, 103, 84, 65, 26, 41, 246, 84, 270, 98,
116, 32, 59, 74, 66, 69, 240, 15, 8, 121, 20, 77, 89, 31,
11, 106, 81, 191, 224, 328, 18, 75, 52, 82, 117, 201, 39,
23, 217, 27, 21, 84, 35, 54, 109, 128, 49, 77, 88, 1, 81,
217, 64, 55, 83, 116, 251, 269, 311, 96, 54, 32, 120, 18,
132, 102, 219, 211, 84, 150, 219, 275, 312, 64, 10, 106,
87, 75, 47, 21, 29, 37, 81, 44, 18, 126, 115, 132, 160,
181, 203, 76, 81, 299, 314, 337, 351, 96, 11, 28, 97, 318,
238, 106, 24, 93, 3, 19, 17, 26, 60, 73, 88, 14, 126, 138,
234, 286, 297, 321, 365, 264, 19, 22, 84, 56, 107, 98,
123, 111, 214, 136, 7, 33, 45, 40, 13, 28, 46, 42, 107,
196, 227, 344, 198, 203, 247, 116, 19, 8, 212, 230, 31, 6,
328, 65, 48, 52, 59, 41, 122, 33, 117, 11, 18, 25, 71, 36,
45, 83, 76, 89, 92, 31, 65, 70, 83, 96, 27, 33, 44, 50, 61,
24, 112, 136, 149, 176, 180, 194, 143, 171, 205, 296, 87,
12, 44, 51, 89, 98, 34, 41, 208, 173, 66, 9, 35, 16, 95, 8,
113, 175, 90, 56, 203, 19, 177, 183, 206, 157, 200, 218,
260, 291, 305, 618, 951, 320, 18, 124, 78, 65, 19, 32,
124, 48, 53, 57, 84, 96, 207, 244, 66, 82, 119, 71, 11, 86,
77, 213, 54, 82, 316, 245, 303, 86, 97, 106, 212, 18, 37,
15, 81, 89, 16, 7, 81, 39, 96, 14, 43, 216, 118, 29, 55,
109, 136, 172, 213, 64, 8, 227, 304, 611, 221, 364, 819,
375, 128, 296, 1, 18, 53, 76, 10, 15, 23, 19, 71, 84, 120,
134, 66, 73, 89, 96, 230, 48, 77, 26, 101, 127, 936, 218,
439, 178, 171, 61, 226, 313, 215, 102, 18, 167, 262, 114,

218, 66, 59, 48, 27, 19, 13, 82, 48, 162, 119, 34, 127,
139, 34, 128, 129, 74, 63, 120, 11, 54, 61, 73, 92, 180,
66, 75, 101, 124, 265, 89, 96, 126, 274, 896, 917, 434,
461, 235, 890, 312, 413, 328, 381, 96, 105, 217, 66, 118,
22, 77, 64, 42, 12, 7, 55, 24, 83, 67, 97, 109, 121, 135,
181, 203, 219, 228, 256, 21, 34, 77, 319, 374, 382, 675,
684, 717, 864, 203, 4, 18, 92, 16, 63, 82, 22, 46, 55, 69,
74, 112, 134, 186, 175, 119, 213, 416, 312, 343, 264,
119, 186, 218, 343, 417, 845, 951, 124, 209, 49, 617,
856, 924, 936, 72, 19, 28, 11, 35, 42, 40, 66, 85, 94, 112,
65, 82, 115, 119, 236, 244, 186, 172, 112, 85, 6, 56, 38,
44, 85, 72, 32, 47, 73, 96, 124, 217, 314, 319, 221, 644,
817, 821, 934, 922, 416, 975, 10, 22, 18, 46, 137, 181,
101, 39, 86, 103, 116, 138, 164, 212, 218, 296, 815, 380,
412, 460, 495, 675, 820, 952

#٢ محتويات الكنز

115, 73, 24, 807, 37, 52, 49, 17, 31, 62, 647, 22, 7, 15,
140, 47, 29, 107, 79, 84, 56, 239, 10, 26, 811, 5, 196,
308, 85, 52, 160, 136, 59, 211, 36, 9, 46, 316, 554, 122,
106, 95, 53, 58, 2, 42, 7, 35, 122, 53, 31, 82, 77, 250,
196, 56, 96, 118, 71, 140, 287, 28, 353, 37, 1005, 65,
147, 807, 24, 3, 8, 12, 47, 43, 59, 807, 45, 316, 101, 41,
78, 154, 1005, 122, 138, 191, 16, 77, 49, 102, 57, 72, 34,
73, 85, 35, 371, 59, 196, 81, 92, 191, 106, 273, 60, 394,
620, 270, 220, 106, 388, 287, 63, 3, 6, 191, 122, 43, 234,

400, 106, 290, 314, 47, 48, 81, 96, 26, 115, 92, 158, 191, 110, 77, 85, 197, 46, 10, 113, 140, 353, 48, 120, 106, 2, 607, 61, 420, 811, 29, 125, 14, 20, 37, 105, 28, 248, 16, 159, 7, 35, 19, 301, 125, 110, 486, 287, 98, 117, 511, 62, 51, 220, 37, 113, 140, 807, 138, 540, 8, 44, 287, 388, 117, 18, 79, 344, 34, 20, 59, 511, 548, 107, 603, 220, 7, 66, 154, 41, 20, 50, 6, 575, 122, 154, 248, 110, 61, 52, 33, 30, 5, 38, 8, 14, 84, 57, 540, 217, 115, 71, 29, 84, 63, 43, 131, 29, 138, 47, 73, 239, 540, 52, 53, 79, 118, 51, 44, 63, 196, 12, 239, 112, 3, 49, 79, 353, 105, 56, 371, 557, 211, 515, 125, 360, 133, 143, 101, 15, 284, 540, 252, 14, 205, 140, 344, 26, 811, 138, 115, 48, 73, 34, 205, 316, 607, 63, 220, 7, 52, 150, 44, 52, 16, 40, 37, 158, 807, 37, 121, 12, 95, 10, 15, 35, 12, 131, 62, 115, 102, 807, 49, 53, 135, 138, 30, 31, 62, 67, 41, 85, 63, 10, 106, 807, 138, 8, 113, 20, 32, 33, 37, 353, 287, 140, 47, 85, 50, 37, 49, 47, 64, 6, 7, 71, 33, 4, 43, 47, 63, 1, 27, 600, 208, 230, 15, 191, 246, 85, 94, 511, 2, 270, 20, 39, 7, 33, 44, 22, 40, 7, 10, 3, 811, 106, 44, 486, 230, 353, 211, 200, 31, 10, 38, 140, 297, 61, 603, 320, 302, 666, 287, 2, 44, 33, 32, 511, 548, 10, 6, 250, 557, 246, 53, 37, 52, 83, 47, 320, 38, 33, 807, 7, 44, 30, 31, 250, 10, 15, 35, 106, 160, 113, 31, 102, 406, 230, 540, 320, 29, 66, 33, 101, 807, 138, 301, 316, 353, 320, 220, 37, 52, 28, 540, 320, 33, 8, 48, 107, 50, 811, 7, 2, 113, 73, 16, 125, 11, 110, 67, 102, 807, 33, 59, 81, 158, 38, 43, 581, 138, 19, 85, 400, 38, 43, 77, 14, 27, 8, 47, 138, 63, 140, 44, 35, 22, 177, 106, 250, 314, 217, 2, 10, 7, 1005, 4, 20, 25,

44, 48, 7, 26, 46, 110, 230, 807, 191, 34, 112, 147, 44, 110, 121, 125, 96, 41, 51, 50, 140, 56, 47, 152, 540, 63, 807, 28, 42, 250, 138, 582, 98, 643, 32, 107, 140, 112, 26, 85, 138, 540, 53, 20, 125, 371, 38, 36, 10, 52, 118, 136, 102, 420, 150, 112, 71, 14, 20, 7, 24, 18, 12, 807, 37, 67, 110, 62, 33, 21, 95, 220, 511, 102, 811, 30, 83, 84, 305, 620, 15, 2, 108, 220, 106, 353, 105, 106, 60, 275, 72, 8, 50, 205, 185, 112, 125, 540, 65, 106, 807, 188, 96, 110, 16, 73, 33, 807, 150, 409, 400, 50, 154, 285, 96, 106, 316, 270, 205, 101, 811, 400, 8, 44, 37, 52, 40, 241, 34, 205, 38, 16, 46, 47, 85, 24, 44, 15, 64, 73, 138, 807, 85, 78, 110, 33, 420, 505, 53, 37, 38, 22, 31, 10, 110, 106, 101, 140, 15, 38, 3, 5, 44, 7, 98, 287, 135, 150, 96, 33, 84, 125, 807, 191, 96, 511, 118, 440, 370, 643, 466, 106, 41, 107, 603, 220, 275, 30, 150, 105, 49, 53, 287, 250, 208, 134, 7, 53, 12, 47, 85, 63, 138, 110, 21, 112, 140, 485, 486, 505, 14, 73, 84, 575, 1005, 150, 200, 16, 42, 5, 4, 25, 42, 8, 16, 811, 125, 160, 32, 205, 603, 807, 81, 96, 405, 41, 600, 136, 14, 20, 28, 26, 353, 302, 246, 8, 131, 160, 140, 84, 440, 42, 16, 811, 40, 67, 101, 102, 194, 138, 205, 51, 63, 241, 540, 122, 8, 10, 63, 140, 47, 48, 140, 288

الرسالة التى تم فك شفرتها في الصفحة رقم ٢ هى:

لقد أخفيت في مقاطعة بيدفورد، على بعد حوالى أربعة أميال من بافورد، وفى سرداب، بعمق ست أقدام

من سطح الأرض، الأشياء التالية، وهى تعود وبصفة مشتركة إلى الأطراف الواردة أسماؤهم فى الصفحة رقم ٣، وهى:

يتكون الوعاء الأول من ألف وأربعة عشر رطلاً من الذهب، وثلاثة آلاف وثمانمائة واثنى عشر رطلا من الفضة، وقد تم دفنها فى نوفمبر ١٨١٩. أما الثانى فقد دفن فى ديسمبر ١٨٢١، ويتألف من ألف وتسعمائة وسبعين رطلا من الذهب، وألف ومائتين وثمانية وثمانين رطلا من الفضة، وكذلك المجوهرات، والتى تم الحصول عليها فى سانت لويس مقابل الفضة؛ وذلك لتأمين النقل، وقيمتها ١٣ ألف دولار.

وكل ما سبق مودع فى قدور حديدية ذات غطاء من الحديد. سرداب الكنز محدد بالحجارة، والأوعية مستقرة فوق صخور صلبة، وتغطيها صخور، وتصف الورقة رقم ١ الموضع الدقيق لمكمن الكنز، وبحيث لا تكون هناك صعوبة فى اكتشافه.

لا يمكن فك شفرة الصفحة رقم ٢ باستخدام أية نسخة لوثيقة إعلان الاستقلال، ولكن فك الشفرة يتطلب بعض التحرير وتصحيح التهجئة.

شكر وتقدير

إلى ميشيل المحظوظة، صاحبة الرقم ١٣ ـ يالها من مغامرة ممتعة حتى الآن!

إلى فرنسيس جاليه ـ ميللر؛ لجهد تحريرى مبهر جديد، يسعدنى أن نتعاون من جديد.

إلى آرون برايست، ولوسى شيلدا، وليزا فانس إيباش ونيكول كينيلى ـ لكل ما فعلتموه يومياً لأجلى، وإلى آبنر شتاين، والذى يقوم بجهد رائع لأجلى عند الضفة الأخرى للمحيط الأطلنطى.

إلى ديفيد يونغ وجيمى راب وإيمى باتاجليا وجينيفر رومانيللو فى مجموعة (هاتشيت بوك) بالولايات المتحدة؛ لكل ما قدموه من دعم وما أظهروه من ود.

إلى ديفيد نورث وماريا ريت وكاتى جيمس لكل ما قدموه من دعم عبر الرابطة.

إلى باتى وتوم ماسياج الأصدقاء الرائعين.

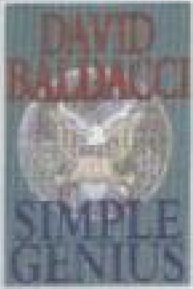
إلى كارين شبايجل ولوسى ستيل لبثهم النشاط فى هوليود من جديد.

إلى سبينسر لمساعدته لى فى جزئية الموسيقى، وإلى كولين وما يثريه من حوار معى فى كل يوم.

إلى آلى وآنشو جوليريا، وديفيد وكاثرين بروم وبوب ومارلين شول للدعم الدائم والمتواصل، وشكر خاص لآلى لما قدمته لى من مصادر هندية؛ ولبوب على تعليقاته التحريرية المفيدة.

إلى نيل شيف؛ لمساعدته لى فى الوصول إلى الأماكن التى رغبت فى زيارتها.

إلى ديبورا ولينيت، عبقريَ "المؤسسة".



فى عالم الأسرار، تكون السطوة للعبقرية البشرية والتى أحياناً ما تكون بسيطة لدرجة مميتة...

لا يفصل بين هاتين المؤسستين السريتين - الواقعتين على مسيرة ثلاث ساعات بالسيارة من العاصمة (واشنطن) - سوى نهر شُددت عليه الحراسة. تمثل إحداهما أشد مختبرات العالم غرابة، حيث لا يعلم أحد شيئاً عن أهدافها أو مصادر تمويلها، أما الأخرى فهى معسكر فائق التطور لأفراد المخابرات المركزية الأمريكية CIA، تخيم عليه السرية. هناك الآن رجل وامرأة على وشك التسبب فى اندلاع تحدٍ عنيف بين كلتا المؤسستين السريتين، بعد أن دخلا فى صراع شرس لاستغلال اكتشاف كفيل بتدمير العالم - والعمل على دفن أسرار أخرى للأبد...

تكاد تتهاوى حياة كل من عميلى الخدمة السرية السابقين، اللذين تحولا إلى التحريات الخاص، شين كينج وميشيل ماكسويل. فها هى ميشيل ترقد فاقدة الوعى على فراش بمستشفى بعد ليلة عنف انتحارية. بينما يضطر شين كينج إلى القيام بإجراء تحقيق حول مقتل أحد العلماء داخل سور الأسلاك الشائكة لمقر المخابرات بالقرب من (ويليامزبرج)، بولاية (فيرجينيا).

وسرعان ما وقع على المعلومة تلو المعلومة من المعلومات المضللة، والتى تهدف إلى حماية عالم مذهل، يعج بعباقرة علماء الرياضيات والفيزياء، وأبطال الحرب، والجواسيس، وأخطر العملاء. فوسط المزيد من حوادث القتل، وعبقرية فائقة لإحدى الفتيات، واختراق قوى لعالم الشفرات السرية، سرعان ما يعرف شين من الأسرار ما يعرض حياته للخطر. وصار الآن - وأكثر من أى وقت مضى - بحاجة إلى ميشيل حتى تساعده على التصدى للخونة المتآمرين القابعين داخل البيت الأبيض ذاته. بدءاً من نضال ميشيل الشجاع لقهر وساوس ماضيها الشيطانية، ووصولاً إلى أسرار قرون طفت على السطح وسط سخونة الأحداث، تنبض هذه رواية "العبقري البسيط" بالتشويق والإثارة فى حبكة شديدة التعقيد. لقد عاد أبطال روايتى *Split Second and Hour Game*، والمؤلف صاحب الروايات الأكثر مبيعاً ديفيد بالدتشى، من جديد - وفى ثوب لم تره عليهم من قبل.



ديفيد بالدتشى هو مؤلف مجموعة من إثنتى عشرة رواية احتلت جميعهاصدارة قائمة نيويورك تايمز للكتب الأكثر مبيعاً وهى: "التحكم التام" و"الرابح"، بالإضافة إلى، *Absolute Power Total Control, The Winner, The Simple Truth, Saving Faith, Wish You Well, Last Man Standing, The Christmas Train, Split Second, Hour Game, The Camel Club, and The Collectors* بالإضافة إلى سلسلة "Freddy and the French Fries" والتي خصصها للأطفال. نشرت رواياته بأكثر من ٤٠ لغة وفى أكثر من ٨٠ دولة، وتم طبع ٥٥ مليون نسخة من أعماله فى أرجاء العالم، ويعد ديفيد بالدتشى واحداً من أشهر روائيى العالم، كما قد أسس وزوجته مؤسسة "Wish You Well Foundation" وهى مؤسسة خيرية تدعم جهود محو الأمية عبر أرجاء أمريكا، وهو لا يزال مقيماً فى مسقط رأسه بولاية فرجينيا، ويدعوك لزيارته فى موقعه الإلكتروني www.davidbaldacci.com والموقع الخاص بمؤسسته www.wishyouwellfoundation.org، ولمعرفة المزيد عن برنامجها الهادف إلى نشر القراءة والكتب عبر أرجاء أمريكا زر الموقع التالي: www.FeedingBodyandMind.com

6 281072 057695
282204287